



الدكتور محمد الجبوي



منتدى صور الأزيكية

www.Books4all.net



عبد اللطيف البغدادي

شهاديد
النزاهة
الثورية



شهاديد النزاهة الثورية
الناشر: دار الخيال
تأليف: محمد البغدادي
الطبعة الأولى

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>



عبد اللطيف البغدادى

شهادة النزاهة الثورية

د. محمد الجوادى

مطبوعات دار الخيال

عبد اللطيف البغدادي
شهيد النزاهة الثورية

عبد اللطيف البغدادى
شهيد النزاهة الثورية

الطبعة: الأولى ٢٠٠٦

رقم الإيداع: ١٥٧٧ / ٢٠٠٦

دار الخيال: ٠١٢٣٢٩٠٦١٨ / ٠١٢٧٣٤١٥٠٧

فاكسىملى دار الخيال : ٧٩٦٢٢٤١

E- mail: Dar el Khial - egypt @ hotmail. com



دار الخيال

يحظر نقل أو اقتباس أى جزء

من هذا المطبوع

إلا بعد الرجوع إلى الدار



تصميم الغلاف: محمد الصباغ

خطوط الغلاف: لمعى فهميم

المشرف على الإنتاج: شريف صلاح نصر

عربية للنشر والطباعة والنشر

١٠-٧ شارع السلام أرض اللواء المهندسين - تلفون ٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٢٥١٠٤٣

إهداء

إلى الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان مفكراً سياسياً ،
ومؤرخاً وطنياً .

محمد الجوادى

عبد اللطيف البغدادى شهيد النزاهة الثورية

٥	الإهداء
٧	المحتويات
٢٧	مقدمة
٢٩	الباب الأول، الملامح العامة

• البغدادى يمثل شخصية «نموذجية» من حيث توافر المواد الخام اللازمة للكتابة عنه من ناحية، وانعدام التعويل على أسرار ينتظر الإفراج عنها من ناحية أخرى • البغدادى نشر مذكراته أربع مرات • تميز بالقدرة الفذة على الإنجاز، وقد جمع ما نسميه فى الأدب والفكر بالقدرة على الحلم وتحقيق الحلم فى كيان متميز ومتكامل بتكلفة أقل وفى وقت أسرع وبجودة أرفع • لا جمال عبد الناصر ولا البغدادى استطاعا أن يقودا التفاعل بين رأييهما لمصلحتيهما أو لمصلحة مصر • البغدادى أضرى بسبب فكره المنظم وآرائه الواضحة • رأى المؤلف أن خسارة الرئيس جمال عبد الناصر بابتعاد عبد اللطيف البغدادى كانت أكبر بكثير من خسارة البغدادى • كان منضبط السلوك أيضاً • كان يشعر بالغشيان بأسرع مما يشعر به زملاؤه • حياته العسكرية المستقرة لم تساعده على معرفة كنه النفس الإنسانية على نحو ما عرفها أنور السادات على سبيل المثال ، وليس من شك أيضاً فى أنه لم يكن ميالاً إلى الزعامة بنفس القدر الذى كان عبد الناصر يميل إليها • البغدادى يتحمل قدراً لا بأس به من المسئولية عن الآثار السيئة للعلاقة الملتبسة بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر • كان يدفع نفسه إلى أن ينأى بها عن إتمام الدور الكبير الذى نهياً له فى خدمة وطنه • كان أقرب إلى طراز المثاليين الذين لا يملكون القدرة على التجاوز عن بعض المواقف الخاطئة • المقارنة بينه وبين أنور السادات: لا يتمتع بما تمتع به السادات من حنكة شديدة وصبر طويل على كل ما أنت وتأتى به الأيام .. كان البغدادى أكثر ميلاً إلى فهم الخطوط المستقيمة الواضحة وكان أنور السادات قادراً على فهم المنحنىات والدوائر المتقاطعة • البغدادى نال كثيراً من التقدير الرسمى طيلة حياته، فى وطنه وفى خارج وطنه، وإذا كان لابد من ذكر مثل دالٍ على قدر هذا التكريم، فإنه يكفيننا أن نشير إلى حصول عبد اللطيف البغدادى فى عهد الملكية على نجمة فؤاد العسكرية مرتين .

• عبداللطيف البغدادي لم يتناول حياته الأولى في مذكراته المنشورة في كتاب (١٩٧٧) بأي قدر من الحديث • انتقل إلى المنصورة في طفولته لكي يبدأ دراسته الابتدائية • قبوله في كلية البوليس بالواسطة • أم كلثوم كانت مهي واسطته • وجهة نظر والده «العمدة» المفضلة لالتحاقه بكادر البوليس والمفضلة لأن يكون مستقبله في هذا الكادر على أن يكون في كادر الجيش • قصة قبوله بالكلية الحربية • لم يكن في حياته الوظيفية أو العسكرية قبل الثورة ما هو جدير بالتفرد أو بالتأمل أو التعليق، فقد عمل شأن زملائه في المطارات العسكرية حتى تولى قيادة القاعدة الجوية • التوجه المبكر نحو العمل من أجل حرية وطنه وتحرير هذا الوطن بكل ما هو ممكن من عمل سرى دءوب • قصة المصير المؤسف الذي تعرض له الطيار أحمد سعودى حين حاول الهرب بطائرة «جلاديتور» في الصباح المبكر لأحد الأيام واتجه بها نحو منطقة مرسى مطروح غرب الإسكندرية • قصة الطيار رضوان الذى وصل إلى مركز القيادة الألمانية في مرسى مطروح وتمكن الحلفاء من القبض عليه عند دخولهم برلين في نهاية الحرب ورحل إلى مصر لمحاكمته عسكرياً • التنظيم السرى الذى شارك البغدادي في تأسيسه • يشير إلى أن هذا «التنظيم» لم يقف في نشاطه عند حدود سلاح الطيران، وإنما تعدى هذا إلى أسلحة الجيش الأخرى • المؤلف يلاحظ أن عبد العزيز على لم يشر إلى اسم البغدادي بقدر من التفصيل في مذكراته التى نشرت بعنوان «الشائر الصامت» • وصول البغدادي وزملائه إلى خطوات متقدمة في ممارسة العمل السرى • قصة اللغم الذى أطلق عليه اسم «التيتل» • أدوار فؤاد سراج الدين ، جمال سالم وعبدالحكيم عامر • محاولة جادة لضم تنظيمهم إلى تنظيم الضباط الإخوان • البغدادي كان واعياً لضرورة البقاء بعيداً عن تيسار كبير يمكن أن يذيب جماعته • ذهبت لمقابلة حسن البنا للتنسيق بين تنظيمنا والإخوان • فيما بعد: لم يكن مندفعاً كأقرانه إلى الانتقام من الإخوان • يعترف في مذكراته بجوهر السياسة المكيافيلية المبكرة التى استقر مجلس قيادة الثورة على الأخذ بها فى التعامل مع الإخوان • يذكر تفصيلات كثيرة تتعلق بموقف الإخوان المسلمين من اتفاقية الجلاء عن مصر وأن الأستاذ الهضيبي أعلن أن هذه الاتفاقية خيانة وطنية للبلاد • ظل على

مجمل آرائه فيما يخص علاقاته المبكرة بالإخوان المسلمين • الاتصال بالملك أو بالقصر: تفصيلات لقائه بأحمد حسنين باشا • التفكير في جدوى التعاون مع نظراء عرب من أجل إنقاذ فلسطين • قصة التعاون بين البغدادي و فوزي القاوقجي • مدى تغفل روح القومية العربية والإيمان بالعروبة في نفوس البغدادي ونظرائه من الشباب الوطنيين منذ ما قبل قيام الثورة، وهو ما يدلنا أيضاً على أن العروبة لم تكن حدثاً جديداً أحدثته الثورة • يمتاز عن أقرانه من قادة الثورة والضباط الأحرار جميعاً بالمام أفضل بالشئون العربية قبل قيام الثورة • ألح على القاوقجي في أن يهرب هو وزملاؤه بالطائرات المقاتلة إلى سوريا • طلبنا من القاوقجي أن يعد لنا مطاراً سرياً شرق دمشق وأن يبعد عنها ما لا يقل عن ستين كيلومتراً حتى يمكننا استخدامه في عملياتنا • انتداب حسن إبراهيم والملازم الفني زكريا سليمان من قسم التسليح بسلاحنا الجوي وذلك بغرض إعداد ذلك المطار السري في سوريا • مضى في خطوات متلاحقة في سبيل الاشتراك الفعلي للطائرات المصرية المقاتلة في معاونة جيش التحرير بقيادة القاوقجي • ذكرياته عن سفره إلى اليمن ولقائه بحاكمها وهدية الحاكم له.

٦٣ الباب الثالث: فكره السياسي والتنموي

٦٥ الفصل الأول: ملامح فكره السياسي

• عنايته بالجانب الخلقى في السياسة • ينتقد الأساليب الميكيفيلية التي لجأ إليها زملاؤه • رواياته تنبئ عن مدى القدر الذي كان تتحكم به هذه السمة الأخلاقية في ممارساته • كان يلزم نفسه قبل أن يلزم الآخرين • يعطى الرئيس جمال عبدالناصر العذر في انتهاج الأسلوب السياسي الذي انتهجته الثورة بقيادته • يعتمد هذه الرؤية التبريرية كمدخل للحديث عن نجاح السادات في ١٥ مايو ١٩٧١ • إحجام البغدادي عن المشاركة في الأحزاب السياسية عند بدء التجربة الليبرالية في عهد السادات ، كان يؤمن بكل وضوح بأنه أكبر من الأحزاب ويقول: أنا بطبيعتي رجل ثوري ضد الأحزاب والمهاترات • وصل إلى الاقتناع بخطورة الإطلاق العشوائي للشعارات • تحفظاته على قبول أسلوب الافتعال السياسي الذي يستهدف التجديد في الحياة السياسية • ليس المهم وجود مجلس ثورة إنما المهم هو الفعل

الثورى فى حد ذاته • الموقف الذى اتخذه فى محاكمة الدكتور محمد زكى عبد المتعال • لم يكن على استعداد لفهم معنى احترام الملكية أو التعمق فى ديناميات الحياة الاقتصادية • انطباعاته خالية من فهم أسس القانون المدنى • الآثار النفسية للانفصال السورى فى ١٩٦١ • كان متفائلاً فى ظنه أن من الممكن استرداد ما فقدناه فى أقل وقت مستطاع • يرى ضرورة البعد عن الهجوم على الحكام الجدد فى سوريا لأن مثل هذا الهجوم كفيل بإثارة التعصب ضد مصر • تقديره لانعكاسات الانفصال على مهابة الرئيس عبد الناصر نفسه بكل ما تمثله شخصيته من أهمية للنظام • أثار نكسة الانفصال على حد وصفه على الأمل فى تحقيق الحلم أو الأمل الكبير • أدرك بحسه وممارساته أهمية الوعى السياسى والمشاركة السياسية فى خلق حماس الجماهير للتعاون مع قادتها • يدرك أن الشعوب عادة لا تُحكم بالماديات فقط • لا يمكن لحاكم أن يحكم شعباً بالعمل على تنفيذ عدة مشروعات له تزيد من دخله فقط، ولكن عليه أن يشركه معه إشراكاً فعلياً فيما يرسم له ويحدد مستقبله • يؤكد بكل وضوح على مكانة عبد الناصر كزعيم وقائد، ولكنه يشير بكل وضوح إلى فقدان الشعب للحماس المتوقع • ينتقد البرلمان والاتحاد القومى والصحافة بعبارات شديدة القسوة إلى درجة أن يقول إن الاتحاد القومى لم يقم بأى دور إيجابى منذ إنشائه • استقامة فكر البغدادى وحرصه على المنطق تدفعانه إلى بعض الأحكام السياسية أو الأفكار السياسية المنافية للبراجماتية • كان قريباً من فكرة تشجيع حياة برلمانية منقوصة • يكرر الحديث عن الحاجة إلى تدريب الشعب على الحياة النيابية السليمة، وكأنما كانت الثورة تتصور الحياة النيابية مسرحيات تتطلب التدريب والبروفات • كان فى بداية عهد الثورة حريصاً على توفير المناخ الاستثنائى لها من أجل تحقيق إنجازاتها وأهدافها • يعترف أنه عند التصويت انفرادى (هو وجمال سالم) بعدم الموافقة على عودة الرئيس محمد نجيب • إدراك صاحب المذكرات العميق لضيق الشعوب من الحكم العسكرى وبخاصة إذا لم يكن مستقراً • يفكر أن المشروعية لا تتحقق إلا بالقوة!! • نظرية الاعتقاد فى فعالية ونفوذ وتأثير اسم عبد الناصر ومع هذا ينتبه إلى أن الاسم الضخم نفسه لن يكفى بعد فترة.

٨٦ الفصل الثانى، مذكراته السياسية

• رأى الدكتور عبد العظيم رمضان فى مذكرات البغدادى • رأى المؤلف أن البغدادى ينظر إلى الأمور فى إطار «التاريخ الطبيعى» • مذكراته لا تزال أكثر المصادر

التاريخية التي بين أيدينا حتى الآن تعرضاً لكثير من الفترات التي حفلت بالصراعات (التاريخية) في العهد الأول للثورة • في المذكرات تفصيلات يومية تصل إلى حد تسجيل الحوارات الثنائية • المذكرات تنفرد بإلقاء الضوء على الرؤى الحاكمة لمنهج تنظيم المجتمع المصري بعد الانفصال (١٩٦١) • المذكرات حافلة بكثير من المواقف التي تصور لنا الجو المسرحي الذي تمت فيه كثير من القرارات المصرية • البغدادي كان حريصاً على أن يصل بنا إلى الحقيقة أضعاف ما كان حريصاً على تلوين هذه الحقيقة • كان الأسبق بين أقرانه جميعاً إلى تسجيل مذكراته، وبهذا تمكن من أن يفرض بصماته على تاريخ الثورة حتى من دون أن يدري الناس هذا المعنى بطريقة واعية • القارئ يشعر بالرضا الشديد وهو يقرأ مذكرات البغدادي لأنه يطلع بسهولة وفي سلاسة على كثير من دقائق الأمور • البغدادي رجل سوى إلى أبعد الحدود ، لا هو حريص على تضخيم ذاته ، ولا هو مضطر إلى ذلك • يطرح رؤيته الذاتية من دون أن يكون مضطراً إلى الاعتذار عن الذاتية • كان كثيراً ما يخاف على يومياته ، أمثلة على هذا الخوف • التزامه بنقل الوقائع من يومياته التي سجلها، وبأن هذه الوقائع ليست إلا ما شاهده أو اشترك فيه • لمذكرات عبد اللطيف البغدادي قيمة أدبية كبيرة من حيث هي تعبير متميز عن مشاعر حقيقية • على الرغم من أنه كان في وسع عبد اللطيف البغدادي أن ينتهي بكتابة مذكراته عند استقالته في ١٩٦٤ أو عند نهاية عهد عبدالناصر ١٩٧٠ ، إلا أنه أثر الانقياد لضميره الوطني الذي اعتبر حرب ١٩٦٧ بمثابة النهاية «الدرامية» لهذه المذكرات

٩٧ الفصل الثالث: فكره التنموي

• مشاركته الفاعلة برؤية متوازنة ومتميزة في صياغة السياسات الحاكمة لتطورنا الاجتماعي الاقتصادي في عهد الثورة حتى وإن لم يؤخذ «كلية» برؤيته في ظل الاندفاع إلى التحول الاشتراكي • محمد عبد السلام الزيات يستشهد بتصريحات البغدادي الذي يصنفه اليسار المصري على أنه يميني التوجه ، ويحدثنا عن دور البغدادي في توجيه السياسات الاقتصادية • ما يرويه عن تدبير تمويل مشروع السد العالي ، وعن بدايات تفكير الثورة في السبل الكفيلة بتنفيذه وتمويله • ثروت عكاشة يشيد بجهد عبد اللطيف البغدادي في العناية بالجانب الحضاري • موقف

البغدادى من التخطيط • كان يعنى به «بعد النظر» واستشراف مستقبل أفضل • معارضته الاندفاع الشديد لعزیز صدقى فى إنشاء مصانع كثيرة بدون تخطيط جيد لإنتاجها ومدى جودته ومدى الحاجة إليه • كان ضد اندفاع الرئيس جمال عبد الناصر إلى تأميم المؤسسات الأهلية الصغيرة • كان يرى التخطيط كصمام أمان ضد الاندفاع والحماس غير المبرر والرعونة • أحمد حمروش يشخص السبب الرئيسى الذى جعل البغدادى يفارق عبدالناصر بعدما اقتنع بعجزه هو ومجلس الرئاسة عن الإسهام الحقيقى فى صنع سياسة الدولة • موقف البغدادى المعارض للتأميمات • يشخص القصور فى فهم الرئيس جمال عبد الناصر لديناميات الأوضاع الاقتصادية والفكر السياسى • كان واعيا تماما لما يمكن أن نطلق عليه انعدام الحاجة إلى التقليد المطلق أو الحرفى للنظام السياسى السوفيتى أو اليوغسلافى • مقارنة هذا الموقف بموقف الرئيس عبدالناصر الذى اقتنع فى بعض المراحل بأهمية أو فاعلية أو جدوى اقتباس هذه النظم كاملة • القدرات التنفيذية والعقلية المتميزة لهذا الرجل، حديثه عن بناء بيته الشهير فى مدينة نصر • رأى الساذج الذى تحاول مذكرات سيد مرعى أن تلخص به رؤية البغدادى فى مجال التخطيط.

الباب الرابع: الإنجازات التنفيذية لعبد اللطيف البغدادى ١١٥

• صاحب الرقم القياسى فى عدد الوزارات المختلفة التى تولاها شخص واحد فى عهد عبد الناصر • كان تولى عبد اللطيف البغدادى لوزارة الشؤون البلدية والقروية يمثل من حيث المبدأ أول خطوة جبارة فى طريق تولى العسكريين الشبان لوزارات الدولة الفنية • أدوار أخرى: المراقب العام لهيئة التحرير • أول رئيس لمحكمة الثورة • رأس مجلس الخدمات فى ١٩٥٤ • فى أثناء الوحدة مع سوريا .. رئيسا للجنة الوزارية للشئون الاقتصادية ورئيسا للجنة الاقتصادية العليا • نائب لرئيس الجمهورية لشئون الإنتاج • كلف بإعادة تنظيم الجهاز الحكومى • عضوا باللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى • لم يغيب البغدادى عن أى محفل من المحافل التى تولت صياغة أفكار ثورة يوليو طيلة الفترة التى ظل مشاركا فيها فى المسئولية • مشاركته فى إعداد الميثاق سنة ١٩٦٢ • قدرات البغدادى المتميزة كانت بمثابة العامل الحاسم ضده • يحتل مرتبة سامقة بين زملائه فى وجدان الجماهير • اسمه مرتبط بالإنجاز الحقيقى

والسريع • شهادة عايذة الشريف • شهادة صلاح منتصر: كان يعرف كيف يختار معاونيه ، وكيف يعطيهم ثقته • تنفيذ المشروعات فى أوقات قياسية هو أكبر هواياته • أنشأ أول مصنع حربي فى مصر • إقامة الكورنيش فى أربعة أشهر ونصف الشهر • أيضا يرجع الفضل إليه فى إقامة استاد القاهرة • سجل البغدادي العمرانى ضخماً: شارع بورسعيد، طريق كورنيش النيل • أتعب سنوات حياته السياسية هى تلك الفترة التى صنع فيها مجده التنفيذى كوزير بارز وناجح للشئون القروية والبلدية • بعد معركة بورسعيد فى ١٩٥٦ أضيفت إلى البغدادي مهمة ترميم المدينة • أنشأ أكثر من ٢٠ مركزاً للشباب • ضيق عبد الناصر بإنجازات البغدادي لم يكن سراً مخفياً حتى صرح به البغدادي • أصدقاء الحديث عن هذه الجزئية فى كثير من الأدبيات المتاحة • رأى فتحي رضوان فى كتابه «٧٢ شهراً مع عبد الناصر» • محمد جلال كشك يذهب إلى رأى أبعد من رأى فتحي رضوان فى تصوير حقيقة علاقة عبد الناصر والبغدادي • محسن عبد الخالق يؤكد هذا المعنى فى حوار مع رشاد كامل فى كتاب «عبد الناصر الذى لا تعرفه» • البغدادي يدرك مغزى واقعة حدثت فى ١٩٦١ حين عمل رئيساً للجمهورية بالنيابة فى أثناء غياب الرئيس عبدالناصر لحضور الجمعية العامة للأمم المتحدة.

١٣٥ الباب الخامس، عبد اللطيف البغدادي رئيساً للبرلمان

• برلمان الثورة الأول لم يعمر كثيراً • تفجرت قضية بسيطة جداً لكنها أثبتت مدى انعدام قابلية نظام الحكم لتقبل حياة برلمانية • ملخص القصة كما رواها عبد اللطيف البغدادي للأستاذ سامى جوهر باللغة الشعبية • مجمل الظروف التى دفعت بالموضوع إلى المناقشة فى مجلس الأمة • صورة مشروع مديرية التحرير كانت قد تحولت أو تطورت لتكون بمثابة أزمة «رأى عام» • البغدادي يشير إلى المكانة التى وصل إليها النائب سيد جلال بفضل شجاعته فيصفها بأنها أصبحت بطولة • التنسيق بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر فيما يتعلق بعمل مجلس الأمة كان كاملاً • حاول الضغط على وزير الزراعة حتى يتقدم للمجلس بالبيانات المطلوبة عن مديرية التحرير • ينتقد أسلوب جمال عبد الناصر لأنه كان فى حديثه للأعضاء حريصاً على أن يبدو (وعلى أن يكون كذلك) متحمساً ومنحازاً للوضوح والأمانة والطهارة • قصة محاولات

الأعضاء المتورطين توجيه دفة الموضوع في اتجاه آخر هو حمايتهم(!!) من الصحافة ،
وهي الذريعة التي أصبح يلجأ إليها كل مَنْ كان في مثل وضعهم • البغدادي يجيد
تصوير النوازع الإنسانية في شخصية جمال عبد الناصر على نحو ما صادفها • جوهر
ما يرويه البغدادي عن الحوارات التي دارت بين كبار رجال الثورة عن مدى ما كانت
أفكارهم تتمتع به من البراءة • التطورات التي انتهت إليها الموقف • حديثه وحديث
الأعضاء «المتهمين» عن شكواهم • أحمد شفيق أبو عوف لجأ إلى العصبية
والانفعال ، أما الدكتور محمود القاضي فقد اعتذر بأنه لم يعلم أن في هذا العمل
مخالفة قانونية ، وأما العضو الثالث إسماعيل نجم فلجأ إلى حيلة قصيرة النظر وهي
تكذيب ما روى • في رواية تالية يورد تفصيلات مناقضة في بعض جزئياتها لهذه
الرواية فيما يتعلق بالدكتور محمود القاضي • حوار بينه وبين الرئيس جمال عبد
الناصر عقب انتهاء مداوالات المجلس في هذا الموضوع ، البغدادي نفسه بدأ يميل إلى
تخفيف العقوبة عن الأعضاء • زكريا محيي الدين كان موافقا للبغدادي على هذا
الرأي • البغدادي يبدأ في الإحساس بضرورة التمسك بالقانون ، واحترامه ، واحترام
النفس عندما تنامي إلى سمعه الشائعات القائلة بأن الرئيس عبد الناصر كلف
مستشاره القانوني بالبحث عن مخرج قانوني يجعل التصرف المعيب شيئاً لا غبار
عليه ، وهو ما حدث بالفعل حيث كلفت اللجنة القانونية الموضوع فاعتبرت أموال
مديرية التحرير أموال مؤسسة خاصة • الحديث عن حقيقة مشاعره تجاه الموقف الذي
اتخذه الرئيس جمال عبد الناصر • كان الضغط على أعضاء لجنة الشئون الدستورية
لا يزال مستمراً حتى صباح الأربعاء ٦ نوفمبر ١٩٥٧ • بعض أعضاء تلك
اللجنة كالاستاذ فتحى الشرقاوى تهربوا من حضورها تجنباً لهذا الموقف الشائك
• البغدادي أثر التهكم على ما رآه يجرى أمامه بعد ما جرى من وراء ظهره • إعلان
استقالته من رئاسة المجلس واستقالة كمال الدين حسين من عضوية المجلس • اللقاء
الذي تم بينه وبين عبد الناصر بعد هذه الجلسة العاصفة التي أعلن فيها عزمه عن
الاستقالة من رئاسة مجلس الأمة • يدفعنا إلى الشعور بأقصى درجات العجب من
موقف الرئيس عبد الناصر على نحو ما صوره • في كتاب سامى جوهر: البغدادي في
هذه الرواية يتحسب من البداية من حماية عبد الناصر لمجدي حسنين ، كما نرى
الرواية تشير إلى أن تعيين أعضاء المجلس كمستشارين للمديرية قد تم بعد أن أثير
الموضوع في المجلس • نطالع اسماً لم يرد في الرواية السابقة وهو اسم عضو البرلمان

عبد المجيد عامر الذى تقدم بسؤال عن جدوى الإنفاق على مشروعات استصلاح الأراضي • البغدادى بدأ يأخذ الموضوع على أعصابه، فهو يلتفت إلى الكرامة وإلى واجبه تجاهها وتجاه المفرطين فيها • تحقيق تاريخ انضمام محمود القاضى إلى العمل فى مديرية التحرير • البغدادى يبذل جهده فى تصوير نفسه حريصاً على القواعد الدستورية • رأى المؤلف: من المؤسف أن مثالية البغدادى دفعت عبد الناصر إلى طريق أسوأ مما كان يعرضه فى البداية على البغدادى كحل لهذا الموقف الذى وجدت الثورة نفسها فيه ، فلما تصلب البغدادى ولم يقبل بالحلول الوسطى التى كانت ممكنة التنفيذ اضطر عبد الناصر إلى التفكير فى طرق أكثر مخالفة للقانون وللدستور ولروحيهما • مع أن الحق يبدو فى صف البغدادى ، فإن روح المسئولية والنظر إلى المستقبل تجعلنا نلوم البغدادى على أنه لم يتوقف بالمعركة عند حد النجاح الأولى • بعض أعضاء البرلمان من الضباط الأحرار تورطوا فى «تربيط» الأعضاء ضد روح القانون • تم التحايل على القانون بصورة فجأة • تفكيره فى الاستقالة والاعتزال • نص الاستقالة • مذكرات عبد الستار الطويلة «السادات الذى عرفته» تروى أن الصحفى اليسارى إبراهيم عامر روى أن السادات كان فى قمة ذكائه فى هذا اليوم فعقد الجلسة سرية • السادات كان واعياً لصورة الثورة أمام الصحافة والجماهير • مضمون وقصة الحوار الخطير أو الشرير عن تسجيل خطأ لذكراً محبى الدين فى حق عبد الناصر • بحنكة السياسيين استطاع عبدالناصر أن يتغلب على الموقف المحرج الذى كان يتطلب منه توقيع عقاب صارم على صديقه مجدى حسنين • التكييف القانونى الذى أنقذ ماء وجه مجدى حسنين كشف فى مرحلة مبكرة عن استهتار واضح بمجموعة من القيم الكفيلة ببناء دولة لا تستر على الفساد ولا تنحاز للأفراد • من حسن الحظ أن كان هناك فى الوقت نفسه رجل من طراز البغدادى الذى لم يكن على استعداد لأن يقبل بمثل هذه الحلول.

الباب السادس: موقف عبد اللطيف البغدادى فى حربى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ١٦٩

• انطباعات البغدادى عن حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ كتبت بطريقة آنية معاصرة للأحداث دون أن تحمل بكل ما من شأنه ادعاء الحكمة بأثر رجعى • طبيعة المشاعر التى كانت تستحوذ على البغدادى فى أثناء حرب ١٩٥٦: وصلت نفسيته إلى درجة من التدنى والانهيار بحيث أصبح وكأنه يدفع نفسه بنفسه إلى الهلاك ويتمناه

بدلاً من أن تستمر حياته في هذا الخزي والعار ، وكأنه يخشى مصير المتحرر، لكنه يبحث عن الانتحار ، لأن الاستشهاد لم يعد ممكناً • مغامرته التاريخية المهمة مع الرئيس عبدالناصر بالسفر إلى الإسماعيلية عن طريق الكورنيش، بينما الهجوم مشتعل • ما دار بينه وبين عبدالناصر من حديث أخوى مفعم بكل معاني التضامن والأخوة والفداء ، وناطق ومصور لحقيقة ما حدث في ١٩٥٦ • مع أن أحداً لا يقلل من الدور المعنوي الذي لعبه عبد اللطيف البغدادي في دعم الرئيس عبد الناصر في أثناء عدوان ١٩٥٦، إلا أن هذا الموقف لم يحظ حتى الآن لا بالتقدير ولا بتسليط الضوء عليه • دوره في التصدي لعبد الحكيم عامر وصلاح سالم في رابع أيام العدوان الثلاثي حين كان كلاهما يرغب في إيقاف القتال والاستسلام حرصاً على المصلحة الوطنية • آراء عبد الحكيم عامر • آراء صلاح سالم: طلب إحصار عدد من زجاجات السم «سيانور البوتاسيوم» تكفى لعددنا لاستخدامها عند اللزوم • من باب الإنصاف يحرص البغدادي على أن يشير إلى حقائق الأمور كما كانت واضحة له ، وهي أن الأمر كان أكبر من عبدالحكيم عامر • يحرص على تبرئة عبدالحكيم عامر من تهمة الانفراد بالمسئولية ، لأن تقديرات الموقف التي كانت معروفة من قبل كانت تشير إلى حجم ما حدث بالفعل ، وهو ما لم يكن عبدالحكيم عامر بمفرده مسئولاً عنه • بعض ملامح موقف البغدادي من حرب ١٩٦٧ • كان يعلم أن نشره لبعض ما شاهد وسجل عن حرب ١٩٦٧ سيجلب له المتاعب • جوهر ما ينتقده وهو أنه فوجئ بما كان يجري عقب الهزيمة من مظاهرات ، وكأن النصر هو الذي تحقق وليس الخزي والعار • فهم عبد اللطيف البغدادي للسياسة الخارجية ولطبيعة الصراع الدولي في أزمة الشرق الأوسط من خلال الرسائل الثلاث التي بعث بها إلى الرئيس عبد الناصر • تنبيه البغدادي وزميله حسن إبراهيم للرئيس عبد الناصر إلى أهمية أن نكون على بينة من أمرنا ولا ننساق إلى فخ بدأت إسرائيل تجهيزه على نحو خبيث • قيمة مثل هذه الرسائل المؤرخة التي تعكس رؤية أصحابها في وقتها قبل أن تكون الفرصة متاحة لادعاء الحكمة بأثر رجعي • البغدادي وحسن إبراهيم كانا يشعران في ذلك الوقت بالأزمة الاقتصادية في الموارد • تقييم موقف المجتمع الغربي بنفس النمط من التفكير العاقل المتحسب • الرسالة التي كتبها الرجلان متشعبة إلى درجة كبيرة بما كانت الدعاية المصرية قد روجت له في الداخل من أن الجمهورية العربية المتحدة قد حققت تقدماً اقتصادياً أصبح بمثابة تحدٍ للاستثمار الغربي • هذا لا يعيب الرجلين، كانا

كغيرهما يتعرضان لتضليل إعلامي مكثف لا تزال آثاره باقية إلى اليوم • الرسالة تقدم مقترحات عسكرية محددة تبلور في الاختصار على استخدام القوات الجوية فقط ، ومن المفارقات أن خطتنا المعلنة قد عمدت إلى ما هو عكس ذلك على طول الخط ، ومن المفارقات الأكثر مدعاة للأسف أن إسرائيل هي التي نفذت خطة الطيارين السابقين البغدادي وحسن إبراهيم!! • طلب البغدادي من عبدالناصر بأن يجد الرئيس له مكاناً في الخطوط الأمامية بين صفوف الجنود • الرسالة تبدي سعادة البغدادي بتمكن الرئيس عبد الناصر من استعادة السيطرة على شرم الشيخ ومزاولة السيطرة على الملاحة في مضيق تيران!! وهو ما يدلنا على أن البغدادي كان (شأنه في هذا شأن عبد الناصر وعبد الحكيم عامر) يشعر بالمرارة من هذا الموقف الذي جاء نتيجة لحرب ١٩٥٦ واضطرت الثورة لإخفائه عن الشعب طوال هذه السنوات!! • يؤكد البغدادي وزميله على فكرة أن يتاح لهم شرف المشاركة في المعركة • الوسائس الطبيعية التي دفعت البغدادي وزميله إلى اللجوء إلى عبد الناصر ظناً منهم أنه بحاجة إلى اللجوء إليهم • لقاء الأصدقاء القدامى: مظاهر البشر والحبور اللذين كانا لا يزالان مسيطرين على الزملاء الأربعة بينما كانت الكارثة تنسج أطرافها • الرئيس جمال عبدالناصر كان لا يزال حتى ذلك اليوم الذي شهد هذا اللقاء [التاريخي] يقرأ بعناية كل ما يكتبه له زملاؤه ، وهو أمر يستحق الإعجاب والتقدير • الرئيس يبدو شاردًا فيما يتعلق بمساومات إسرائيل، فقد كان واثقًا كل الثقة من تأييد السوفيت • البغدادي لم يكن ليعول على ثقة عبدالناصر في السوفيت • البغدادي يتدخل حرصاً على عدم تكهرب الجو بين كمال الدين حسين وعبد الناصر • البغدادي يروي عن عبدالناصر قوله أو اعترافه الخطير بأنه اتخذ إجراءاته هذه من أجل إيقاظ العرب حين وجدهم قد ناموا • ما يرويه البغدادي عما حدث منذ وقعت الحرب • البغدادي لا يخفي عجبه الشديد من أن جمال عبدالناصر قد فقد اتصاله بجيشه وقيادات هذا الجيش إلى الحد الذي كان يقرأ فيه الاستراتيجية التي سيدير عليها عدوه الحرب من الصحف الإنجليزية • العشوائية في اختيار وتحديد القادة العسكريين امتدت فشملت البغدادي نفسه حيث رشحه عبد الناصر للمساعدة في الإشراف على القوات الجوية(!!) • عبد الحكيم عامر كان أكثر وعياً من عبد الناصر فيما يتعلق بفهمه لمدى تقبل القوات الجوية أن يشارك البغدادي في الإشراف عليها • خطورة القفز إلى أحكام خاطئة تنبني عليها سياسات واستراتيجيات الحرب

• البغدادي يشير إلى واقعة كان الرئيس مبارك فيها بمثابة الحكم الذي أنقذ القيادة السياسية من ترديد أوهام كانت كفيلة بأن تدل العالم على مدى تخبطنا • صاحب المذكرات يتأمل المواقف الصعبة التي واجهت بلاده في ١٩٦٧ ويجد نفسه يفرع إلى آراء زملائه • يحدث نفسه ويحدثنا أيضاً بفكرته التي طرأت له في ذلك الوقت العصيب بأن نتيجة هذه الحرب ربما كانت بمثابة إنقاذ للأمة من الدكتاتورية والمصير المظلم الذي كانت قد سارت فيه بالفعل • البغدادي لا يبدى ارتياحه ولا قبوله لما حدث من مجلس الأمة عقب تنحي عبدالناصر • يتساءل: ماذا كان جمال عبد الناصر حرياً أن يفعل لو انتصرنا؟

الباب السابع: البغدادى والعلاقات العربية للثورة ١٩٥

الفصل الأول: موقف البغدادى من الوحدة مع سوريا ١٩٧

• الخلفية الثقافية (أو المعرفية) للبغدادى تجاه البلاد العربية لم تثمر ثمارها المرجوة في دفع البغدادى نحو توجهات عربية فاعلة • المؤلف يعبر عن شكه في أن الرئيس عبد الناصر كان سيفوض البغدادى في نفس القدر من الصلاحيات التي فوضها لعبد الحكيم عامر حين أوكل إليه أمر سوريا • موقف البغدادى من قيام الوحدة مع سوريا كان واضحاً • ظل يردد وجهة النظر المفضلة لدى قادة الثورة فيما يتعلق بنجاح القيادة المصرية في إحباط محاولة الشيوعيين السوريين إظهار مصر وقيادتها في صورة مَنْ لا يريد الوحدة مع سوريا • مجموعة من الأسباب التي يبرر بها موقفه من الاعتذار عن تولي الملف السوري • رغبة عبد الناصر في إسناد شئون سوريا إليه: جوهر الفكرة كان أن يتولى البغدادى رئاسة المجلس التنفيذي ، وهو منصب أقل من منصب رئيس الوزراء • عبد الناصر قاد الحوار مع البغدادى إلى «انسداد الطرق» • طبيعة وحجم هذه الحلول (!!!) التي كانت كافية في نظر الرئيس عبد الناصر للإحاطة بتفاصيل الأوضاع في سوريا • الدور الذي كلف به الرئيس جمال عبد الناصر الأستاذ مصطفى أمين القيام به في سوريا والنتيجة التي خرج بها مصطفى أمين من لقاءاته في سوريا • مجمل وجهة نظر البغدادى بعد أن استمع إلى التفاصيل التي قدمها له مصطفى أمين • نضج في الفكر السياسي والتنفيذى للبغدادى في ذلك الوقت ، وإن كانت تكشف عن عقلية متحفظة في سن كان من المفروض فيها أن يكون صاحبها أكثر اقتحاماً للمصاعب • نقاط غفلت عنها الثورة في سعيها إلى توزيع السلطة

• النتيجة: انتقلت المسؤولية إلى يد أشخاص غير مسئولين • تصريحه بتحفظه الشديد على أفكار عبد الناصر فيما يتعلق بإدارته لدولة الوحدة.

٢٠٩ الفصل الثاني: البغدادي يمارس المسؤولية عن الملف السوري

• اللجنة الثلاثية عانت معاناة شديدة ، ومع هذا فإنها أنجزت كثيراً من الأعمال • البغدادي ينتقد أداء زميله عبد الحميد السراج في سوريا بصوت عال • ويلخص المشكلات التي نشأت عن أدائه البوليسي وعن انفراده بالسلطة في سوريا • ما استطاع أن يلمسه في أثناء وجوده في سوريا: المزارعون لا يستطيعون الشكوى ولا إبلاغ وجهة نظرهم ، بل هم يُعتقلون لمجرد رغبتهم في مقابلة رئيس وأعضاء اللجنة الثلاثية ولا يستطيع البغدادي (هو واللجنة) أكثر من إبلاغ عبد الناصر بما حدث، والبعثيون يحتجون على فصل سبعة منهم من وظائفهم في وزارة الحربية السورية دون جدوى أيضا • أكرم الحوراني نبه إلى امتعاضه وامتعاض البعثيين من تصريح لذكريا محيي الدين يفهم منه إبعاد البعثيين، وتنبهه إلى خطورة الفراغ السياسي الناشئ عن حل الأحزاب السورية • البغدادي يلخص بعض الآراء التي نبه إليها أحد وزراء الوحدة البارزين وهو مصطفى حمدون المعروف بانتمائه البعثي • مواقف الجيش السوري الوطنية • تخوفه من تشكيل الاتحاد القومي في سوريا • البغدادي نجح في أن يصور المناخ السياسي في ذلك الوقت على نحو دقيق • قصة رئيس الغرفة الزراعية في حلب الذي أرغم على تكذيب تصريحه • البغدادي قرر الابتعاد عن سوريا وعدم العودة إليها • الرئيس عبدالناصر لاحظ تعمده البقاء في القاهرة وسأله فأجابه بما يراه أو يعتبره وجهة نظر تفصيلية • ما يرويه البغدادي عن نهاية عمل اللجنة الثلاثية بعد ستة شهور من بدء عملها.

٢١٤ الفصل الثالث: البغدادي يقام تجربة الوحدة

• الأيام التي سبقت ثم شهدت وقوع الانفصال • البغدادي يلخص الانفصال بطريقة دقيقة يشرح فيها هذه الأسباب وتداعياتها • يبدو في تحليله للانفصال وكأنه يخرج لنا بالعبارة • ما يرويه البغدادي عن ملاحظات الوزير السوري البارز طعمة العودة لله في أحد اجتماعات الوحدة • انتقاده لأسلوب عبد الحكيم عامر وما كان يجره من متاعب • موقف عبد الكريم النحلاوي • سوء أداء شمس بدران • الشعب فقد دوره الإيجابي نتيجة لهذا الأسلوب ونتيجة لغياب التنظيم السياسي والرقابة الشعبية وغياب دور الصحافة • محاباة الضباط أدت إلى سلبية الشعب في النهاية

• الشعب لا يملك من أمره شيئاً إلا أن يعلق على ما يجسرى كعادته بنكاته وقفشاته لينفس بها عن نفسه • أصبح في جانب والحاكم في جانب آخر وبعيدا عنه • عبد الناصر صرح له بأنه لن يقدم على خطوة الوحدة مرة ثانية • مثلث العلاقات السورية - العراقية - السوفيتية!! • موقفه في المسئولية عن بعض ديناميات العلاقات العربية - السوفيتية في أثناء فترة الوحدة مع سوريا.

٢٢٤ الفصل الرابع: نموذجان لمواقف عروبية عابرة

• من الأدوار العربية المهمة للبغدادى أنه كان رئيساً للجنة التي تولت دراسة تحويل نهر الأردن • رأيه في أهمية حرب اليمن: كأنه يشجع المكيفيلية كما يتضح من نصوصه العفوية.

٢٢٧ الباب الثامن: البغدادى وعبد الناصر

٢٢٩ الفصل الأول: علاقة الرجلين وهما في السلطة

• لا يمكن مسaire الادعاء السائد بأن البغدادى كان ضد عبد الناصر فيما روى من مذكرات، بل يمكن القول إن البغدادى في مذكراته كان صادقاً في التعبير عن معاناته من ممارسات عبد الناصر • البغدادى يقدم التقدير اللائق لعبد الناصر في كثير من المواقف • يبدو عبد اللطيف البغدادى حتى من قبل الثورة أكثر إدراكاً لطبائع الأمور وأكثر حكمة من جمال عبد الناصر، لكنه أقل منه تحكماً وفهماً لطبائع الأشخاص وأقل منه حنكة • موقفه من محاولة اغتيال حسين سرى عامر في ٨ يناير ١٩٥٢ • المذكرات تلقى الضوء على كثير من الجوانب المهمة والخفية في شخصية الرئيس جمال عبد الناصر • مناورات عبد الناصر الذكية ضد محمد نجيب • عبد الناصر أبلغه هو وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم أن الانفجارات التي حدثت إنما هي من تدبيره لأنه كان يرغب في إثارة البلبلة في نفوس الناس ويجعلها تشعر بعدم الأمن والطمأنينة على نفوسهم • تفسير ذكي ومعقول لإصرار عبد الناصر في بدايات الثورة على الاقتداء بما كان قد حدث في تركيا أيام مصطفى كمال أتاتورك عندما انسحب من السلطة تاركاً الأمر لعصمت أينونو • البغدادى لا يتجاوز المحطات الكبرى في مجد عبد الناصر دون الإشادة بالرجل وبإنجازاته • ذكاء جمال عبد الناصر في استغلال الخطاب السياسى للإعلان عن قرارات لم يتم الاتفاق عليها • أسباب نشأة الحساسية المبكرة بينه وبين جمال عبد الناصر • قصة حوارهما في أبريل ١٩٥٤

• إعطاء الصاوى محمد الصاوى رئيس نقابة عمال النقل بالقاهرة مبلغ أربعة آلاف جنيه • جمال ذكر أنه أراد بذلك أن يسبق خالد محيى الدين ويوسف منصور صديق • وجهة نظره فى الرد على اتهام عبد الناصر له بالحساسية تجاه النقد • البغدادى يعلق بعبارات رجل الدولة المسئول • الاحساس المبكر بالتربص ينمو بين الرجلين العظيمين منذ مراحل مبكرة من العمل المشترك فى الحياة العامة • غضب عبد الناصر من قرار البغدادى إجراء تحقيق مع عمه فى أثناء غيابه عن مصر • جلسة مصالحة من أجل إزالة الجفاء الذى نشأ بينهما • تقيمه لدور عبد الناصر فى ١٩٦٤ ، أى فى الفترة التى شهدت استقالته الأخيرة • يصف عبدالناصر دون مواربة بأنه أصبح يستهين بالرأى العام، بل يتحدى مشاعر الشعب • رأى أحمد حمروش فى استقالة البغدادى الأولى عام ١٩٥٤ • تمسك البغدادى بالمبدأ عندما رفض الموافقة على عودة محمد نجيب وكان قد سبق له عدم الموافقة على خروجه • فى كتابه «الصامتون يتكلمون» نصا كاملا لاستقالة عبد اللطيف البغدادى من مجلس قيادة الثورة • أثر استقالته على زملائه حين تلى نص استقالته فى أثناء الاجتماع • تصوير دقيق يقدمه البغدادى لحالته النفسية بعد هذه الاستقالة - المبكرة - بعام حين التقى بصلاح سالم ودار الحديث حول المشكلات القائمة فى مجلس القيادة • الأسباب التى جعلت البغدادى يصل إلى هذا الموقف • وجهة نظر عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فيما يتعلق بموقع البغدادى نفسه من كيان الدولة • استقالة البغدادى فى ٢٤ أغسطس ١٩٥٨ • عودته إلى العمل يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٨ • الأسباب التى جعلته يفكر فى الاستقالة النهائية • يجمل هذه الأسباب فى عودة عبد الناصر إلى عاداته القديمة والظهور بمظهر الرجل القوى، وسيادة مبدأ الحلول الوسط • يوازن بين خيارين متاحين أمامه وأنه قضى قبل استقالته عدة شهور يحضر فيها الحفلات الرسمية ويخفى شعوره بعدم الرضا ويستعجل مرور الزمن ليأتى اليوم الذى يعتبره يوم الخلاص • يعبر عن بداية إحساسه بالخوف من عبد الناصر، وهو خوف غير محدد الملامح لكنه يتجلى فى الخوف من «إجراءات تعسفية» • التأمل فى محاولات البغدادى المتكررة للخروج من الحكم • كان بمثابة العضو الذى بدأ التملل المبكر • يروى استقالاته العديدة بطريقة استرجاعية مقارنا بينها وبين استقالات عبد الحكيم عامر • البغدادى يورد نصوصا بديعة وفريدة تجيد التعبير عن الدوافع التى دفعته وهو واحد من المشاركين الأوائل فى الثورة إلى أن يتخلى عن موقعه ، سواء بصعوبة أو بسهولة • ما يرويه صلاح نصر فى مذكراته عن هذه الجزئية.

• يتحدث إلى نفسه محاولاً التخلص من المرارة من صدور قرار عبد الناصر بفرض الحراسة على شقيقه عند اعتزاله الحكم في ١٩٦٤ • ألمه من المضايقات التي بدأت أجهزة مسئولة توجهها له قبيل استقالته • حقيقة تصرفات الرئيس عبد الناصر مع عبد اللطيف البغدادي وزملائه الآخرين بعد ابتعادهم عن السلطة • صلاح نصر يشير إلى أنه كان صاحب الفضل في كبح بعض تصرفات الرئيس عبد الناصر • عبد الله إمام يروي وجهة نظر مخالفة انفرد بها من أجل ما يظن أنه إنقاذ ماء وجه عبد الناصر • حديثه عن شكواه من معاملة عبدالناصر راوياً أن زوج ابنته قد تعرض للإيذاء • قصة التضيق على زوج ابنته محمد نصير، وهو التضيق الذي تطور إلى تليفق حتى امتلأت ملفات • علاقة عبد الناصر بزملائه القدامى لم تكن منقطعة تماماً، وإنما كانت شأن علاقة المصريين بعضهم ببعض تخضع للشد والجذب والمد والجزر • التقارب العاطفي الذي حدث بعد عام من القطيعة • نص رواية الأستاذ محمود فوزي على لسان البغدادي • السخرية من تكتيكات المستشار الصحفي الدرامية في تصوير الاستفتاءات على أنها تتم بمثل هذه الجدية البالغة • عودة العلاقات • العلاقات بين الرجلين سرعان ما تعرضت لنكسة • البغدادي تعمد تجاهل السؤال عن صحة عبد الناصر حين كان يعالج في الاتحاد السوفيتي في العام الأخير من حياته • عبد الصمد محمد عبد الصمد يعلق على أحد الجوانب المهمة في هذه الواقعة التي رواها محمود الجيار • رأى المؤلف كانت هذه الواقعة دائماً ما تثير استغرابي وشكّي • نص للبغدادي نفسه يدل على أن هذا حدث فعلاً وعلى السبب الذي دفعه إلى هذا الموقف غير الحضاري • عبد الناصر قد تعمد عدم زيارة زميلهما كمال الدين حسين حين كان يزور جمال سالم في مستشفى قصر العيني • نتعاطف مع عبد الناصر الذي كان يعاني الهزيمة والعمل من أجل إزالة آثار العدوان ومع هذا فإنه لم يكن يسلم من تكرار العتاب من زملائه • عبد الناصر يصارح البغدادي أنه لما وجد الناس تتكلم عن استقالته فقد رغب - على حد قوله - في أن يتحدثوا عن شيء آخر، وذكر أنهم فعلاً قد نسوا الاستقالة وأخذوا يتحدثون عن موضوع الحراسة • الرجلان يعودان إلى اللقاء والتلاقي مرة أخرى فيما قبيل وفاة عبد الناصر • البغدادي يذكر السبب في عودة العلاقات في سياق حديثه لنصف الدنيا في ١٩٩٦ .

٢٦٩ الفصل الثالث: حقيقة فكرة استخلاف عبد الناصر للبغدادى

• فيما بعد وفاة الرئيس السادات دفعت بعض الفيروسات المعروفة إلى سوق التكهّنات بشائعات قوية حول فكرة وجود نية الرئيس عبد الناصر فى أيامه الأخيرة لاستخلاف البغدادى • رأى المؤلف: لا غم لك الوسائل الكفيلة بالحكم بترجيح مثل هذا الظن، على حين أننا لحسن الحظ غم لك - وبالتأكيد - الأدلة الكفيلة بتقليل احتمال حدوثه إلى أبعد حد • لا نستطيع أن ننكر حقيقة مهمة وهى أن الرئيس عبد الناصر نفسه كان كثيراً ما يفتأ يلوح لأجهزة الاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى بصفة خاصة بورقة البغدادى فيما بعد ١٩٦٧ • حقيقة الدور الذى كان عبد الناصر يريده للبغدادى : إيجابى فى المشاركة السياسية فحسب، لا فى الحكم، وذلك بأن يكون زعيماً للمعارضة (الداخلية) أو شيئاً من هذا القبيل • ما يرويه صلاح نصر فى مذكراته عن شعور عبد الناصر تجاه البغدادى بعد فترة من ابتعاده • فقرة تمثل أقصى درجات الحكمة والتعقل، وردت فى حديث البغدادى للأستاذ صلاح منتصر (مجلة أكتوبر، يوليو ١٩٨٨) وفيها يشير البغدادى بكل وضوح إلى عدم جدوى الحديث فى هذه الجزئية اليوم، فليس هناك إرث مستحق يطالب به • البغدادى يسفه تماماً الفكرة التى روج لها محمد حسنين هيكل من أن عبد الناصر عين السادات نائباً له ثم نسيه • البغدادى يشير فى حديثه إلى حقيقة مهمة هى أنه لم يحاول أبداً فتح موضوع استخلاف عبد الناصر له، واعتبر الموضوع سرا بين كليهما انتهى بوفاة عبد الناصر • لم يكن من الممكن أن يثير موضوع استخلاف عبد الناصر له فى أثناء حياة الرئيس السادات وتولييه الحكم • فى حديثه لمجلة نصف الدنيا: رواية البغدادى عن الموضوع ذاته تأتى بصيغة أخرى مخالفة للرواية الأولى التى هى أقرب إلى المعقولة • إشارات من عبد الناصر لم يفهم البغدادى عمق دلالتها إلا فيما بعد • كان فى أكثر الأوقات حريصاً على استبقاء حبال المودة مع عبد الناصر • رواية مراد غالب.

٢٨١ الباب التاسع: البغدادى وزملاؤه

• أنور السادات وعبد اللطيف البغدادى كانا على علاقة طيبة • طبيعة الدور الذى قدر للبغدادى أن يقوم به فى عهد السادات فى هدوء شديد • رواية أمين هويدى فى كتابه «مع عبد الناصر» • محاولات اشتراك أعضاء مجلس قيادة الثورة فى السياسة بعد وفاة عبد الناصر • عزيز صدقى وزير الصناعة والبتروى أصدر بيانا

ظهر فى الصحف فى ٦ أكتوبر ١٩٧٠ • انتابنى انفعال شديد وضيق مما كتبه عزيز
صدقى • علاقته بالرئيس محمد نجيب: السبب الوحيد لاستقالة البغدادى عام ١٩٥٤
كان معارضته فى قرار مجلس قيادة الثورة بإعادة محمد نجيب لأنه كان ينظر للأمر
على أنها مسألة مبدأ • لا يمكن لنا تأمل الموقف لو أن مجلس قيادة الثورة أخذ برأى
البغدادى ورفض عودة محمد نجيب • لم تكن للبغدادى علاقة مباشرة بالرئيس محمد
نجيب فيما قبل الثورة • فى إحدى المرات لجأ إلى المناورة حتى استخلص من محمد
نجيب بسهولة ما كان يريد منه هو وزملاءه فريق عبد الناصر • كان أشد المناهضين
لعودة الرئيس نجيب فى أزمة فبراير ١٩٥٤ • البغدادى وصل إلى اعتقاد بأن عبد
الناصر هو الذى دفع بمحمد نجيب إلى اتخاذ موقفه • علاقته بالمشير عبد الحكيم عامر:
جوهر الحيرة العظمى فى مذكرات البغدادى المتعددة يكمن فى تلك العلاقة الخاصة
بين جمال عبدالناصر وعبد الحكيم عامر • أزمة البغدادى الحقيقية لم تكن فى هذا
التناطح الواضح بين شخصية عبد الناصر وشخصيته، بقدر ما كانت تتمثل فى وجوده
قبل عبدالحكيم عامر فى الأقدمية • ظل البغدادى حساسا تجاه عبد الحكيم إلى هذا
القدر • ظل دائما متقدما على عبد الحكيم عامر فى البروتوكول • البغدادى يروى
وجهة نظر عبد الناصر فى حديثه عن متاعبه من عبد الحكيم عامر • رأى البغدادى فى
أداء وشخصية عبد الحكيم عامر قد صيغ فى منتهى الوضوح عند حديثه فى مذكراته
(١٩٧٧) عن تعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة عند إعلان الجمهورية
(١٩٥٣) • نتائج تعيين عبد الحكيم عامر قائدا للجيش • انطباع البغدادى وانطباعات
زملائه عن طبيعة العلاقة بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والاختلافات بينهما • ما
تصوره العلاقات من تجربة إنسانية تتعلق بشبانٍ أتيح لهم على حين فجأة نفوذ واسع
وجاه عريض، بينما كانوا لا يزالون غير مستعدين نفسيا ولا عقليا لهذا النفوذ ولا لهذا
الجاه ، ولم يكن أى منهم أو من زملائهم ينظر إلى مقدار ما أنعم الله به عليه • علاقته
بزكريا محيى الدين: الانتباه إلى أن علاقة البغدادى وعبدالناصر وزكريا كانت أهم
علاقة فى علاقات الثوار جميعا فقد كان هذا الثلاثى قادرا على أداء دور من أروع ما
يمكن لمصر لو أن تعليمهم الأولى وتربيتهم الأولى قد نمتا فيهم روح الفريق • تنفيذ
المعنى الذى أفاض به البعض عقب وفاة عبد الناصر وهو أن أحدهما (زكريا) كان
المستول الأول عن الإساءة إلى علاقة الثانى (البغدادى) بعبد الناصر • علاقته
بجمال سالم: توثق العلاقة المبكر بين جمال سالم والبغدادى • البغدادى فيما يرويه

بعد وفاة جمال سالم بسنوات طويلة يرينا بوضوح شديد أن الاتفاق بينه وبين جمال سالم كان قد انقلب إلى خلاف ثم انقلب هذا الخلاف على غير ما يتوقع إلى جفاء، وأن هذا الجفاء قد استمر، واكتشف كل منهما بالمصادفة أن الرئيس عبد الناصر كان هو السبب فى الإيقاع بينهما • تلخيص الصورة التى صور به جمال سالم ونفاها كل من عبد الحكيم عامر وأنور السادات • هذه العلاقة لم تبدأ فى التوثق إلا فى مرحلة متأخرة، ربما بعد أن ابتعد جمال سالم وصلاح سالم وحسن إبراهيم عن الصورة • اختلافات واضحة وجهرية فى فكر وأداء كل من الرجلين • علاقاته بكمال الدين حسين: عقيدة عبد الناصر الراسخة فى وجود محور بين البغدادى وبين كمال الدين حسين • إدراك كمال الدين حسين مبكراً لجوانب قضية الحرية • البغدادى يروى بعض المناقشات التى دارت بين عبد الناصر ورفاقه قبل إعلان عبد الناصر عن التوجه النهائى إلى الاشتراكية • الفقرة التى يلخص بها خالد محيى الدين رأيه فى شخصية البغدادى ضمن حديثه عن زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة • يبدى دهشته الشديدة ويعبر عن دهشة زملائه أيضاً • علاقة البغدادى بصلاح سالم • البغدادى حرص على إنصاف صلاح سالم على الرغم من اختلافه الظاهر معه فى رؤاه • علاقة البغدادى بعبد المنعم عبد الرؤوف • عبد المنعم عبد الرؤوف يوجه إلى البغدادى بعض الانتقاد فى مذكراته، لأنه لم يقف إلى جواره فى استرداد ما كان يعتبره حقه.

الباب العاشر: دوره القضائى ٣٢٣

• تاريخه السياسى خلا إلى حد بعيد مما يتعارف عليه المشقفون بوصف «النقاط السوداء» وهذا صحيح إلى حد بعيد • قصة إنشاء محكمة الثورة ورئاسته لها • خلافه مع جمال عبد الناصر حول موضوع جريدة «المصرى»؟ • رفض أن يذيع حكماً فى قضية لأعضاء مجلس الثورة قبل النطق به فى المحكمة لأنه سر بين أعضاء المحكمة حتى يتم النطق به • تطور مثير فى القصة بعد أقل من أسبوعين • قصة محاكمة تبدو فى البداية والنهاية نوعاً من الانتقام السياسى من قوى معارضة • الحديث حول سلاح الفرسان • تسوية حالة بعض الضباط وإحالتهم إلى المعاش.

تصدير

هذا كتاب عن واحد من أبناء الشعب الذين قدر لهم أن يقوموا بالثورة أو بحركة الجيش في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وهى الثورة التى أعادت صياغة صورة الحياة فى وطننا الحبيب ، وقد كان عبد اللطيف البغدادي بين زملائه شخصية متميزة فى إنجازهِ وإسهامهِ ومعارضته كما أنه متميز بأدائه وفكرهِ وكتابته فضلاً عن أنه كان مع تميزهِ شخصية سوية إلى أبعد الحدود ، تميزت بالوعى وبالوطنية وبالتحضر وبالرقى وبالاستقامة وبالنزاهة .. وقد حفظ له الوجدان الشعبى مكانته كما حفظت له الكتابات التاريخية مواقفهِ ، وهو كما نرى شهيد النزاهة الثورية كما أنه فى نظر الجماهير صاحب العصا السحرية ، وقائد الانقلاب البرلمانى الوحيد فى عصر الثورة!



ولست أنكر حبى ولا إعجابى بالبغدادي وقد عبرت عن هذا من قبل وهو لا يزال على قيد الحياة ، وذلك فى الطبعة الأولى من كتابى «مذكرات الضباط الأحرار» ، ولهذا فإننى لا أظن أنى سأتمتع على مدى صفحات هذا الكتاب بقدر

الموضوعية الباردة الذى يتمتع به كتاباى عن سيد مرعى واسماعيل صدقى ، وإنما أظننى سأكون قريباً جداً من منهجى الحافل بالحب فى كتابى الآخرين عن عبد المنعم رياض وأحمد اسماعيل بل ربما تجاوز الأمر هذا الحد إلى أن تكون موضوعيتى قريبة من موضوعية الإعجاب والتقدير فى كتبى الستة عن علمائنا المفكرين الستة : على مشرفة وكامل حسين وعلى إبراهيم وأحمد زكى ونجيب محفوظ وسليمان عزمى أو كتبى الثلاثة الأخرى عن توفيق الحكيم وعثمان محرم ونجيب محفوظ .

ومع هذا فإننى أحب أن أعترف أنى سعيد إلى أبعد حدود السعادة أن تهيأت لى اليوم الفرصة للانتهاء من التجارب المطبعية لهذا الكتاب ، وكلى أمل أن يرى الكتاب النور عن قريب وأن ينضم للمكتبة العربية وأن يأخذ فيها مكانه الذى يستحق .



ولست أستطيع أن أنكر مدى العناء الذى واجهته من أجل أن يصدر هذا الكتاب على هذا النحو السلس الذى يراه القارئ فيظنه بالأمر اليسير وما كان كذلك ، ولكنى أحمد الله على أنى وصلت إليه فى النهاية بعد إن أعدت كتابة هذا الكتاب وترتيبه وتبويبه بل تأليفه أكثر من خمس مرات .

وسوف يلاحظ القارئ أنى اكثرت من الاستشهادات ، والاقتباسات فى كثير من المواضع التى كان من الممكن أن تتجنب بعض هذه الاقتباسات أو الاستشهادات ، ولكنى فضلت هذا المنهج المتوسع فى الاستشهاد لأنى لم أشأ أن أدعى لنفسى فضلاً فى تقديم طعام جاهز تماماً على أنه من صنعى ، وإنما أثرت أن أنسب كل فضل إلى صاحبه وأن يأتى هذا «النسب» فى موضعه تماماً وألا يتأخر نسبى للفضل إلى قائمة للمراجع أو المصادر ، ولم يكن هذا هو دافعى الوحيد لانتهاج هذا الأسلوب ، وإنما كانت هناك مجموعة أخرى من الأسباب ترتبط بما يوحى به لفظ صاحب الرواية ولفظ صاحب الرؤية ولفظ صاحب رأى ، وهى ألفاظ موحية ومعتمدة فى إيحائها على السياق الذى وردت فيه ، ولست أنكر أنه كان بوسعى أن أبلور للآخرين رؤاهم على نحو ما أفعل ، لكنى وجدت الملابس والوقائع بحاجة إلى كثير من

تصوير المشهد المسرحى وهكذا رأيت أن هذه الطريقة المؤثرة لنقل النصوص الكاملة هى وحدها الكفيلة بأن تشبع الحاجة الملحة إلى قراءة وتأمل الأحداث فى ضوء مثل هذه النصوص «الذاتية».

ومن ثم كان التزامى بإيراد هذه الأقوال مهما طالت حتى لا نختزل ما تحفل به النصوص من مشاعرها وخفاياها فى ألفاظ صياغتنا المركزة أو المختصرة أو البتى هى ذات غرض وحتى لا تصبح الروايات التى تعتمد عليها متأثرة برؤيتنا التى هى شىء آخر غير الرواية وغير الحقيقة مهما ادعينا غير ذلك .

وإنى لأدعو الله سبحانه وتعالى أن يمنّ علىّ بالتوفيق لأن انتهى من مجموعة كتبى الأخرى ، وأن يهئ لى من أمرى رشداً ، وأن ييسر لى ، وأن ييسر علىّ ، وأن يسهل لى ، وأن يجعلنى قادراً على الوفاء بحق شكره وحمده على فضله ، مع أنى لا أظننى أبداً قادراً على الوفاء بحق شكره وحمده

والله ولى التوفيق .

د. محمد الجوادى

عبد اللطيف البغدادي
شهيد النزاهة الثورية

1

اللامع العامة

دار الخيال

ينبغي لنا أن نعترف في بداية هذا الباب بأن عبد اللطيف البغدادي يمثل شخصية «نموذجية» من حيث توافر المواد الخام اللازمة للكتابة عنه من ناحية ، وانعدام التعويل على أسرار ينتظر الإفراج عنها من ناحية أخرى.

وعلى الرغم من أن عبد اللطيف البغدادي ليس الأول ولا الثاني ولا الثالث في الأهمية من حيث التأثيرات الضخمة (الايجابية أو السلبية) التي أحدثها بشخصه في بلاده من خلال الثورة ، إلا أنه لا يمكن لنا أن نتجاهل أنه يتميز عن هؤلاء جميعاً بأنه:

□ عاش في السلطة وعاش بعيداً عنها (وهو ما لم يحدث لعبد الناصر أو السادات اللذين عاشاها حتى نهاية حياتهما) .

□ كما أنه ابتعد بإرادته (وهو ما لم يحدث للرئيس محمد نجيب ولا للمشير عبد الحكيم عامر).

□ كما أنه ابتعد ولم يعد إلى موقع هامشي (كصلاح سالم).

□ كما أنه مارس السلطة نفسها وأنجز فيها إنجازات محددة.. ثم ابتعد بعد أكثر من عشر سنوات من الممارسة ولم يتعد منذ البداية عن ممارسة العمل التنفيذي مكتفياً بإبداء الرأي فحسب (كخالد محيي الدين).

□ كما أنه حين ابتعد عن السلطة والحكم ظل يبدى رأيه ويعبر عن آماله على الدوام بكل الوسائل الممكنة ، ولم يؤثر الصمت وتجاهل الأحداث (كزكريا محيى الدين) أو الحديث عن الماضى فقط دون آراء محددة أو رؤية متكاملة (كحسين الشافعى).

□ وفضلاً عن هذا كله فإنه حين ابتعد لم يؤذ فى نفسه وشخصه وحرسته على نحو ما أودى غيره (كمحمد نجيب وكمال الدين حسين وعبدالحكيم عامر ويوسف صديق) وهكذا ظلت له قدرة على النظر إلى الأمور برأس مرفوع ونفس واثقة.

وهكذا كان عنصر « الإرادة » متوافراً تماماً فى حالته تجاه السلطة وتجاه القوة التى توفرها وتهبؤها السلطة .



فضلاً عن هذا فإن البغدادى سجل آراءه وذكرياته عن الأحداث التى عاصرها وقد نشر مذكراته فى الحقيقة أربع مرات:

□ المرة الأولى [وهى الأشهر والأخلد] حين نشر مذكراته فى جزءين كبيرين عام سبعة وسبعين (١٩٧٧) عن المكتب المصرى الحديث وقد أصبحت هذه المذكرات منذ نشرها بمثابة المصدر الأول للحديث عن الفترات التى تناولتها والموضوعات التى ناقشتها ، وهى مذكرات جيدة من حيث الكتابة ، ومن حيث الدقة ، ومن حيث الصدق ، ومن حيث الموضوعية ، فضلاً عن خلوها إلى حد كبير جداً (يكاد يكون مطلقاً) من التحيزات العمياء ، والتبريرات السخيفة ، والتفسيرات المتعسفة.

وبالإضافة إلى هذا فإن للبغدادى ثلاث تجارب أخرى فى رواية المذكرات على هيئة المحاورات.

□ المرة الثانية حين تحدث هو وزميلاه كمال الدين حسين وحسن إبراهيم إلى سامى جوهر فى حوار طويل جداً نشر فى كتاب سامى جوهر « الصامتون يتكلمون ».

□ المرة الثالثة فى مجلة أكتوبر على حلقات متوالية بدءاً من الرابع من يوليو سنة ١٩٩٣ ، وكانت آخر الحلقات فى ١٣ فبراير ١٩٩٤ .

وقبل هذه الحلقات كانت هناك مذكرات للبغدادي قد نشرت في مجلة أكتوبر وقد اتخذت شكل حديث مطول مع رئيس التحرير الأستاذ صلاح منتصر نشر على حلقات في مجلة «أكتوبر» بدءاً من الثالث من يوليو سنة ١٩٨٨ ، ويتضمن هذا الحديث المطول كثيراً من الإضافات والحقائق والنصوص المهمة لتاريخ البغدادي والثورة وعبد الناصر .

□ المرة الرابعة على هيئة حوار طويل امتد نشره على مدى عشرين حلقة في مجلة «نصف الدنيا» في ١٩٩٦ ، وقد نشرت أولى الحلقات في ٢٨ يوليو ١٩٩٦ .



وهكذا أتاح البغدادي نصوصاً جيدة تلقى الضوء على شخصيته ، ونشاطه ، وفكره ، وإنجازاته ، ووجهة نظره ، ورؤيته فضلاً عن مواقفه ، ودوافعه ، وانطباعاته ، ومشاعره ، ومعتقداته .

وهكذا فإن البغدادي على حد تعبيرى الذى استخدمته من قبل فى وصف شخصية معاصرة أخرى قد هيا نفسه للكتابة عنها ، وربما ليعادله فى هذا من بين زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة إلا الرؤساء الثلاثة الأوائل الذين كتبوا مذكراتهم (وإن كان الرئيس عبدالناصر أقل الثلاثة حظاً فى هذا الصدد) ... ولكن البغدادي تميز عن الرئيسين محمد أنور السادات ومحمد نجيب بالنظرة إلى الأحداث أكثر من مرة من أكثر من شرفة عالية ، ولأن قدر الصلابة فى أخلاقه كان يفوق قدر الصلابة فى أخلاق الرؤساء الثلاثة فقد بقيت نصوص البغدادي ورؤاه أكثر صلابة وتماسكاً ، وأظنها ستبقى كذلك .

وأما من حيث شخصيته فإن البغدادي يمتاز عن كل زملائه من رجال الثورة جميعاً بالقدرة الفذة على الإنجاز ، وقد كان بمثابة الوحيد منهم الذى جمع ما نسميه فى الأدب والفكر بالقدرة على الحلم ، وعلى وضع الخطط الكفيلة بتنفيذ حلمه ثم على متابعة هذا التنفيذ .

والفارق بين البغدادي وبين زملائه جميعاً فى هذه القدرة كبير جداً فعلى الرغم من قدرة السادات الخيالية واللامحدودة على الحلم ، وعلى الرغم من قدرة عبد الناصر الرائعة على استثارة الحماس وتوجيهه ، وعلى الرغم من إخلاص كمال الدين حسين

وتفانيه فى تنفيذ كل مابداه وعلى الرغم من تفانى زكريا محبى الدين لما يعمل وأدائه المتواصل فى صمت ، إلا أن البغدادي يفوق هؤلاء الأربعة فى القدرة على الحلم وتحقيق الحلم فى كيان متميز ومتكامل بتكلفة أقل ، وفى وقت أسرع ، وبجودة أرفع .

لا يخفى على أحد أن عبد اللطيف البغدادي كان يحتل مرتبة سامقة فى وجدان الجماهير ، فقد كان اسمه مرتبطاً بالإنجاز الحقيقى والسريع ، ومنذ أيام عبداللطيف البغدادي لم يتكرر صنو له يستطيع أن ينفذ ما استطاعه البغدادي بهمة واقتدار وفى لمح البصر ، ولاشك أن إنجازاته ذاتها قد تعرضت للتضخيم الفولكلورى حتى وصلت إلى حدود لم يكن هو نفسه ليتصورها ، ولكن الجمهور معذور فى ذلك ، فإن هذا الجمهور لم يشهد فى حياته قبل البغدادي ولا بعده من قام بما قام به البغدادي فى فترات وجيزة ، وقد سمعت أنا شخصياً من بعض الناس أن البغدادي كان يمر على الطريق الترابى فى الصباح فيأمر بأن يرصف الطريق فى ذات اليوم ويعود ليمر عليه فى المساء وهو مرصوف .. ومع استحالة وقوع مثل هذا فإن مثل هذه الأقوال تعطينا فكرة عن مدى الإنجاز وسرعته وإن لم تكن حقيقية تماماً.



وفضلاً عن هذا فإن البغدادي هو صاحب أطول فترة فى موقع الرجل الثانى فى عهد الرئيس عبد الناصر (على عكس ما هو شائع) ، ومنذ اللحظات الأولى التى أخذت فيها الثورة بمبدأ الأقدمية كانت الأمور تسير فى صالح قيام البغدادي بدور بارز [وكان ترتيبه فى كشف الجيش يعطيه دوراً متقدماً جداً إذ كان الثانى مباشرة بعد جمال سالم] ، ولكن لجمال عبد الناصر ولا البغدادي استطاعا أن يقودا التفاعل بين رأييهما لمصلحتيهما أو لمصلحة مصر .

ومنذ ١٩٥٦ أصبح من المفهوم والمعروف والمتفق عليه أن البغدادي هو الرجل الثانى فى الدولة بعد عبد الناصر ، وذلك بعد خروج جمال سالم من السلطة [بعد أن خرج شقيقه صلاح سالم] ، وقد ظل البغدادي يحتفظ بهذا الوضع حتى استقالته النهائية فى مارس ١٩٦٤ ، وقد تولى رئاسة الجمهورية بالنيابة عدة مرات فى أثناء غياب الرئيس جمال عبد الناصر فى الخارج .

ومعظم المراقبين لتلك الأيام يقررون أن عبد اللطيف البغدادي قد أضر بسبب فكره المنظم وآرائه الواضحة كما أنه حرم من موقعه المتقدم هذا بسبب قدرته على معارضة عبدالناصر ، ولكنى على خلافهم جميعاً أزعّم أن خسارة الرئيس جمال عبد الناصر بابتعاد عبد اللطيف البغدادي كانت أكبر بكثير من خسارة البغدادي بالابتعاد ، فلربما خسر البغدادي بعض المناصب وبعض الأضواء ولكن عبد الناصر خسر صديقاً حقيقياً ، ووطنياً مخلصاً ، ورأياً سديداً ، ومشاركة واعية ، ولو كان للموتى أن يتكلموا لقال الرئيس عبد الناصر - الآن - مثل ما أقول .

لعلنى أريد أن أقول إن البغدادي كان منضبط الفكر إلى حد بعيد ، ولعلنى أريد أن أقول أيضاً إنه كان منضبط السلوك أيضاً إلى حد بعيد ، وقد كان هذا الالتزام أو الانضباط مكلفاً كما نعرف ، فهو عبء على الأعصاب و عبء على البدن ، كما أنه ليس بإمكان الكثيرين أن يكونوا كذلك .



وإنى لأعتقد أن عبد اللطيف البغدادي كان يتمتع بقدرات عقلية متفوقة ولكنه كان فى نفس الوقت لا يتمتع بذات القدر من القدرات النفسية : ذلك أنه لم تكن عنده هذا القدر الذى كان يتمتع به عبد الناصر و السادات و زكريا محيى الدين من القدرة على التكيف مع البشر والصبر عليهم إلى حين ، ولابعض هذا القدر .

وإذا أردت أن أعبر بلغة الأطباء فقد كان البغدادي يشعر بالغثيان بأسرع مما يشعرون ، بل كان يرى نفسيته عاجزة عن أن تتوافق مع كثير من الأمور التى كان يسهل عليه التوافق معها لو أنه درب نفسه الصريحة على شىء من الصبر ، والتؤدة ، وتوقى الصدام وتقبل وجهات النظر الأخرى حتى لو كانت صريحة البطلان فى نظره .

وليس من شك أن حياته العسكرية المستقرة لم تساعد على معرفة كنه النفس الإنسانية على نحو ما عرفها أنور السادات على سبيل المثال ، وليس من شك أيضاً فى أنه لم يكن ميالاً إلى الزعامة بنفس القدر الذى كان عبد الناصر يميل إليها . ولهذا فإن عبد اللطيف البغدادي كان سريع الغضب إذا ما تجاوزت الأمور حداً لا تنطبق نفسه أن

توافق معه ، ولهذا فإنه وفي مرحلة مبكرة جدا اعتزل تنظيم الضباط الأحرار قبيل الثورة حين وجد الأمور تسير في الاتجاه الذي لا يوصل إلى شيء .. كذلك فإنه على نحو ماسنرى كان صاحب الاستقالة المبكرة في ١٩٥٤ .. كما أنه على حد تعبيره فيما بعد تقدم بثمانى استقالات على مدى عشرة أعوام [١٩٥٤ - ١٩٦٤].

ولهذا كله فإننى مع حبى الشديد للبغدادي لا أستطيع أن ألوم عبد الناصر بنفس القدر الذى ألوم به البغدادي ، أقول هذا ولا أبرئ نفسى فإننى فيما أعرف عن نفسى - على سبيل المثال - أضيق منهما صدرأ وأسرع غضبأ ، ولكن الحق الذى لا مرية فيه أن عبد اللطيف البغدادي يتحمل قدرأ لا بأس به من المسئولية عن الآثار السيئة للعلاقة الملتبسة بين جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر وهى العلاقة التى ظلت تفرض آثارها السلبية حتى وقعت هزيمة ١٩٦٧ .

ولست أتخيز فى هذا لعبد الناصر ضد عبد اللطيف البغدادي فلربما أحس القارئ من كتابى هذا ومن كتب سابقة أن حبى للبغدادي لا يقل عن حبى لعبد الناصر .

ولكنى لا أستطيع أن أبرئ البغدادي من المسئولية عن هذه العلاقة كما أنه من ناحية أخرى كان يعرف حجم معاناة عبدالحكيم من عبدالناصر ! وصحيح أن عبدالحكيم كان ضعيفا أمام عبدالناصر وصحيح أيضاً أن عبد الناصر كان ضعيفا تجاه عبد الحكيم .. ولكن هل كلف البغدادي نفسه مرة واحدة أن يدبر تدبيرأ واحداً أو أن يشارك فى تدبير واحد من أجل نصرة عبد الناصر على نفسه (أى على عبد الناصر) وعلى عبد الحكيم؟

هذا هو السؤال الذى ينبغى لنا أن نسأله اليوم حتى يتعظ الناس جميعا فى كل زمان قادم بهذه التجربة بين هؤلاء الزملاء الثلاثة .. فقد كان البغدادي فى ظل ظنه أنه حريص على أخلاقياته يدفع نفسه إلى أن ينأى بها عن إتمام الدور الكبير الذى تهيأ له فى خدمة وطنه ، ولندكر أنه كان صاحب أطول مدة قضاها أى رجل ثان فى عهد عبدالناصر ، ولندكر أيضاً أن عبد الناصر نفسه كان كثيراً ما يفكر فى الإفادة من قدراته حتى بعد ابتعاده وإن لم يكن هذا يستتبع بالطبع القفز إلى فكرة استخلافه له .. بل لندكر أيضاً أن أنور السادات نفسه فى أول عهده كرئيس لم يفكر فى أن يؤثر أحداً من أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين بالاستقبال إلا البغدادي !!

على هذا النحو نستطيع أن نفهم أن البغدادي كان مُرحباً به على الدوام أكثر من غيره من زملائه في الصف الأول سواء في عهد عبد الناصر أو حتى في عهد السادات ، ولكنه كان - بحكم شخصيته وتكوينه - أقرب إلى طراز متفرد من السياسيين الوطنيين المثاليين الذين لا يملكون القدرة على التجاوز عن بعض المواقف الخاطئة.

وهكذا فقد كان يؤثر لنفسه السلامة أمام ضميره ، وأمام خالقه جل جلاله ، وأمام التاريخ .. وقد يكون هذا مقبولا منه ومن غيره في فترات طويلة من الزمن .. ولكنني أشك في أن يقبل التاريخ منه مثل هذا الموقف حين كانت مصر مقبلة على هذه الهزيمة النكراء في ١٩٦٧ .

ولست بمستطيع أن أتجاوز هذه النقطة من دون أن أذكر أن هذا كان هو الدافع الأكبر للبغدادي - فيما بعد - إلى المسارعة إلى عبد الناصر قبيل وقوع كارثة ١٩٦٧ مرة ومرتين ، ثم طوال الحرب أيضا .

ولكنني مع هذا لا أستطيع أن أذكر أنه بهذا الذي فعل أدى - تماما - كل ما كان ينتظر منه وهو رجل حمل روحه على كفه ليلة ٢٣ يوليو وقبلها أكثر من مرة .



نستطيع كذلك أن نذكر بثقة ما لم يبلوره البغدادي عن نفسه فيما يتعلق بتوجهه الوطني الإيجابي ، فعلى نحو ما ذكرنا في أكثر من موضع فإن جهد البغدادي في هذه الناحية يكاد يوازي نشاط أنور السادات من حيث التنوع والإحاطة ، وإن كان أقل بالطبع من حيث الدينامية والخطورة ، ويمكن بلا مبالغة القول بأن عبد اللطيف البغدادي قد سعى بنفسه إلى كل طريق عرف أنه قد يقوده إلى تحقيق الأمانى الوطنية ، ونحن لا نعرف حقيقة ولا طبيعة ما وصل إليه نشاطه في هذا المجال ، فلربما أنه لم يندمج تماماً في هذه الأنشطة ، وبالتالي فإنه لم يتورط في قضايا أو حوادث اغتيالات على نحو ما فعل السادات أكثر من مرة ، وربما أنه شارك (أو تورط) بالفعل فيما لا نعرف عنه شيئاً من نشاط سرى في الزمن الذي ازدهر فيه النشاط السرى .

ولكننا مع هذا نستطيع أن نقول باطمئنان إن عبد اللطيف البغدادي كان واحداً من

اثنين من أعضاء مجلس قيادة الثورة « ومن أعضاء الصف الأول فى ثورة ٢٣ يوليو » شاركوا فى العمل السياسى السرى منذ بواكير شبابهما ومنذ ما قبل قيام الثورة بفترة طويلة ، وكان الآخر هو أنور السادات.

وبدايات هذين الرجلين تسبق بدايات زملائهما الآخرين جميعاً وبلا استثناء إلا أن يكون هذا الاستثناء واحداً ممن لم يصلوا إلى عضوية مجلس قيادة الثورة (كعبد المنعم عبدالرءوف الذى فصل من اللجنة القيادية قبل قيام الثورة أو حسين ذو الفقار صبرى أو حسن عزت أو أحمد سعودى).

وربما لا نستطيع أن نفهم طبيعة دور البغدادى فى العمل التنفيذى والسياسى والبرلمانى والحكم فى عهد الثورة من دون أن نقارن بينه وبين أنور السادات ، وقد عقدنا مقارنة بين الرجلين من حيث نشاطهما الوطنى الذى سبق نشاط زملائهما أجمعين ، كما تميز بتعدد الاتجاهات ، وقد أشرنا إلى أن كليهما قد بدأ نشاطه فى هذه الاتجاه منذ ما قبل قيام الثورة بعشر سنوات على الأقل ، وقد تعرض أنور السادات للمسجن مرتين والفصل من القوات المسلحة أما بغدادى فإنه لم يعان من مثل هذه المآسى أو التجارب الخصبية ، ولعل هذا هو ما جعله لا يتمتع بما تتمتع به السادات من حنكة شديدة وصبر طويل على كل ما أتت وتأتى به الأيام .. كان البغدادى أكثر ميلاً إلى فهم الخطوط المستقيمة الواضحة ، وكان أنور السادات قادراً على فهم المنحنى والدوائر المتقاطعة ، وكان السادات على سبيل المثال يشعر بالامتنان تجاه عبد الناصر الذى ضمه إلى الصف الأول من المسئولين عن الثورة .. بينما كان البغدادى لا يزال يشعر بالامتنان على عبد الناصر وليس تجاهه كما كان أنور السادات يشعر !!



ومع كل هذا فإن البغدادى كان فى كل ما كتب وروى من المذكرات ينظر إلى كل الأمور فى إطار ما أحب أن أصفه بأنه «التاريخ الطبيعى» ، فهو لا يؤمن بالارتداد إلى الماضى ، ولا يؤثر السلامة فى حكمه على الحاضر ، وماتزال جذوة الثورة فى روحه لا تتراجع مهما كانت الظروف ، وهو يفرق بإحساس جيد بين ما هو «فردى» وما هو

«جماعى» ، وبين ما هو «شخصى» ، وما هو «وطنى» ، ولكنه مع ذلك لا يرتدى مسوح المثالية ، ولا يخاطبنا من أعلى عليين ، إنما هو صادق فى معاناته وفى تعبيره عن هذه المعاناة ، حتى ولو كانت معاناة النجاح.



نال البغدادي كثيراً من التقدير الرسمى طيلة حياته ، فى وطنه وفى خارج وطنه ، وإذا كان لابد من ذكر مثل دال على قدر هذا التكريم فإنه يكفينا أن نشير إلى حصول عبد اللطيف البغدادي على نجمة فؤاد العسكرية مرتين عن دوره فى الحرب (١٩٤٨) وهى أعلى نيشان عسكري وقتها ، وقد تم هذا التكريم فى عصر الملكية وقبل قيام الثورة بالطبع !!



لم يقيم البغدادي وهو فى السلطة بزيارات كثيرة خارج مصر ، لكن أهم هذه الزيارات كانت إلى بون فى يوليو ١٩٦١ ، فضلاً عن زيارات أخرى بعد هذا للعلاج.

عاش البغدادي بعيداً عن السياسة منذ ١٩٦٤ وحتى توفى ، ولم يشارك فى أى نشاط سياسى علنى أو سرى باستثناء مناسبتين : المناسبة الأولى فزعه مع زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة قبل اندلاع حرب ١٩٦٧ والمناسبة الثانية مشاركته عام ١٩٧٢ فى كتابة العريضة الشهيرة للرئيس السادات.

وقد توفى البغدادي فى يناير ١٩٩٩ بعد مرض طويل ، وشيعت جنازته بمشاركة الرئيس محمد حسنى مبارك.

عبد اللطيف البغدادي
شهيد النزاهة الشورية

2

مرحلة التكوين

دار الخيال

لم يتناول عبد اللطيف البغدادي حياته الأولى في مذكراته المنشورة في كتاب (١٩٧٧) بأي قدر من الحديث ، إنما بدأ مذكراته المنشورة في كتابه بالحديث عن عام ١٩٤٠ ثم بالحديث عن مقدمات حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وانطباعاته عنه ، ومن حسن الحظ أنه استدرك هذا عند نشر ما يمكن أن نسميه مذكراته الأخيرة في نصف الدنيا في ١٩٩٦ ، وهو يقدم لنا في هذه الأحاديث العشرين ؛ نصا ممتعا وجيدا يتمتع بقدر كبير من النضج في الحديث عن الذات في مراحلها الأولى .

ونحن نلاحظ فيما يرويهِ البغدادي أنه انتقل إلى المنصورة في طفولته لكي يبدأ دراسته الابتدائية ، وهكذا أتيج له مبكرا قدر لا بأس به من الفرصة الطبيعية الممكنة من استقلال الشخصية ، فضلا عن الفرصة المحاذية في التحضر المبكر ، كما نلاحظ أن المستوى الاجتماعي والاقتصادي لأسرته سمح له أن يستمتع بالحياة في نهاية الأسبوع ، وألا يعاني من صعوبات الانتقال ، كما نلاحظ ما يرويهِ عن قبوله في كلية البوليس بالواسطة وأن السيدة العظيمة أم كلثوم كانت هي واسطته .

ونحن نلاحظ أيضا ما يرويهِ البغدادي عن وجهة نظر والده «العمدة» المفضلة لالتحاقه بكادر البوليس والمفضلة لأن يكون مستقبليهِ في هذا الكادر على أن يكون في كادر الجيش ونحن نعرف أن تفضيل انتماء الأبناء إلى البوليس يعكس عقلية من ينتمون إلى عصبية الريف المصري .

«...ولدت يوم ٢٠ سبتمبر عام ١٩١٧ في قرية «شاوه» التي تبعد عن المنصورة

٤ كم ، [ومن] أسرة ميسورة الحال ، وكان والدى عمدة القرية فقد كانت العمودية تورث فى عائلتنا وتعلمت فى القرية القراءة والكتابة ، ثم التحقت بالتعليم الابتدائى فى مدرسة المنصورة الابتدائية ، وأقمتُ فى شقة بالمنصورة مع بعض أقاربى وكان والدى يرسل لنا «الحنطور» كل خميس لقضاء العطلة الأسبوعية هناك ثم حصلت على الابتدائية ، والتحقت بمدرسة المنصورة الثانوية.

«وحصلت على شهادة البكالوريا عام ١٩٣٦ وقدمت أوراقى إلى كليات الزراعة ، والبوليس ، والحربية . قبلت فى كلية الزراعة لأن مجموعى كان يؤهلنى لها كما أننى قبلت أيضاً فى كلية البوليس عن طريق الوساطة أما الحربية فقد دخلتها بدون أى واسطة وعلى غير رغبة والدى فبحكم أنه فلاح كان يرى أن البوليس أفضل من الحربية لأنه كان يريدنى حكمداراً أو مأموراً».



ويروى عبد اللطيف البغدادى قصة قبوله بالكلية الحربية بحديث ينم بطريقة غير مباشرة عن اعتزازه أو فخره بالدور الذى لعبته شخصيته المتميزة فى إتمام قبوله بالكلية الحربية على الرغم من تحفظ والده على هذا التوجه ، ونحن نرى القدر وهو يدفع بخطوات البغدادى إلى الكلية الحربية على الرغم من أنه كان قد أصبح بالفعل طالباً بكلية البوليس ، وانتظم فى الدراسة ، وسدد قيمة القسط الأول بحوالة بريدية ، وكانت المصروفات كبيرة بمقاييس ذلك الوقت:

«... الالتحاق بالكليات العسكرية بدون واسطة فى ذلك الوقت كان مسألة مستحيلة! نعم ، ولكن التحاقى بالكلية الحربية له قصة طريفة ، فقد قبلت فى كلية البوليس فى بداية الأمر وكانت واسطتى أم كلثوم وهى من قرية « طماى الزهايرة » القريبة من قريننا، وكانت تربطنا بها علاقة عائلية ، أعطتنى كارت إلى مدير الكلية وقتذاك عبد السلام الشاذلى والذى كان مديراً لمديرية الدقهلية أيضاً وكان ترينى الثانى فى الوساطة والننى كانت حسب أهمية الشخص الموصى لذلك فقد كان الأول نجل وكيل وزارة الداخلية آنذاك ، والتحقت بالبوليس ، وأرسلنا إليهم حوالة بريدية بمبلغ ٥٤ جنيهاً هى قيمة القسط الأول».

«وكنت قد قدمت أوراقى للكلية الحربية فى نفس الوقت واجتزت اختبارات كشف الهيئة بنجاح ، وبقي الاختبار الأخير وهو المقابلة الشخصية وكنت قد أمضيت أسبوعاً

فى كلية البوليس فاستأذنت منهم حتى أحضر الكشف النهائى فى الكلية الحربية فسمحوا لى ، وكانت اللجنة تضم وزير الحربية وكان أركان حرب الكلية ينادى على كل طالب ويقول : موصى عليه من فلان ، أما أنا فلم تكن لى واسطة لأننى كلما كنت أطلب من والدى أن يكلم من يتوسط لى فى الحربية . يقول لى : واسطتك ربنا بحكم رفضه دخولى الحربية».

«وعندما جاء دورى قال أركان حرب الكلية : غير موصى عليه من أحد ، فسألونى : لماذا فضلت الحربية ؟ قلت لهم : لأنها أشرف مهنة ففيها يضحى الإنسان بحياته فى سبيل بلاده ، فردوا قائلين : طيب ما المهندس يتعرض للأخطار فى مهنته ، وهو بهذا يضحى بنفسه من أجل بلده وكذلك الطبيب ، فقلت : إن فيها رياضة وتقشفا وأنا أحب ذلك ، قالوا : يمكن أن تمارس الرياضة فى النادى ، وأن تتكشف بدون دخول الكلية».

«وظل الحوار هكذا حتى شعرت بالضيق فقلت لهم : أنا عايز أضمن لما أخرج ألاقى شغل زيكم كده وشاورت عليهم ، فردوا قائلين : أنت صريح زيادة عن اللزوم اتفضل !».

«وتأكدت وقتها أننى لم أقبل ولكن حينما بدءوا ينادون أسماء المقبولين فوجئت باسمى بينهم ، وطلبوا من كل طالب ١٢ جنيهاً قسطاً وجنيهاً للعصا والطربوش ، ولم يكن معى المبلغ ولكن كان معى كعب الحوالة البريدية التى كنت سأسدها لكلية البوليس فأخبرت أركان حرب الكلية بعدم توفر المبلغ معى ولكن هناك الحوالة ، وأنه يمكن تحويلها ، فنادى الصراف ليأخذ الحوالة ، وبذلك استطعت دفع مصاريف السنة كاملة ، وكانت تبلغ ٣٧ جنيهاً منها ٣٦ جنيهاً مصاريف وجنيه العصا والطربوش ، وهكذا دخلت الحربية».

«ثم أرسلت إلى والدى تلغرافياً أخبره بذلك فتضايق لأنه كان يرغب أن أستمّر فى البوليس ، ولكننى أخذت قرارى سريعاً ، ولم انتظر حتى أتصل به ، وقد كانت دفعتنى هى أكبر دفعة فى تاريخ الكلية الحربية وقتها حيث بلغت ١٥٧ طالباً بعد أن كان عدد الطلبة يتراوح ما بين ١٠ إلى ١٥ طالباً » .



ومما توافر لنا من نصوص أو معلومات عن حياة البغدادى يمكن القول أنه لم يكن

فى حىاته الوظيفية أو العسكرية قبل الثورة ما هو جدير بالتفرد أو بالتأمل أو التعليق، فقد عمل شأنه شأن زملائه فى المطارات العسكرية حتى تولى قيادة القاعدة الجوية فى غرب القاهرة فى ١٩٤٨ وقيادة أسراب القاذفات حتى عام ١٩٥٠، ثم أصبح مساعداً لمدير تدريب القاذفات حتى قامت الثورة ، ولكن الجانب المهم أو الأهم فى هذه الحياة كان هو التوجه المبكر لهذا الضابط الشاب نحو العمل من أجل حرية وطنه وتحرير هذا الوطن بكل ما هو ممكن من عمل سرى دءوب ، وقد كانت مذكرات البغدادي التي نشرها فى ١٩٧٧ أول مذكرات تتحدث بالتفصيل عن تنظيم الضباط الطيارين الذى ضم عبداللطيف البغدادي وأحمد سعودى أبو على وحسن عزت ووجيه أباطه ، وقد كانوا يسكنون معاً فى شقة واحدة فى مصر الجديدة بالقرب من المطار.

وقد روى عبد اللطيف البغدادي فى هذه المذكرات قصة المصير المؤسف الذى تعرض له الطيار أحمد سعودى حين حاول الهرب بطائرة «جلاديتور» فى الصباح المبكر لأحد الأيام واتجه بها نحو منطقة مرسى مطروح غرب الإسكندرية ، التى كانت تقع تحت سيطرة القوات الألمانية فى ذلك الحين ، ولكنه على ما يظهر لم يتمكن من الوصول إلى هناك ولم نعلم حتى اليوم حقيقة ما حدث له [هكذا يقول البغدادي] : والغالب أنه قد أسقطت طائرته بواسطة الدفاع الجوى الألمانى لأن نفس النوع من الطائرات كانت تستخدمه القوات البريطانية ، ولكن تصادف أن أحد الطيارين المصريين من المنضمين إلى التنظيم كان قد كُلف مع زملاء آخرين له بأمر من قيادة الطيران المصرية بالقيام فى تشكيل من الطائرات للبحث عن الطائرة التى استقلها سعودى باعتبار أنها ربما تكون قد سقطت فى مكان ما حول مدينة القاهرة فى أثناء قيامه بتدريبه اليومي، ولكن بدلاً من أن يعود هذا الزميل واسمه رضوان مع تشكيله بعد انتهاء مأموريتهم ، فقد توجه هو الآخر بطائرته نحو مرسى مطروح تاركاً تشكيله ، وذلك لعلمه المسبق بخطة سعودى من وجيه أباطة الذى كان قد أشركه معه فى إعداد الخرائط اللازمة لرحلة سعودى ، وقد وصل رضوان سالماً إلى هناك ، ولكن هذا التصرف منه كشف للمسؤولين فى البعثة العسكرية البريطانية الغرض من عملية سعودى مع أن خطتنا كانت قد بنيت على أساس أنه سيعتقد بأن سعودى قد سقط بطائرته فى أثناء اختبارها لها فى الجو ، وفى مكان لم يمكن الاهتداء إليه بعد البحث عنه دون توصل القيادة إلى حقيقة مرمى العملية ، لكن هذا التصرف من الطيار رضوان نبه القيادة

المصرية والإنجليزية على السواء إلى أن فى الأمر سرا ، وأجروا تحقيقاً فى الموضوع لمعرفة ما وراءه ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى شىء يكشف أمر التنظيم ، ورغم أن عدداً من ضباط سلاح الطيران قد أبعادوا ونقلوا إلى الجيش على إثر هذا الحادث ، إلا أن هذا لم يشمل أحداً من أفراد التنظيم نفسه غير الملازم الطيار حسن إبراهيم (عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد). ويرجع ذلك إلى أن الطائرة التى كان قد استقلها سعودى كانت هى الطائرة المخصصة لحسن ، وكان الاتفاق قد تم معه على أن يظل ملازماً لفراشه بالمطار فى اليوم المحدد للعملية حتى يتمكن سعودى من استخدام طائرته والطيران بها ، وقد جوزى حسن بنقله من سلاح الطيران وتأخير أقدميته سبعة ضباط ، ولكنه عاد إلى الخدمة بالطيران ثانية سنة ١٩٤٥».

«... ولم تكتف البعثة البريطانية المشرفة على سلاحنا الجوى بتلك الإجراءات ، ولم تقتنع بنقل بعض الطيارين المصريين إلى وحدات أخرى بالجيش ، وإنما عملت أيضاً على منع الباقين منهم فى سلاح الطيران من التدريب اليومى على الطائرات أو استخدامها لعدة شهور بعد ذلك الحادث ، وكان قد تم سحب موزع الكهرباء (الماجيتو) من جميع الطائرات حتى لا يمكن إدارتها ، ثم سمح بعد ذلك للطيارين باستخدام الطائرات ولكن لم تكن تمون بالوقود إلا فى حدود طيران ساعة فقط ، وذلك حتى لا يتعدى مدى طيرانها المنطقة المحيطة بالقاهرة ، وزيادة فى الاحتياط من جانبهم كانت الطائرات وهى رابضة على الأرض تربط بالسلاسل فى أعمدة حظيرة الطائرات ، واستمر هذا الحال عدة شهور أخرى ثم عادت الأمور إلى طبيعتها بعد أن أصبح الموقف العسكرى فى شمال أفريقيا موافقاً لهم».

«... أما بالنسبة للطيار رضوان الذى كان قد وصل إلى مركز القيادة الألمانية فى مرسى مطروح فقد تمكن الحلفاء من القبض عليه عند دخولهم برلين فى نهاية الحرب ورحل إلى مصر لمحاكمته عسكرياً ، وصدر الحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً بخلاف دفع مبلغ ثمانية آلاف جنيه كغرامة لتسببه فى إتلاف طائرة ، ولكن بعد قيام الثورة فى يوليو سنة ١٩٥٢ تم الإفراج عنه ، وأعفى من الغرامة المالية ، وأوجد له عمل أيضاً فى إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة».



ومن المهم إذأ أن نورد ونتأمل فيما يرويه البغدادي عن التنظيم السرى الذى شارك

فى تأسيسه فى حدود سنة ١٩٤٠، وسنجد الرجل فيما يرويه فى مرحلة مبكرة (١٩٧٧) واعيا بالقدر الكافى لأهمية توضيح موقفه وموقف زملائه من الفكر النازى الهتلرى ، فهو يذكر بوضوح أنهم لم يكونوا قد عرفوا بعد حدود خطورة مثل هذا الفكر، كما يشير بوضوح إلى أن هدفهم قد اقتصر على زعزعة الوجود البريطانى فى مصر ولم يتعد هذا الإطار وإن تعددت الوسائل التى فكروا فيها من أجل تحقيق هذا الهدف :

«... وفى ذلك الوقت كانت هناك مجموعة من أربعة ضباط برتبة الملازم الطيار تقيم معاً فى شقة مفروشة بمصر الجديدة وهى قريبة من المطار الحربى الذى كانوا يعملون به ، مطار الماطة ، وكانت هذه المجموعة مكونة من الطيارين أحمد سعودى أبو على، وحسن عزت ، ومحمد وجيه أباطة ، وكاتب هذه المذكرات ، وكنا كأصدقاء متآلفين والثقة تامة بيننا، وهناك وحدة فى التفكير فيما بيننا. وكان نحسنا الوطنى واندفاع الشباب يسيطر علينا فى كل أحاديثنا التى كانت تجرى حول الأحداث الدائرة من حولنا ومدى تأثير بلدنا مصر بها والأضرار التى ستقع عليها. وفى أثناء هذا الحماس وتلك الأحداث اختمرت فى أذهاننا فكرة ضرورة عمل شىء نخدم به وطننا خاصة أن احتلال الإنجليز لبلادنا من عشرات السنين كان هو الألم الذى يحز فى نفوسنا دائماً».

«وكان لابد من أن نفكر فى الوسائل الممكنة لنا لخدمة هذا الوطن العزيز علينا، وعندما قلبنا الأمر على وجوهه المختلفة لم نجد أمامنا من وسيلة إلا فى عمل تنظيم سرى بين ضباط الطيران والجيش لمقاومة الاحتلال البريطانى ، وكان ذلك فى بداية عام ١٩٤٠».

«وبدأنا فى وضع تلك الفكرة موضع التنفيذ ، وكان علينا أن نقوم بتنظيم أنفسنا وزملائنا فى سلاح الطيران فى شكل خلايا سرية صغيرة ، وكانت كل خلية تتكون من خمسة ضباط ، وعلى أن يقوم كل فرد من أعضاء الخلية بالعمل على تشكيل خلية أخرى جديدة من خمسة ضباط آخرين ، واشترط ألا يعرف أفراد الخلية الجديدة أسماء المشتركين الآخرين فى الخلايا الأخرى ، وأن تقتصر معرفتهم فقط على اسم من عمل على تشكيلها ضماناً للسرية حتى تقتصر الأضرار فقط فى حالة انكشاف سر أية خلية على أقل عدد ممكن من أفراد التنظيم».

«وعملنا على الاتصال بزملائنا من ضباط الجيش حتى يمكن إقامة تنظيم آخر مماثل داخل وحدته أيضاً».

«واقترح حسن عزت اسم الملازم محمد أنور السادات لينضم إلى مجموعتنا ، وكنا قد أطلقنا عليها اسم اللجنة التنفيذية للتنظيم ، وكان أنور صديقاً لحسن عزت».

«وكان الهدف من هذا التنظيم الذي كنا نسعى إلى إقامته هو العمل على التصدي للقوات البريطانية المحتلة لبلادنا وتدمير مخازنها وخطوط مواصلاتها وعرقلة انسحابها أمام القوات الضاغطة عليها ، معتقدين أنه بذلك يمكن أن نطالب باستقلال بلادنا وإعلان حيادها وإبعادها عن أتون الحرب الدائرة في ذلك الوقت مقابل هذا الدور الذي قمنا به».

ولا يفوت عبد اللطيف البغدادي أن يردف كل هذه التفاصيل بقدر معقول من التقييم الذاتي وهو يقول:

«... وربما يكون هذا التفكير منا فيه سذاجة ولكن لا ينسى القارئ قلة خبرتنا السياسية في ذلك الحين ولم يكن عمر أحد منا تعدى الاثني والعشرين عاماً ، كما لا ينسى أيضاً أن الدافع لهذا التحرك منا كان الحماس الوطني مع اندفاع الشباب ، وكذا لم تكن صورة ألمانيا الهتلرية على حقيقتها واستبدادها واضحة لنا».

ويبدو بوضوح أن البغدادي فيما يحرص على روايته عن هذه الفترة المبكرة من العمل الوطني كان حريصاً على أن يشير إلى أن هذا «التنظيم» لم يقف في نشاطه عند حدود سلاح الطيران ، وإنما تعدى هذا إلى أسلحة الجيش الأخرى ، وفي الوقت ذاته فإن هذا الامتداد لم يتعد حدود ضابط واحد هو أنور السادات الذي كان فيما يبدو قاسماً مشتركاً في تلك التنظيمات المتعددة التي وجدت حين ذاك ، لكن الأخطر والأهم من هذا الاتصال بالسادات الذي لم يكن من القوات الجوية كان هو اتصال أفراد هذا التنظيم بمدنيين آخرين لا يفصح البغدادي عن هويتهم ، ولست أدري لماذا تعمد البغدادي أن يحجب أسماء هؤلاء المدنيين وبخاصة أنه ذكر أنه كان على رأسهم ذلك الرجل الذي عرف بلقب «أبو الفدائيين» وهو عبدالعزيز علي ، وقد كان بمثابة قطب الاغتيالات المبكرة ، وقد قبض عليه مع الإخوان المسلمين في ١٩٦٥ بعدما كان وصل

إلى منصب الوزارة في مطلع الثورة ، ولكن الملاحظة التي تشدني دون أن أجد لها تفسيراً هي أن عبد العزيز على لم يشر إلى اسم البغدادي بقدر من التفصيل في مذكراته التي نشرت بعنوان « الثائر الصامت » وذلك على الرغم من حرصه على ذكر أسماء كثير من الضباط المعاصرين للبغدادي والذين ذكرهم البغدادي نفسه في مذكراته .

يقول عبد اللطيف البغدادي ما نصه :

«... وكان الاتصال قد تم بيننا أيضاً وبين بعض المدنيين المعروفين بوطينتهم وتحمسهم ضد الاحتلال البريطاني ، وذلك عن طريق الأستاذ عبد العزيز على ، وكان هو حلقة الاتصال بينهم وبيننا ، ولقد كان موظفاً في ذلك الوقت بإدارة البلديات بالقاهرة ، وكان نشطاً ومتحمساً وربط تنظيمنا بعدد كبير من الوطنيين المخلصين ، ولذا عندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ فقد عين وزيراً في أول وزارة تشكلت كوزير للشئون البلدية القروية ، وهو كان لا يزال موظفاً بها حين قامت الثورة ، وكان هذا التعيين له تقديراً منا لدوره الوطني في الحركة القومية وكفاحه الطويل» .



ويروى عبد اللطيف البغدادي بعض التفاصيل التي تتم عن وصوله هو وزملائه إلى خطوات متقدمة في ممارسة العمل السري ، وإن كانت هذه التفاصيل لا تروى تفصيلاً عن عمليات محددة قام بها أفراد هذا التنظيم باستثناء إعداد اللغم الضخم «التيتل» ، كما أنها لا تحفل بذكر أسماء من شاركوا في هذه الأنشطة السرية فيما عدا صلاح هدايت وزير البحث العلمي بعد الثورة !:

«وكان كل عضو من أعضاء التنظيم يدفع اشتراكاً شهرياً لتمويل نشاطنا ، وقد استأجرنا فيللاً من دور واحد في حي كوبري القبة بالقاهرة لنجتمع فيها ، ولقد وضعنا مخرطة كهربائية لاستخدامها في صنع القنابل اليدوية وقنابل مولوتوف التي عملنا على توفيرها لاحتياجنا إليها عندما تحين ساعة العمل ، كما أننا قد قمنا بتهريب بعض الكميات من الأسلحة الخفيفة من مخازن الجيش لنفس الغرض» .

«وقد أعدت منظمتنا أيضاً لغماً ضخماً أطلق عليه اسم «التيتل» لوضعه في مجرى قناة السويس وتفجيره في إحدى ناقلات البترول أثناء عبورها للقناة بغرض إعاقة الملاحة بها ، وكان قد قام بإعداده الضابط صلاح هدايت الذي أصبح وزيراً للبحث العلمي بعد الثورة» .

على هذا النحو يورد البغدادي في مذكراته قصة اللغم الذي أطلق عليه اسم «التيتل» والذي كان من المخطط وضعه في مجرى قناة السويس وتفجيره في إحدى ناقلات البترول ، ويذكر البغدادي بصراحة أن فؤاد سراج الدين ساعد الضباط في هذا العمل الوطني، وأن هذا اللغم قد نقل سراً إلى مطار العريش على طائرتين من طائرات النقل الجوي المسماة «كوماندو» وذلك فيما بعد انتهاء العمل اليومي للقوات الجوية. أما جزء المفرقات منه فقد نقل عن طريق السكة الحديد لخطورة نقله بالطائرات ، وقد ساعد في هذا الأمر القطب الوفدي فؤاد سراج الدين بعد أن تم الاتصال به ، وقام باستلام هذا اللغم في العريش جمال سالم وعبدالحكيم عامر حيث كانا قد نقلًا إلى وحدات هناك قبل ذلك بقليل، وقاما بنقله محملاً على لورين إلى الضفة الشرقية للقناة وأخفى هناك بعد أن أعيد تركيبه حتى يحين الموعد المناسب لاستخدامه ، ثم عدلنا عن تنفيذ تلك الخطة خشية ردود فعلها في العالم الخارجي، وقد ظل هذا اللغم رابضاً في مكان إخفائه حتى قيام الثورة ثم عمل على تفجيره في المكان الذي كان قد أخفى فيه.

ومن الإنصاف أن نلفت النظر إلى أن جمال منصور يروي دوراً مماثلاً لمجموعته من سلاح الفرسان في هذه العملية ، وقد تناولنا هذه الجزئية في كتابنا «نحو حكم الفرد : مذكرات الضباط الأحرار».



وربما نصل الآن إلى الموضع الذي نستطيع فيه أن تشير بثقة إلى ما لم يبلوره البغدادي عن نفسه فيما يتعلق بتوجهه الوطني الإيجابي، فعلى نحو ما ذكرنا في الباب الأول فإن جهد البغدادي في هذه الناحية يكاد يوازي نشاط أنور السادات من حيث التنوع والإحاطة ، وإن كان أقل بالطبع من حيث الدينامية والخطورة ، ويمكن بلا مبالغة القول بأن عبداللطيف البغدادي قد سعى بنفسه إلى كل طريق عرف أنه يقوده إلى تحقيق الأمن الوطني .



وفي مرحلة مبكرة من حديث البغدادي عن ذكرياته وأنشطته الوطنية نراه يذكر في مذكراته المنشورة عام ١٩٧٧ أن محاولة جادة قد جرت لضم تنظيمهم إلى تنظيم

الضباط الإخوان، ويؤكد البغدادي فيما يرويهِ عن تلك المرحلة المبكرة على أنه كان واعياً لضرورة البقاء بتنظيمه أو أى تنظيم آخر للضباط بعيداً عن تيار كبير يمكن أن يذيب جماعته فيه فيقول:

«... وقد تم الاتصال بخصوص هذا الأمر مع جمعية الإخوان المسلمين للتعرف على مدى استعدادها للمشاركة في تحقيق هذا الهدف ، وقد رحب المرحوم الشيخ حسن البنا رئيس الجمعية في ذلك الوقت بالفكرة ، ولكنه اقترح علينا إدماج التنظيمين في بعضهما أى التنظيم الخاص بنا مع التنظيم الخاص بالإخوان المسلمين ، وقد برر لنا هذا الاقتراح بقوله إن لديه الجنود وهم الأعضاء المنضمون للجمعية ، وكان يقدر عددهم بما يقرب من ربع مليون عضو في ذلك الحين ، وإنه في حاجة إلى القادة القادرين على قيادة هؤلاء الجنود ، وأوضح أن ضباط تنظيمنا سيكونون هم القادة المطلوبون لهذا الغرض».

وهنا لا يفوت البغدادي أن يعلق بقوله :

«... وربما يكون هذا العدد من الأعضاء الذي ذكره لنا فيه مغالاة بفرض التأثير علينا، ولكننا لم نتفق معه على فكرة الإدماج خوفاً من أن تذوب منظمنا وهي في بداية عهدها داخل منظمتهم ، كما أن الاندماج سيمنحهم من التسلل داخل الجيش ويسهل عليهم بعد ذلك الاستيلاء على السلطة في البلاد ، وكان قد اتضح لنا هذا الهدف الذي يرمون إليه من حديث حسن البنا معنا عندما قال:

«إننا ندعو إلى الدين لغرض سياسى نأمل تحقيقه ، ولسنا مشايخ طرق».

«ورغم أننا اعترضنا على فكرة الإدماج التي تقدم بها إلا أنه قبل التعاون معنا في الحدود التي اتفقنا عليها، وهي المساندة في إعاقه تقهقر الجيش البريطاني عند انسحابه وربما يكون [يقصد حسن البنا] قد قبل هذا التعاون على أمل أن يحقق الفكرة التي اقترحها علينا مع مرور الوقت».



وبعد حوالي عشرين عاماً من نشر مذكراته الأولى التي وردت فيها الفقرات السابقة يعرض البغدادي قصة اتصال تنظيمه بالإخوان المسلمين وزعيمهم حسن البنا بتفصيل

أوسع نقتطف منه هذه الفقرة التي وردت في حديثه لمجلة نصف الدنيا (١٩٩٦) حيث يقول:

«كنت منضماً لتنظيم الطيران الذي أنشئ عام ١٩٣٩ وفي أوائل الأربعينات ذهبت لمقابلة حسن البنا للتنسيق بين تنظيمنا والإخوان واقترح حسن البنا إدماج التنظيمين قائلاً لي بالحرف: «إحنا جمعية دينية لكن لها هدف سياسى هو تولى السلطة، ونحن لدينا الجنود، وهم الأعضاء المنضمون للجمعية ويقدر عددهم بحوالى ٢٥٠ ألف عضو أما أنتم فستكونون القادة القادرين على قيادة هؤلاء الجنود، لذلك فيمكن أن ينضم التنظيمان».

«ولكنى رفضت لأن هذا معناه أن نذوب فيهم، فعددنا قليل، وفضلت أن يكون هناك تنسيق بين التنظيمين، ووافق هو الآخر فقد كان شخصاً مرناً».

.....
ويبدو لى أن هذا الموقف «التفاوضى» الذى لم يتعد حدود التفهم المتبادل كان كفيلاً بأن يصب فى مصلحة الإخوان [والبغدادى] فيما بعد قيام الثورة وبخاصة بعد وقوع الصدام بين الثورة والإخوان، فمن ناحية الإخوان فإنهم لم ينظروا إلى البغدادى على أنه من الذين خانوا الانتماء للإخوان على نحو ما نظروا إلى من كانوا قد بايعوا الإخوان بالفعل من قادة الثورة.

ومن ناحية أخرى فإن البغدادى بما جبل عليه من نفسية متميزة بالعدل والإنصاف لم يكن مندفعاً كأقرانه إلى الانتقام من الإخوان، ولا يمكن فهم مثل هذه الفكرة فهماً تاماً إلا إذا ما قارنا بين موقف الإخوان من قادة آخرين من رجال الثورة وموقف هؤلاء القادة من الإخوان، وليس هذا مقام مثل هذه المقارنة.

على أننا مع هذا نستطيع أن نشير بوضوح إلى موقف البغدادى من الإخوان بعد وقوع صدامهم الكبير مع الثورة (حادث المنشية) وهو موقف مهم جداً وقد وصل قمة منحناه فى امتناع البغدادى أو رفضه رئاسة اللجنة التى تولت محاكمتهم، وهذا هو نص ما يذكره البغدادى نفسه فى أحد أحاديثه عندما سئل «عندما شكلت محكمة الشعب لمحاكمة الإخوان لم تقبل الدخول فيها. فلماذا؟» وقد أجاب البغدادى بقوله:

«لم تكن محاكمة الإخوان إلا نوعاً من الانتقام فنحن لم نختلف معهم فى وجهات

النظر أو فى موضوع سياسى، ولكننا نحركنا لمحاكمتهم بعد حادث المنشية وكنت وقتها رئيسا لمحكمة الثورة ، وكنا نقوم بمحاكمة السياسيين بحثا عن الحقيقة ، وليس انتقاما منهم ، من هنا رفضت الدخول فى محاكمة الإخوان ، وفضلت أن أكون بعيدا ، ورحبت ألا تكون محاكمتهم من خلال محكمة الثورة .»



بل إن البغدادي فيما قبل هذا يصرح [أو يعترف] فى مذكراته بجوهر السياسة الميكافيلية المبكرة التى استقر مجلس قيادة الثورة على الأخذ بها فى التعامل مع الإخوان فيما بعد أسابيع قليلة من نجاح الثورة واستقرارها، وهو يروى فى مذكراته تفاصيل مهمة عن التوجه أو الخط التكتيكى الذى أثره هو وزملاؤه فيقول:

«... وكان مجلس قيادة الثورة قد اجتمع فى استراحة وزارة المعارف الموجودة بمنطقة أهرام الجيزة يوم ١٨ ديسمبر ١٩٥٣ لمناقشة بعض الموضوعات ، وكان من أهمها النظر فى أهداف الإخوان المسلمين وما يسعون إليه من الاستيلاء على السلطة وكيف يمكن مقاومتهم والقضاء على جماعتهم ، خاصة أنهم كانوا يعملون على التوغل بتنظيماتهم داخل صفوف الجيش والبوليس ، ونوقش موقفنا حيالهم ، وحيال هذا الاتجاه منهم وهل نعمل على حل جمعيتهم؟ أو نستفيد من الانشقاق الذى كان قد تواجد بينهم؟».

لا يخفى البغدادي أن مجلس قيادة الثورة كان قد بدأ يفكر بطريقة ميكافيلية فى التعامل مع الإخوان بخطوات متعددة ومحسوبة ، ويبدو للقارئ أن رجال الثورة بمن فيهم البغدادي كانوا قد اكتشفوا أساليب فعالة فى مجابهة قوة وسطوة ونفوذ الإخوان المسلمين الذين كانوا يعانون فى ذلك الوقت من غياب المرشد العام المؤسس ومن تعدد الزعامات وصراع الأجنحة المختلفة ، وفى مذكرات البغدادي فقرات مختصرة تجيد تصوير استراتيجية قادة الثورة فى التعامل مع الإخوان:

«... ورئى أن حل جمعيتهم سيزيد من العطف عليهم ويدفعهم إلى التماسك وضم صفوفهم لمقاومة ودرء هذا الخطر، وأن زيادة الانشقاق بينهم هى الوسيلة لإضعافهم ، وتفكيك صفوفهم ، خاصة وأن قاداتهم كانوا لا يثقون فى بعضهم البعض كما كانوا

ضعاف الشخصية ، كما أن أفراد الخلايا في الجماعة نفسها لم يكونوا يعرفون أهداف قياداتهم الحقيقية ، وهم يتبعونهم على أنها دعوة دينية ليست لها أهداف سياسية ، وكنا نرى أنه بالعمل على زيادة الإنتاج ، وقيام المشروعات الإنتاجية الجديدة ، وزيادة الخدمات للشعب ، والعمل على تحسين الموجود منها فإن ذلك مع الوقت يزيد من قوة الثورة ويضعف من مركز الإخوان المسلمين ، وكان قرارنا في النهاية على ضوء تلك المناقشة هو العمل على زيادة الانشقاق الموجود بينهم والعمل أيضاً على زعزعة ثقة مَنْ يتبعهم في أشخاص قياداتهم».

ومن الجدير بالذكر أن البغدادي كان حريصاً على أن يذكر في مذكراته تفصيلات كثيرة تتعلق بموقف الإخوان المسلمين من إتفاقية الجلاء عن مصر وأن الأستاذ الهضيبي أعلن أن هذه الاتفاقية خيانة وطنية للبلاد(!!).

.....

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن البغدادي قد ظل على مجمل آرائه فيما يخص علاقاته المبكرة بالإخوان المسلمين، ومن الجدير بالذكر والإنصاف أن نشير إلى أن البغدادي لم يغير في روايته شيئاً ما بين ١٩٧٧ حين نشر مذكراته و١٩٩٦ حين أدلى بمذكرات مطولة لنصف الدنيا، وذلك على الرغم من تبدل موقف القوى السياسية [والأشخاص] من الإخوان والتنظيمات الإسلامية بعد التجارب الدامية التي شهدتها الربع الأخير من القرن العشرين.



وكشأن كل الشبان الوطنيين المتحمسين المتطلعين إلى خدمة وطنهم ، فإن عبداللطيف البغدادي لم يقف بتفكيره عند حد النشاط الوطني السري أو التعاون مع حركة الإخوان المسلمين ، ولكنه كان يفكر أيضاً في الاتصال بالملك أو برجال القصر. ويبدو لنا بوضوح أن البغدادي لا يجد ما يمنعه عن أن يروي - دون حرج - قصة حدوث الاتصال بين مجموعته وبعض رجال القصر الملكي، وليس معنى هذا أن توجه إلى البغدادي سهام النقد التقليدية من قبيل أنه كان مرشحاً للانضمام لتنظيم كالحرس الحديدي أو التنظيمات المشابهة التي كانت على صلة بالقصر الملكي، ولكن ما يؤكد

هذه الرواية أن البغدادى وزملاءه كانوا نتيجة للتفكير المستمر فى مستقبل وطنهم يفكرون فى طرق كل باب يُمكن أو يُتوقع تحقيق الأهداف الوطنية من خلاله ، ويبدو لنا من السياق التاريخى أن تاريخ اللقاء الذى يشير إليه البغدادى يقع فيما بين فبراير ١٩٤٢ (حيث وقع حادث ٤ فبراير) وفبراير ١٩٤٦ (حيث توفى أحمد حسنين) وفى هذه الفترة فإن الملك فاروق كان لا يزال بمثابة قبلة الولاء للحركات الوطنية التى تظن أن بمقدورها أن تخلص مصر (والملك) من الاحتلال البريطانى.. على حين أن الفكر الثورى قد تطور بعد هذا إلى تخلص مصر من الملك والاحتلال البريطانى معا ، ثم تطور إلى أهمية تخلص مصر من الملك أولاً ثم من الاحتلال البريطانى بعد ذلك .

يروى عبد اللطيف البغدادى تفاصيل لقاءه بأحمد حسنين باشا فيقول:

«... طرأت على ذهنى فكرة الاتصال بأحمد باشا حسنين رئيس الديوان الملكى لمعرفة الحقيقة منه عن دور النحاس والشائعات التى ترددت حول موقفه ، ولم يكن لى به سابق صلة أو معرفة وإنما دفعنى إلى ذلك ما كان يكتب فى بعض الصحف المصرية عن وطنيته والإشادة به. واتصلت به تليفونياً وطلبت مقابلته مشيراً إلى أننا ضباط من السلاح الجوى ، فحدد لنا موعداً للقاءه بعد ظهر اليوم التالى من إجتماع النادى».

«وذهبت إليه يرافقتى الملازم طيار عبد الحميد الدغيدى ، وأوضحنا له أن طلب المقابلة هو بغرض استيضاح موقف النحاس من الأزمة ، وأنه إذا كان قد اتخذ هذا الموقف رغبة منه فى الانفراد بالسلطة والتعاون مع الإنجليز دون النظر إلى صالح الوطن فإننا نرى أن الواجب الوطنى يدعونا إلى قتله فى هذه الحالة لأنه يعتبر خائناً لبلاده».

«وكنا متأثرين بما يتردد من شائعات حول موقف النحاس ، ويظهر أن هذا الكلام أزعجه وخشى أن يصبح شريكاً معنا لو أقدمنا على هذه الخطة باندفاع الشباب الذى كان يملؤنا».

«لهذا فقد أخذ يعمل على تهدئتنا طالباً منا ترك الأمر لمولانا كما قال ليتصرف فيه بحكمته ، موضحاً أن الإنجليز كانوا يهدفون إلى عزل الملك ، ولكنه - أى الملك - أفسد عليهم خططهم. وخرجنا من عنده ولم نعرف الحقيقة عن موقف النحاس ولو أننا

أحسنا من ثانيا الحديث أن النحاس لم يكن متواطئاً مع الإنجليز كما كان يشاع ، ولكنه اتخذ هذا الموقف اعتقاداً منه أنه أحسن الحلول لمواجهة هذا الموقف العصيب».



بل إن البغدادي لم يقف في تفكيره الثواب من أجل حرية وطنه عند حدود وطنه مصر، وإنما كان وعيه السياسي قد مهد له أو هداه إلى التفكير في جدوى التعاون مع نظراء عرب من أجل إنقاذ فلسطين ، وتلقى مذكرات البغدادي وأحاديثه ببعض الأضواء على قصة التعاون بين البغدادي و فوزي القاوقجي قائد جيش التحرير وهو الجيش الذي نشأ وتكون من أجل مساعدة عرب فلسطين ، وفي حرب ١٩٤٨ قام البغدادي بالاتصال بفوزي القاوقجي، وكان البغدادي مع بعض زملائه الطيارين يقومون بنقل الأسلحة الخفيفة والذخيرة من مصر إلى جيش التحرير، كما قام البغدادي بمقابلة القاوقجي ليعرض عليه المشاركة في المعركة بتهريب طائرات من سلاحنا الجوي المصري ، وليس صعباً أن ندرك الأسباب الطبيعية وراء هذا الاختصار في الحديث عن هذه الجزئيات في ظل ماتبلور بعد هذا من اضطراب علاقات الثورة وتوترها مع كثير من الأنظمة والتنظيمات العربية ، ولكن من المهم أن نشير إلى أن نشاط البغدادي في العمل العام قبل الثورة قد شمل هذا الجانب الذي أوردته مذكراته ، وهو ما يدلنا [حتى بدون أن يقصد البغدادي] على مدى تغلغل روح القومية العربية والإيمان بالعروبة في نفوس البغدادي ونظرائه من الشباب الوطنيين منذ ما قبل قيام الثورة ، وهو ما يدلنا أيضاً على أن العروبة لم تكن حدثاً جديداً أحدثته الثورة.

على أن ندرة حديث البغدادي عن نشاطه في المحيط العربي فيما قبل الثورة لا ينفي أن عبد اللطيف البغدادي يمتاز عن أقرانه من قادة الثورة والضباط الأحرار جميعاً بإلمام أفضل بالشئون العربية قبل قيام الثورة ، فقد أتاحت له الظروف الاتصال باليمن وأزماتها وثورتها المبكرة في ١٩٤٨ ، فضلاً عن اتصاله بفوزي القاوقجي وجيش تحرير فلسطين كما ذكرنا ، كذلك كان أتيح له اتصال مباشر بكثير من الضباط السوريين واللبنانيين والعراقيين ، وقد ساعده هذا كله على الإلمام بكثير من الحقائق وسعة الأفق فيما يتعلق بهذا المحيط المهم.

ورغم هذا الاقتضاب الذى أشرنا إليه فإنه يدهشنا فيما يرويه البغدادي مساحة الجراءة والجسارة التي كان يتمتع بها أبناء هذا الجيل من أجل تحقيق الأهداف العربية ، فالبغدادي ينتهز فرصة وجوده في دمشق في مهمة رسمية ويذهب للقاء فوزى القاوقجي ويلح عليه في أن يهرب هو وزملاؤه بالطائرات المقاتلة إلى سوريا ثم يشاركون في المعركة ، ومن أجل هذا يطلب البغدادي إلى القاوقجي أن يعمل على تجهيز مطار سري في شرق دمشق وأن يطلب انتداب بعض زملائهم من مصر من أجل إعداد هذا المطار .

يروى البغدادي بعض تفاصيل هذه الجهود فيقول :

«وكنت أقوم مع بعض زملائي الطيارين من حين لآخر بنقل بعض الأسلحة الخفيفة والذخيرة من مصر إلى جيش التحرير ، وكنا نقوم بالنزول بطائرتنا في أغلب الأحيان بمطار دمشق بسوريا، وفي بعض الأحيان نستخدم مطار المفرق في الأردن لهذا الغرض».

«وقد انتهزت فرصة وجودي في إحدى المرات في دمشق وذهبت إلى منزل فوزى القاوقجي بغرض طلب اللقاء معه ، وكان يرافقني الطيار عبد الحميد الدغيدى في تلك المقابلة التي تمت بيننا ، وتناول حديثنا إليه رغبة الكثير من زملائنا الطيارين في التطوع للقتال مع جيش التحرير، وأن رئاستنا تقف موقف المعارضة من هذه الرغبة ، وتقدمت إليه باقتراح إمكانية مساندة جيش التحرير ببعض من الطائرات المقاتلة من سلاحنا الجوي المصري ، وذلك عن طريق هروبنا بعدد من تلك الطائرات إلى سوريا ثم المشاركة بها في المعركة ، فأظهر بعض التردد في البداية لكنه عاد وتحمس للفكرة عندما أحس بتحمسنا وإصرارنا وقال إنه سيعمل من جانبه أيضاً على إقناع بعض الطيارين العراقيين للانضمام إليه بطائراتهم ، ومن أنه سيطلب منا تنفيذ تلك الفكرة عندما يحين الوقت المناسب للدخول في معركة فاصلة مع اليهود ويكون استخدام الطائرات فيها عنصراً مساعداً لتحقيق النصر وإنهاء المعركة نتيجة المفاجأة في استخدام الطائرات وفعاليتها».

«وطلبنا منه أن يعد لنا مطاراً سرياً شرق دمشق وأن يبعد عنها ما لا يقل عن ستين كيلومتراً حتى يمكننا استخدامه في عملياتنا، وأن يعمل أيضاً على انتداب حسن

إبراهيم والملازم الفنى زكريا سليمان من قسم التسليح بسلاحنا الجوى وذلك بغرض أن يقوم حسن بالإشراف على إعداد ذلك المطار السرى ، وأن يقوم زكريا بالتجهيز والإشراف على إنتاج القنابل التى سنحتاج إلى استخدامها فى عملياتنا بعد الهروب بطائراتنا إلى سوريا والاستقرار بها هناك ، ولم يكن حتى ذلك الحين لدى سوريا سلاح جوى».



ومن حسن الحظ أن فكرة البغدادى وزملائه قد لقيت الترحيب والتنفيذ ، بل إنه قد تم لهذا الجيل من نصور الجوى المصريين المساعدة فى إنشاء السلاح الجوى السورى:

«.... وبعد أن مضى ما يقرب من الشهر على هذا الاتفاق بيننا وصل إلى وزير الحربية المصرى [خطاب] من وزير الحربية السورى يطلب منه فيه السماح لهم بانتداب كل من حسن إبراهيم وزكريا سليمان إلى سوريا للاستعانة بهما فى إنشاء سلاح جوى ، ولم تكن قيادتنا بطبيعة الحال تعرف شيئاً عن إتفاقنا مع فوزى القاوقجى. وتمت الموافقة على انتدابهما وسافرا إلى سوريا ، وتقابلا مع وزير الحربية السورى وتحدث إليهما عن المهمة التى ستوكل إليهما وهى ما سبق الاتفاق عليه مع فوزى القاوقجى ، كما أن سوريا كانت من جانبها قد أوفدت ضابطين للالتحاق بسلاحنا الجوى وهما محمود الرفاعى وعلى الدالاتى بحجة التدريب عندنا ، ولكن كان مهمتهما الأساسية والمتفق عليها هى أن يكونا ضابطى اتصال بين فوزى القاوقجى وبيننا».

ويشير عبد اللطيف البغدادى كذلك إلى أنه كان قد مضى فى خطوات متلاحقة فى سبيل الاشتراك الفعلى للطائرات المصرية المقاتلة فى معاونة جيش التحرير بقيادة القاوقجى:

«وأما من ناحيتنا فقد نشط تنظيمنا فى القوات الجوية فى إعداد الطائرات المقاتلة التى سنقوم بالهروب بها للقتال ، وقد تم تجهيز خمس عشرة طائرة ، وذلك بتركيب مدافعها الرشاشة بها، وكانت منزوعة منها ، كما ركبت أيضاً حوامل القنابل بها حتى يمكن إستخدامها فور الاحتياج إليها ، وقد تم ذلك كله دون علم القيادة المصرية بسلاحنا الجوى. وكانت تجربة لتنظيمنا أثبت فيها قدرته واستعداده ، وكان قد تم الاتفاق أيضاً

مع زملائنا الطيارين الذين سيقومون بهذه المخاطرة ، ومع بعض الميكانيكيين الجويين الذين كان لابد من إنتقالهم معنا إلى سوريا للعمل على صيانة الطائرات هناك».

«ونم لذلك تجهيز طائرتي نقل «داكوتا» لاستخدامهما فى نقل الميكانيكيين الذين سيتم نقلهم فى نفس اليوم الذى ستتحرك فيه الطائرات المقاتلة وتتجه إلى سوريا».

«وأصبحنا بذلك مستعدين للتحرك عندما يطلب منا ذلك ، ولكن الأيام دارت والمعركة مستمرة بين الشعب الفلسطينى وجيش التحرير وبين المنظمات العسكرية اليهودية.. وظللنا ننتظر الإشارة من فوزى القاوقجى للتحرك... ولكنها لم تصل إلينا».



ومن الطريف أن البغدادي لم يضمن مذكراته الأولى شيئا من الرواية عن علاقته القديمة باليمن فى عهد الأئمة ، فقد كانت العلاقات المصرية - اليمنية لا تزال متأثرة بالتدخل المصرى فى اليمن ، ولكنه فى ١٩٩٦ بعد أن انقشعت غيوم العلاقات المتوترة نراه يفيض فى حديثه عن ذكرياته عن سفره إلى اليمن ولقائه بحاكمها وهدية الحاكم ، وهو يشير إلى سيف يحتفظ به ويقول:

«هذا السيف هدية من حاكم اليمن ، لأننى كنت أول من هبط بطائرتي على أرض اليمن فى فبراير ١٩٤٨ ، فلم تكن هذه الأرض معدة للنزول عليها بالطائرة».

عبد اللطيف البغدادي
شهيد النزاهة الثورية

3

فكره السياسي والتنموي

الفصل الأول : ملامح فكره السياسي
الفصل الثاني : مذكراته السياسية
الفصل الثالث : فكره التنموي

دار الخيال

الفصل الأول : ملامح فكره السياسي

لا أستطيع أن أمضى في وصف أو تحليل فكر البغدادي دون أن أبدأ بالإشارة إلى عنايته بالجانب الخلقى في السياسة ، فقد كان على خلاف كثير من أقرانه مؤمنا بأن الاخلاق لابد أن تحكم الممارسات السياسية ، وأنه لا يليق بالسياسة أن تنازل عن الاخلاق ، وسوف نرى أن هذا الايمان كان وراء كثير من أزمات البغدادي مع زملائه جميعا ، بل إن البغدادي كان دائما ما ينتقد الأساليب المكيافيلية التي لجأ إليها زملاؤه في بعض الأحيان ، وكان يراجعهم في قراراتهم من هذه الناحية ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولن أستبق الوقائع أكثر من هذا فسوف نجد في هذا الباب كثيراً من الأدلة على هذا المعنى من خلال مواقفه في مجلس الأمة أو في مجلس القيادة قبل هذا أو مجلس الرئاسة بعد هذا.

وسنلاحظ فيما يرويه البغدادي عن آرائه المبكرة أنه شأنه شأن الأسوياء الذين لا يزالون يتمتعون بنقاء الفطرة لم يكن قد انتبه بالقدر الكافي إلى هذا المعنى الخلقى في نفسه بقدر كاف ، ولكن رواياته تنبئ عن مدى القدر الذي كان تتحكم به هذه السمة الأخلاقية في ممارساته.

ولا يعني هذا قليلا من قيمة أقران البغدادي ، فنحن نعرف كثيراً من الأقران الذين نفاجأ حين توليهم المسؤولية وقد تفاوتت التزاماتهم بالأخلاق ، ومن ثم تختلف درجة تقبلهم للأوضاع وللמواقف التي تقابلهم ويقابلونها في الحياة ، لعلني أريد أن أقول إن البغدادي كان منضبط الفكر إلى حد بعيد ، ولعلني أريد أن أقول أيضا إنه كان منضبط

السلوك أيضا إلى حد بعيد ، وقد كان هذا الالتزام أو الانضباط مكلفاً كما نعرف ، فهو عبء على الأعصاب وعلى العقل وعلى البدن ، كما أنه ليس بإمكان الكثيرين أن يكونوا كذلك.

ونحن نستطيع أن نجد ظواهر كثيرة لانضباط البغدادى فيما نقرأه من أحاديث وروايات وحوارات ووقائع ، كما أن بوسعنا أن نلاحظ أنه كان يلزم نفسه قبل أن يلزم الآخرين وأنه لم يكن يألو جهداً فى تحقيق هذا الالتزام ، بل إنه فى بواكير ممارسته للسياسة كان يظن أن بإمكانه أن يجعل الآخرين يلتزمون على نحو ما هو ملتزم.. بل إنه ترك السلطة قبل أن يبلغ الخمسين بكثير وهو يظن أنه لابد لهؤلاء الذين بقوا فيها أن يدركوا إن عاجلاً أو آجلاً مدى الخطأ الذى يرتكبونه بابتعادهم عن الالتزام.

ولعل كتابة البغدادى لمذكراته تدلنا على هذا الخلق البارز فى شخصيته دون زملائه ، فقد وجد أن من واجبه أن يسجل الأحداث على نحو ما حدثت فالتزم بكتابة يومياته على الرغم من الإرهاق الشديد الذى كان يعانیه فى كل يوم ، وقد أصبحت المذكرات التى استعانت بهذه اليوميات بمثابة مصدر من أهم مصادر كتابة تاريخ الثورة.

ويبدو أن التزام البغدادى الخلقى لم يكن بمثابة العامل المستقل فى شخصيته ، وإنما كان بمثابة أحد العوامل المكونة لشخصيته الحضارية المتكاملة إلى حد معقول ، فنحن نراه فى إنجازاته وآرائه وأفكاره أكثر قادة الثورة عناية بالجانب الحضارى ، وهو الجانب الذى لم يكن يلقي - على الإطلاق - أدنى اهتمام من معظم زملائه الآخرين ، بل ربما ظن بعضهم أن الاهتمام بهذا الجانب مما يعوق مسيرة الثورة.

ومن حسن الحظ أن كثيراً من أفكار البغدادى قد تحولت إلى إنجازات ، ولهذا فإننا نجد فى هذا الباب حديثاً عما تمثله بعض هذه الإنجازات من فكر كان من حظه أن وجد السبيل إلى التنفيذ على أرض الواقع.

التوجه السياسى للثورة: فى حديثه لمجلة الشباب (ديسمبر ١٩٨٨) يسلور عبد اللطيف البغدادى خلاصة تجربة الثورة مع التنظيمات السياسية ، ويبدو - واضحاً - وكأنه يعطى الرئيس جمال عبدالناصر العذر فى انتهاج الأسلوب السياسى الذى انتهجته الثورة بقيادته على الرغم من معرفته بخطورة مثل هذا الأسلوب وعقمه فيما يتعلق بمشاركات

الشعب وإيجابياته ، بل إن البغدادى يعتمد هذه الرؤية التبريرية كمدخل للحديث عن نجاح السادات فى ١٥ مايو ١٩٧١ فى القضاء على مَنْ يسميهم: «موظفو عبدالناصر» الذين كانوا فى نظره ونظر السادات: «خوافون».

يقول البغدادى:

«فى الحقيقة أن عبد الناصر لم يكن يعتمد على تنظيم سياسى حقيقى ، سواء كان شعبيا أو حتى تنظيميا حكوميا قويا.. لأن أى تنظيم قوى كان سيمثل قيدا عليه وهو كان يحب أن يكون مطلق الحرية فى اتخاذ القرار ، خصوصا أن الظروف الدولية وقتها بما تتضمنه من تحالف القوى الاستعمارية والرجعية لهدم الثورة والتآمر عليها.. وأيضا الشعب الذى ينتظر التغيير بفارغ الصبر.. وكل هذا كان يتطلب قرارا سريعا.. وأى تنظيم يستلزم وقتا طويلا وجهدا كبيرا لكى يأخذ منه الموافقة على قراراته والاعتناع والاستجابة لتوجهاته ومواقفه .. وربما لم يكن هذا ممكنا فى ظل هذه الظروف ، كل هذا جعل عبدالناصر يعتمد على موظفين كبار مثل سامى شرف وعلى صبرى وغيرهما.. لأنهم كانوا لا يمثلون أى قيد عليه .. فهم فى النهاية موظفون ينفذون الأوامر فقط.. وبعد أن مات عبد الناصر وجدوا أنفسهم فجأة فى قمة السلطة .. حتى إنه بعدما تخلص منهم السادات فى ١٥ مايو ١٩٧١ فيما أسماه القضاء على مراكز القوى.. جلست مع السادات وقلت له: إن هؤلاء كان يمكنهم التخلص منك بمتهى السهولة وكان يكفيهم فقط وضع ١٥ جنديا على باب بيتك ومنع الدخول والخروج منه ، بالإضافة إلى قطع الاتصالات التليفونية عن منزلك.. ثم ينشرون فى وسائل الإعلام أنك استقلت ، وأنهم قبلوا استقالتك وينظمون عددا من مظاهرات التأييد لهم فى الشارع.. ووافقنى السادات وقتها وقال لى: نعم.. كانوا يستطيعون القضاء على بسهولة كما قلت.. لكنهم لم يفعلوا لأنهم خوافون!».

«وأقول لك إن السادات استطاع ببساطة التخلص منهم بسهولة برغم أنهم كانوا يدعون التمسك بخط عبدالناصر.. وبنفس السهولة استطاع أن يسير فى عكس الطريق الذى سلكه عبدالناصر فى معظم المواقف والسياسات داخليا وخارجيا ، وقد تم كل ذلك لأنه لم توجد هذه التنظيمات الشعبية التى تفرز القيادات الصالحة التى تستطيع أن تدافع عن توجهات عبدالناصر بحيث لا يستطيع أحد أن يفكر مجرد تفكير فى الارتداد عنها».

لم يكن يؤمن بالأحزاب السياسية؛ ويتصل بهذا المعنى إحجام البغدادى عن المشاركة فى الأحزاب السياسية من خلال التجربة الليبرالية فى عهد السادات ، فقد كان يؤمن بكل وضوح بأنه أكبر من الأحزاب ، بل إن البغدادى كان لا يزال يتصور نشاط الأحزاب وكأنه لا يزيد عن نوع من أنواع المهاترات ، ولسنا نظلم البغدادى باستنطاقه هذا الرأى ، فالقراء يعرفون أن كثيراً من ذوى المكانة فى وطننا لا يزالون حتى الآن يعبرون بمثل هذه الأقوال عن رأيهم فى الممارسات الحزبية والسياسية ، وهذان سؤالان وجوابان من حوار مع مجلة نصف الدنيا:

«سألت نصف الدنيا: فى عهد السادات حاولتم إنشاء حزب باسم «حزب الجبهة» لماذا لم يخرج إلى النور؟ وماذا كانت أهدافه؟».

«وأجاب البغدادى: لم يكن حزبا فى البداية.. فقد أسميناه «الائتلاف القومى» ، وكنا مجموعة من السياسيين الوطنيين الذين لهم آراؤهم ، وكان هدفنا مناقشة الأوضاع الداخلية ، ومواقف السادات وتصرفاته واتجاهاته ، ثم جاء محمود القاضى - رحمه الله - وقال نسميه حزب الجبهة بدلا من الائتلاف القومى ونجعله حزبا معارضا ، لكن لم نأخذ بالفكرة ولم تنفذ».

«سألت نصف الدنيا: ولماذا لم تنفذ؟».

«وأجاب البغدادى: أنا لم أوافق.. فقد كنت ضد هذه الفكرة ، فأنا بطبيعتى رجل ثورى ضد الأحزاب والمهاترات ، كما أنه فى هذا الوقت كان هناك ما يسمى بالمنابر.. إبراهيم شكرى منبر ، وخالد محبى الدين منبر.. وهكذا.....».



استهدفه التغيير السياسى الحقيقى بعيدا عن الشعارات؛ بحكم ما تميز به البغدادى من سعة أفق نسبية فإنه منذ مرحلة مبكرة كان قد وصل إلى الاقتناع بخطورة الإطلاق العشوائى للشعارات ، وفى المقابل فإنه كان معنيا بتغيير سياسى حقيقى لا مظهرى ، ولم يكن من أنصار الحديث فى المطلق والبعد عن مواطن المشكلات إلى آفاق نظيرية.

وهو على سبيل المثال يتحدث عن أحد الحوارات التى دارت فى مطلع الستينيات حول تجديد الثورة فيقول:

«وتكلمت من بعده (أى من بعد الرئيس جمال عبدالناصر) عن المعنى الذى أفهمه

عن قيام ثورة ، وهو أن يفاجأ الشعب بقيادة جدد قاموا عن طريق القوة واستولوا على السلطة لأمر ما ، أى أساساً أنهم كانوا بعيدين عن مركز السلطة ثم عملوا بطريقة أو بأخرى ثورة للاستيلاء على هذه السلطة ، ولكننا والسلطة فعلاً فى أيدينا سنقوم ونعلن عن قيام ثورة ، ونشكل لها مجلس قيادة ، وهذا يتناقض مع مفهوم قيام ثورة ، وما سنفعله هو افتعال قيامها ، وأى ثورة تقوم غالباً ما تكون قيادتها متفقة ومؤمنة بأهداف معينة ، وروح الثورة تملأ نفوسهم ، والانسجام الفكرى تام بينهم».

ويواصل البغدادي تحفظاته على أسلوب الافتعال السياسى الذى يستهدف التجديد فى الحياة السياسية فيقول:

«.... ولكن هذا المجلس المقترح سيشكل من أعضاء لا تتوافر فهم هذه الأسس الضرورية لمثل هذه القيادة ، فلا تجانس فكرى بينهم ولا إيمان بأهداف مشتركة ، وربما يكون أول لقاء بين البعض منهم والبعض الآخر هو فى مجلس الثورة المقترح ، بل منهم أيضاً مَنْ سيعلم أنه قد أصبح عضواً بمجلس الثورة عندما يقرأ صحف الصباح ، وهل يمكن لمثل هذا المجلس أن يحقق الهدف من قيام ثورة حقيقية يلمسها الشعب ، وإن اتضح للشعب أن هذا المجلس لا يحمل من الثورية إلا اسمها فقط - وغالباً ما سيتضح له ذلك - فإن الأمر سينقلب إلى عكس ما نهدف ، ووجود مثل هذا المجلس يصبح ضرره أكثر من نفعه ، وسيضعف من قوة النظام وهيئته».



وفى المقابل يبلور البغدادي فكرته المعنية بتطوير الممارسة السياسية الشعبية بطريقة جيدة ويقول:

«وليس المهم وجود مجلس ثورة إنما المهم هو الفعل الثورى فى حد ذاته الذى يتأتى بأن نتصرف كثوار ، وأن ندفع عجلة العمل بروح ثورية يحس بها المواطنون ، وعن هذا الطريق يمكن لنا أن نسترد ما خسرناه من هيئتنا».

ويستطرد البغدادي إلى ما يؤكد به على هذا المعنى فيقول:

«وتساءلت عن الكيفية التى سيتم بها اختيار أعضاء المجالس الثورية فى المصانع والقرى ، وهل لدينا علم بأشخاصهم ، وهل يمكن لنا الاعتماد عليهم ، وأبدت تخوفى من أنهم ربما سيئون التصرف بعد أن نلصق بهم صفة الثورية وبذلك نسيء إلى الشعب وإلى أنفسنا أيضاً. وأشارت إلى أن الشعب سيعقد مقارنة بين هذا المجلس

المقترح ومجلس الثورة الذي قام عقب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وإن لم يثبت ذلك المجلس الجديد وجوده بالأفعال فسيصبح موضع التندر منه وعامل ضعف لا عامل قوة للنظام».



ونحن نجد صدى لكل ما آمن به البغدادي في تصرفاته المبكرة ، وقد تأملت مارواه البغدادي نفسه عن مشاركاته العامة فوجدته يتخذ في بواكير أيام مسئوليته موقفاً مهماً ، فهو كما يروي بنفسه قد راعه - على سبيل المثال - الموقف الذي اتخذته الدكتور محمد زكي عبد المتعال في محكمة الثورة حين كان قاسياً على قيادات الوفد مع أنه زاملهم في وزارة النحاس الأخيرة ، وعلى الرغم من أن الدكتور محمد زكي عبد المتعال تعاون مع المحكمة وبرأ نفسه إلا أنه لم يكن في نظر البغدادي يؤدي حقوق المواطنة كما يجب ، ولهذا فإن البغدادي أدانته بهذه التهمة ، وحكم عليه بمقتضى القانون الروماني الذي يسقط المواطنة عن الشخص.

وهذا هو ما يرويه البغدادي بنفسه عن هذا الموقف حيث يقول:

« أثناء محاكمة فؤاد سراج الدين حضر زكي عبد المتعال - وزير المالية في عهد سراج الدين شاهداً عليه ، وكان لهذا الرجل ذاكرة حديدية ، وقد تحامل على سراج الدين فاستفزني فوجهت إليه أسئلة أدنته فيها وحكمتنا عليه حكماً رومانياً لأنه مواطن أساء إلى مواطنته بمواقفه السيئة التي لم تراع الصالح العام ، وقد سمى نفسه زكي عبد المتعال سابقاً».

يشير البغدادي إلى ما كان زكي عبد المتعال يتندر به على نفسه بإضافة « سابقاً » إلى اسمه تنفيذاً لحكم محكمة الثورة ، وقد نقلت الرواية على مسئولية البغدادي على الرغم من أنها غير شائعة ، أما الشائع فهو أن محمد كامل القاويش هو الذي أطلق على نفسه اسم محمد كامل القاويش سابقاً.



ومع هذا الموقف الخلقى فإن البغدادي شأنه شأن مجموع أعضاء مجلس قيادة الثورة لم يكن على استعداد لفهم معنى احترام الملكية كما أنه لم يكن استعداداً للتعمق في ديناميات الحياة الاقتصادية ، وهو ما يكشف عنه بوضوح حديثه المسهب عن مطالعته

مع زملائه لكشوف الأثرياء الذين تزيد ثرواتهم على مائة فدان أو عشرة آلاف جنيه من أسهم الشركات ، وسنرى انطباعاته «بكرية» تماماً خالية من فهم أسس القانون المدني ، بل أسس الحالة العامة ، وهى فى الواقع أقرب إلى التأثير بالديماجوجية المطلقة:

يتول عبد اللطيف البغدادى فى معرض حديثه عن الإجراءات التخطيطية التى اتخذتها حكومة الثورة عقب وقوع الانفصال:

«.... فى مساء اليوم التالى عرضت علينا [الكشوف] بأسمائهم التى كان قد طلب إعدادها ، وكانت هذه هى أول مرة يتم فيها حصر أصحاب الأراضى الزراعية ممن كانت ملكيتهم تزيد على المائة فدان (هكذا يقول البغدادى مع أن كتب الرافعى المنشورة قبل الثورة كانت حافلة بمثل هذا الحصر) وكذا المالكين لأسهم فى الشركات التى كانت تزيد قيمة ما يملكون منها على عشرة آلاف جنيه. واتضح لنا من تلك الكشوف أن الذين يملكون أكثر من مائة فدان أغلبهم من المصريين ، أما أغلب أسهم الشركات فكانت فى أيدي الأجانب والمتمصربين ، ولا يملك المصريون منها إلا القليل. وكان واضحاً أيضاً أن الثروة القومية كانت فى أيدي أفراد قلة من الأجانب وبعض عائلات إقطاعية كانت تملك الأراضى الشاسعة فى عديد من المحافظات ، وذلك بخلاف المبالغ الضخمة قيمة ما كانت تملكه أيضاً من أسهم فى الشركات. ومثلاً فرنسوا تاجر ، له من الأولاد القُصّر أربعة ، وكل منهم يملك ما يزيد على نصف مليون من الجنيهات ، وهى قيمة الأسهم التى يملكونها ، وكذا زوجته ، وهو متمصر وليس بمصرى ، وقد بدأ نشاطه فى صناعة النسيج فى مصر بعد قيام الثورة وبسلفة من الدولة ، وكون هذه الثروة الضخمة فى مدة لا تزيد على سبع سنوات ، وذلك على حساب جهد العامل واستغلال المستهلك أيضاً. وهناك غيره كسباهى وباسيلى وعبود وآخرين».

لعل القارئ يعجب من هذه الحقيقة التى يكشف عنها البغدادى وهى أن فرنسوا تاجر كون ثروته الضخمة هذه فيما بعد قيام الثورة بعدما بدأ الاستثمار فى صناعة النسيج ، ولهذا فإن علينا أن نتأمل من ناحية أخرى مدى ما كان يمكن للاستثمار الصناعى أن يحققه لو أن الثورة واصلت الاهتمام بتوفير مناخ الاستثمار بدلاً من ذبح الدجاجة التى تبيض ذهباً.

ونستأنف قراءة ما يرويه البغدادي مما يؤكد على فكرتنا عن توجهاته في هذه الجزئية:
«ولمسنّا باطلاعنا على هذه الكشوفات الواقع المرير وهو أن هؤلاء الملايين من البشر في بلادنا يشقون من أجل حفنة قليلة من الناس لا يزيد عددهم على المئاة بل قل العشرات ، وباليتهم من أبناء مصر بل أغليتهم غرباء عنها».

«وقد تقرر اعتقال البعض منهم أيضاً وهم من كان لهم نشاط مضاد للثورة خلال تلك الفترة ، وتقرر كذلك إعادة بعض السياسيين القدامى إلى السجن وهم من الذين سبق أن حكمت عليهم محكمة الثورة وكان قد أفرج عنهم إفراجاً صحياً كفؤاد سراج الدين وإبراهيم فرج ، وبلغ عدد الذين تقرر اعتقالهم أو إعادة سجنهم حوالي ثلاثين شخصاً ، وكلف زكريا محيى الدين باتخاذ إجراءات اعتقالهم ، وعلى أن يتم ذلك في صباح يوم الثلاثاء ١٧ أكتوبر ١٩٦١ ، وكذا وضع الأموال والممتلكات تحت الحراسة ، واتخذت تلك الإجراءات لتأمين الثورة والحفاظ على خط سيرها ، وكان العامل المؤثر الأول في اتخاذها هو ما حدث في سوريا وموقف الرجعيين هناك من الانفصال ، ولم تكن نشاء أن يتكرر في مصر ما حدث في سوريا».



الفكر السياسي في مشروع استقالته عقب الانفصال؛ وبوسعنا أن نتأمل صورة الفكر السياسي للبغدادي متبلورة في مشروع استقالته التي كتبها (ولم يقدمها) عقب وقوع الانفصال ، فنحن نرى في هذه الاستقالة تعبيراً جيداً عن الفكر السياسي للبغدادي ، وهو نفسه الفكر الذي يمكن أن نفهمه على أنه كان بمثابة الحلقة الأخيرة من حلقات خلافات عبدالناصر والبغدادي ، وهي الحلقة التي بدأت بمحاولة الاستقالة وبتكرارها ثم بالاستقالة الفعلية والابتعاد ، وقد كنت ولازلت أعتقد أن الآثار النفسية للانفصال السوري في ١٩٦١ وانفصام عرى الوحدة تمثل واحدة من أبرز الموضوعات الكبرى التي ألقت بظلالها على فكر قادة الثورة ونصرفاتهم حتى على المستوى الفردي ، والبغدادي مثل بارز لهؤلاء كما نرى ، ومع هذا فلست أعرف سبباً لانصراف المحللين السياسيين عن دراستها وتأملها بالقدر الذي تستحقه .

ونحن نعرف بعض حقائق متفرقة عن الآثار الفورية التي حدثت نتيجة للانفصال ، ومن هذه الحقائق أن الرئيس جمال عبدالناصر أصيب بالسكر ، كما نعلم أن تورط مصر في اليمن بهذا القدر الذي تورطت به لم يكن إلا صورة أخرى من محاولات

التعويض النفسى ، ونعلم أيضا أن استقالة عبد الحكيم عامر وهى الاستقالة التى وزعت صور منها بعد حرب ١٩٦٧ كتبت فى هذه الفترة ، كذلك فإن البغدادى هو الآخر قد ضمن أوراقه استقالة كتبها بنفسه وهى استقالة أعمق فى بيانها وفكرها من استقالة عبد الحكيم الشهيرة ، لكن حسن إبراهيم نصح البغدادى بألا يقدمها لعبد الناصر ، وقد التزم البغدادى بهذه النصيحة ، ومن المهم أن نتأمل مضمون هذه الاستقالة وما تتضمنه من معانٍ.

ومن الواضح أن هذه الاستقالة كانت فى مجملها صورة من صور الحرص على مراجعة النفس عقب حدث كبير قدر له أن يهز نفسية وعقلية الذين عاصروه ممن كانوا أيضاً مسئولين بصورة أو أخرى عن وقوعه.

وليس من سبيل إلى القول بأن البغدادى كان يقلد عبد الحكيم بهذه الاستقالة ، بل ربما كان العكس هو الصحيح ، فربما تردد البغدادى فى نشر هذه الاستقالة بسبب نشر عبد الحكيم لاستقالته.. وربما كان هذا هو السبب فى أنه لم يعطها حقها الكامل فى مذكراته.

ولنقرأ ما يرويه عبد اللطيف البغدادى عن ظروف كتابته لاستقالته :

«... كنت فى يوم الثلاثاء ٣ أكتوبر ١٩٦١ قد رأيت أنه من واجبى بعد تلك الأحداث المؤلمة التى حدثت فى سوريا والتطورات التى كانت تجرى هناك ، أن أكتب خطاباً شخصياً إلى جمال أبين له فيه رأى فى الطريق الواجب علينا اتخاذه حيال تلك الأحداث ، ومستعرضاً فيه أيضاً الأخطاء الرئيسية التى كانت من ضمن أسباب ما حدث فى سوريا ، ومؤملاً أن نعمل على تلافيها فى المستقبل».

« وكتبت إليه الخطاب التالى :

«عزيزى جمال

بعد التحية...

«أكتب إليك اليوم كصديق ، تربطنا صلة الصداقة والجهاد من أجل الكفاح فى سبيل رفع شأن أمتنا. وقد أردت أن يكون خطابى هذا إليكم خطاباً شخصياً وليس بصفتى الرسمية ، وأردت أن أعبر عما فى نفسى بوضوح طارداً الحساسية بيننا جانباً ولو إلى حين فى هذه الظروف الصعبة التى تمر بها اليوم أمتنا العربية».

«ومن منطلق إيماني بوطنيتمكم وكقائد فيه من الصفات ما يحقق النصر لأمتنا ، ومع احترامي وتقديري لك ، وإيماناً مني بواجبي كوطني يحب بلاده ، كل هذا دفعني إلى مخاطبتكم بما يجول في خاطري».

ثم يبدو البغدادى متفائلاً في ظنه أن من الممكن استرداد ما فقدناه في أقل وقت مستطاع (!!) وهو يعبر عن هذا التفاؤل في فقرة من رسالته أو مشروع رسالته إلى الرئيس عبدالناصر فيقول:

«عزيزي جمال

«مما لاشك فيه أن الحدث الذي وقع في سوريا يجعل كل وطني متحمس لوطنه وعرويته يفكر ويقلب الأمر على وجوهه المختلفة عله يمكنه تحديد الطريق الذي يجب أن تسير عليه أمتنا في المستقبل ، وذلك حتى نقلل الخسائر بقدر الإمكان وندفع عجلة التقدم إلى الأمام لنسترد ما فقدناه في أقل وقت مستطاع ، وحتى يمكن لنا أن نستمر قدماً إلى الأمام لتحقيق الأهداف التي آمنا بها ونعمل من أجلها».

«ومن أجل تحقيق ذلك يجب علينا أولاً أن نفكر في الأخطاء الحقيقية التي كانت وراء ما وصلنا إليه من نتائج ، وأن نكون صرحاء مع أنفسنا وواقعين أيضاً - وتحديدًا تحديدًا واضحاً ينير لنا الطريق - طريق الصواب - فنعرف إلى أين يجب أن نسير ، والابتعاد عن الواقع يدفعنا إلى تكرار نفس الأخطاء وربما يترتب عنها نتائج تباعد بيننا وبين تحقيق أهدافنا».

«وإيماناً مني بالله وبوطني وواجبي في مثل هذه الظروف ، يدفعني إلى مصارحتكم إرضاء لضميري وأملاً في النهوض بوطننا العزيز والسير به في طريق العزة والسيادة والرفاهية تحت قيادتكم ، ولعلنا نستفيد من أخطائنا».

«وأرى أن أبدأ بتحديد النتائج التي ربما تترتب على ما جرى في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة».

هكذا يبدأ البغدادى تحليله من النهاية أو من النتائج وهو لا ينكر أنه يبدأ من النتائج على الرغم من عدم المنطقية في هذا المنهج ، لكنه يبدو أنه كان في هذا المنهج أقرب إلى مذهب القائلين بالإدارة بالأهداف ، أو كأنه يحاول أن يضبط سياسات حكومته على ما هو حتمي من نتائج متوقعة ، ونحن نراه هنا مستسلماً تماماً لما استسلم له الرئيس

عبد الناصر هو الآخر ، فهو يرى أن الانفصال أمر حتمي ، وهى الرؤية التى مثلت مكمناً الخطورة على الوحدة العربية التى لم تحظ بالإيمان العميق ممن كان عليهم أن يحموها.



فكر البغدادي يتطور إلى تكريس الواقعية: يعدد عبد اللطيف البغدادي فى استقالته المرفوعة للرئيس جمال عبد الناصر العوامل الحاكمة للأسلوب الذى يظن أن على الدولة ، وعلى الرئيس عبد الناصر - بالتالى - أن تأخذ به فى معالجة قضية الانفصال ، وسوف نرى البغدادي حريصاً فى تكريس ما يعتبره بمثابة الواقعية ، وذلك فى تأكيده على ظنه أن الانفصال سيمضى إلى نهايته ، وأنه لا أمل من توقف مسلسلته ، وعلى هذا يحاول البغدادي أن ينصح بالرضا بالأمر الواقع ، وفى نفس الوقت فإنه لا يغلق الباب أمام السعى لإحراز نجاح آخر لتعويض تلك الخسائر.. وكأنه كان دون أن يدري يشجع الدخول فى معمة اليمن من قبل أن تقع واقعتها.

يقول البغدادي:

«أولاً : أعتقد أنه بمرور الزمن - طال أو قصر - فالإقليم الشمالى سينفصل عن جمهوريتنا ، وتوالى الأحداث هناك يدل على أن هذا الأمر واقع لا محالة ، وليس لنا حيلة فيه ، إلا أننا ربما نزيد من الشقة بيننا وبينه باستمرارنا فى مهاجمة الأوضاع هناك بما نعتقد أنه يزعزع قواعد النظام فيه ويؤلب الشعب على من يتحكمون فى مصائره اليوم».

ثم يقفز البغدادي - مباشرة - إلى نتيجة مهمة وهى ضرورة البعد عن الهجوم على الحكام الجدد فى سوريا لأن مثل هذا الهجوم كفيل بإثارة التعصب ضد مصر:

«ولكن هذا الموقف منا سيدفع الحاكم هناك إلى التعصب ضدنا ويجعله يعمل دائماً فى البعد عن أى خطأ حتى لا نأخذه عليه ، وسيأخذ لنفسه طريقاً يرضى به الشعب ليدعم مركزه ، وآمل فى أن ينحاز إلى جانبه وأن يتعصب معه ضدنا ، وبذلك تزداد الشقة بينه وبيننا».



إيمان البغدادي بأهمية عنصر مهابة الزعيم: يزيد عبد اللطيف البغدادي هذه الجزئية إيضاحاً

فيتناول انعكاسات الانفصال وما أعقبه على مهابة الرئيس عبد الناصر نفسه بكل ما تمثله شخصيته من أهمية للنظام:

«إن استمرار مهاجمتنا لما يجرى هناك يدفعهم إلى مهاجمة أسلوب الحكم أثناء الوحدة معهم ، والتناول عليك بالفاظ لا يصح أن نفسح لها المجال لأنها بجانب أنها مؤلمة على النفس فلا تنسى كذلك أنك كنت رئيساً وزعيماً وقائداً لهم وتناولهم عليك يضعف من هيبتكم فى الداخل والخارج زيادة عن شماتة الشامتين».

ومع هذا فإن البغدادى لا يقطع الأمل فى عودة الوحدة أو عودة رغبة الشعب السورى فيها عندما يترحمون عليها حين يواجهون الفشل:

«.... وعلى ضوء ذلك أعتقد أنه من صالحنا مؤقتاً أن نرضى بالأمر الواقع إذا كان هذا الانفصال [ناتجاً] عن رغبة الشعب السورى وإرادته ، ولنتركه هو يحدد لنفسه طريق مستقبله متمنين له التوفيق ، وإن وفق كان هذا مدعاة لسرورنا ، فهم أخوة لنا فى الوطن العربى الكبير ، وإن فشلوا فسيترحمون على أيام الوحدة ومتمنين عودتها ، وليس من المستبعد المطالبة بها من جديد فتعود أقوى مما كانت وتسير فى طريقها أسرع مما كانت تسير لأننا سنكون قد استفدنا من أخطائنا».

ويعبر البغدادى عن وعيه لأثر هذه النكسة على حد وصفه على الأمل فى تحقيق الحلم أو الأمل الكبير:

«.... يجب أن نضع فى أذهاننا أن هذه النكسة ستبعد بيننا وبين الوحدة الشاملة التى كانت أملاً لنا ، بل وستجعل من كان يأمل فيها ومتحمساً لها متردداً اليوم بعد الذى حدث فى سوريا ، وسيزداد هذا التردد منهم لو أعطينا الفرصة للنظام القائم فى سوريا من مهاجمة أسلوب الحكم أثناء الوحدة. ولا تنس أن زعامتكم وقوتكم الداخلية والدولية قد استمدت من النجاح المطرد فى الميادين المختلفة ، ورصيدكم منها هو الذى دفع الشعب العربى إلى الإيمان بكم كزعيم للقومية العربية وللوحدة الشاملة ، لذا يجب علينا أن نسعى لإحراز النجاح لنعوض تلك الخسائر.. وأن نحافظ على الهيبة ونستمر فى المناداة بالقومية العربية والوحدة الشاملة ، وأن نقدر العقبات والمسئوليات التى ستقف فى طريقنا ، ولا يجب أن يفت هذا فى عضدنا أمام تلك الأهداف الجسام».

إيمانه بأهمية مشاركة الشعب السياسية، ضمنَ عبد اللطيف البغدادي خطابه للرئيس جمال عبد الناصر وجهة نظره فيما يعتقد أنه أخطاء حدثت في أثناء الوحدة ، ونحن نراه وقد أدرك بحسه وممارساته أهمية الوعي السياسى والمشاركة السياسية فى خلق حماس الجماهير للتعاون مع قادتها ، ونحن نرى البغدادي يلجأ ، من أجل إقناع الرئيس عبد الناصر بفكرة أهمية المشاركة السياسية ، إلى تشبيه غير مؤثر ، فهو يشبه الشعب بأسرة صغيرة على حين أن هذا التشبيه نفسه هو مكمّن الخطورة فى الفكرة ، فربوبية الأسرة لا تقارن بأى حال من الأحوال بقيادة الشعب ، ولكن هذا التفكير كان هو أقصى ما كان يمكن للبغدادي أو لغيره من زملائه أن يتخيلوه من مفردات النظرية السياسية ، بل ربما كانوا - كما يظنون أنفسهم وكما أثبتت التجارب - أكثر وعياً لهذه الجزئية من الرئيس عبد الناصر نفسه ، وإن كان عبد الناصر حسب رأيهم هم أنفسهم فيما بعد أكثر صواباً فيما انتهج من طريق:

«يجب أن نستفيد من أخطائنا ، فهى التى ستسير لنا طريق المستقبل ، وعلينا أن نحددها بوضوح».

«وفى هذا [الخطاب] سأحاول من جانبى أن أحدد هذه الأخطاء كما المسها».

«من المعروف أن الشعوب عادة لا تحكم بالماديات فقط ، وإنما هناك نواح أخرى معنوية ونفسية وروحانية لها أهميتها ، ويجب على الحاكم أن يضعها دائماً موضع الاعتبار لأنها تقف على نفس مستوى الماديات إن لم تزد».

«ولا يمكن لحاكم أن يحكم شعباً بالعمل على تنفيذ عدة مشروعات له تزيد من دخله فقط ، ولكن عليه أن يشركه معه إشراكاً فعلياً فيما يرسم له ويحدد مستقبله. والحاكم إن لم يشركه فى ذلك يصبح كارب الأسرة الذى يكذب ويكدر فى سبيل جمع المال لأسرته دون إشراكها فيما يعمل أو يقرر ، وهم ربما ينعمون بما جمعه من مال ولكنك تجدهم غير سعداء بما هم فيه وغير متحمسين لما يجرى من حولهم من شئون الأسرة ، كما تجدهم أيضاً سلبين أثناء الأزمات التى تواجهها».

«ونفس تلك الحالة تنطبق أيضاً على الحاكم والمحكومين إن كانوا بعيدين عن المشاركة الفعلية فى تقرير مصيرهم ورسم خطة مستقبلهم».

اكتشافه فقدان الحماس الشعبي، كان عبد اللطيف البغدادي فيما نشره من رسائل أو مذكرات أو استقالات كتبها إلى الرئيس عبد الناصر يؤكد بكل وضوح على مكانة عبد الناصر كزعيم وقائد ، ولكنه يشير بكل وضوح إلى فقدان الشعب للحماس المتوقع ، فضلاً عن اعتقاد الشعب في أن الحاكم لا يتقبل النقد ولا يبحث عنه ، ومن ثم فإنه يؤثر السلبية ثم اللامبالاة.

وهو على سبيل المثال يقول:

«إذا نظرنا إلى الوضع القائم في جمهوريتنا على أساس هذا المبدأ الرئيسى نجد أن الشعب يكن لرئيسه الاحترام والتقدير ويلمس مجهوده ومسعاها ويفخر بما حققه له من انتصارات ، وهو ينال منه المهابة والاحترام ، ولكن في نفس الوقت نراه غير متحمس كما يجب أن يكون التحمس لما يجرى في بلاده ، وليس هناك من سبب غير أنه لم يكن له دور إيجابى فيما يجرى ، كما أنه أيضاً يرى بجانب هذه الانتصارات التى يفخر بها أخطاء وأخطارا ولكنه لا يرى ولا يسمع أن هناك من يعمل أو يسعى إلى مقاومتها ، وعليه يرسب في ذهنه أن الحاكم غير مستعد لتقبل النقد أو الكشف عن تلك الأخطاء ، ويزداد اعتقاده أن أمنه وحرية ^{منتهى سوره الزبكية} ومستقبله سيتهدد إن هو أفصح عما يراه من أخطاء ، لذا يختار لنفسه السلبية طريقاً متجنباً بها نتائج إيجابيته وما سيصيبه منها على ما يعتقد أو يشاع ، ووقوف الشعب موقفاً سلبياً مما يجرى حوله يحمل بين طياته خطراً وأى خطر ، فهو يكبت في نفسه ويزداد هذا الكبت يوماً بعد يوم إلى أن تجئ اللحظة التى ينفجر فيها وينطلق كالمارد من الزجاجاة التى ظل حبساً بها سنوات طوالاً أو يأخذ موقف اللامبالاة من الحاكم والتخلى عنه وقت أن يحتاج إليه».

وهذا نص جميل من مذكرات البغدادي أشرنا إليه في أكثر من موضع ، ونأتى أهميته من أنه يروى به ملخصاً لأحد المناقشات التى دارت بينه وبين الرئيس جمال عبدالناصر حول هذا المعنى.

«وفي أثناء المناقشة (فى اجتماع ٣١ مارس) ذكر جمال عبد الناصر أن هذه الثورة ليست لها قاعدة شعبية تعتمد عليها ، وليس هناك من يؤيدها لا من الشعب ولا من الجيش ، وأن الذين قاموا بهذه الثورة تسعين ضابطاً فقط وأنهم فى تناقص حتى أصبح عددهم خمسين ضابطاً الآن».

«وعلّقت على كلامه هذا بقولي: «معنى هذا أننا نفرض أنفسنا على هذا البلد».

«فرد علىّ بالإيجاب».

«فقلت: «أعتقد في هذه الحالة يجب علينا أن نروح إذا كان هذا هو الوضع».



وهو يحدث الرئيس عبد الناصر تحريرياً منتقداً البرلمان والاتحاد القومي والصحافة بعبارات شديدة القسوة إلى درجة أن يقول إن الاتحاد القومي لم يقم بأي دور إيجابي منذ إنشائه إلى اليوم!!:

«... وربما نتساءل: وهل الوضع في جمهوريتنا على هذه الصورة التي ذكرت؟ والرد أن الشواهد فيها تدفع المواطن على أن يعتقد ذلك لأنه يرى أن وسائله في المشاركة في الحكم لا تقوم بدورها كما يجب أن يكون ، فمجلس الأمة من المفروض أن يعبر عن رغبات الشعب ، وأن يكون له دور في كل ما يتصل بالسياسة العامة في البلاد ؛ يناقشها ويبدى رأيه فيها.. وله دور في مراقبة أعمال السلطة التنفيذية ويكشف ما يقع منها من أخطاء ويحاسب المسؤولين عنها ، ولكن الشعب يرى أن هذا المجلس لا يقوم بالدور الذي يجب أن يقوم به ، والحاكم لا يعطى أهمية لوجوده كممثل للشعب وحلقة الاتصال بينهما ، كما أن الشعب يرى في الاتحاد القومي كتنظيم سياسى أنه لم يحقق الغرض الذي من أجله وجد ، ولم يقم بأي دور إيجابي من يوم إنشائه حتى اليوم ، مثله في ذلك مثل التنظيم السابق له . هيئة التحرير».

ويصل البغدادى إلى بلورة وجهة نظر الشعب تجاه نظام الحكم فيقول:

«ويشاهد أيضاً أن الصحافة لا تعبر عن رأى الحر الصريح البناء ، وإنما تردد ما تعتقد أنه يرضى القائمين على الأمر في البلاد».

«والشعب يخلص من ذلك إلى أن وسائله في المشاركة وفي تقرير مصيره ومستقبله ووسائل التعبير عنه قد أصبحت كلها في نظره سلبية ولا تقوم بدورها كما يجب ، بل وقد أصبح القائمون على أمرها أنفسهم سلبين كذلك».



البغدادى لا يمانع من التضحية بالسلطة من أجل إثبات قيمته، ويهمنا أن نشير إلى أن استقامة فكر البغدادى وحرصه على المنطق تدفعانه إلى بعض الأحكام السياسية أو الأفكار السياسية

المنافية للبراجماتية ، من ذلك دعوته فى مارس ١٩٥٤ إلى الانسحاب المؤقت من الساحة وإعادة تنظيم الصفوف ثم العودة ، وقد وصل البغدادى فى مناقشاته إلى القول أو إلى الظن بأن الشعب هو الذى سيعرف قيمتهم:

«واجتمع المجلس فى صباح ذلك اليوم (١٥ مارس ١٩٥٤) ، وكان أعضاء المجلس حاضرين فيما عدا جمال سالم ، وبدأ الاجتماع وظللنا صامتين فترة ، ولما شعرت أن أحداً لا يرغب فى فتح باب المناقشة رأيت أن أبدأ قائلاً إنه من الواجب علينا أن نعرف بموت الثورة من يوم أن تقدم محمد نجيب باستقالته وعليه يجب أن نخفى مؤقتاً ونترك الحياة النيابية تعود بفسادها كما كانت فى الماضى حتى يلمس الشعب مدى الخسارة التى خسرناها ، وحينئذ يمكننا التحرك ثانية لحمايته من عودة هذا الفساد ، ويجب علينا البعد عن الأحزاب والمهاترات السياسية وعدم تأليف حزب. وقد شبهت موقفنا بموقف جيش قد انهزم فى معركة وعليه أن يعيد تنظيم صفوفه حتى يمكنه استئناف المعركة من جديد».

بل إن تفكير البغدادى كان أقرب إلى الاختيار ما بين الأبيض والأسود فإما حريات مطلقة أو عدم حريات ، وهو نفس المنطق الذى أظهر جمال عبد الناصر نفسه تبنيه له:

«وتبغنى صلاح فى الكلام مطالباً بضرورة معرفة إلى أين نحن ذاهبون حتى يمكن أن نختار الطريق الذى سنسلكه ، فإما حريات فتطلق إلى آخر درجة ، أو عدم حريات فيعتقل كل من يعمل على التخريب أو الإفساد أو نشر الشائعات».

«أما عبد الحكيم فقد تكلم عن المعركة الداخلية الدائرة بين الثورة وبين الإخوان المسلمين والشيوعيين والأحزاب المنحلة ، وأن كلاً منهم يريد أن يفرض نظامه ، وعلى الثورة أن تحدد نظامها الاقتصادى هل هو اشتراكية أو رأسمالية أو أى نظام آخر؟ ولكن رد عليه أغلبية أعضاء المجلس بأن اتجاهنا معروف وهو النظام الاشتراكى. فرد عليهم بأن يجب فرض هذا النظام بالقوة ومحاربة كل من يعمل على مناهضته دون أن نتركهم يتطاحنون ومن له الغلبة فى النهاية يفرض نظامه».



وجهة نظره فى الحياة البرلمانية: يدلنا ما يرويه البغدادى فى مذكراته على أنه كان قريباً من فكرة تشجيع حياة برلمانية منقوصة ، إذ لم يكن يتصور حسبما روى فى اقتراحه أن

يكون للمجلس الاستشارى الذى توجده الثورة الحق فى سحب الثقة من الوزراء ، وإنما يكون له الحق فقط فى مناقشة الوزراء ومناقشة المشروعات ، ونحن نراه يكرر الحديث عن الحاجة إلى تدريب الشعب على الحياة النيابية السليمة ، وكأنما كانت الثورة تتصور الحياة النيابية مسرحيات تتطلب التدريب والبروفات :

«... وتكلمنا فى ٢١ فبراير ١٩٥٤ عن اقتراح كنت قد سبق وتقدمت به عند إعلان الدستور المؤقت وتحديد فترة الانتقال ولم يوافق عليه المجلس فى حينه ، وكان اقتراحى ينصب على إيجاد مجلس استشارى بالتعيين من أعضاء النقابات المهنية المختلفة ومن الأعيان ليكون هذا المجلس بمثابة البرلمان فى فترة الانتقال ، وعلى أن يكون له الحق فى مناقشة الوزراء ومناقشة المشروعات المختلفة التى تتقدم بها الحكومة ، ولكن ليس له الحق فى سحب الثقة من الوزراء ، وعلى أن يشكل من داخله لجاناً فنية مختلفة لدراسة مشروعات الحكومة وإبداء الرأى فيها».

ومع هذا فقد كان البغدادى مؤمناً بأهمية التعاون مع رجال الحياة المدنية والإفادة منهم وتحميلهم بجزء من المسئولية بل وتوظيفهم كدعاة للثورة!! :

«... وكنت أهدف من هذه الفكرة إلى إيجاد صلة تعاون مع المشقفين المدنيين ولإيجاد رابطة بينهم وبيننا بتحميلهم جزءاً من المسئولية ، وليكونوا هم الدعاة للثورة والرقباء على الأجهزة التنفيذية ، وحتى تكون هذه الفترة - فترة الانتقال - مع وجود مثل هذا المجلس فترة تدريب على الحياة النيابية السليمة التى هى أحد أهدافنا الستة الرئيسية ، وحتى نتعرف منها على أخطائنا لتجنبها عندما نقوم الحياة النيابية ، لكن المجلس فى هذا الاجتماع رأى أن يوافق على ذلك الاقتراح بصفة مبدئية دون البت فيه بصورة نهائية».

ويبدو يوضح أن هذه الفكرة المؤمنة بوجود البرلمان ظلت تشغل فكر عبد اللطيف البغدادى طيلة عامى ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ :

«... ولكن عند عودتنا معاً يوم الأحد ٢١ أغسطس ١٩٥٥ إلى القاهرة وبعد مرور ساعة من بدء مسيرتنا وأثناء حديثنا فى موضوعات متنوعة ، سألنى جمال عبد الناصر فجأة وبدون مقدمات : «ألم تفكر فى نظام الحكم؟».

«فأجبتة إن من أهم النقاط التى تشغل بالى هو كيف يمكن أن نحقق حياة نيابية سليمة كهدف من أهداف الثورة ، وأنه يجب أن تكون الفترة القادمة من مراحل الثورة

فترة تدريب مع وضع تقاليد جديدة للحياة النيابية في بلدنا لأنها ستكون هي صمام الأمن في المستقبل لهذه البلاد ، وأبدت خوفاً من أن يصبح المجلس النيابي القادم مجلساً سلبياً وليس عنده إلا الموافقة على كل ما يعرض عليه ، وإن أصبح كذلك مجلساً سلبياً ، فقد الشعب ثقته في النظام كله. وذكرت أنني أرى أن يعطى المجلس كل سلطاته كاملة من سؤال الوزير إلى استجوابه وإلى سحب الثقة منه فيما عدا سحب الثقة من الوزارة ، وأن يشجع على أن يقوم بدوره كاملاً».

«وقد أيدنى عبد الحكيم في هذا الرأي ومبدئياً نفس التخوف. كما وافق جمال عبدالناصر على إعطاء المجلس تلك السلطات التي أشرت إليها في حديثي».

ويعود البغدادي ليتحدث عن فكرته في أهمية وجود المجلس الجمهوري فيقول:
«وفي حوار مع عبد الناصر وعبد الحكيم قال: ولكنك كنت قد اقترحت أن يكون هناك مجلس جمهوري».

«أجبت بالإيجاب ، وأوضحت أن ذلك كان على أساس أن يتولى هو - أي جمال عبد الناصر - رئاسة الوزارة ويتكون من باقى الأعضاء مجلس جمهوري يتولى رئاسة الدولة ، وعلى أن تكون رئاسة المجلس دورية بينهم كل عام ، وأنه يريحهم نفسياً شعور كل فرد منهم أن الوضع واحد بالنسبة للجميع ، وأنى كأحد المساهمين في قيام هذه الثورة لا أتصور أن أبقي بدون عمل لعدة سنوات ، وفي نفس الوقت أرى الآخرين وهم يساهمون بنشاطهم في بناء هذه الدولة ، مع أن الثورة ثورتى كما هي ثورتهم».

«وكان رد جمال عبد الناصر أن مساهمته هي أن يضحى ويتحمل هذا الوضع».



إيمانه بمبررات للأجراءات الاستثنائية، تنبأ مذكرات البغدادي بكل وضوح على أنه كان في بداية عهد الثورة حريصاً على توفير المناخ الاستثنائي لها من أجل تحقيق إنجازاتها وأهدافها ، وقد ظل البغدادي على هذا المبدأ ، طارحاً الخيار التقليدي الشهير إما وإما ، وعلى نحو ما تحدث في شأن الحريات فإنه ، كما يروى بنفسه في مذكراته ، يتحدث في ٢٨ مارس ١٩٥٤ في مجلس الثورة متسائلاً: هل هي ثورة أم لا ؟:

«وطالب البغدادي (في اجتماع ٢٨ مارس) بأن تحدد هل هي ثورة أم لا ، مبيناً أن

الثورة قامت لتحقيق أهداف ولا بد من استمرارها لتحقيقها ، ويلزمها إجراءات استثنائية وحزم ، ولا ترتبط بفترة انتقال مادامت مقيدة بأهداف معينة ، وبين أن المشكلة الرئيسية ليست هي تلك القرارات ، إنما المشكلة هي في تفكك مجلس الثورة. وتساءل عن وحدة المجلس وهل يمكن أن تعود إليه ثانية؟ واقترح إلغاء قرارات ٢٥ مارس ، وأن تشكل الهيئة الاستشارية ، وأن تؤلف وزارة مدنية بعد أن تعود الأمور إلى نصابها ، وأن يصبح محمد نجيب رئيساً للجمهورية فقط ، ويستعد مجلس الثورة عن السلطة التنفيذية ، وتكون له سلطة السيادة في حدود الدستور المؤقت ليراقب تحقيق أهداف الثورة ، وذلك حتى يمكن وضع حد للتنافس الجارى بين محمد نجيب والمجلس لتستقر الأوضاع».

«وأبدى جمال سالم موافقته على رأى البغدادي».

هكذا يروى البغدادي المشاركات التي أبدى بها رأيه متحدثاً عن نفسه بضمير الغائب ، ثم هو يواصل ويقول:

وفي نفس تلك الجلسة عاد البغدادي للتساؤل :

«وتساءل البغدادي (في جلسة ٢٨ مارس أيضاً) عن إمكانية التنازل للمجلس وعودته لوحدة الصف من جديد ، فإن أمكن كان خيراً ، وإن كان ذلك غير ممكن فتعطى السلطة كلها لمحمد نجيب ويحل باقى المجلس أو العكس ، أى تعطى السلطات كلها للمجلس ويعفى محمد نجيب ، لأنه لا بد أن يحكم أحدهما فقط ولا يمكن أن تكون هناك قيادتان».

«أما عبد الحكيم فقد اقترح إلغاء قرارات ٢٥ مارس أو تأجيل تنفيذها حتى نهاية فترة الانتقال ، واتخاذ إجراءات استثنائية حتى يمكن للثورة أن تسير لتحقيق أهدافها».

«ثم دارت المناقشة بين الجميع عن الطريقة والوسيلة لتنفيذ هذا. ثم أخذت الأصوات على مبدأ الإلغاء لتلك القرارات التي صدرت يوم ٢٥ مارس أو تأجيل تنفيذها ، فوافقت الأغلبية على مبدأ الإلغاء وأخذت الأصوات أيضاً على تأجيل النظر فى الوسيلة أو طريقة التنفيذ لثانى يوم ، ووافق عليها الأغلبية أيضاً ، أما الدكتور عباس عمار والدكتور على الجريتلئى فكان رأيهما أن نتمسك بتلك القرارات. واتفق كذلك على إعادة الرقابة على الصحف ، وعلى أن تبدأ من اليوم التالى لهذا القرار ، أى فى ٢٩ مارس ١٩٥٤».

وبعد ثلاث صفحات يؤكد البغدادي على رؤيته السابقة ، بل إنه يعترف أنه عند التصويت انفراد (هو وجمال سالم) بعدم الموافقة على عودة الرئيس محمد نجيب:

«... واقترح صلاح سالم (فى اجتماع ٢٩ مارس) أخذ الأصوات على الاقتراح الخاص بتأجيل تنفيذ قرارات يوم ٢٥ مارس حتى انتهاء فترة الانتقال ، واتخاذ الإجراءات الاستثنائية الكفيلة بحفظ النظام والأمن فى البلاد ، وإعلان أن أعضاء المؤتمر المشترك جميعهم متضامنون فى هذه الإجراءات وهذه القرارات».

«واعترض جمال سالم على التصويت على هذا الاقتراح ويرى أخذ الأصوات على موقف محمد نجيب وما يجب اتخاذه حياله ، وهل يبقى أم لا يبقى ، وذلك بواسطة أعضاء مجلس قيادة الثورة فقط دون باقى أعضاء المؤتمر».

«ولقد أخذت الأصوات على ذلك من أعضاء مجلس الثورة فقط وبحضور الوزراء المدنيين فوافق جميع أعضاء المجلس على بقاء محمد نجيب إلا جمال سالم وأنا ، ثم تلى ذلك أخذ الأصوات على الاقتراح المقدم من صلاح فنال أغلبية الأصوات من أعضاء المؤتمر ، وامتنعت مع جمال سالم عن التصويت ، كما أن على الجريتللى وعباس عمار لم يوافقا على القرار».



إدراكه لضيق الشعوب من الحكم العسكرى، ومن المهم إلى أن نشير إلى ما تتضمنه كتابات البغدادي من إدراك صاحبها العميق لضيق الشعوب من الحكم العسكرى وبخاصة إذا لم يكن مستقراً ، ونحن نرى البغدادي يفكر فى هذا الوضع فى إطار طريف ، وهو أن المشروعية لا تتحقق إلا بالقوة!! وهو تفكير واقعى بل ربما كان مثالياً فى ذلك الوقت ، ومع هذا فلربما نتعجب اليوم من وروده هكذا صريحاً فى نص سياسى يصدر عن مثل هذا الرجل:

«الحكم فى أى بلد لابد أن يستند إلى قوة ، وهذه القوة ربما تكون حزباً سياسياً أو أى قوة أخرى كالجيش ، ولكن الوضع فى سوريا بعد الوحدة سيكون شاذاً وغريباً ، فالأحزاب القائمة بها ستحل بعد قيام الوحدة ، ولن يكون هناك حزب سياسى أو أى قوى سياسية أخرى يمكن الاعتماد عليها إلى أن يتم قيام تنظيم سياسى بها مماثل للاتحاد

القومى فى مصر، كما أن الجيش قد تقرر إبعاده عن أى دور فيه ممارسة للسياسة أو السلطة ، وهو أمر ضرورى بعد أن لاقى الشعب السورى الأمرين من إرهابه وشعوره بعدم الاستقرار والاطمئنان نتيجة تلك الانقلابات العسكرية المتعددة ، بل ومطالبة الشعب السورى بالوحدة (كان) من ضمن أغراضها أيضاً التخلص من هذا الإرهاب».

□

البغدادى يجيد تشخيص مساوئ المحسوبية، يحرص عبد اللطيف البغدادى فى الفقرات التى أوردها فى مذكراته من رسائله إلى الرئيس جمال عبد الناصر على التحذير من مخاطر الفساد المصاحب للنظام الشمولى وهو يجيد وصف المحسوبية من دون أن يستخدم لفظها:

«.... أضف إلى هذا ما يراه الشعب من أن هناك فئة قليلة محظوظة تنال ما تريد وترغب ، لا لميزة يتميزون بها على غيرهم ولكن ليس إلا لقربهم أو صلتهم بالحاكم أو من هم مقربون منه ، الأمر الذى جعل المواطنين يشكون فى مبدأ تكافؤ الفرص الذى هو أحد أسس العدالة الاجتماعية ، والذى طالما نادى به».

بل إن عبد اللطيف البغدادى يحذر من أن مَنْ يحظون بالمحسوبية لا يقنعون ، بل إنهم هم الأكثر عرضةً للتقلب:

«وهذه الفئة القليلة المميزة لن يرضيها ولن يكفيها ما تحصل عليه من ميزات ، وستظل تطالب بالمزيد وستنقلب حاقدة إن لم يحقق لها أطماعها وأغراضها ، أما الباقى من المواطنين فينظرون إلى هذا الأمر بعين عدم الرضا والقبول ويشعرون بالظلم».

ويلور البغدادى النتيجة فى عبارات قاسية:

«والمحصلة فى النهاية حقد من الأقلية المميزة وشعور بالظلم من غالبية المواطنين. وأفراد الشعب يرضيهم كل الرضا أن يشعروا أن ليس هناك تمييز بين أبناء الوطن الواحد ، وأن الكل سواسية فى المعاملة وفى إتاحة فرص العمل».

«ويزيد على ذلك ما يراه أفراد الشعب ويسمعونه عن أخطاء تقع وتكرر وليس هناك من محاسبة لمرتكبيها ، وكأن الأمر لا يعنى المسئولين ، ومعلوم أن نتائج هذه الأخطاء تقع أساساً فى النهاية على كاهل أفراد الشعب نفسه ويتحمل هو نتائجها».

هكذا يبلور البغدادي وجهة نظره فيلقى بها كلها على كاهل الشعب ولا ينسب إلى نفسه شيئاً من الضيق أو الضجر مما هو موجود ، وكأنما يعبر البغدادي عن نفسه كواحد من آحاد الناس ليس إلا ، والحق أنه نجح في هذا الأسلوب من حيث فشل غيره ، فهو لم ينسب لنفسه أدواراً صائبة على حين نسب الأدوار الأقل صواباً لغيره ، إنما هو حريص على أن يحاول توضيح الصورة فحسب ، ومن خلال هذا التوضيح يقدم البغدادي كل ما كان من شأنه أن يثير حفيظة الرئيس عبدالناصر ، حتى وإن لم يتوقع البغدادي هذا:

«.... هذه على ما أعتقد هي الأخطاء الأساسية التي ألمسها ، وقد أردت أن أضعها بين يديك.. وربما أكون مخطئاً في تقديري ولكنه على كل حال هناك أخطاء لا بد من البحث والتنقيب عنها والعمل على معالجتها لتدارك الأمر».

الفصل الثاني: مذكراته السياسية

يتصل بالحديث عن الفكر السياسي للبغدادي أن نتحدث عما تضمنته مذكراته من أفكار واضحة المضمون ، فهي في المقام الأول نص ذاتي كفيل بإضاءة أفكار صاحبها والتعبير عن معتقداته ومعتقداته وتصورات ، هذا فضلاً عن قيمة المذكرات لتاريخنا السياسي المعاصر ولتاريخ الثورة ، وقيمتها من حيث هي مذكرات.

ومن المؤكد أن هذه المذكرات لانزال تحتل مكانة مهمة حتى الآن بين كل المذكرات التى كتبت عن هذه المرحلة.

وسأبدأ الحديث عن قيمة هذه المذكرات بأن أنقل للقارئ رأى الدكتور عبد العظيم رمضان فى توصيف هذه المذكرات فى كتابه «مذكرات الزعماء والسياسيين» حيث يقول :

«تعتبر هذه المذكرات بالصورة التى قدمت بها أقرب إلى النموذج الأوروبى فى كتابة المذكرات . فهى لا تنتمى إلى الذكريات التى سجلت بعد حين من وقوع الأحداث ، كما أنها لا تنتمى إلى «اليوميات» التى تكتب فى حينها ، وإنما هى رواية للأحداث من واقع يوميات الكاتب ، الذى أثر إبقاءها فى طى الكتمان . فهى على هذا النحو أكثر دقة وأهمية من «الذكريات» ، وأقل قيمة من الناحية التوثيقية من «اليوميات» . ولم يذكر الكاتب أسباب انتهاجه هذا الأسلوب فى تقديم مذكراته بدلا من تقديم يومياته كما هى ، ولكن من الواضح أنه لم يشأ إفشاء كل ما تحتويه اليوميات من أسرار ، وبالتالي فلنا أن نأمل فى نشر هذه اليوميات بحذافيرها فى ظروف أخرى . وقد ذكر البغدادي فى مقدمة مذكراته أنه أحس بوجوب كتابة يومياته فى نهاية عام ١٩٥٣ ، حين بدأت تظهر بوادر الصراع العنيف بين اللواء محمد نجيب وبين أعضاء مجلس قيادة الثورة لتهدد بالخطر مسيرة الثورة واتجاهاتها المرتقبة . فكان فى الحقبة الأولى من الصباح يأخذ فى تدوين ما حدث بعد مجهود مضمّن واجتماعات مستمرة طوال النهار والليل . وكان فى البداية يرى أن تنشر هذه اليوميات بعد وفاته ، ولكنه عدل عن ذلك بعد حرب أكتوبر ، لأنه رأى أن فى نشر هذه اليوميات «ما يساعد على كتابة التاريخ الحقيقى للثورة ، وتستكمل بها صورة بعض الوقائع التى لا تزال خافية حتى الآن . وحتى يتبين أيضا وجه الخطأ والصواب فى مسيرة الثورة» ، وقام بتسجيل الأحداث بتتابعها التاريخى كما دونها فى يومياته» .



ويمكن لنا القول بأن البغدادي فى كل ما كتب وروى من المذكرات كان ينظر إلى الأمور فى إطار ما أحب أن أصفه بأنه «التاريخ الطبيعى» ، فهو لا يؤمن بالارتداد إلى الماضى ، ولا يؤثر السلامة فى حكمه على الحاضر ، ولا تزال جذوة الثورة فى روحه لا

تراجع مهما كانت الظروف ، وهو يفرق بإحساس جيد بين ما هو «فردى» وما هو «جماعى» ، وبين ما هو «شخصى» ، وما هو «وطنى» ، ولكنه مع ذلك لا يرتدى مسح المثالية ، ولا يخاطبنا من أعلى عليين ، إنما هو صادق فى معاناته وفى تعبيره عن هذه المعاناة ، حتى ولو كانت معاناة النجاح.

أما فيما يتعلق بالقيمة التاريخية لمذكرات البغدادى فهى قيمة كبيرة جداً ويكفى أن هذه المذكرات لاتزال تحفل بتفصيلات كثيرة يحتاج إليها المؤرخون لينسجوا منها المادة التاريخية التى يكتبون بها التاريخ المعاصر ، بل إنهم قد نقلوا عنها كثيراً جداً بالفعل .

ويمكن القول إن هذه المذكرات لا تزال أكثر المصادر التاريخية التى بين أيدينا حتى الآن تعرضاً لكثير من الفترات التى حفلت بالصراعات (التاريخية) فى العهد الأول للثورة:

١ - وفى هذه المذكرات تفصيلات يومية تصل إلى حد تسجيل الحوارات الشائنة والجماعية فى غضون ما سسمى بأزمة مارس ١٩٥٤ التى بدأت أحداثها تتصاعد فى فبراير ١٩٥٤ ولم تنته إلا فى أبريل ١٩٥٤ .

٢ - وفى هذه المذكرات أيضاً تفصيلات مذهلة عن حقيقة مواقف أعضاء القيادة المصرية فى حرب ١٩٥٦ وفيها تسجيل لا للحوار فحسب ، ولكن للمشاعر وما وراء المشاعر كذلك .

٣ - وفى هذه المذكرات فهم عميق لما جرى فى أثناء الوحدة مع سوريا (١٩٥٨ - ١٩٦١) ، وقبيل قيام هذه الوحدة ، وفيها نصوص واضحة وأسماء محددة فضلاً عن الوقائع بحذافيرها وأسبابها ومعقاتها .

٤ - وفى هذه المذكرات تفصيلات مهمة عن هذه الحيرة والتردد اللذين انتابا القيادة السياسية فى مصر والرئيس عبدالناصر على وجه الخصوص ، حول منهج تنظيم المجتمع المصرى بعد الانفصال (١٩٦١ - ١٩٦٢) ، ورأى أن هذه الفترة من الفترات المهمة جداً فى تاريخنا المعاصر التى لم تحظ حتى الآن بأية دراسات موسعة لفهم هذا التطور فى نظرة عبدالناصر - ومن معه - إلى الأسلوب الأمثل لبناء هياكل وبنیان المجتمع المدنى فى

مصر.. وأعتقد أن مدارس هذه الفترة في مذكرات عبداللطيف البغدادي بطريقة علمية كفيلة بأن تلقى الضوء لكثير من الباحثين على طيف واسع من أنماط التفكير التلقائي والعشوائي والانفعالي التي صاغت ملامح التطور السريع والمتعاقب الذي حدث منذ أكتوبر ١٩٦١ وحتى مارس ١٩٦٤ والذي مر - في رأيي - بثلاث مراحل:

• الأولى في أكتوبر ١٩٦١ باستعادة تكوين حكومة مصرية لدولة مصرية في ظل الاتجاه نحو الحل الاشتراكي.

• ثم قبل مرور سنة كانت المرحلة الثانية التي بدأت بإعلان دستوري في سبتمبر ١٩٦٢ وتكوين مجلس للرياسة كرمز لقيادة جماعية وإسناد مهمة رئاسة الوزارة لمدير مكتب الرئيس عبد الناصر وخروج أعضاء مجلس قيادة الثورة لأول مرة من دائرة العمل التنفيذي.

• ثم المرحلة الثالثة في مارس ١٩٦٤ بإعلان دستور جديد وقيام مجلس الأمة الجديد (وهو للأسف ثاني مجلس أمة ينتخب بعد الثورة التي كانت قد بلغت ١٢ عاماً من العمر ولم تشهد مجلساً منتخباً إلا ذلك الذي رأسه البغدادي نفسه وتكون في يوليو ١٩٥٧ وتم حله بقيام الوحدة في فبراير ١٩٥٨) وتشكيل حكومة موسعة، وإلغاء مجلس الرياسة نفسه وابتعاد اثنين من أبرز رجال الثورة فعالية عن الحكم نهائياً (وهما عبداللطيف البغدادي نفسه وكمال الدين حسين).

٥ - أما الفترة الخامسة التي تقدم لنا هذه المذكرات تفصيلات غاية في الأهمية والوضوح والصراحة التعبيرية عنها، فهي الفترة التي شهدت معركة ٥ يونيو ١٩٦٧، وفي هذه المذكرات فقرات من أهم ما يمكن لتاريخنا المعاصر، وقد استعان بها كل من كتب عن هذه الحرب، ووصل الأمر بالدكتور عبدالعظيم رمضان إلى أن يتخذ من إحدى العبارات التي وردت في حديث البغدادي عنواناً لكتابه عن هذه الحرب «تخطيم الآلهة»، وهو تعبير لم يكن أي مؤرخ قادراً على أن يصل إليه، إلا إذا اعتراه ذلك القدر اللانهائي من الألم الذي اعترى واعتصر عبداللطيف البغدادي في ذلك اليوم.

ل

وبالإضافة إلى هذه المناطق الخمس فإن البغدادي في مذكراته ينفرد أو يسبق بكثير من الحقائق حول كثير من الأحداث ومن أهم هذه الحقائق:

□ يذكر البغدادي في هذه المذكرات أن أنور السادات كان قد انضم إلى تنظيمهم لصداقته لحسن عزت ، وذلك حيث يقول: «في فترة مبكرة عملنا على الاتصال بزملائنا من ضباط الجيش. واقترح حسن عزت اسم الملازم محمد أنور السادات لينضم إلى مجموعتنا ، وكنا قد أطلقنا عليه اسم اللجنة التنفيذية للتنظيم ، وكان أنور صديقاً لحسن عزت».

□ بحكم فهمه لميكانيكا الطيران يشرح لنا عبداللطيف البغدادي الأسباب الفنية التي أدت إلى فشل محاولة الهروب بعزيز المصري والتي ساعده فيها كل من عبدالمنعم عبدالرءوف وحسين ذو الفقار صبرى كذلك فإنه يروى قصة مقنعة ومتماسكة عن عبثور البوليس المصري عليهما.

□ يذكر البغدادي واقعة إستقالة وزارة حسين سرى فى ٢ فبراير ١٩٤٢ بطريقة مشرفة لسرى باشا ، فقد كان الملك قد طلب من رئيس الوزراء تنحية صليب سامى وزير الخارجية «ولما كان وزير الخارجية قد تصرف بناء على توجيهات من رئيس الوزراء فقد رأى حسين سرى أن تستقيل وزارته بأسرها».. وهذه الواقعة التى يرويها لنا عبداللطيف البغدادي لم تكن متداولة بهذا الوضوح فى أدبيات الثورة التى تناولت حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ومن الطريف أن التصرف الذى أودى بهذه الحكومة كان قرارها بقطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومة فيشى الفرنسية ، وهو ما أثار الملك «فاروق».



وبالإضافة إلى هذا وذاك تحفل مذكرات البغدادي بكثير من المواقف التى تصور لنا الجو المسرحى الذى تمت فيه كثير من القرارات المصيرية ، سواء بالسلب أم بالإيجاب ، ومن أهم الفقرات التى فى هذا الكتاب تلك التى يصور بها السبب البسيط فى تراجع عبدالناصر ذات مرة عن قراره بإبعاد زكريا محيى الدين عن وزارة الداخلية وإسنادها إلى صلاح دسوقي ، وذلك حيث يقول البغدادي:

«وكننت قد علمت بالأمر فيما بعد من جمال ، وكان قد ذكر لى أنه على إثر سماعها [الإشارة إلى عبارة قاسية قالها زكريا محيى الدين فى حق جمال عبد الناصر سوف نتناول الواقعة بالتفصيل فى هذا الكتاب] أمر صلاح دسوقي بأن يتولى أمور وزارة

الداخلية بدلاً من زكريا ، وأنه كان ينوى تعيينه وزيراً لها ، ولم يتراجع عن ذلك إلا عندما ذكر له على صبرى أن هذا التصرف منه ربما يثول على أن ذلك العمل ما هو إلا ترضية منه للروس باعتبار أن زكريا متعاطف مع الأمريكان.



ونستطيع أن نجد في مذكرات عبد اللطيف البغدادي معيناً لا ينضب لكتابة التاريخ، وهى فى الواقع تعييننا على كتابة التاريخ بأكثر مما تعييننا على قراءته ، ذلك أننا نقرأ الوقائع فيها بصورة دقيقة فإذا ما جد ضوء جديد أعدنا قراءة مذكرات البغدادي فى ضوء الجديد فاكتشفنا حقائق أخرى لم نكتشفها فى القراءة الأولى ، ولا تأتى هذه الخاصية إلا للمذكرات صادقة أصيلة سجلت ما شاهده صاحبها دون أن تلونه قبل تسجيله ، ولعل هذا المقياس يكون واحداً من أدق المعايير فى الحكم على المذكرات ومدى أصالتها ونقائها ، فلاشك أن المذكرات التى تعين على كتابة التاريخ أكثر مما تعين على قراءته تتمتع بقدر من الأصالة والنقاء يفوق تلك المذكرات التى تعين على قراءة التاريخ بأكثر مما تعين على كتابته.

ويرجع هذا التفوق فى نظرى إلى أن البغدادي كان حريصاً على أن يصل بنا إلى الحقيقة أضعاف ما كان حريصاً على تلوين هذه الحقيقة .. كان البغدادي ملتزماً بالصدق والدقة ولم يكن كبعض مَنْ كتبوا يستخدم بعض وقائع التاريخ أداة لتحقيق أهداف موقوتة ، ثم يعود إلى استخدام وقائع التاريخ نفسها لتحقيق أهداف مناقضة.. ولهذا السبب فإن مذكرات البغدادي تبدو وكأنها لا تتمتع بالرؤية التى قد تظهر واضحة فى كتابات البعض حين يكون عنوان الكتاب نفسه منبثاً عن هدفهم من كتابته.. وليس فى هذا ما ينتقص من قدر مذكرات البغدادي من قريب أو من بعيد ، فهو رجل يتغنى بها ما قد نطلق عليه تجاوزاً «وجه الله» (دون أن نزكى على الله أحداً) بينما يتغنى الآخرون «وجه الناس» أو «وجه الدولار».. ومن العجيب أن مذكرات البغدادي رغم جفافها قد وزعت من النسخ أضعاف ما وزعت الكتب الأخرى التى ألفت لأهداف أخرى تبتعد عن الصدق التاريخي والوطني لأنها قيدت نفسها وحصرتها بالذات والفرد إلى أبعد حدود التقييد.

نظرة البغدادي إلى مذكراته؛ يبدو لى أيضاً أنه من المهم أن نتأمل فى الصورة التى يحاول البغدادي أن يضع مذكراته فى إطارها ، وهو معنى بأن يثبت أن ما يهمه هو أن ينقل للجيل الجديد وللمؤرخين والكتاب الصورة على نحو ما شاهدها ، ومع أن مثل هذا الهدف يبدو هدفا عاما مشتركا بين كل المذكرات ، فإننى أرى له أهمية كبرى إذا ما تم التركيز (الصادق) عليه من جانب أى من أصحاب المذكرات ، ذلك أن الإعلان عن هذا الهدف العام يعطينا فكرة عن أن صاحب المذكرات لم يكتبها بفكرة محددة مسبقة يهدف إليها ويسخر من أجلها الوقائع والمذكرات.

وليس معنى هذا أن كل الذين يقولون مثل هذا القول يكونون برءاء من تلوين مذكراتهم وتوجيه أحداثها فى اتجاه الهدف الذى يتبعون الحديث عنه ، أو الحقيقة التى يريدون إثباتها ، فليس من شك أن كثيرين يعلنون أنهم لا يريدون إلا الحقيقة بينما هم ييغون غيرها ، وأن آخرين يعلنون أنهم يتحدثون بصراحة بينما هم لا يعرفون ولا يمارسون إلا الكذب.

لكن المعنى الذى أريده هو المعنى المخالف ، وهو أن التاريخ علمنا أن أصحاب الرؤية من أصحاب السلطة من طبقة البغدادي عادة ما ينتصرون لرؤاهم ويبلورونها فى هدف أو عبارة لأنهم لا يرون [سواء رأوا هذا بأنفسهم أو مستشاريهم] لحياتهم السياسية وجهادهم السياسى قيمة بدون كلمات كبيرة ، فإذا ما جاء أحدهم وقال كلمة مجردة وصرح قبل قولها بأنه لا يريد إلا التاريخ ، فإن معنى هذا أنه أثر أن يتخلى عن نصيحة كبيرة كانت تسول له أن يزعم لنفسه اتجاهها آخر ، وأنه ترك الحياة السياسية حين وجدها تتعارض مع هذا الاتجاه.

وسأقرب الصورة للقارئ بأن أضرب المثل بموقف مكرم عبيد على سبيل المثال الذى صور خلافه على أنه «معركة نزاهة الحكم» وقدم «الكتاب الأسود» ليضم كل المخالفات والمحسوبيات ، وقد كان فى وسع البغدادي على سبيل المثال أن يسلك هذا السبيل فى العنوان أو فى المقدمة ، لكنه أثر أن تكون مذكراته فى الإطار العام فحسب.

ومن حسن الحظ أن البغدادي قد فعل هذا ، فقد أثبتت الأيام منذ صدور هذه المذكرات أن البغدادي وجد نفسه مخطئا فى بعض ما ظن نفسه مصيبا فيه ، وأنه كان

مصيباً فى بعض ما ظن نفسه مخطئاً فيه ، ولم ينبج من الوقوع فى أسر هذا الخطأ أو ذاك إلا الصدق الذى اتسمت به المذكرات.

ج

عوامل التفوق فى مذكراته: كان البغدادى الأسبق من بين أقرانه جميعاً إلى تسجيل مذكراته ، وبهذا تمكن من أن يفرض بصماته على تاريخ الثورة حتى من دون أن يدرك الناس هذا المعنى بطريقة واعية ، وقد طبع البغدادى الحديث عن تاريخ الثورة بما طبع به إنجازاته فى خلال حكمها حتى أصبح وجوده ، فى المذكرات كما فى الإنجازات ، حاضراً على الدوام.

وقد حفلت مذكراته بما تميزت به حياته وهكذا جاءت حافلة بقدر كبير من دقة ، واهتمام بالتفصيلات ، وتركيب للكل من الأجزاء ، والتزام شديد بالمنطق ، فإذا تذكرنا أن هذه المذكرات تتناول فترة من الزمان كان طابعها العام فى الغالب صفات أخرى هى على النقيض من هذه الصفات الإيجابية لأدركنا كم عانى هذا الرجل فى كتابة مذكراته.

ولست أستطيع أن أتجاوز الحديث عن فكرة مهمة ، وهى أن هذه المذكرات من النوع المرهق ، وأفصل هذا القول فأقول إنها كانت مرهقة فى كتابتها ولا تزال مرهقة فى قراءتها ، وليس من الصعب أن ندرك معاناة البغدادى فى كتابة وترتيب وتبويب التفصيلات التى ضمنها مذكراته على نحو ما كتبها.. كذلك فإن القارئ نفسه يعانى فى قراءة المذكرات ، وهو يعانى حين كان يظن أن قراءتها مسلية فإذا هى أبعد ما تكون عن التسلية ، ويعانى حين كان يظن أن هذه المذكرات حافلة بالطرائف والمواقف البهيجة والمفارقات المضحكة ، فإذا بالقارئ يجدها حافلة بأشياء أخرى تنغص عليه حياته وهو يقرأ التفصيلات.

كما يعانى القارئ الذى كان يظن هذه المذكرات شيقة وجذابة ، ولكنه يجدها حالية من الجاذبية والتشويق لأنها ملتزمة بالجدية إلى أبعد الحدود.

ومع هذا كله فإن القارئ يشعر بالرضا الشديد وهو يقرأ مذكرات البغدادى لأنه يطلع بسهولة وفى سلاسة على كثير من دقائق الأمور التى لم يكن يعرف عنها شيئاً من

قبل ، ولأنه يحس طوال الوقت كما لو كان حاضراً بين أعضاء مجلس قيادة الثورة وبين أعضاء مجلس الوزراء وقريباً من الرئيس جمال عبد الناصر نفسه.

ويستشعر القارئ بعد ذلك قدراً كبيراً من القدرة على فهم كثير من مجريات الأمور في الماضي والحاضر والمستقبل وهو يحس عند انتهائه من قراءة مذكرات عبد اللطيف البغدادى وكأنه قد أصبح يمتلك أحد المفاتيح المهمة لفك طلاسم فن السلطة وصناعة القرار بل صناعة التاريخ.

وحين يصل القارئ إلى مرحلة بلورة الخبرة من خلال قراءة المذكرات ، فإنه يستشعر في نفسه كذلك قدراً كبيراً من الامتنان لصاحب هذه المذكرات الذى أتاح له هذا القدر الكبير من الخبرة باتخاذ القرار وممارسة عملية اتخاذ القرار.

وعلى الرغم من كل هذه القدرات التى تمتعت به مذكراته ، فإن البغدادى رجل سوى إلى أبعد الحدود ، لا هو حريص على تضخيم ذاته ولا هو مضطر إلى ذلك ، وهو فى ذات الوقت ملتزم إلى أبعد حدود الالتزام بالأخلاق الرفيعة من دون أن يبذل جهداً فى هذا الالتزام ، وهو يطرح رؤيته الذاتية من دون أن يكون مضطراً إلى الاعتذار عن الذاتية ولا إلى الفخر بها ، وهو يروى الأحداث من واقع ما رأى من دون أن يضطر أن يلجأ إلى سؤال الآخرين ، أو إلى إبراز وثائق ، أو إلى إفتعال خلاف مع أحد ، أو ترجيح كفة روايته هو على رواية الآخر.

وهو يبدو لنا ، وهو يكتب مذكراته الصعبة ، وكأنه يؤدى تمريناً رياضياً معقداً ولكنه اعتاد على تأديته يوماً بعد يوم ، فهو يقدم لنا هذه المذكرات كما تقدم فنانات الباليه أكثر العروض صعوبة فى سهولة ويسر وإعجاز وتواضع وفى أقل وقت ممكن ، ودون حاجة إلى استراحات ، أو إلى استدعاء فرق أخرى تقوم بتأدية بعض الفنون الأخرى كفواصل ، وليس من شك أن تعود البغدادى على كتابة مذكرات يومية أو شبه يومية على مدى حياته كان العامل الأول الذى ساعد على كتابة هذه المذكرات ، ولكننا ونحن نسعى إلى الكمال فى كل ما تقع عليه أعيننا لا نستطيع أن نتجاوز عن قول آخر يتمنى للبغدادى لو أنه كان يكتب يومياته وفى نيته حين يكتبها أنه سينشرها بعد حين.. ولكن أنى كان له أن يصدق أنه سيأتى عليه الوقت الذى يتاح له فيه أن ينشر هذا الذى كتبه؟

هل نستطيع أن ننكر أن البغدادي كان كثيراً ما يخاف على يومياته ؟ هل نستطيع أن نتغاضى عما ذكره هو من أنه طلب إلى زميله عبدالرءوف نافع أن يخفى هذه اليوميات عنده؟

هل نستطيع أن نزعم لأنفسنا أن البغدادي كان قبل ١٩٦٧ يعيش على أمل أن تكون هذه اليوميات كتاباً يتداوله الناس - كل الناس - بعد عشر سنوات ؟ الإجابة بالنفي طبعاً ، ولهذا كله فإننا لا بد أن نحمد الله على أن هذه «الكتابة» قد أتاحت لنا على هذه الصورة الجميلة والدقيقة والمعبرة والموحية .



ولنقرأ ما يتحدث به هو نفسه عن مذكراته في مقدمة الجزء الثاني منها حيث يقول :
«.... وإننى لأكرر هنا ما سبق وأن أشرت إليه في مقدمة الجزء الأول من هذه المذكرات ، وهو أننى لم أقصد بهذا النشر الإساءة إلى أحد ، وإنما كان قصدى هو أن أضع ما أعرفه من أحداث عشتها أمام الجيل الجديد من شبابنا والذي آن الأوان له أن يحمل راية الوطن ليتعلم من هذه التجربة ، وحتى لا تضيع أيضاً الحقيقة مع مرور الزمن ، وحتى يستفيد منها كذلك المؤرخون والكتّاب الذين يعملون على تسجيل تلك المرحلة من تاريخنا ، وهى مرحلة لها أهميتها وحيويتها ونتائجها أيضاً ، وهى ليست مقصورة على بلدنا مصر وإنما لها تأثيرها وانعكاسها على المنطقة العربية كلها».

ويشير البغدادي بكل وضوح إلى التزامه بنقل الوقائع من يومياته التى سجلها ، وبأن هذه الوقائع ليست إلا ما شاهده أو اشترك فيه :

«وقد توخيت الأمانة فى أن أنقل إلى القارئ الوقائع على حقيقتها قدر استطاعتي كما سجلتها فى يومياتى.. وهو ما عاهدت نفسى عليه ، ووعدت القارئ به منذ البداية».

«وهذه الوقائع التى سجلتها والتى أنقلها إلى القارئ إنما هى تمثل الجزء الذى شاهده منها فقط أو اشتركت فيه بنفسى ولكن ربما يكون لها جوانب أخرى لم أشهدها ولم أشارك فيها ، والمطلوب ممن عايشوا هذه الوقائع ولديهم إضافات عليها أو تصحيح لها أن ينشروا ما لديهم حتى تكتمل الصورة وتتضح الحقيقة قبل أن تضيع بعد ما نودع

هذه الحياة. إن الأمر له أهميته ، ومن حق جيلنا علينا والأجيال القادمة أيضاً أن نعرفهم بحقيقة ما جرى».

«وإنى لأمل بهذا النشر عن بعض وقائع ثورتنا أن أكون قد أدت واجباً نحو شباب مصر - ولعله يستفيد منه - وأن يتعلم من أخطائنا ، وأن يعمل على تدعيم إيجابيات الثورة وحمائتها ممن يحاولون إجهاضها. وعليه أن يضيف إليها وأن يزيد من تلك الإيجابيات عندما تتول إليه مسئولية قيادة هذا الوطن العزيز علينا جميعاً».



ولمذكرات عبد اللطيف البغدادى قيمة أدبية كبيرة من حيث هى تعبير متميز عن مشاعر حقيقية ، فنحن - على سبيل المثال - نستطيع أن ندرك بدون جهد جهيد أن الروح المسيطرة على نسيج هذه المذكرات هى روح القلق.. فهذا رجل يخطط مع آخرين ، ليقوم بثورة تغير من أوضاع هذا الوطن الذى يحبه ويأسى هو والآخرين لحاله (ويختلف هؤلاء الآخرون من تنظيم إلى آخر) ، ثم هذا هو القلق يسيطر عليه وهو يضع مع زملائه اللمسات الأخيرة لتحركاتهم ، ثم هذا هو القلق نفسه فى ثياب أخرى وهو يستمر فى السيطرة عليه طيلة السنوات التى أعقبت نجاح الثورة ، وقد كان هذا النجاح نفسه باعثاً على قلق من نوع جديد ، وإن كان قد قاد إلى بعض من الاطمئنان إلى حين ، ويتبدى قلق عبد اللطيف البغدادى فى كل فقرة من فقرات هذه المذكرات ، وهو يتمتع بنفس لوامة تعود إلى نفسها لتناقش الخطأ والصواب ، وهو مثالى إلى حد بعيد ، وهكذا يجد نفسه مسئولاً عما كان فى وسعه أن يبعد نفسه عن المسئولية عنه ، وهو لا يفتأ يتحدث إلى نفسه عن هذه المسئولية ويؤنب هذه النفس بهذا السؤال عن هذه المسئولية ، ثم هو فى حيرة متصلة من موقف الناس من حوله ، ومن تطورات العلاقات التى تقود إلى حلقات متصلة ومتواصلة من المعاناة.

ولو قدر لهذه المذكرات بعد مائتى عام أن تنشر مع القدر المطلوب [أو الطبيعى] من الإضافات والتعديلات على أنها رواية نفسية لأمكن لها أن تحقق قبولاً واسعاً وذيوياً شديداً لأنها دقيقة فى تصوير كثير من النزعات النفسية العميقة على نحو صادق ، ثم هى ترينا كيف تغلبت هذه النزعات وسيطرت وسادت وقادت إلى ما هو قريب جداً من

ضياح أمة فى لحظة واحدة ، ولولا أن البغدادي كان قريباً جداً من الأحداث ، ولولا أنه لا خبرة له بالرواية وصناعتها لاستطاع هو نفسه أن يقوم بهذا العمل الروائي بعد أن يرسم حدوداً مكملّة لشخصيات الرواية بحيث تظهر نماذجهم كاملة فى هذا العمل الروائي.



وعلى الرغم من أنه كان فى وسع عبداللطيف البغدادي أن ينتهى بكتابة مذكراته عند استقالته فى ١٩٦٤ أو عند نهاية عهد عبدالناصر ١٩٧٠ ، إلا أنه آثر الانقياد لضميره الوطنى الذى اعتبر حرب ١٩٦٧ بمثابة النهاية «الدرامية» لهذه المذكرات. هكذا أنهى البغدادي كتابه بحديثه عما عرفه وشاهده عقب الإعلان عن انتحار عبدالحكيم عامر ، وكأنه يريد أن يجعل عقيدته فى أن هذه المأساة أقرب إلى أن تكون نهاية ثورة يوليو ، وعلى الرغم من أنه لم يصرح بشيء من هذا المعنى على وجه مُحدد ، إلا أن هذا واضح جداً من عباراته التى تتضمنها الفقرة التى أنهى بها كتابه والتى روى فيها تفصيلات ذهابه مع كمال الدين حسين إلى منزل عبدالحكيم عامر لتقديم واجب العزاء فى وفاته:

«.... استقبلنا أولاده على سلم المنزل الخارجى عندما علموا بحضورنا بالصويت والنحيب والارتقاء فى صدورنا ، وكان موقفاً مؤثراً حتى إننا بكينا ونحن على سلم المنزل لهذا الموقف المؤثر ، وتذكرنا الناس وهى تسعى إلى عبدالحكيم وهو فى السلطة ، والخدمات التى كان يسبغها على الكثيرين ليضمن ولاءهم له ، أين هم الآن ؟ والأولاد سيكون طوال الوقت ويسألوننا لماذا قتلوه؟ وأنه لم ينتحر وإنما هم الذين قتلوه ، ويرددون أين أخوته؟ كلهم فى المعتقل ، وأين أصدقاءه وزملاؤه الضباط؟ ولماذا لم يحضر أحد منهم؟ لم يعزهم فى وفاته سوانا ، يا للأسف على الرجال!! وخرجنا من منزله ونحن فاقدو الثقة فى كل المعانى ، وفى كل الناس ، هل هذه هى نهاية عبدالحكيم عامر ، ياالله. هذا مشهد آخر من مشاهد تلك المأساة التى تجرى على أرض الوطن العزيز ، وإننا لفى انتظار مأسى أخرى - أمر لا بد منه - كنتيجة حتمية لما وصلنا إليه».

الفصل الثالث: فكره التنموى

مع كل تقديرى لدور عبد اللطيف البغدادى فى الجانب الحضارى وفى الشئون البلدية والقروية فانى أرى له دوراً أهم من ذلك وهو مشاركته الفاعلة برؤية متوازنة ومتميزة فى صياغة السياسات الحاكمة لتطورنا الاجتماعى الاقتصادى فى عهد الثورة حتى وإن لم يؤخذ «كلية» برؤيته فى ظل الاندفاع إلى التحول الاشتراكى .

ويبدو لى أنه حينما يؤرخ بعد فترة للتاريخ الاقتصادى والاجتماعى للثورة ، فسوف نكتشف لعبد اللطيف البغدادى دوراً ، وإن كان محدوداً ، فى توجيه السياسات الحكومية إلى كثير مما صارت عليه ، فقد كانت لهذا الرجل رؤية واضحة ، كما كانت له قدرة أوضح على نقل الأفكار الثورية والجديدة إلى عالم الواقع باقتدار شديد .

وقد نجح البغدادى فى هذا بحكم البعد الثقافى والحضارى فى شخصيته الذى كان قادراً على أن يترجم مشاليات الأفكار إلى حقائق واقعة أياً ما كان الإطار الذى يتحرك فيه .

وسوف نلاحظ أن البغدادى حتى فى مرحلة التحول إلى الاشتراكية كان واعياً جداً لحدود دور الدولة وسأنقل للقارىء هنا فقرة من كتاب محمد عبد السلام الزيات «مصر إلى أين» يتحدث فيها عن بدايات القطاع العام فيستشهد بتصريحات عبد اللطيف البغدادى الذى يصنفه اليسار المصرى على أنه يمينى التوجه ، وتأن محمد عبد السلام الزيات من حيث لا يقصد يحدثنا عن دور عبد اللطيف البغدادى غير الملتفت إليه فى توجيه السياسات الاقتصادية . يقول الزيات :

«... فالثورة فى سعيها لتنمية الاقتصاد القومى ورفع مستوى معيشة الجماهير لجأت إلى سياسة المشاركة المحدودة ، أى مساهمة الدولة مع القطاع الخاص اعتباراً من سنة ١٩٥٤ . ثم رادت الدولة ميدان التنمية بقطاع عام ثانوى مع صدور قوانين التمصير

وإنشاء المؤسسة الاقتصادية في سنة ١٩٥٧. ورغم نمو القطاع العام منذ ذلك الحين فإن الاقتصاد المصري ظل في مجموعه اقتصاداً رأسمالياً تحكمه قوانين وأساليب الرأسمالية التي لا يحد منها إلا تدخل الدولة لتوجيه التنمية أو سعياً وراء تحقيق العدالة الاجتماعية. وقد عبر عبداللطيف البغدادي عضو مجلس قيادة الثورة في فبراير ١٩٥٧ عن طبيعة القطاع العام في ذلك الحين فقال في تصريح له :

« سوف يكون النشاط الحكومي في التنمية مكملاً للنشاط في القطاع الخاص ، ويركز في الأنواع التي يحجم القطاع الخاص عن القيام بها لأنه لا يألؤها ، أو غير مستعد لتحمل المخاطر فيها ، ومن الممكن أن تباع هذه المشروعات بعد أن تثبت نجاحها إلى القطاع الخاص .

هكذا نرى أن البغدادي كان في ١٩٥٧ متنبهاً تماماً بحكم عوامل كثيرة إلى ما لم ينتبه إليه كثيرون جداً إلا في ١٩٩٧ على سبيل المثال ! .

ولعل هذا كله يعطينا فكرة عن قدر متميز من الفهم السياسي والتنفيذي والتنموي كان هذا الرجل يتمتع به وكان يؤهله لأن يكون بحق الرجل الثاني « ثم الأول » في الدولة أو أن الله هدى هؤلاء الزعماء لبعضهم كما يقول عامة الناس حين يتمنون لاولادهم الوفاق !!



وقد أورد عبد اللطيف البغدادي في مذكراته فقرة في غاية الأهمية لتاريخ اقتصادنا الوطني والسياسات المتناقضة التي فرضت عليه ، وقد وردت هذه الفقرة ضمن حديثه عن تفكير الثورة في تدبير تمويل مشروع السد العالي ، وعن بدايات تفكير الثورة في السد الكفلة بتنفيذه ، وهو يقول ما نصه :

«... وكان حجم الاستثمارات المطلوبة لهذا المشروع تقدر بحوالى ٥٠ مليوناً من الجنيهات ، وثالث هذا المبلغ مطلوب توافره من العملات الحرة ، وهي لم تكن متوافرة لدينا ، وكان التفكير في طريقة تمويل هذا المشروع قد بدأ مع بداية عام ١٩٥٤ ، وكان الاتجاه في بداية الأمر أن نعتمد على أنفسنا في توفير التمويل من النقد المحلي والأجنبي ، وكان الدكتور عبدالجليل العمري وزير المالية يرى أن هذا يمكن عن طريق تصدير فائض إنتاجنا من الأرز إلى الخارج مع استخدام الفرق بين سعره العالمي وسعره المحلي في تمويل المشروع دون أن نعتمد على أية دولة أجنبية أو الالتجاء إليها لتمويله ،

والفرق بين السعيرين العالمى والمحلى للطن الواحد كان حوالى سبعين جنيها ، وكان جمال سالم رئيس مجلس الإنتاج قد اقترح أن نقوم باستخدام احتياطي الذهب الموجود لدينا فى هذا الغرض لعدم اطمئنانه إلى البنك الدولى ، ولكن هذا الاقتراح منه استبعد لضرورة استمرار المحافظة على هذا الاحتياطي لاستخدامه عند الظروف الطارئة ، وكذا عند النكبات إن حلت بالبلاد».

وهكذا تنبأنا هذه الفقرة التى يرويها البغدادي فى مذكراته بكل وضوح أن الاقتصاد المصرى كان قادراً رغم كل شىء على تمويل مشروع السد العالى ، وأن المشكلة الاقتصادية التى حاقت بمصر بعد ذلك لم تكن مشكلة اقتصادية بقدر ما كانت مشكلة إدارة للاقتصاد.



ونأتى إلى ما اشتهر به البغدادي حتى الآن من التفاته دون غيره من قادة الثورة إلى العناية بالجانب الحضارى. وليس من شك فى أن العناية بهذا الجانب تمثل أحد أبرز التحديات أمام كل تجربة جديدة فى الحكم ، وللأسف الشديد فإن الرئيس عبد الناصر قد أهمل هذا الجانب ، وقد كان معذوراً بحكم انشغاله المتكرر وبحكم بعض القصور الطبيعى فى جوانب معينة من ثقافته وهو ليس مذنباً ، فهذا هو حكم السن والتجربة والخبرة.

ولكن من حسن الحظ أيضاً أن البغدادي - على الطرف الآخر - كان متنبهاً تماماً إلى هذا الجانب الحضارى ، بل إنه ترك لنا ما دل على ذوقه الراقى وعنايته بالجمال فى كل ماتولى توجيهه من نشاط هندسى أو مدنى أو معمارى ، وتكفى لمساته فى إنشاء كورنيش النيل أو فى إعادة تخطيط شوارع المدن بل يكفى البغدادي أنه كان آخر الوزراء الذين عنوا بالشئون البلدية والقروية عناية فائقة على الرغم من أن خلفاءه مهندسون .. ولكن العبرة كما نعرف تكمن فى الذوق والتوجهات قبل أن تتمثل فى المهنة.

ومع هذا فإن مذكرات البغدادي لم تتعرض على الإطلاق لهذه الميزة التى تميز بها البغدادي دون كل زملائه فى عهد عبد الناصر ، وربما لم يكن البغدادي نفسه متنبهاً إلى هذه السلبية فى عهد عبد الناصر وإلى أنه نفسه كان يغطيها ، لكن هذا هو ما حدث .. أهمل البغدادي الحديث عن هذه السلبية ، وأهمل التابعون الحديث عنها مركزين على

أخطاء الناصرية الأخرى على حد تعبيرهم.. حتى إذا مضت السنوات وأتاح النظر الهادئ اكتشاف ما لم يُكتشف من قبل بدأت الكتابات تسجل مثل هذا المعنى .

وسندلل على هذا الاستنتاج بفقرة ننقلها عن الدكتور ثروت عكاشة حين ينتهز الحديث عن العمارة فى مصر الحديثة ليشيد بجهد عبد اللطيف البغدادي فى إضفاء اللمسات الجمالية على الرغم من أنه رجل عسكري .

يتحدث ثروت عكاشة عن تطور مبانينا العامة فى عهد الثورة فيقول :

«... فإذا هى تستحيل إلى مبان وظيفية فحسب لمقتضيات اقتصادية بحتة لا يلحظ فيها فن المعمار بأصوله الجمالية والتقليدية ، وتسود فيها المبادئ التى تفرض إنجاز أكبر عدد من المباني بأقل تكلفة فى أقصر وقت ممكن ، أى تغلب مبدأ الكم على الكيف مما يكون معه تنازلات جوهرية من حيث اللمسات الجمالية فى تلك المباني العامة التى كانت بمثابة نموذج يحتذى الأهالى فى مبانيهم الخاصة ، فإذا العمارة تفقد سماتها فى الناحية العامة والناحية الخاصة وتغدو على نمط يفقد الذوق والجمال. وهكذا الحال فى فن تخطيط المدن ، هذا إذا ما استثنينا ما تم على يد رجل عسكري تولى لفترة محدودة وزارة الشئون البلدية والقروية هو عبد اللطيف البغدادي ، فما زلنا إلى اليوم ننظر بإجلال إلى مشروعه العظيم الذى أنجزه وهو كورنيش النيل متحدياً كل الصعوبات مهما جلت ، ومنها اقتطاع جزء من السفارة البريطانية ، وكان لهذه السفارة ما لها قبل ذلك من شأن».

«وهذا المشروع إن دل على شىء فإنما يدل على ما كان يتمتع به هذا الوزير المستنير من سعة خيال وذوق جمالى وإرادة نافذة ، إذا شئنا أن نوازن بين هذا العمل وبين غيره مما جاء بعده على أيدي وزراء مدنيين متخصصيين فى الهندسة والعمارة والتخطيط وجدنا أن الفرق واسع ، فلقد كان همهم تغليب الكم على الكيف وسرعة الإنجاز ، فإن ما حدث فى القاهرة حدث مثله أو أكثر فى الإسكندرية وغيرها من المدن ، هذا إلى انبثاق طبقات كانت حبيسة فانطلقت إلى الوجود وأصبح لها من الأمر شىء ، ولم تكن من قبل على صلة بالحضارة ، فإذا هى تشارك فى فرض ذوقها ، وقد كان هذا طبيعياً بعد أن انحازت الثورة إلى الأغلبية المهضومة الحق فى التزود بالثقافة الرفيعة، وهذا هو الثمن الفادح الذى غالباً ما تدفعه الثورات» .

وسوف نستعرض فى الباب التالى بعض ما هو متاح عن بعض إنجازات البغدادى التنفيذية فى هذا المجال الحضارى.



ونأتى بعد هذا الحديث المختصر عن الجانب الحضارى إلى موقف البغدادى من التخطيط باعتباره أول مَنْ نادى به وأول مَنْ تولى مسئوليته الوزارية فى عهد الثورة . ويمكن لنا تصوير موقف البغدادى من التخطيط فى عبارة واحدة وهى أنه كان يعنى به «بعد النظر» واستشراف مستقبل أفضل دون أن يستلزم هذا اللجوء إلى سيطرة الهياكل النظرية التى شاعت مرادفاً للتخطيط ، وهكذا يمكن النظر إلى موقفه من التخطيط على أنه بمثابة النموذج المثالى لموقف المثقف الوطنى المستنير المتميز ، فلم يكن البغدادى ينظر إلى التخطيط كجزء من فلسفة أيدولوجية شاملة ، ولكنه كان ينظر إليه فى إطار السعى إلى الحصول على أفضل النتائج من المعطيات الموجودة ، بعيداً عن الفوضى والتكرار وما إلى ذلك من العيوب التى قد تشوب أو تسود الأداء الحكومى .

ولهذا فقد كان البغدادى (على سبيل المثال وعلى ما سبق إلى ملاحظته كثيرون من بينهم الأستاذ أحمد حمروش) واضحاً جداً فى معارضة الاندفاع الشديد لتعزيز صدقى فى إنشاء مصانع كثيرة بدون تخطيط جيد لانتاجها ومدى جودته ومدى الحاجة إليه حتى وإن كان عزيز صدقى قد حظى بتشجيع عبد الناصر وتبنيه وتمضيه لهذه الرؤية ، كما كان البغدادى ضد اندفاع الرئيس جمال عبد الناصر إلى تأميم المؤسسات الأهلية الصغيرة من قبيل المطاحن ومضارب الأرز ومحاليج القطن فى ظل الأخذ بسياسات التأميم والتوسع فيها.

ويمكن القول إن البغدادى كان ينظر إلى التخطيط كصمام أمان ضد الاندفاع والحماس غير المبرر والرعونة ، وبالتالى فانه كان ضد أن يتسم التخطيط نفسه بهذه السمات على نحو ما حدث فى فترة لاحقة ، ولم يكن مفهوم التخطيط عنده بالقطع وبالطبع هو المفهوم الشمولى للتخطيط ، ولا يعنى هذا انتقاصاً لقيمة فكر البغدادى أو انتقاصاً لقيمة الشمولية من ناحية أخرى ، ولكنه توضيح لا بد منه ، ومع أن التسميات والاصطلاحات لم تكن قد ازدهرت على عهد تولى عبد اللطيف البغدادى لشئون التخطيط إلا أنه يمكننا الآن ونحن ننظر إلى الماضى - فى تأمل - أن نصف أفكار

البغدادي ونظرياته في التخطيط على أنها كانت أقرب إلى ما يسمى الآن بمفهوم الاشتراكية الديمقراطية ، أو ما بدأ يسمى بالطريق الثالث !



ولا شك أن أبرز المواقف التي تبين عن رؤية البغدادي لفكرة التخطيط ، هو موقف البغدادي من سياسات التوسع غير المدروس في الصناعة والتي كان عزيز صدقي هو صاحب سبق التجلي أو القصب المعلى في الإعلان عنها . وإن لم يكن هو صاحب فكرتها أو منظرها ، ومع هذا فإن الدولة كانت فيما يبدو من كل الصوص المتاحة سعيدة بهذا الذي يتم في قطاع الصناعة ، ويبلور هذه السعادة فخر الثورة شعارها المعروف «مصنع كل يوم» ، ولكن البغدادي فيما هو واضح لم يكن من أنصار هذا المبدأ . بل كان متحفظا عليه ، ومهاجما لعزيز صدقي بسببه . وقد روى أحمد حمروش شائلا هذا الاختلاف البين وعلق عليه بقوله :

ولم تكن الخلافات التي نشبت بين البغدادي وعزيز صدقي مؤشرا على ضعف الصناعة ، ولكنه كان موقفا ضد ما يراه اندفاعا غير مخطط من وجهة نظره . رغم أن البغدادي مقتنعا بالتوسع في التأميمات . بالإضافة إلى رغبته في دعم الصناعة المخططة التي سبق له أن تولّى وزارتها حتى لا تنفرد الصناعة وحدها في مجال العمل . ويستطرد حمروش متحفظاً بقوله :

« ولا يعني هذا أن عبد اللطيف البغدادي كان اشتراكيا علميا يختلف فقط في إجراءات التطبيق ولكنه كان من المؤمنين بإمكانية تطور المجتمع في طريق رأسماني مع اتخاذ بعض إجراءات اشتراكية .. ولكنه لم يعلن عن اتخاذ موقف معاد ضد ترويج مبادئ الميثاق أو لإجراءات التأميم (وقد ظهر) الخلاف بينه وبين عبد الناصر حول تسمية تأميم المطاحن ومضارب الأرز ومحاليج القطن بقرارات حسب رغبة الدولة عرضا الأمر على مجلس الأمة

عزل أحمد حمروش إلى أن يجعل من هذين الاحتلالين البيروقراطيين في العراق التنبؤي السبب الذي جعل البغدادي يفارق عبدالناصر بعد ، اخته محمد ، بمجلس الرئاسة عن الإسهام الحقيقي في صنع سياسة الدولة :

«ووصل الأمر غايته وشعر عبد اللطيف البغدادي أن دور مجلس الرئاسة قد أصبح شكليا وأنه لا يسهم في صنع سياسة الدولة ولم يجد سبيلا إلا تقديم استقالته . ولم تكن هذه هي استقالته الأولى ، ولكنها كانت الأخيرة» .



ولعل المعنى الحقيقي لمشاركة البغدادي في الدعوة إلى التخطيط يتضح لنا من خلال هذه الفقرة التي وردت في حديث جميل للأستاذ فتحي غانم ونشر في مجلة العربي في يناير ١٩٩٨ ، وهو يتحدث عن مشاركاته هو شخصيا في إثارة الاهتمام بالتخطيط ، ومن الواضح أن البغدادي كان يحبذ «الفكرة» فحسب ، ولم يكن يقصد بتحبيذه ولا بقيادته لسياسة الدولة في هذا الصدد الانتصار لسياسة التخطيط المركزي أو غيره من السياسات :

يقول الأستاذ فتحي غانم :

«... حدث في الخمسينيات والثورة تناقش قضية التنمية الاقتصادية وتخوض معركة الاستقلال مع الإنجليز أن ظهرت اتجاهات تنادي بالتخطيط ، وكان عبد اللطيف البغدادي هو وزير التخطيط مما قد نفهم منه أن هناك أفكارا مدروسة للتخطيط تقوم على فلسفة اجتماعية واقتصادية معينة» .

«وحاولت أن أفهم ما هو المقصود « بالخططة » وكنت أكتب مقالات أشرح فيها الأفكار والكلمات السياسية التي يتداولها الساسة والمثقفون فيما بينهم ، وقرأت عن تجارب في التخطيط في فرنسا وهولندا والاتحاد السوفيتي ، فلاحظت أن كل مجتمع يبنى التخطيط بفلسفة معينة ولتحقيق أهداف معينة ، هولندا ضد الشيوعية وتبني التخطيط بفكر رأسمالي ، والسوفيت ضد الرأسمالية ويتبنون التخطيط بفكر ماركسي ، وفرنسا تتبع نظاما للتخطيط تجمع فيه بين الاشتراكية والديمقراطية والسوق الحرة» .

«وسألت نفسي ماهي فلسفة التخطيط وقد بدأوا يتحدثون عنها في مصر ، كان السؤال هو محاولة للتفكير وبحث عن دراسات أو مذكرات تفسيرية تشرح ما هو التخطيط بالمفهوم المصري فلم أعثر على شيء» .

«عندئذ كتبت مقالا افتتاحيا في مجلة روز اليوسف قلت فيه إننا لجأنا إلى التخطيط تحت شعار «الضرورة» ! هناك أزمة في تمويل المشروعات ، وأزمة في الخدمات ،

وأزمة فى الإدارة ، وصيحات تطالب بضرورة معالجة هذه الأزمات ، لذلك نستطيع أن نقول إن حديثنا عن التخطيط هو حديث « ضرورة » ! إنه مطالبة بأن تتدخل الدولة لتعالج أزمة دون أن ترتبط بنظرية أو فلسفة ، والشىء الوحيد الذى أفهمه ويبرر تبني أسلوب التخطيط هو نظرية « الضرورة » ! .

« وكانت المفاجأة المذهلة أن يتصل بى وكيل وزارة التخطيط وهو الخبير العالمى الدكتور حلمى عبد الرحمن ، وتقابلنا وسألنى أن أنضم إلى لجنة يفكرون فى تشكيلها لدراسة شئون التخطيط ، واعتذرت لأنى غير مختص بالأمر ، لكنى عرفت أن هناك مجاعة أفكار ، والجميع مشغولون بالأشخاص والمناصب واللجان ، كما عرفت أن كبار الخبراء لا يفكرون ولا يريدون الاستقلال برأى وأنهم حرصا على تأمين أنفسهم من مغامرة التفكير يكتفون بتشخيص الأزمة وتوضيح أبعادها بدقة لكنهم لا يتدخلون برأى فى العلاج فى انتظار ما يراه القائد . خشية أن يقول أحدهم رأيا فىرى القائد رأيا آخر فتكون نهاية صاحب الرأى المرفوض » .



ومن المهم أن نقرأ بعض ما ذكره البغدادى نفسه عن فهمه للتخطيط أو بمعنى أدق للمسئولية عن التخطيط وأهميته ، وهى فقرات جيدة الصياغة وردت فى حلقات حديثه المطول لنصف الدنيا (١٩٩٦) حيث يقول :

« ... توليت وزارة التخطيط عام ١٩٦١ (يخطئ البغدادى فى هذا التاريخ وقد ذكرنا الصواب فى كتبنا المتعددة وهو أنه تولى هذه المسئولية منذ ١٩٥٦) ووضعت أول خطة خمسية فى تاريخ مصر ، ثم عرض على عبد الناصر تولى وزارة الخزانة إلى جانب وزارة التخطيط فقلت له : أنا مش فنى ورفضت ولكنه عاد واتصل بى قائلا : مش لاقى حد يمسك الوزارة ، فوافقت على طلبه ، وكان تمويل الخطة الخمسية يتم عن طريق وزارة الخزانة فأصبحت الدولة كلها فى يدى ، ثم عاد وطلب منى أن أتولى وزارة الاقتصاد وكان هدفه أن أفشل ولذلك رفضت ، وفجأة اقترح تشكيل مجلس رئاسة على أن نترك السلطة التنفيذية وقد أثار هذا دهشتنا حتى إن زكريا محيى الدين قال لى متعجبا منين كان امبارح بيطلب منك تولى وزاره الاقتصاد بجانب الخزانة والتخطيط والنهارده يطلب منا ترك السلطة التنفيذية » .



لعلنا بعد هذا ننتقل إلى الجزئية الخاصة بمعارضة البغدادي للتوجه إلى التأميم ، وهنا نعود إلى نص الأستاذ أحمد حمروش الذي يحاول أن يضع مبادئ لتأصيل هذا الخلاف من وجهة نظر فكرية وسياسية وذلك في كتابه قصة ثورة ٢٣ يوليو حيث يقول: « ... وكان هذا الاتجاه في ذاته محل اعتراض عبد اللطيف البغدادي الذي لم يكن من المحبذين لسياسة التعاون مع الدول الاشتراكية بقدر متزايد ، ولكن الخلاف بين جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادي كان ذا طبيعة ثالثة... فعبد اللطيف البغدادي رغم أنه من أبناء برجوازية الريف ، ورغم أنه كان على صلة تنظيمية مع الإخوان المسلمين وبعض الجماعات الإرهابية أو الفاشية قبل الثورة « جماعة اليد السوداء - عبد العزيز على - وجيش التحرير - فوزى القاوقجي » إلا أنه حضاري النزعة يؤمن بالديموقراطية الليبرالية ، وحاول أن يجعل من فترة رئاسة مجلس الأمة محاولة لخلق تجربة ديموقراطية في إطار الثورة » .



وفي موضع آخر يضيء أحمد حمروش موقف البغدادي المعارض للتأميمات فيقول:

« لم يكن عبد اللطيف البغدادي في أعماقه متحمسا لهذه التأميمات ولم يكن من أنصار الاندفاع في طريق التطبيق الاشتراكي ... ولم يتصور أن مزيدا من الإجراءات سوف يتوالى ويحاصر حرية الاستثمار الفردي التي تنمى عند الفرد - حسب قوله - روح الإجداد والمنافسة . ولم يكن عبد اللطيف البغدادي منفردا برأيه في ذلك ... كان عدد من زملائه أعضاء المجلس يشاركونه الرأي بصوت خفيض » قال لي حسن إبراهيم: إنه عارض تأميم محلات بنزاويون وعدس وشملا بعد تأميم محلات عمر أفندي وذلك لاقتناعه بنقص القدرة الكافية على إدارة هذه المحلات بنجاح» .



كذلك فإننا نجد بين المناقشات الكثيرة التي حرص البغدادي على أن يسجلها في كتابه مناقشة مهمة ومشهورة تربينا اعتقاده في القصور في فهم الرئيس جمال عبدالناصر لديناميات الأوضاع الاقتصادية والفكر السياسي ، وهو ما يتضح فيما يرويه البغدادي عن حواراه مع كمال الدين حسين حيث يقول:

«... ولقد قال جمال عبدالناصر فى سياق الحديث إنه متأثر بالفكر الماركسى ولكنه ليس «يسوعياً» ، وأنه مؤمن بأن اشتراكيتنا لابد أن تتطور إلى ملكية الشعب لأدوات الإنتاج بدلاً مما هم واردة فى الميثاق عن سيطرة الشعب على هذه الأدوات ، وهذه كانت نقطة البداية لم يسبق له أن أشار إليها من قبل ، وكنت لاحظت أن عبدالحكيم قد ذكره حين أن يتكلم جمال ، ولكنى لم أعر ذلك اهتماماً لعلمي أنه - أى حكيم - يحاضر «تعليمات» هذه الأمور . ولكن عندما ذكرها جمال سألت «هل هذا يسرى على جميع المرحلات الإنتاجية بهما صغر حجمها؟» ، فأكد هذا وقال «لماذا إن هذه التوحدة بين صغير ومهملاً قل عددهم ، ولأنه فى هذه الحالة سيصبح هناك استغلال الإنسان الإنسان» ، ولقد ضرب مثلاً بخاله الذى توفى وكان يكسب - على حد قوله - «أربعة آلاف ليرة» من الشهر الواحد من تشغيل ثلاثة لوريات ، وقال «و هو طبعاً كان قاعداً فى البيت» ، سألته سواقين ويكسب من عرقهم» ، وسأله كمال «هل الميكانيكى الذى يملك روضة صغيرة ويعمل عنده «اثنين» من الصبيان ينطبق عليه نفس الحالة» ، فأجابته جمال «نعم» ، أو يشاركوه فى الأرباح بسبب متساوية» ، وجاء رد كمال عليه مفاجأة له ولنا جميعاً على السواء ، وذلك بقوله «يتقى فى الشمس» ، وبظهر أن المفاجأة فى قول كمال عقدت لسان جمال ، فنظر إليه باندهاش ولكنه لم يرد عليه ، وأراد عبدالحكيم أن يحفف من وقع ما قاله كمال فذكر أنه يقصد أن هذا سيحتاج إلى وقت طويل لتحقيقه ، ثم عاد كمال وقال إن كل فرد أصبح غير مطمئن وقلق على مورد رزقه ويخشى أن يقطع عنه . ورد عليه جمال بقوله إنه لا يرفق أحداً وهناك لجنة خاصة للنظر فى تظلمات من يصدر ضدهم قرار بالفصل من وظائفهم . ولكن «كمال» استطرد وقال إن «جمال» أصبح يُشتم الآن فى الأوتوبيس والترام . ولما استعرب جمال ذلك واستنكره قال له كمال «تبقى الأجهزة اللي أنت معتمد عليها بتغشك !!» .



ومن المهم أن نشير إلى أن عبد اللطيف البغدادى كان - من ناحية أخرى - واعياً تماماً لما يمكن أن نطلق عليه انعدام الحاجة إلى التقليد المطلق أو الخرفى للنظام السياسى السوفيتى أو اليوغسلافى ، ولنا أن نقارن هذا الموقف بموقف الرئيس عبدالناصر الذى اقتنع فى بعض المراحل بأهمية أو فاعلية أو جدوى اقتباس هذه النظم كاملة حتى

بمقدماتها وذرائعها ، ويمكن لنا أن نلمح صواب هذه الفكرة بوضوح شديد فيما يرويه البغدادي نفسه فى فقرة من مذكراته يقول فيها:

«... ولكننى كنت خلُصت فى النهاية على أن جمال يحاول افتعال ثورة بإيجاد مثل هذه المجالس البعيدة كل البعد عن صفة الثورية ، وأنه يريد أن يتبع ما اتبعه الحزب الشيوعى عندما قامت الثورة البلشفية فى روسيا بعد الحرب العظمى الأولى ، وكان الحزب قد أقام مجالس ثورية له فى القرى والمصانع. ولكن الأمر عندنا يختلف تمام الاختلاف ، ولا يمكن تطبيق ما حدث فى روسيا فى مصر ، وليس هناك من مبرر لاتخاذ هذه الإجراءات الاستثنائية وتلك التغييرات الجذرية ، وضرر إقامة هذه المجالس بهذه الصورة المقترحة سيكون أكثر من نفعها ولن يكون لها أى دور فعال».

«كما أنى كنت قد أعددت بعض النقاط كاقترح لحل الموقف قبل التقائى مع جمال ، وكنت قد نويت التحدث إليه فيها ، ولكنه عندما تقدم باقتراحه وجدته يسير فى طريق غير الطريق الذى كنت أسير فيه ، لذا لم أشأ أن أثير معه ما كنت قد أعددت ، وفضلت تأجيل عرضه إلى يوم الجمعة الذى حدد للقائنا مع باقى الزملاء ، وذلك حتى أتيح لنفسى فرصة التفكير فى اقتراحه وإعادة النظر فى اقتراحى أيضاً. وكنت قد سطرت اقتراحاتى فى يومياتى ، وليس هناك من داع كذلك لشغل القارئ بها وبتفاصيلها ، وهى كانت تتركز أساساً فى دفع الحياة إلى المؤسسات السياسية والأجهزة التنفيذية القائمة وإعطاء دور إيجابى لها وكيفية تنفيذ ذلك».

ومن الإنصاف أن أشير إلى أن كل تحفظاتى (التي اختزلت الإشارة إليها) على فكر هذا الرجل لا تمنعنى من تكرار الإشارة إلى أنه كان ذا عقلية متميزة فيما بين أقرانه من قادة الثورة ، وقد وجدت أن من خير ما أدلل به على القدرات التنفيذية والعقلية المتميزة لهذا الرجل هو أن أنقل للقارئ حديثه عن بناء بيته الشهير فى مدينة نصر ، فعلى الرغم من أن هذا البيت بُنى منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، وعلى الرغم من أننا جميعاً قد لانذكر مفردات مصروفاتنا بالأمس القريب ولا مكونات ميزانيتنا ، على الرغم من هذا فإن هذا الرجل كان حين نشر آخر مذكراته فى ١٩٩٦ يتذكر كل التفاصيل بطريقة مذهلة وهو يرويها باعتزاز شديد مدللاً على قدرته على توفير أقصى الطاقات العقلية والاستشارية من أجل إنشاء شئ ما ، وهكذا كان الأداء المتميز لهذا الرجل وهو يدير

أمور الشئون البلدية والقروية فى وطنه حتى حقق لمسة واضحة لم يحققها أحد من قبله
ولامن بعده .

.....
«... كنا نركب الخيل التى كنا نحضرها من السوارى - سلاح الفرسان - وكنت
أصعد بحصانى على هذه التبة ، وأقف عند المكان الذى بنيت عليه الفيلا فيما بعد ،
فكنت أرى القاهرة كلها ، كما كنت أرى المراكب الشراعية التى تسير فى ترعة
الإسماعلية ، فتمنيت أن أبني «شاليه» فى هذا المكان الهادئ الذى يقع داخل القاهرة
وخارجها فى نفس الوقت .»

« أعلنت شركة مدينة نصر عن تأجير سبعة تباب فأقدمت على تأجير هذه التبة ،
لأننى وقتها كنت أسكن فى فيلا بشارع العروبة ، وأفكر فى الانتقال إلى مسكن
واسع ، وانتقلت بالفعل للإقامة فى استراحة القناطر الخيرية التابعة لوزارة الأشغال ،
واكتشفت أنها غير ملائمة وذات مرة كان يزورنى أخى سعد فوجدنى متضايقا من
مكان سكنى . وقلت له لو معايا فلوس كنت بنيت على التبة الموجودة بالقرب من
الاستاد لأكون داخل القاهرة وخارجها . فسألنى عن المساحة التى أريدها فأجبته مائة
متر ، ولأنه كان يملك شركة مقاولات أخبرنى أنه سيتحمل تكاليف إقامتها التى تبلغ
١٠٠٠ جنيه .»

.....
« كنت أريدها فيلا متميزة وغير تقليدية ، لذلك قمت بدراسة المشروع تفصيليا
فأحضرت مجلات لأختار منها ، وقررت أن تكون بنظام المكان المفتوح ، فأخبرت
المهندس مصطفى شوقى وكان يعمل معى فى وزارة الشئون البلدية والقروية ، فرشح
لى د. مجاهد وهو خبير فى التسليح ، وحضرا سويا إلى منزلى ، وجلسنا لمدة ثلاث
ساعات ندرس الموضوع بالتفصيل . وبدأ المهندس مصطفى شوقى فى عمل رسم
للفيلا على مساحة ١٧٠ م بدلا من المساحة المتفق عليها وهى ١٠٠ م فأعجبني ولم أغير
فيه .

« وبدأ العمل وبالطبع فقد زادت التكلفة من ١٠٠٠ جنيه إلى ٤٠٠٠ جنيه ، وقد أراد د. مجاهد ببناء هذه الفيلا أن يثبت كفاءته وتفوقه على صديقيه عثمان أحمد عثمان وأحمد محرم وكانوا يعملون معا فى بداية تخرجهم».

« كنا نقوم بضرب الطوب الأسمنتى لوجود مستلزماته متوفرة فى المكان الذى بنى فيه. وقد شجعنا هذا على بناء الدور الثانى للفيلا »

« وبالنسبة للفيلا من الداخل فلم تكن أرضيتها من الباركيه ولكنها من خشب الجازورينا الذى قمنا بإجراء اختبار عليه فى كلية الهندسة وثبتت متانته وقوته عن خشب الباركيه ، وقد كلفنى المتر من هذا الخشب ستة جنيهات فى حين كان سعر الباركيه يبلغ ٣٦ جنيه».

«أما الشيش والأبواب فهى عبارة عن فلنكات سكة حديد قديمة كانت تباع لوطات حريق وقام د. مجاهد بشراء لوط وقام بتقطيعه على شكل ريش صنع منها الشيش والأبواب ، أما الخشب الذى يكسو الحائط خلف المكتب فهو عبارة عن خشب ماهوجنا كان قديماً من غانا ولم يشتره أحد . فقام د. مجاهد بشراء مايلزنا بمبلغ خمسين جنيها وتم تجفيفه واستخدامه».

«أما الحائط الجانبى فهو من رخام الألبستر وقد اختار د. مجاهد هذه الخامة لأنه يملك محجراً للألبستر فى بنى سويف واستطاع استخدام قطع الألبستر المهذرة (المسوسة) ليكسوها هذا الحائط . وكان يهدف من وراء ذلك إلى إثبات إمكانية إعادة استخدام الألبستر المسوس واعترض مصطفى شوقى على هذه الخامة لأنها غير مجربة من قبل وأراد استبدالها بالطوب الحرارى. ولكن د. مجاهد استطاع إقناعه وكلفنى المتر الواحد جنيها ونصف الجنيه استغرق بناء الفيلا ثلاث سنوات وتكلفت ١٤ ألف جنيه».

«ويستكمل البغدادى قصة بناء الفيلا «وقبل أن أبنى الفيلا سألت مصلحة الأرصاد حتى أشيدها فى وضع عمودى على اتجاه الريح».

أرض الفيللا كان إيجارها السنوى ٨٦ جنيها ، وكانت شروط الإيجار قاسية ، فإذا أرادوا بعد ١٥ سنة إعادة تقسيم المنطقة فستصبح المباني من حقهم وبدون أى تعويض ، وفي عام ١٩٧٧ أخبرنى محافظ القاهرة أن المنطقة دخلت التقسيم ومن حقى شراء الأرض وكان ثمن المتر آنذاك أربعة جنيها ، فاستريتها بمبلغ ٣٨ ألف جنيه دفعت الثلث وقسطت الثلثين على ثلاث سنوات بعد أن قمت ببيع الأرض التى كنت أرثها .

ـ

ولست أظن أن من حقنا بعد هذا كله أن نهمل الحديث عن تفاصيل رأى الساذج الذى تحاول مذكرات سيد مرعى أن تلخص به رؤية البغدادي فى مجال التخطيط حيث تنتقد المذكرات بهدوء - وخبث مغزى السياسات التخطيطية للبغدادي مرجعة هذا إلى أن الرجل كان متأثراً بفلسفة مستشاره الدكتور إبراهيم حلى عبد الرحمن فى تقييم المشروعات (!!) ، ومع التحفظ على رواية سيد مرعى إلا أنى أجد أن من حق القارئ أن يطالع مثل هذه الأفكار حتى وإن عرضت بطريقة هى أقرب ماتكون إلى النسطيح ، يقول سيد مرعى فى كتابه ما نصه :

« ... أصبح مشروع « التجميع الزراعى » جزءاً من خطة التنمية فى قطاع الزراعة وقد اعتمد المشروع الذى قدمته على تطبيق التجميع الزراعى فى مائة وثمانين قرية خلال السنة الأولى من الخطة ، ثم ٤٠٠ قرية فى السنة الثانية ، وهكذا ، إلى أن تصل فى نهاية الخطة الخمسية إلى تعميم النظام فى أربعة آلاف قرية بمصر . وكانت تكاليف المشروع فى السنة الأولى هى ٣٦٠ ألف جنيه تم اعتمادها فعلاً ضمن اعتمادات الخطة . والمبلغ عبارة عن ألفى جنيه لكل قرية من الـ ١٨٠ قرية تخصص لإقامة مبنى صغير لعمل وإقامة مشرف زراعى واحد يكون مقيماً بصفة مسنمرة فى القرية للإشراف على تنفيذ المشروع وإرشاد الفلاحين وبحث شكواهم أولاً بأول . وبدأنا نطرح مناقصات لهذه المباني فى الـ ١٨٠ قرية .. ولكن ، لم يتقدم أحد من المتأولين ، وعندما بحثنا عن السبب اكتشفنا أن العملية فى حد ذاتها غير مغرية لمقاولى البناء بعد أن وجدوا أمامهم لأول مرة مشروعات بناء ضخمة فى قطاع الصناعة لا يقل حجم العمل فى المشروع الواحد منها عن مليون جنيه أو أكثر ، وبدأنا نبحث عن الأسمت ومواد البناء لكى نحاول أن نبني نحن ، فلم نجد ومرة أخرى كان السبب هو أن التركيز الذى بدأ فى بناء اسد العالى والمشروعات الضخمة الجديدة قد بدأ يؤدى إلى نقص مواد البناء فى الأسواق . »

«كان هذا مجرد واحد من الاختناقات العديدة التي لا بد أن تواجه أى خطة تنمية خصوصاً وأن تلك الخطة كانت هى الأولى من نوعها فى مصر . ولأن وجود المشرف الزراعى فى القرية هو الأساس فى بدء تنفيذ التجميع الزراعى ، فقد كان لا بد أن أتصرف بسرعة . وطلبت الاجتماع بالـ ١٨٠ مشرفاً زراعياً الذين تم اختيارهم للإقامة فى القرى . وشرحت لهم الظروف بكل صراحة ، وقلت لهم : إننا الآن مهددون بأن يصاب هذا المشروع الحيوى بالشلل بسبب نقص مواد البناء وعدم جاذبيته للمقاولين ، إننى أعرف مدى حيوية وجود مكان عمل وإقامة للمشرف الزراعى فى الريف ، ولكن لا بد من بديل للمباني حتى لا تعطل التجربة ، ولقد فكرت كثيراً فى بديل واهتديت إلى اقتراح أعرضه عليكم وهو أن نوفر خيمة فى كل قرية لكل مشرف زراعى تكون هى محل عمله ومكان إقامته ، إلى أن نتمكن يوماً ما من حل مشكلة المباني . إننى أعرف أن هذا الحل قد لا يكون إنسانياً ، لذلك فأنا أعرضه عليكم كمجرد اقتراح ، وأترك لكم حرية قبوله أو رفضه ، معتمداً فقط على مشاعركم الوطنية واقتناعكم بحيوية التنمية الزراعية لبلدنا».

«وقبل أن أنتهى من كلمتى فوجئت بالـ ١٨٠ مشرفاً زراعياً يصفقون بحرارة ، ويتحمسون بالإجماع لاقتراحى ، إننى كنت أعلم أن كلا منهم إنما يقدم فى الواقع تضحية كبرى ، على حساب راحته الشخصية ، اقتناعاً منهم بأنهم جزء من مشروع ناجح وحماساً من جانبهم ليكونوا جزءاً من خطة كبرى لتنمية بلدهم ، التى بدأت تتحدث عن التخطيط لأول مرة. وسافر المشرفون الزراعيون إلى القرى ، وأقاموا فى الخيام ، ونجحت التجربة ، ولم ندفع مليماً ، وبالتالي فقد ظل اعتماد الـ ٣٦٠ ألف جنيه المدرج فى ميزانية الخطة عن السنة الأولى كما هو ، لم تمسه يد .»

«ثم جاء التقرير السنوى الشامل عن موقف التنفيذ بالنسبة للسنة الأولى من الخطة ، وهو التقرير الذى أعده وقدمه السيد عبد اللطيف البغدادى للمناقشة فى مجلس الوزراء .. باعتباره رئيس لجنة التخطيط . وبدأ الاجتماع بشرح مختصر من السيد عبد اللطيف البغدادى لتقييم ما تم إنجازه .. قطاع الصناعة نفذ مشروعات بنسبة مائة فى المائة ... ثم .. قطاع الزراعة صفر فى المائة ! وأصبت أنا بدهشة بالغة ، وفى نفس اللحظة نظر جمال عبد الناصر نحوى مستغرباً ومتسائلاً .. إزاي ياسيد تبقى نسبة

التنفيذ عندك صفر فى المائة ؟ إحنا مش ساندناك فى فكرة التجميع الزراعى وحمسناك؟
إزاي صفر فى المائة ؟».

«وبدأت أشرح للرئيس ، ولزملائي فى مجلس الوزراء ، أننا فى الواقع قد نفذنا المشروع بنسبة مائة فى المائة ، نفذناه قبل مواعده .. وواجهنا مشكلة عدم وجود مبان للمشرفين الزراعيين ولكنهم من جانبهم ضحوا براحتهم وحققهم وأقاموا فى خيام . تساءل الرئيس مرة أخرى .. حاجة غريبة .. إذن إزاي صفر فى المائة ؟ قال عبد اللطيف البغدادي .. اعتماد الاستثمار .. اللي هو ٣٦٠ ألف جنيه ، كما هو لم يمس ».

« هنا كان واضحاً أن الأساس الذى اتبعته وزارة التخطيط ، فى متابعة وتقييم تنفيذ خطة التنمية خلال السنة الأولى هو فقط أساس الاستثمار . وبكلمات أخرى أن اتفاق ما هو مدرج فى الميزانية أصبح هو مقياس التنفيذ أو عدم التنفيذ ، فإذا اعتمد لمصنع مثلاً مليون جنيه ، منها ٢٠٠ ألف للإنشاءات ، و ٢٠٠ ألف للمرافق ، و ٢٠٠ ألف للعمالة ، و ٢٠٠ ألف للخامات ، و ٢٠٠ ألف للماكينات .. فإن نسبة التنفيذ تكون ٨٠ ٪ / لو أنه تم إنفاق المبالغ المدرجة للإنشاءات والمرافق والعمالة والخامات برغم أنه فى هذه الحالة يجب أن تكون نسبة التنفيذ صفراً فى المائة . وهنا قال الرئيس جمال عبد الناصر .. فعلاً ، الكلام ده صح .. لكن ، على أى حال .. إحنا مفهوم التخطيط مازال جديداً علينا ، ولا بد أن نتعلم . وقد لا يكون الإنفاق مقياساً نظرياً للتنفيذ ، ولكن عملياً يجب أن يكون المقياس هو الإنتاج الفعلى فالمشروع لا يعتبر أنه تم تنفيذه إلا فى اللحظة التى يبدأ فيها الإنتاج ».

« وتدخل عبد اللطيف البغدادي فى المناقشة (الكلام لسيد مرعى) وتدخل زملاء آخرون .. كان الهدف هو الاستقرار على مقياس حقيقى وفعال يقاس به تنفيذ مشروعات الخطة . وكان واضحاً أن عبد اللطيف البغدادي متأثر فى آرائه بنظريات الدكتور إبراهيم حلمى عبد الرحمن ، ساعده الأيمن فى التخطيط ، والرجل الذى يمثل كفاءة نظرية كبرى . وكان بعضنا مقتنعاً باعتبار الإنفاق مقياساً للتنفيذ ، وبعضنا غير مقتنع ، وبعضنا الآخر يرى أنه حتى لو كان الإنفاق يصلح مقياساً للتنفيذ فى بعض القطاعات - كالصناعة ، فإنه لا يصلح فى قطاعات أخرى .. كالزراعة . واستقر الأمر على حل وسط .. وهو أن يكون الإنفاق مجرد واحد من مقاييس عديدة ، وليس هو المقياس الوحيد ، لمتابعة مشروعات الخطة ».

عبد اللطيف البغدادي
شهيد النضال الثوري

4

الإنجازات التنفيذية
لعبد اللطيف البغدادي

دار الخيال

لعل خير بداية لهذا الباب هي أن أكرر المعنى الذي أشرت إليه في الباب الأول من هذا الكتاب من أن عبد اللطيف البغدادي كان متميزاً عن كل زملائه من رجال الثورة جميعاً بالقدرة الفذة على الإنجاز ، وقد كان الوحيد منهم الذي جمع ما نسميه في الأدب والفكر بالقدرة على الحلم وعلى وضع الخطط الكفيلة بتنفيذ حلمه ثم على متابعة هذا التنفيذ. والفارق بينه وبين زملائه جميعاً في هذه القدرة كبير جداً فعلى الرغم من قدرة السادات الخيالية واللامحدودة على الحلم ، وعلى الرغم من قدرة عبد الناصر الرائعة على استثارة الحماس وتوجيهه ، وعلى الرغم من إخلاص كمال الدين حسين وتفانيه في تنفيذ كل مابدأه ، وعلى الرغم من تفاني زكريا لما يعمل وادائه المتواصل في صمت ، إلا أن البغدادي يفوق هؤلاء الأربعة في القدرة على الحلم وتحقيق الحلم في كيان متميز ومتكامل بتكلفة أقل وفي وقت أسرع وبجودة أرفع.



وأثنى بأن أذكر أنه على صعيد العمل الوزاري : تولى عبد اللطيف البغدادي خمس وزارات ، وهو بذلك صاحب الرقم القياسي في عدد الوزارات المختلفة التي تولّاها شخص واحد في عهد الرئيس جمال عبد الناصر ، وإن لم يكن صاحب هذا الرقم على مستوى تاريخنا المعاصر ، أما الوزارات التي تولّاها البغدادي [على مدى فترة امتدت إلى تسع سنوات ونصف السنة (منذ أول وزارة إلى آخر وزارة) وعلى مدى ثماني سنوات فقط تولى فيها مسئوليات وزارية] فكانت: الحربية والبحرية ، والشئون

البلدية والقروية ، والتخطيط ، وشئون مدينة بورسعيد ، والخزانة ، وهي كما نرى تمثل طيفاً واسعاً لم يحدث لغيره أن تولاه ، فمن هو غيره وزير الحربية في عهد الثورة كله الذي تولى وزارة المالية أيضاً ، بل من هو وزير الشئون البلدية والقروية الذي تولى أيضاً وزارة الحربية أو وزارة المالية .. بل من هو غيره الذي تولى وزارة شئون بورسعيد ، ومن هو الذي سبقه إلى وزارة التخطيط .. لا أحد. بل إن البغدادي كان مرشحاً أيضاً ليتولى وزارة الاقتصاد بالإضافة إلى الخزانة والتخطيط.

ويجدر بنا أن نبدأ بأن نناقش في عجالة رحلة البغدادي مع المناصب التنفيذية في عهد الثورة ، فعند إعلان الجمهورية في ١٨ يونيو ١٩٥٣ تشكلت وزارة جديدة برئاسة اللواء محمد نجيب وقد دخلها البغدادي وزيراً للحربية والبحرية ليكون واحداً من أول ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة يتولون المناصب الوزارية (الآخران هما جمال عبد الناصر وصالح سالم) وذلك بالطبع بعد رئسهم اللواء محمد نجيب الذي كان قد تولى رئاسة الوزارة منذ سبتمبر ١٩٥٢ ، وقد خلف البغدادي في هذه الوزارة اللواء محمد نجيب نفسه الذي كان يتولاها منذ سبتمبر ١٩٥٢ في وزارته الأولى.

وقد احتفظ عبد اللطيف البغدادي بوزارة الحربية في وزارة عبد الناصر الأولى في فبراير ١٩٥٤ وفي وزارة نجيب الثالثة في مارس ١٩٥٤ .

ولكن عندما شكل جمال عبد الناصر وزارته الثانية في ١٧ أبريل ١٩٥٤ [بعد التنحية الثانية لمحمد نجيب عن رئاسة الوزارة] اسندت إلى عبد اللطيف البغدادي وزارة الشئون البلدية والقروية ليخلف فيها الدكتور وليم سليم حنا بينما خلفه في وزارة الحربية حسين الشافعي الذي دخل الوزارة لأول مرة في ذلك اليوم وكان وليم سليم حنا قد استقال في غضون أزمة مارس.

وكان تولى عبد اللطيف البغدادي لهذه الوزارة يمثل من حيث المبدأ أول خطوة جبارة في طريق تولى العسكريين الشبان لوزارات الدولة الفنية .. ولم يسبقه في هذا الطريق إلا رشاد مهنا وجمال سالم اللذان كانا قد توليا وزارة المواصلات ولكنها - أي المواصلات - لم تكن إلى ذلك الحين من الوزارات الفنية تماماً ، بل كانت تمثل بداية جيدة للوزراء السياسيين ، وقد بدأ كل من مصطفى النحاس باشا ، ومحمد محمود باشا ، ومكرم عبيد باشا ، وأحمد زيور باشا مناصبه الوزارية بتوليها.

وقد ظل البغدادي وزيراً للشئون البلدية والقروية في وزارة عبد الناصر الثالثة في

يونيو ١٩٥٦ وهي الوزارة التي تشكلت بعد إعلان انتخاب عبد الناصر رئيساً للجمهورية وأضيفت إليه أعباء وزارة الدولة للتخطيط وكان أول من تولى هذه المسئولية ، وبعد ستة شهور أضيفت إلى البغدادى أيضاً أعباء وزارة شئون مدنية بورسعيد فى ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ ليتولى إعادة تعمير المدينة بعد انتهاء العدوان الثلاثى . وقد كان عبد اللطيف البغدادى كما أشرنا هو الوحيد الذى تولى شئون هذه الوزارة فقد انتهى عهدها بعد هذا .

بيد أن البغدادى ترك المناصب الوزارية كلها فى أغسطس ١٩٥٧ حيث تولى رئاسة أول برلمان فى عهد الثورة (وهو مجلس الأمة) وفى ٢٠ أغسطس ١٩٥٧ صدر قرار جمهورى بتوزيع المهام الوزارية التى كان يتولاها على اثنين من الوزراء فندب الدكتور عبد المنعم الفيسونى ليتولى أعمال وزير الدولة لشئون التخطيط . ونندب الدكتور مصطفى خليل للقيام بأعمال وزير الشئون البلدية والقروية

وفى ٣ نوفمبر ١٩٥٧ أسندت إلى حسين الشافعى مهمة وزير الدولة للتخطيط وهكذا خلف الشافعى البغدادى للمرة الثانية (كان قد خلفه فى وزارة الحربية) .

وعقب قيام الوحدة مباشرة ترك البغدادى رئاسة مجلس الأمة (لأن المجلس نفسه ألغى بقيام الوحدة) وأصبح نائباً لرئيس الجمهورية دون أن يتولى مسئولية أية وزارات . فى وزارة الوحدة الأولى التى رأسها الرئيس عبد الناصر (مارس ١٩٥٨) ولكنه فى الوزارة التالية (أكتوبر ١٩٥٨) اختص بالإضافة إلى منصب نائب رئيس الجمهورية بمنصب وزارى هو وزير التخطيط المركزى .

وفى وزارتى الوحدة التاليتين (سبتمبر ١٩٦٠ ، أغسطس ١٩٦١) اقتصرت مهامه على منصب نائب الرئيس ، ولكن بعد الانفصال شغل البغدادى فى وزارة الرئيس عبدالناصر الثامنة (أكتوبر ١٩٦١) منصب نائب الرئيس ونولى بالإضافة إلى ذلك وزارتى الخزانة والتخطيط (أكتوبر ١٩٦١ - سبتمبر ١٩٦٢) وفى أثناء هذه الوزارة (مارس ١٩٦٢) عين نائب لوزير الخزانة هو أحمد زندو .

وكان آخر عهد البغدادى بالمناصب الوزارية فى سبتمبر ١٩٦٢ ، ففى ذلك الوقت عين على صبرى رئيساً للمجلس التنفيذى (وزارته الأولى) ، ولهذا ترك كل أعضاء مجلس قيادة الثورة مناصبهم الوزارية حيث أصبح البغدادى عضواً فى مجلس الرئاسة ، ورئيساً له بالنيابة عند غياب عبد الناصر أو اعتذاره .

وهكذا ابتعد البغدادي عن المناصب التنفيذية بعد أن ظل موجوداً فيها منذ إعلان الجمهورية (يونيو ١٩٥٣) باستثناء فترة رئاسته للبرلمان الأول للثورة.

ولم يعد البغدادي إلى أى منصب وزارى فيما بعد هذا وإن كان ثلاثة فقط من زملائه أعضاء مجلس القيادة قد عادوا إلى المناصب الوزارية وهم: زكريا محيى الدين فى ١٩٦٥ (حيث شكل الوزارة) ثم بعد الهزيمة ، وحسين الشافعى بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وأنور السادات بعد أن تولى رئاسة الجمهورية.



بالإضافة إلى المناصب الوزارية التى تولاها عبد اللطيف البغدادي ، وبالإضافة إلى رئاسته لمجلس الأمة الأول فى عهد الثورة ، فقد أسندت إلى البغدادي عدة مهام رئيسية فى العمل الرئاسى والسياسى والسيادى والتنفيذى على حد سواء.

فعقب قيام الثورة والإعلان عن إنشاء هيئة التحرير أعلن عن إسناد منصب المراقب العام للهيئة إليه ، وبهذا كان البغدادي بمثابة أبرز الوجوه التى أسندت الثورة إليها مبكراً مهمة الاتصال الجماهيرى.

وفى ١٦ سبتمبر ١٩٥٣ عين كأول رئيس لمحكمة الثورة ، وهى محكمة استثنائية كان قضاتها الثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وفيما بعد فإن البغدادي رفض أن يرأس المحكمة التى شكلت لمحاكمة الإخوان المسلمين.

وعند تشكيل مجلس الخدمات فى ١٩٥٤ عين البغدادي رئيساً لهذا المجلس ، وكانت لهذا المجلس سلطات وصلاحيات واسعة مكنت البغدادي من تحقيق كثير من الإصلاحات «الثورية» فى مجالات مختلفة ، وكان هناك مجلس آخر للإنتاج كان يرأسه جمال سالم ، وكانت الثورة فى عهدها الأول قد عهدت إلى هذين الرجلين بالمسئولية المباشرة عن هذين المجالين المتكاملين: الإنتاج ويتولاه جمال سالم ، والخدمات ويتولاها البغدادي.

وفى أثناء الوحدة مع سوريا رأت قيادة الدولة أو رأى جمال عبد الناصر أن يختص البغدادي بالإنتاج على حين أسندت المسئولية عن الخدمات إلى كل من زكريا محيى الدين وحسين الشافعى ، وهكذا كان البغدادي الوحيد الذى تولى كل القطاعات حيث خلف جمال سالم فى المسئولية الأولى عن قطاع «الإنتاج» بعدما كان قد تولى «الخدمات» لفترة طويلة.

وقد تأكد هذا التوجه بعد ستين حين عُيِّن عبد اللطيف البغدادي في نوفمبر ١٩٦٠ رئيساً للجنة الوزارية للشئون الاقتصادية ورئيساً للجنة الاقتصادية العليا.

وعندما شكل الرئيس جمال عبد الناصر وزارته التي أعقبت الانفصال في أكتوبر ١٩٦١ ، نص قرار تشكيلها على أن البغدادي نائب لرئيس الجمهورية لشئون الإنتاج ووزير للخزانة والتخطيط ، وعقب تشكيل هذه الوزارة مباشرة كلف البغدادي بإعادة تنظيم الجهاز الحكومي.

وعند تشكيل مجلس الرئاسة في سبتمبر ١٩٦٢ أصبح البغدادي بمثابة أول أعضاء مجلس الرئاسة بعد رئيسته الرئيس عبدالناصر ، وبعدها بشهر اختير عضواً باللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي (أكتوبر ١٩٦٢) ، وقد ظل محتفظاً بهذه العضوية في مجلس الرئاسة وباللجنة التنفيذية وبمنصب نائب رئيس الجمهورية حتى استقال من كل مناصبه واعتزل الحياة السياسية في مارس ١٩٦٤.



ويمكن القول بأن عبد اللطيف البغدادي لم يغب عن أى محفل من المحافل التي تولت صياغة أفكار ثورة يوليو في الحكم طيلة الفترة التي ظل مشاركاً فيها في المسئولية ، وقد رأينا كيف شارك في محكمة الثورة ، وهيئة التحرير ، ومجلس الأمة ، واللجنة التنفيذية العليا ، ومجلس الرئاسة ، ومجلس الخدمات ، وشئون الإنتاج ، والتخطيط وتعمير مدينة بورسعيد... إلخ.

بل إن البغدادي كان حريصاً على أن يشير إلى أنه اشترك برجاله في وضع الميثاق الوطني ، في وقت لم تكن هذه المشاركة مقترنة بالمجد ولا بالتمجيد ، وقد جاء حديثه في هذه الجزئية في إطار ما أسماه: «تصحيحه لبعض الوقائع التي رأى أن هيكل قد جانبه الصواب فيها في حديثه (أى حديث هيكل) مع صلاح منتصر» . فانتهاز البغدادي فرصة حديثه مع صلاح منتصر وعرض وجهات نظره في هذه الوقائع ، ومنها تكذيبه لما ضمنه هيكل واقعة لقائه (أى لقاء هيكل) بعبد الناصر قبيل الثورة وما ادعاه من حوار بينهما حول تحسب عبدالناصر لاحتمالات تدخل الجيش البريطاني وطمأنه هيكل لعبد الناصر حول هذه الجزئية.

وفى هذا الإطار فقد حرص البغدادي أيضا على أن يوضح جوانب الصورة أو دقائقها فيما يتعلق بمشاركته في إعداد الميثاق سنة ١٩٦٢ حيث يقول:

«... والذي حدث أنه بعد صدمة الانفصال السوري ومناقشة أسبابها ونتائجها والطريق الذي يجب أن نتبعه في المستقبل لامتناس نتائج هذه الصدمة ، فكرنا في ضرورة أن يكون لنا برنامج عمل تحدد فيه معالم الطريق للمستقبل حتى يكون واضحا للمواطنين ويعمل كل مواطن بحسب هذا البرنامج . ومن هنا تولدت فكرة الميثاق ، وطلب مني جمال عبد الناصر أن يقوم جهاز التخطيط الذي كنت رأسه بعمل مشروع برنامج فكلنت الدكتور إبراهيم حلمي عبد الرحمن والدكتور محمود الشافعي من مكنتي أن بعدا هذا البرنامج ، كما طلب جمال أيضا من كمال الدين حسين نفس الشيء فكلنت بعض أساتذة الجامعة بإعداد برنامج أيضا ، وأخذ عبد الناصر المشروعين وأعطاهما لهيكل لصياغتهما في مشروع واحد وكتابة مقدمته .. والفضل يرجع فعلا لهيكل في صياغة البرنامج في صورته النهائية وكتابة المقدمة .. إلا أنني أرى ضرورة أن نعطي لكل حقه ولا نبخس عمل الآخرين».



يبدو لي أن قدرات البغدادي المتميزة كانت بمثابة العامل الحاسم في النزاعات بينه وبين عبد الناصر ، وعلى غير ما يعتقد القراء فإن هذه القدرات كانت بمثابة أبرز العوامل ضد البغدادي نفسه في هذا الصراع الطبيعي بين اثنين من المسؤولين عن دولة جديدة أو عن ثورة (أو حركة عسكرية) تولت الحكم ، وقد حاولت أن أبحث عن بدايات الاختلافات في العمل التنفيذي بعد أن قامت الثورة وتحقق وجودها فوجدت جذورا قديمة كثيرة ولكنني أرجح أن أسبق هذه الخلافات إلى التشوب هو ما يشير إليه البغدادي نفسه في حديثه لتصف الدنيا (١٩٩٦) حيث يقول:

«... كثيرا ما اصطدمت بعبد الناصر مما ترك بعض الحساسيات لديه وازدادت هذه الحساسية عندما توليت رئاسة محكمة الثورة فقد كان عبد الناصر يرغب في أن يرجع إليه قبل إصدار أي حكم بحجة أنها محاكمات وقضايا سياسية لا بد أن تعرض على مجلس قيادة الثورة قبل الحكم فيها ، وقد اعتبرت هذا مخالفاً للوضع الطبيعي ، فالمجلس لم يسمع أقوال المتهم والشهود والإدعاء ، لذلك رددت عليه قائلا : اننا نحكم بضمير القاضي ، مما جعل عبد الناصر يأخذ موقفا مني».

وهكذا نرى أنه كان من اليسير جداً أن يثور النزاع من أن لآخر بين رحلين يتمتع كل منهما بروح المسؤولية وبالقدرة عليها ، ولكنهما في ذات الوقت يتمتعان بالشقة في النفس إلى حد صخيم ، وبالاعتداد بالذات إلى حد مزعج المغير.

ونعود لنسأل. ولكن لماذا تكرر اختلاف عبد الناصر مع السعداى ولماذا تفارق هذا الخلاف إلى مجالات مختلفة ؟ .. الإجابة طويلة وقد تكون مذكرات عبد اللطيف البغدادى نفسها بمثابة إجابة مطولة على مثل هذا السؤال ، ولكننا مع هذا لا نستطيع أن نتجاهل السبب الجوهرى الذى أشرنا اليه لتونا وهو احتفاظ البغدادى بدرجة عالية من الاعتداد بالنفس والكرامة البشرية .

٢

ورما أجدنى مدفوعاً لأن أكرر هنا ما أشرت إليه فى الباب الاول من هذا الكتاب من أن عبد اللطيف البغدادى كان يحتل مرتبة سامقة بين زملائه فى رعايا الجماهير . فقد كان اسمه مرتبطاً بالإنجاز الحقيقى والسريع ، ومنذ أيام عبد اللطيف البغدادى لم تكرر صوته مستطاع أن ينفذ ما استطاعه السعداى بهمة وإتقان وبلى لمع التمسير . ولا شك أن إنجازاته ذاتها قد تعرضت للتضخيم الفولكلورى حتى وصلت إلى حدود لم يكن هم ليتمسيرها ، ولكن الجمهور سعدور فى ذلك ، فإن هذا الجمهور لم يشهد فى حياته قبل البغدادى ولا بعده من قام بما قام به البغدادى فى فترة وجيزة . وقد سمعت أنا شخصياً من بعض الناس أن البغدادى كان يمر على الطريق الترابى إلى الصباح فيمر بأن يرصف الطريق فى ذات اليوم ويعود يمسر عليه فى اليوم ومروم مصوف . ومع استحالة وقوع مثل هذا فإن هذه الأقوال تعطينا فكرة عن مدى الإعجاب وسعدائه وإنه يمكن حقيقة تماماً ..

رفى كل المذكرات التى نقرأها لأدباء وفنانين أو رجال حياة عامة تأتى سيرة البغدادى بالخير والمديح ، وتأتى مرتبطة بما أجز من تحولات هندسية حقيقية أعادت صياغة كثير من سلامح القاهرة ، وأذكر أنى حين كنت أراجع تجربة الفصل الذى كتبته عن مذكراته فى كتابى « مذكرات الضباط الاحرار » للمرة الأخيرة كنت أقرأ مذكرات السيدة عابدة الشريف « شاهدة ربع قرن » فوجدتها تتحدث عن التغيير الذى أصاب حياة أسرته يوم تقرر هدم بيوتهم فى جزيرة الروضة لأن البغدادى قرر هدم كل البيوت التى تسد مسارات الشوارع وتجعل الشارع يقف عند نقطة معينة .

ومنذ زمن بعيد فإننى لا أمر من ذلك النفق العظيم المصمم تحت كوبرى قصر النيل (نفق كمال الدين صلاح) من جهة التحرير أو فى ذلك الطريق الكورنيشنى إلا وأدعو للبغدادى وأدعو من يكون معى إلى أن يشاركنى الدعاء له بالرحمة والمغفرة..

وفى عدد من مقالاتى التى كتبتها منذ ٢٠ عاماً والتى ضمها كتابى «مستقبلنا فى مصر: الحلول الجزئية هى الأجدى أحياناً» كنت أشير فى كثير من الفقرات إلى جهد هذا الرجل العظيم حين أستدعى الشواهد التى تؤيد ما اقترحه من أفكار لحل بعض المشكلات المتراكمة.



ومن حسن الحظ أن نجد فى كتاباتنا الصحفية والتاريخية كثيراً من الثناء والتقدير لجهود البغدادى التنفيذية وإنجازاته ، وسأقتطف من هذه الكتابات ما كتبه الأستاذ صلاح منتصر فى مجلة أكتوبر فى ٣ يوليو ١٩٨٨ فى مقدمة حواراته مع عبد اللطيف البغدادى حيث يقول:

«أطلقت عليه أسماء كثيرة: المايسترو ، وصاحب العصا السحرية ، والدينامو ، والرجل المعجزة».

«كانت ميزته أنه كان يعرف كيف يختار معاونيه ، وكيف يعطيهم ثقته ، وكيف يحدد برنامج العمل ويضع لهم وقتاً لتنفيذ كل مشروع ، ويكون عقابه قاسياً عند التأخير ، والمكافأة مجزية عند التنفيذ».

«ولم يعرف فى جميع المواقع التى عمل بها شلة تحاصره وتغلق الأبواب والشبابيك وتمنعه من رؤية الآخرين ، وكان لابد أن يشير لنجاحه غيرة الكثيرين».

«وتصادف أن كان هناك مندوب صحفى نشيط يعمل فى جريدة «الأهرام» وهو الأستاذ محمد الليثى الذى لم يمر عليه يوم واحد دون أن يكتب عن البغدادى خبراً.. كانت أخباره عن البغدادى منشورة كل يوم فى الصفحة الأولى وفى الصفحات الداخلية ، إلى درجة أن جمال عبد الناصر تصور أن البغدادى هو الذى يلاحقه بإعطائه الأخبار ، فأرسل إلى الوزراء منشوراً يلفت نظرهم فيه إلى كثرة اتصالهم برجال الصحافة ونشر الأخبار عنهم .. وكان البغدادى هو المقصود من هذا المنشور ، وبسببه

قدم استقالته لأن نشاطه الذى كان يقوم به فى مختلف المجالات والمشروعات هو الذى كان يجعل مندوبى الصحف يجرون وراءه ، لا أن يجرى هو وراء هؤلاء المندوبين».

«... كان تنفيذ المشروعات فى أوقات قياسية هو أكبر هواياته [الضمير يعود على عبداللطيف البغدادى].. وكانت قدرته الكبرى على النجاح فى أى موقع يوضع فيه هى أبرز مشاكله!».

«فى وزارة الحربية التى عين وزيراً لها فى يونيو ١٩٥٣ ، ولمدة أقل من ١٠ شهور ، أقام أول مصنع حربى فى مصر.. وعندما نقل فى أبريل ١٩٥٤ إلى وزارة الشؤون البلدية والقروية ، وهى وزارة كانت معروفة بأنها وزارة الرصف والمجارى ، فإنه فى اليوم التالى من تعيينه استدعى كبار العاملين فى الوزارة وسألهم عن المشروعات «المركونة» عندهم ، وضحك كبار الموظفين من هذا «الضابط» الذى تبدو عليه الحماسة ، فأحالوا إليه مشروعا متأخرا منذ عدة سنوات بسبب صعوبة التنفيذ وكم المشاكل التى تحيط به .. وأمسك عبد اللطيف البغدادى بملف المشروع ، وكان يحمل عنوان «كورنيش النيل لمدينة القاهرة» ، وأعلن لكل الموظفين ضرورة إنهائه قبل ستة أشهر!».

«وجاءه وكيل الوزارة يقول له: يا أفندم المشروع يحتاج على الأقل إلى ٦ سنوات.. فالكورنيش طوله ٦٥ كيلومترا (من حلوان إلى شبرا) ، وهو ليس مجرد عملية رصف فقط بل يتضمن إزالة مواقع كثيرة ، وفى بعض الأماكن يحتاج إلى ردم فى مناطق من النيل ، ثم شق الشارع وتسويته ورصفه وإنارته.. عدا إقامة عدد من الحدائق».

«وقال وكيل الوزارة: ثم إن هناك غير هذا مبنى السفارة البريطانية الذى لابد من إزالة الجزء المطل منه على مياه النيل ، وهذا كما تعرف سيادتكم يتطلب اتصالات وترتيبات ربما لن تستغرق أقل من سنتين».

«وانتظر عبد اللطيف البغدادى وكيل الوزارة حتى أنهى كلامه وقال له: خلاص.. قلت كل ما عندك؟».

«قال وكيل الوزارة: أنا حبيت يا أفندم أضع سيادتكم فى الصورة بكل أمانة».

«قال عبد اللطيف البغدادى: إذن فسننفذ المشروع فى خمسة أشهر بدلا من ستة!!».

«ولم يبدأ البغدادي بالاتصال بالسفارة البريطانية لكي يفوضها في إزالة الجزء الذي يلاصق حافة نهر النيل من مبناها ، والذي كان شبه إمبراطورية مستقلة ، وإنما قرر أن يترك هذه العملية إلى أن يرى المشروع النور ، ويصبح أمرا واقعا ويتحول مبنى السفارة البريطانية إلى حاجز استفزازي بطالب كل من يمر بإزالته».

«ثم بعد شهرين ، وكان العمل قد وصل تقريبا إلى نصف مسافة الكورنيش ، ظهرت الصحف المصرية تحمل نصريحا للبغدادي وزير الشؤون البلدية والقروية يعلن فيه أنه سوف يزيل الجزء المطل على النيل من مبنى السفارة البريطانية لكي يخترقه الكورنيش.. وانتظر البغدادي أن يتصل به أحد من السفارة ، ولكن صوتا واحدا لم يتصل به .. وبعد حوالي عشرة أيام - وكان اليوم يوم الأربعاء - أعلن البغدادي أن عملية إزالة مبنى السفارة البريطانية سوف تتم يوم الاثنين ، وأن معدات الإزالة سوف تشق طريقها في السفارة في ذلك اليوم!».

«وفي اليوم التالي أبلغ البغدادي أن مندوبين من وزارة الأشغال البريطانية قد وصلا ويطلبان لقاء عاجلا.. وكان أول ما قاله المندوبان إن حكومة جلالة الملك متمسكة بموقع سفارتها على النيل.. قال البغدادي: ولكنني أعلنت أمام الرأي العام أن حكومة الثورة سوف تنزع ملكية هذا الجزء من السفارة وستزيله ، وأنا أيضا متمسك بما أعلنت ، وكل الذي تستطيعونه هو التعويض».

«ولم يستطع المندوبان البريطانيان تغيير موقف البغدادي ، فقد أعلن إصراره على الإزالة في الموعد الذي حدده ، وحق السفارة البريطانية في تعويض يقدر على أساس السعر المماثل.. وانتصر البغدادي ، وتم دفع تعويض قدره ١٥٠ ألف جنيه ، تم تقسيطه على ٣ سنوات بواقع ٧٠ جنيها للمتر في ذلك الوقت ، وكان يعتبر أعلى متر في كل مصر».

«وبدلا من خمسة شهور كان البغدادي قد قرر إقامة الكورنيش خلالها.. فإنه أقامه في أربعة أشهر ونصف الشهر ، بتكاليف بلغت في ذلك الوقت ٦٠٠ ألف جنيه لمسافة ٦٥ كيلومترا».

«وإلى البغدادي يرجع أيضا الفضل في إقامة استاد القاهرة ، وكان قد تم استدعاء الخبير الألماني الذي أقام استاد برلين ، فاقترح أربعة أماكن لإقامة الاستاد: الحلمية ،

وفى سنة ١٩٥٦ قرر وزير الشئون البلدية والقروية عبد اللطيف البغدادى البدء فوراً فى توسيع شارع الخليج المصرى عن طريق هدم فاصل المباني بينه وبين شارع ضيق آخر مواز له من جهة الشرق ، وهذا الشارع الشرقى كان له عدة أسماء تختلف من منطقة لأخرى ، وهى من الجنوب إلى الشمال: درب الحماميز - شارع جامع البنات - شارع بين النهدين - شارع بين الصورين - شارع سوق الجراية. وبذلك نشأ شارع جديد متسع عرضه ٤٠ متراً حيث تقرر فى سنة ١٩٥٧ تسميته شارع بورسعيد تكريماً للمدينة التى تعرضت للعدوان الثلاثى فى سنة ١٩٥٦.

ثانياً، طريق كورنيش النيل، وكان شأنه شأن شارع الخليج المصرى ، أى أنهما كان قد شرع فى توسيعهما ، ولكن ذلك توقف طويلاً. وقد كان يوجد فى مكان طريق كورنيش النيل منشآت كانت تشغل أجزاء كثيرة منه ، أشهرها من الجنوب إلى الشمال:

□ السفارة البريطانية: وهى تشغل مكانها الحالى من سنة ١٨٩٤ حتى الآن ، ولكنها كانت تمتد حتى مجرى نهر النيل ، ويرجع السبب فى ذلك [إلى أنها] أقامت ميناء نهرياً خاصاً بها على شاطئ النيل وذلك تحسباً للطوارئ ، وقد أثار طلب مصر آنذاك من السفارة البريطانية إخلاء طريق للكورنيش أمامها أزمة فى العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا التى تلكتأت فى إخلائه إلى أن أجبرت على ذلك فى ٢٥ أغسطس ١٩٥٤.

□ ثكنات قصر النيل: وكانت مخصصة للجيش البريطانى ، ويذكرها المخضرمون من الجيل الماضى بلونها الأحمر ، حيث كانت تمتد حتى مجرى نهر النيل حيث أقامت ميناء نهرياً خاصاً بها لنفس السبب السابق ، وقد هدمت هذه الثكنات فى يوليو سنة ١٩٥٤ وذلك بعد توقيع اتفاقية الجلاء مع بريطانيا. وقد حل محلها حالياً فندق النيل هيلتون ومقر جامعة الدول العربية والنصف الغربى من ميدان التحرير الحالى.

□ مطبعة جريدة الأهرام: وهى لا تزال موجودة بعد أن اقتصرت على الجانب التجارى، لكنها كانت تمتد أيضاً حتى مجرى نهر النيل ، وقد لبث إدارتها فوراً طلب عبد اللطيف البغدادى بإخلاء جزء منها لطريق كورنيش النيل.

□ المطبعة الأميرية : وهى مطبعة تاريخية عريقة يرجع عهدها إلى عصر والى مصر محمد على باشا ، وكان شأنها شأن سابقتها حيث كانت تمتد مثلها إلى مجرى نهر

النيل فأخلت أيضا مكانا لطريق كورنيش النيل ، ثم آثرت فيما بعد ترك المكان نهائيا حيث انتقلت إلى مكان متسع فى إمبابة ، وحل محلها فى مكانها حاليا برج البنك الأهلى المصرى.

□ ملاحى روض الفرج: ويذكرها بعض المخضرمين منا حيث كانت موجودة على أرض طريق كورنيش النيل فى روض الفرج.

وبعد إتمام الإخلاءات السابقة وغيرها كثير ، جرى الاحتفال بافتتاح طريق كورنيش النيل فى سبتمبر سنة ١٩٥٤.



ورغم كل هذا النجاح الحقيقى فى العمل التنفيذى فإن البغدادى يعترف فى مذكراته وأحاديثه بأن أتعب سنوات حياته السياسية هى تلك الفترة التى صنع فيها مجده التنفيذى كوزير بارز وناجح للشئون القروية والبلدية ، وهو يقول فى صراحة شديدة:

«.... وكانت تلك السنوات التى أمضيتها كوزير لتلك الوزارة من أتعب سنى حياتى السياسية وقد وقعت أثناءها تحت ضغط نفسانى شديد ، وحاولت الاستقالة عدة مرات ولكن ظروف بلدى التى كانت تمر بها كانت تمنعنى وتحول دون ذلك ، لأنه لم يكن قد تم جلاء القوات البريطانية عن أرض بلادنا بعد ، وتلك الحرب الباردة والضغط الشديد الذى وقع علينا من الدول الغربية بعد شرائنا الأسلحة من الكتلة الشرقية وكسر احتكار السلاح ، ثم تأميم قناة السويس وما تلاها من اعتداء إنجلترا وفرنسا وإسرائيل على بلادنا».

«وكان السبب الرئيسى فى هذا التعب هو نجاح هذه الوزارة التى توليتها وقيامها بتنفيذ عدة مشروعات ضخمة والسرعة فى تنفيذها وإعجاب الشعب الشديد بأعمالها ، وجهود جهازها الفنى وما كان يبذله لتنفيذ تلك المشروعات فى فترة زمنية بسيطة ، وبذل أن يكون ذلك موضع شكر وتقدير من جمال لأن ما تؤديه تلك الوزارة ونجاحها ما هو إلا تدعيم للثورة وإثبات لوجودها ، شن على حملة محاولاً التشكيك فى أهدافى عند إخوانى أعضاء المجلس موحياً إليهم أننى أسعى إلى الحصول على شعبية عند الرأى العام بهذا الجهد الذى يبذل بفرض فرض إرادتى على المجلس ، ومن أننى أعمل على

تكوين حزب من أعضاء المجالس البلدية المختلفة على حساب هيئة التحرير ، وقصص أخرى كثيرة واردة فى يومياتى ولا محل لذكرها فى هذا المجال».



«وبعد العدوان على بورسعيد فى ١٩٥٦ أضيفت إلى البغدادى مهمة تعمير المدينة ، فقام ببناء مناطق سكنية جديدة ، وبلاج جديد بنى له تصميمًا موحدًا من الفيلات ، وجدد كل المباني التى خربت ، وأتم كل ذلك فى ١٠٠ يوم!».

«وفى أثناء مروره على مناطق العمل أوقفه أحد الطلبة الشبان الذين كان قد بدأ اشتراكهم فى إقامة وبناء المباني الجديدة ، وقال الطالب للبغدادى: إنه شاهد خلالا فى مواصفات المواد التى تستخدم فى البناء ، وأنه يخشى أن تكون النتيجة كارثة.. وطلب البغدادى التحقيق فورًا وتبين له صدق كلام الطالب ، فأمر بهدم كل ما كان قد تم بناؤه وتحميل كل النفقات على شركات المقاولات وتصحيح الأوضاع».

«وفى فترة عمله وزيراً للبلدية أقام أكثر من ٢٠ مركزًا للشباب ، [كما] كان له فضل الحفاظ على أرض نادى الجزيرة التى كان عبد الناصر قد وافق على تحويلها إلى أرض بناء».



ونأتى إلى الجانب السياسى فى الانجاز التنفيذى لعبد اللطيف البغدادى ، ومن المدهش أن يكون هذا النجاح بمثابة نقمة على صاحبه ، ذلك أن كثيراً من المصادر التاريخية المتاحة تؤكد على أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يضيق بقدره البغدادى على الانجاز ، وكانت الغيرة تصيبه بسببها ، وليس فى هذا ما ينتقص من الرئيس عبد الناصر الذى كان بشراً بالطبع وليس من محل لانتقاد الرئيس عبد الناصر فى هذه الجزئية إلا أن تكون نظرتنا إليه على أنه شىء غير البشر ، وأظن أن مثل هذا الحديث لا يمكن أن يكون مدخلاً وحيداً للحديث عن علاقة الرجلين ، ذلك أن عبد الناصر لم يكن يضيق بالبغدادى من هذه الناحية فحسب ، بل كان يتضايق منه فى بعض الأحيان وبخاصة من صراحته ومحاصرته له فى المناقشة ، بل كان الأمر يصل إلى حد تنامى شعور عدم الارتياح بين الرجلين.

ولم يكن ضيق عبد الناصر بإجازات البغدادي سراً مخفياً حتى صرح به البغدادي ،
ولكننا نرى أصدقاء الحديث عن هذه الجزئية في كثير من الأدبيات المتاحة ، وعلى سبيل
المثال فإن فتحى رضوان يؤكد هذا المعنى فى أكثر من موضع فقد تحدث فى كتابه « ٧٢
شهراً مع عبد الناصر » عن علاقة عبد الناصر بعبد اللطيف البغدادي فى موضعين ،
وربما كانت الفكرة التى يمكن الخروج بها من هذين الموضعين واحدة ، ولكننا على كل
حال سننقل للقارئ الفقرتين اللتين تؤكدان نفس المعنى :

الفقرة الأولى يقول فيها فتحى رضوان :

« ... ولم تكن العلاقة بين عبد الناصر وبين زميله عبد اللطيف البغدادي حسنة
معظم الوقت ، وقد أعددت يوماً الخطاب السنوى الذى يلقي فى مساء يوم ٢٣ يوليو
من كل عام وقد جرت العادة فى إعداده أن يقوم على أساس من سرد الأحداث الكبرى
التي شهدتها العام السابق الذى كنت أعد الخطاب فى ختامه لاستقبال العام الجديد ، ولما
كان « كورنيش النيل » من أكبر الأحداث التي شهدتها العام السابق فقد ذكرت « كورنيش
النيل » .. ووصفته بأنه « نافذة عريضة تطل منه القاهرة على النيل » .. فأمسك عبد الناصر
بالقلم وكاد أن يشطب هذه الجملة فسألته : « لماذا تود أن تشطب هذا الكلام ؟ » . فقال :
« لقد سئم الناس الحديث عن الكورنيش .. بعد أن أسرفت الصحافة فى الكلام عنه ،
وفى الحديث عن (عصا البغدادي السحرية) و(مشروعاته) » . فقلت : « هذا سبب أدعى
للإبقاء على هذه الجملة ، إذ ما دام الناس تكلمت عنه كثيراً ، فهي تنتظر أن تقرأ أو
تسمع عنه ، فى الخطاب السنوى ولو جملة ، فإذا خلا الخطاب من مثل هذه الجملة ،
كان التفسير الوحيد لهذا ، هو أنك غير راض عن هذا المشروع أو عن القائم به » .

« ولم أرد أن أقول المعنى الذى عنيته بالضبط .. وهو « أن الإضراب عن الإشارة إلى
هذا المشروع يمكن أن يفسر بأنه نوع من الغيرة منه ، ومن نجاحه ، ومن صاحبه » ..
ولكن « عبد الناصر » أدرك هذا المعنى دون أن أقوله . فبقى ممسكاً بالقلم فترة ، ثم قال
« وهو كذلك .. لندعها ولو أنى غير مرتاح لها » .

أما الفقرة الثانية ففيها يتحدث فتحى رضوان عن ذات العلاقة ففيها يقول :

« ... أما علاقة « عبد الناصر بالبغدادي » فقد كان يشوبها ما عبر عنه « عبد الناصر »
فى يوم كنا نراجع فيه خطبة من خطب مناسبة الاحتفال بذكرى ثورة ٢٣ يوليو . فقال :
« هل تصدق أن البغدادي كان مقاطعاً لى ، وبعيداً عن تنظيمنا إلى ما قبل الثورة بستة

أشهر فقط، وأنه كان يقول دائماً إنه أسبق في (الحركة) ، لأنه أسس من قبل ، تنظيماً سابقاً على تنظيم الضباط الأحرار؟

ثم يعلق فتحى رضوان مباشرة ويقول :

«.... ويبدو أن هذه (الحكاية) بقيت لدى كليهما «عقدة مستحكمة.. لا تسمح بتطور طبيعى للعلاقات بينهما».



ويذهب محمد جلال كشك إلى رأى أبعد من رأى فتحى رضوان فى تصوير حقيقة علاقة عبد الناصر والبغدادى وذلك فى كتابه « كلمتى للمغفلين » وهو يلخص رأى فتحى رضوان الذى أوردناه ثم يعقب عليه بقوله :

«... وهذا الكلام الذى يقوله فتحى رضوان تجده له سنداً واضحاً بين سطور البغدادى نفسه : انظر كيف فسر عبد اللطيف البغدادى اختيار عبد الناصر له ليكون وزيراً « للشئون البلدية والقروية» : «واقترح أن أتولى وزارة الشئون البلدية والقروية ، وأن الغرض - كما قيل - هو أن يشعر الشعب بأعمال الثورة فى المدن والريف ، وأن الاختيار قد وقع على لهذا الغرض ، ولكننى أحسست أن الغرض من توليتى هذه الوزارة هو العمل على إضعافى سياسياً لضمان فشلى بها فشلاً ذريعاً وأن الاقتراح جاء بعد خلافى مع جمال عبد الناصر». ويقول البغدادى إنه لما نجح رغم توقعات أو تدبير الرئيس جمال عبد الناصر ، استاء عبد الناصر من ذلك بدلاً من أن يكون ذلك موضع شكر وتقدير».



وعلى صعيد ثالث يؤكد محسن عبد الخالق هذا المعنى الذى ذهب إليه كل من فتحى رضوان ومحمد جلال كشك والبغدادى نفسه ، وهو يقول فى حوار مع الأستاذ رشاد كامل الذى نشر فى كتاب «عبد الناصر الذى لاتعرفه» :

« وأريد أن أقول للأخ عبد اللطيف البغدادى وهو من خيرة الناس إنه هو شخصياً تعرض لمثل ذلك الموقف عندما كان يشغل منصب وزير الشئون البلدية والقروية ، وكان وزيراً ناجحاً للغاية وتم خلال عهده إنشاء كورنيش النيل وكان إنجازاً كبيراً تتحدث عنه مصر كلها ، وجاءت توصية من جمال عبد الناصر شخصياً بأن نخفف ونقل من نشر

أخبار وصور عبد اللطيف البغدادى التى كانت تملأ الصحف فى ذلك الوقت. وكما قلت لك يبدو أن هذا جزء من « تركيبة » الزعامات وطبيعتها !!».



بل إن البغدادى فى أثناء أحد الحوارات التى أجريت معه عن موضوع نية عبدالناصر استخلافه أشار بكل الوضوح إلى مغزى واقعة حدثت فى ١٩٦١ حين عمل رئيسا للجمهورية بالنيابة فى أثناء غياب الرئيس عبد الناصر لحضور الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ذلك أن الرئيس عبد الناصر فوجئ بأن البغدادى وقع كل القرارات المتأخرة فى غيابه ، ولكنه لم يبد سعادة بهذا ، بل إنه منذ ذلك الوقت لم يعد يعين نائبا للرئيس عند سفره :

«.... حكاية نائب الرئيس هذه كانت مثار حساسية عند عبد الناصر من فترة طويلة.. وفى البداية فى أثناء وجودى فى العمل فلقد كان عبد الناصر عند سفره يصدر قرارا يبينى عنه فى غيابه .. وحدث فى عام ١٩٦١ أن سافر إلى الأمم المتحدة وأصدر قرارا بأن أكون نائبا عنه فى غيابه .. وبعد سفره فوجئت بسامى شرف يرسل لى كميات كبيرة جداً من القرارات فيما عدا الحركة الدبلوماسية تركتها لحين عودته على أساس أنه قد يكون له رأى فيها.. وكانت مفاجأة لعبد الناصر أنه عرف أنني وقعت كل القرارات المتأخرة مع أنني كنت أقوم بذلك على أساس رفع العبء عنه.. ولكن الذى حدث بعد ذلك أنه منذ ذلك الوقت لم يعد يعين نائبا للرئيس عند سفره».

عبد اللطيف البغدادي
شهيد النزاهة الشورية

5

عبد اللطيف البغدادي
رئيسا للبرلمان

دار الخيال

لم يعمر برلمان الثورة الأول كثيراً إذ بدأ في نهاية صيف ١٩٥٧ وسرعان ما تم حله تحت دعوى أن دولة الوحدة تستلزم هذا الحل ! وهذا البرلمان قصير العمر المعروف باسم برلمان ١٩٥٧ هو الذي رأسه البغدادي ولم يرأس غيره من البرلمانات ، أما برلمان الوحدة ١٩٦٠ - ١٩٦١ وبرلمان ١٩٦٤ فقد رأسهما الرئيس السادات .

في برلمان ١٩٥٧ تفجرت قضية بسيطة جداً ولكنها أثبتت مدى انعدام قابلية نظام الحكم الجديد لتقبل حياة برلمانية ، فقد أثير موضوع تعيين بعض النواب كمستشارين بأجر في مديرية التحرير وهو ما يتعارض مع أصول العضوية في ذلك الوقت ، وإذا بالموضوع يتحول إلى مأزق كبير للنظام الحاكم ويصل المأزق إلى أن اثنين من قادة الثورة بينهما رئيس المجلس النيابي نفسه يشرعان في الاستقالة من عضوية البرلمان بعد أن لجأت الدولة إلى تخريج قانوني يتعارض مع بدهيات المنطق وذلك من أجل عدم إحراج أبناء الثورة !!

وتحفل الأدبيات السياسية المتاحة عن عهد الثورة بكثير من التفصيلات والتعليقات حول قصة الخلاف حول مديرية التحرير وعمل بعض الأعضاء كمستشارين لها ، ومن الطريف أن هذا الموضوع كان بمثابة أبرز الموضوعات التي شغلت نشاط برلمان ١٩٥٧ ، كما شغلت رئيسه عبد اللطيف البغدادي .

ومن أجل دقة التصوير فقد آثرت أن أنقل للقارئ بطريقة متتابعة ما سجله البغدادي

عن تفصيلات هذه الواقعة ، ثم أهم الفقرات من رواية أخرى رواها عبد اللطيف البغدادي للأستاذ سامي جوهري باللغة الشعبية (العربية - العامية) وتعليقاته السردية بدلا من أسلوب الروايات المنمقة ، وسنشير إلى مواطن الاختلاف بين هاتين الروايتين.

وتكشف القصة التي تستعرضها الروايتان عن مواطن الخلاف في فكر البغدادي من ناحية ، وعبدالناصر من ناحية أخرى.

وعلى الرغم من أن رواية القصة تكشف مواطن عديدة للخلاف والاختلاف في الأسلوب فإنني أميل أن أثبت منذ الآن رأيي المتواضع وهو أن كلا من البغدادي وعبدالناصر كان على صواب.. كان البغدادي مصيباً كرئيس للبرلمان حريص على النزاهة البرلمانية وعلى الحق وعلى القانون ، كما أن عبد الناصر كان هو الآخر مصيباً كزعيم لثورة مازال رجالها فاعلين وفعالين ، وكرئيس لدولة لا يزال لهؤلاء الأثر في تحريك أمورها ولا يزال هو معتمدا عليهم في كثير من المهام المعلنة وغير المعلنة .

كما يدفعنا الإنصاف أن نسجل أن هناك شخصا ثالثا كان هو الآخر مصيبا في تصرفه الهادئ والحاسم في هذه الواقعة ، وهو أنور السادات زميل الرجلين ووكيل مجلس الأمة في ذلك الوقت.

وهذا هو مجمل رأيي قبل أن نستعرض التفصيلات مما هو متاح أمامنا من نصوص .
وهذه أولا هي رواية البغدادي عن مجمل الظروف التي دفعت بالموضوع إلى المناقشة في مجلس الأمة:

«... كان وزير الزراعة عبد الرزاق صدقي قد تناول في بيان وزارته إلى المجلس [أي مجلس الأمة] مشروع مديرية التحرير الخاص باستصلاح واستزراع بعض الأراضي الصحراوية غرب دلتا النيل ، وقد تقدم العضو بالمجلس محمد رشدي النحال أثناء مناقشة بيان الوزير يطلب تشكيل لجنة برلمانية للتحقيق فيما يثار حول هذا المشروع من تبذير في أموال الدولة من القائمين على تنفيذه ، ودراسة ما إذا كان هو مشروع ناجح أو فاشل حتى تتضح الصورة الحقيقية عنه للمجلس وللشعب كذلك. وقد أخذ المجلس قرارا بإحالة المشروع على لجنة الزراعة به للقيام بدراسته وموافاته برأيها فيه».

وسرعان ما يعبر البغدادي عن اعتقاده في أن صورة مشروع مديرية التحرير كانت

قد تحولت أو تطورت لتكون بمثابة أزمة «رأى عام» تمت تغذيتها تباعاً حتى أصبح من الصعب على مجلس الأمة أن يتجاوزها دون تحقيق :

«وهذه الصورة عن المشروع التي كانت مختصرة في أذهان أعضاء المجلس لم تكن إلا انعكاساً لما يدور من أحاديث بين أفراد الشعب وما يثار ويشاع حول ذلك المشروع ، على أنه مشروع فاشل وأن هناك استغلالاً وإساءة في التصرف في الأموال المرصودة له، حتى إنه عندما تقدم العضو سيد جلال في نهاية شهر أكتوبر ١٩٥٧ بسؤال لوزير الزراعة عن ذلك المشروع يطالبه فيه موافاة المجلس بتكاليف استصلاح الفدان بهذه المديرية وعدد الموظفين التابعين لها بكل من القاهرة والإسكندرية ، وكذا عدد السيارات التي تقوم باستخدامها وتكاليف تشغيلها وصيانتها إلى آخر مثل هذه البنود المتصلة بطبيعة المشروع ، فقد لقي السؤال استحساناً شديداً من جمهور الشعب ، بل واعتبر سيد جلال بطلاً ليتقدم [يقصد: إذ تقدم] بمثل هذا السؤال».

هكذا يبلور البغدادي صورة النائب سيد جلال في الوجدان الشعبي حين مكنته شجاعته من أن يتقدم بسؤال حول هذا اللفظ ، ويصل البغدادي إلى التعبير عن المكانة التي وصل إليها النائب سيد جلال بفضل شجاعته فيصفها بأنها أصبحت بطولة ، ويرد البغدادي بذكر بقية القصة فيقول :

«.... وكان سيد جلال نفسه قد تقدم إلى سؤال آخر بعد تقديم سؤاله السابق بعدة أيام وموجه منه أيضاً إلى وزير الزراعة ويسأله فيه عما إذا كان صحيحاً أن بعضاً من أعضاء مجلس الأمة يتولون وظائف في مديرية التحرير رغم أن قانون عضوية المجلس يمنع الجمع بين الوظيفة والعضوية بالمجلس. ولما سأله عن أسماء هؤلاء الأعضاء الذين يشير إليهم في سؤاله ، لم يكن يعلم من أسمائهم إلا اسماً واحداً فقط ، ولكنه أفاد أنه يرغب بسؤاله التأكد من صحة هذه الشائعة أو عدم صحتها ، وذلك حفاظاً منه على كرامة أعضاء المجلس».



ويشير عبد اللطيف البغدادي إلى أن التنسيق بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر فيما يتعلق بعمل مجلس الأمة كان كاملاً:

«وقد قمت بإدراج هذا السؤال بجدول أعمال المجلس ، كما أخطرت به جمال

عبدالناصر والخطوة التي اتخذتها وضرورة التصدي لهذا الانحراف من هؤلاء الأعضاء إن تبين صحة ما جاء بالسؤال ، ونجواب معي جمال في هذا الاتجاه تجاوباً كاملاً.

كذلك يشير البغدادي إلى ما حدث من تجاوب من أعضاء مجلس الأمة أنفسهم بمجرد نشر خبر عن توجيه السؤال:

«لما نشر هذا السؤال المقدم من سيد جلال في الصحف أثار ضجة خاصة بين أعضاء مجلس الأمة أنفسهم حرصاً منهم على كرامتهم ، وتحمسوا ضد هؤلاء الأعضاء الذين سمحت لهم نفوسهم بقبول العمل بالمشروع رغم شك المجلس في بعض تصرفات القائمين عليه ومطالبتهم بالتحقيق فيما يثار حوله من أقاويل وشائعات ، ولم يكن قد نشر بالجريدة التي قامت بنشر السؤال أسماء الأعضاء المقصودين به ، ولكن بعد يومين من نشره قامت جريدة الأهرام بنشر أسمائهم التي لم يكن لدى علم بها حتى تلك اللحظة ، وقد قرأت أسماءهم بها كأي مواطن آخر. وذكرت الجريدة أسماء كل من إسماعيل نجم ، وأحمد شفيق أبو عوف ، وحيرم الغمراوي ، والدكتور محمود القاضي».



ويذكر عبد اللطيف البغدادي أنه حاول الضغط على وزير الزراعة حتى يتقدم للمجلس بالبيانات المطلوبة عن مديرية التحرير:

«... وكنت قد طلبت من وزير الزراعة عبدالرزاق صدقي موافاة المجلس ببيانات هذا الموضوع بعد تقديم السؤال مباشرة ، وكان ذلك يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٧ ، ولكنه أبلغني أنه سيتقدم باستقالته من الوزارة قريباً للعمل في هيئة الأغذية الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة. ولكنني حملته مسئولية تقديم تلك البيانات المطلوبة منه مادامت مسئوليته لا تزال قائمة. وفي اليوم التالي لهذا الحديث معه أرسل [أي عبدالرزاق صدقي وزير الزراعة] إلى صورة خطاب أرسله إلى مجدى حسنين عضو مجلس الإدارة المنتدب للمشروع ، وعضو مجلس الأمة كذلك ، ومن ضمن الضباط الأحرار أيضاً ، وقد طالبه فيه بتقديم تلك المعلومات المطلوبة والواردة في السؤالين المقدمين من سيد جلال. وعلمت أن وزير الزراعة قد تقدم في نفس اليوم أيضاً بخطاب إلى رئيس الجمهورية يطلب منه فيه قبول استقالته. وحتى يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٧ لم تكن قد وصلتني أية معلومات رسمية عن السؤالين عندما أثير الموضوع بالمجلس وطلب إجراء تحقيق فيه».

ويعود عبد اللطيف البغدادي لرواية رد فعل أعضاء مجلس الأمة ، وتبثنا روايته عن مدى حرص هؤلاء النواب على الصواب والكرامة والقيم الخلقية الرفيعة ، وهو ما يحسب لمجتمع الثورة في ذلك الوقت المبكر ، وإن كانت هذه الأخلاق المجتمعية سرعان ما تغيرت وتبدلت:

«... .. وكان قد زارني في مكتبي بالمجلس عدد كبير من الأعضاء يوم ٢ نوفمبر على إثر ما نشر في الصحف ، وكان تحمسهم شديداً لإسقاط عضوية المجلس عن زملائهم الأعضاء الذين قبلوا العمل بالمشروع ؛ بل وكان الكثير منهم يطالب بضرورة تنحية هؤلاء الأعضاء فوراً عن العضوية وقبل أن يتخذ المجلس قراراً في الموضوع ، كما أن هؤلاء قد أثاروا أيضاً موقف مجدى حسنين من هذه المخالفة وصلته بها ، وقد شبهوا تلك الصلة بينه وبين هؤلاء الأعضاء موضوع السؤال ، كالصلة القانونية بين الراشى والمرتشى وضرورة محاسبة كليهما ، باعتبار أن مجدى هو الراشى في هذه الحالة بغرض دفع هؤلاء الأعضاء إلى الدفاع عن المشروع بالمجلس».

ونفاجأ في رواية البغدادي بأن تطور الموقف قد دفع الرئيس جمال عبد الناصر نفسه إلى التفكير في التخلص من مجدى حسنين ، وأنه برر هذا بخضوع مجدى حسنين لتأثير الشيوعيين وتنفيذه لسياستهم! وفي الوقت ذاته فإن جمال عبد الناصر كان يرى أن الأفضل أن يتم هذا من وراء الستار حتى لا يظهر أنه هو أو البغدادي يؤيدان التخلص من مجدى حسنين على هذا النحو ، ونحن نرى البغدادي يعبر عن هذا المعنى في قوله:

«.... ولما وجدت تلك الروح من الأعضاء اتصلت بجمال عبد الناصر وأبلغته بانجأهم وتحمسهم ضد زملائهم الذين قبلوا العمل بالمشروع ونحو مجدى حسنين كذلك والصفة التي وصفوه بها ، ووافق جمال على هذا الاتجاه منهم وضرورة التخلص من هؤلاء الأعضاء ومن مجدى أيضاً ، لأنه - على حد قوله - قد أثر عليه الشيوعيون وأصبح ينفذ سياستهم».

«ولكنه - أى جمال - كان يرى أنه من المستحسن ألا يظهر وكأننا نعمل على دفع أعضاء المجلس إلى التخلص من مجدى ، وعلينا أن نتركهم يسبغون في هذا الاتجاه المتحمسين له».

وهنا يردف البغدادي بالاعتراف بأنه لم يكن قادراً على أن ينفذ أسلوب جمال

عبد الناصر لأنه كان فى حديثه للأعضاء حريصا على أن يبدو (وعلى أن يكون كذلك) متحمساً ومنحازاً للوضوح والأمانة والطهارة ، وهو يقول :

«ولكننى كنت فى حديثى مع أعضاء المجلس أشعرهم بالتجاهى وضرورة محاسبتهم محاسبة عسيرة ، وأذكرهم بمسئولياتهم نحو تحقيق هدف رئيسى من أهداف الثورة ، وهو إقامة حياة نيابية سليمة ، وأن التهاون منهم فى هذا الموضوع ربما يتلوه تهاون آخر ثم الانحراف والبعد عن تحقيق ذلك الهدف السامى ، وأنه من الواجب علينا أن نقوم أنفسنا بأنفسنا ، وأن نعمل على المحافظة على ثقة الشعب فىنا ، وأن نؤكد له أننا قادرون على تحمل مسئولية تحقيق هذا الهدف ، وكان واضحاً أن أغلبية أعضاء المجلس على قناعة كاملة بضرورة إسقاط العضوية عن هؤلاء الأعضاء موضع السؤال إن ثبتت إدانتهم».

ثم يروى البغدادى قصة محاولات الأعضاء المتورطين توجيه دفة الموضوع فى اتجاه آخر هو حمايتهم(!!) من الصحافة ، وهى الذريعة التى أصبح يلجأ إليها كل من كان فى مثل وضعهم:

«.... ولكن فى يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٧ - وهو اليوم السابق لانعقاد المجلس بعد عودته من العطلة الصيفية - كان قد وصلنى خطاب موقع عليه من مجدى حسنين وبعض أعضاء لجنة الشئون الصناعية بالمجلس ، منهم الدكتور محمود القاضى ، وأحمد أبو عوف ، وسعد خضر ، ومحمد قاسم ، وبعض أعضاء آخرين. وقد جاء فى خطابهم «إن بعض الجرائد دأبت أخيراً على القول على بعض أعضاء المجلس بما يمس كرامتهم وتسعى هذه الصحف إلى إيجاد الفرقة بين أعضاء المجلس ورئيسه ، ونطلب منكم المحافظة على كرامة أعضاء المجلس واتخاذ الإجراءات فوراً الكفيلة بحماية الأعضاء من هذه الصحف ، على أن يعرض هذا الخطاب على المجلس فى أول انعقاد له ، أى يوم ٤ نوفمبر ، لاتخاذ قرار فى هذا الشأن ولإبلاغه بالإجراءات التى اتخذتها».

ويبدو أن البغدادى وجد فى هذا [الخطاب] فرصة لفتح الموضوع الذى كان معرضاً لأن يتأخر فتحه بسبب استقالة وزير الزراعة ، وهكذا فإنه تطرق مباشرة إلى أن اقترح على الرئيس جمال عبد الناصر أن ينحى مجدى حسنين ، ومن الجدير بالنظر أن عبد الناصر قد استجاب لاقتراح البغدادى ، وأبعد مجدى حسنين عن إدارة المشروع بالفعل:

« ... ولقد وجدت في خطابهم هذا الفرصة لفتح موضوع السؤال لخاص بهؤلاء الأعضاء الذين قبلوا العمل بالمشروع ، وعدم انتظار رد وزير الزراعة عليه الذي سيطول نظراً لاستقالته ، وحتى يتمكن المجلس من أخذ قرار فيه ووضع حد له وإنهائه ، وقمت بإبلاغ جمال عن الخطاب الذي وصلني من مجدى وهؤلاء الأعضاء وأفصحت له عن اتجاهي وعن أنني سأقوم بإثارة الموضوع في المجلس دون انتظار رد وزير الزراعة ، واقتربت عليه أن يقوم بإصدار قرار باستبعاد مجدى من وظيفته بالمشروع بعد هذا الذي حدث منه ، وعلى أن يصدر هذا القرار قبل يوم ٤ نوفمبر ، أى قبل انعقاد المجلس ، وذلك حتى لا يعتقد أعضاء المجلس خطأ أن مجدى مسنود من جمال نفسه. ولقد اتفق معي في هذا الرأي ، وقام بإصدار قرار استبعاد مجدى في نفس اليوم قبل الظهر ، وأمر بإذاعته في نشرة أخبار الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر ، وابتهج الشعب بهذا القرار ، وكسب جمال من ورائه مكسباً شعبياً ، ذلك لأنه كان هناك شعور عام من أغلبية أفراد الشعب بعدم الرضا عن طريقة مجدى في إدارته لمشروع مديرية التحرير».

وبعد صدور هذا القرار «الشعبي» أو تبلوره لمجد عبد اللطيف البغدادي يروى رد الفعل المباشر له ، ويستطرق إلى موقف الرئيس عبد الناصر نفسه وهو يجيد تصوير النوازع الإنسانية في شخصية جمال عبد الناصر على نحو ما صادفها (!!) في هذا الموقف الذي سرعان ما أصبح معقداً:

«.... ولكن بعد ظهر يوم ٤ نوفمبر اتصل بي جمال وأبلغني أن مجدى حسنين قد ذهب إليه وأخذ يبكى ويقول له: «لماذا تعمل كده.. لماذا تقتلني» كما أبلغه أن زوجته ووالده في حالة انهيار عصبي. ولما رأى جمال ذلك قام بالاتصال بهما وطمأنهما ، وطلب من مجدى أن يذهب إلى استراحة القناطر الخيرية ويبقى بها ولا يغادرها إلا بأمر منه. ولكنني [الحديث للبغدادي] طلبت منه ضرورة تواجد مجدى في اجتماع المجلس الذي سينعقد مساء نفس اليوم لأن الأمر يتطلب من مجدى أن يقوم بالدفاع عن نفسه أمام المجلس عندما يثار موضوع الخطاب المرسل إلىّ منه ومن الآخرين. وقد وافقني جمال على هذا الرأي ، وأبلغ مجدى أن يقوم بحضور اجتماع المجلس ، ونبه عليه بعدم الكلام فيه إلا إذا طلب منه المجلس ذلك».

ثم نأتى إلى جوهر ما يرويه البغدادي عن الحوارات التي دارت بين كبار رجال الثورة ، وتنبتنا روايته عن مدى ما كانت أفكارهم تتمتع به من البراءة ، وسنراهم سواء في ذلك جمال عبدالناصر أو البغدادي أو زكريا محيى الدين أو أنور السادات أو على صبرى أقرب ما يكونون إلى الحق والصواب :

« وقبل أن ينعقد المجلس بخمس دقائق وكنت بمكتبى ومعى زكريا محيى الدين وأنور السادات وعلى صبرى ، علمت من زكريا أن الاتجاه - على حد قوله - هو أن يطلب من الوزراء الامتناع عن التصويت فى موضوع فصل هؤلاء الأعضاء من عضوية المجلس إن كان المجلس سيأخذ قراراً فى هذا الشأن فى تلك الجلسة ، وأن هذا الاتجاه الذى أشار إليه هو رأى جمال عبد الناصر . ولكننى أوضحت لزكريا أن لائحة المجلس تنص على ضرورة أن يقوم العضو الممتنع عن التصويت بتفسير سبب ذلك الامتناع ، وتساءلت : كيف سيفسر هذا الامتناع منهم ؟ فأجابنى [أى زكريا] : يُقال إن الحكومة ترى أن ينبثق هذا القرار من المجلس نفسه . وعندما أوضحت له أن كل وزير عضو بالمجلس لا يعتبر فى هذه الحالة ممثلاً للحكومة ، قام بالاتصال تليفونياً بجمال وأبلغه بهذا الرأى الذى ذكرته ، فرد عليه جمال بقوله : « يوافق الوزراء على إسقاط العضوية عن الأعضاء ولا يوافقوا على إسقاطها عن مجدى » . وتكلمت مع جمال وأبلغته أن هذا الموقف من الوزراء إن تم سيؤخذ على النظام وسيؤثر على سمعته ، وأنه يمكنه فيما بعد العمل على إيجاد حل لمشكلة مجدى بطريقة أخرى . كما تكلم معه كل من أنور وعلى صبرى فى هذا الاتجاه الذى ذكرته له كذلك » .

« وتحدث إلى جمال ثانية بعد حديثهما معه وتساءل عما إذا كان من الممكن علاج موضوع مجدى بعد ذلك ، وأن إسقاط عضوية المجلس عنه فيها قسوة ، ولكننى ذكرت أنه ليس أمامنا من حل غير ذلك الحل ، لأن أعضاء المجلس يحملونه نفس المسئولية التى يأخذونها على الأعضاء الآخرين الذين قبلوا العمل بالمشروع » .

« وتم اتفاقنا فى نهاية الحديث على محاولة جعل المجلس يؤجل أخذ قراره فى فصل هؤلاء الأعضاء إلى ما بعد رفع الجلسة للاستراحة حتى يتسع لنا الوقت للتفكير فى حل مناسب يمكن به إنقاذ مجدى من هذا الوضع وعدم فصله من عضوية المجلس » .

«كان هذا هو اتجاه جمال مساء يوم ٤ نوفمبر قبل افتتاح جلسة المجلس مباشرة ، رغم أنه كان قد اتصل بى تليفونياً بعد ظهر ذلك اليوم ، ولكنه لم يكن قد غير رأيه بعد إلى هذا الاتجاه الجديد. ولم أعرف بهذا الاتجاه الجديد منه إلا من زكريا قبل انعقاد المجلس مباشرة حتى أننا تأخرنا فى افتتاح الجلسة مدة ربع ساعة عن موعدها نتيجة هذا الاتصال التليفونى معه. وفى تلك الجلسة كان كل أعضاء المجلس متواجدين تقريباً ، وحتى شرفات الزائرين لم يكن فيها مكان خال ، والكل متوقع أن هناك حدثاً سيثار ، وذلك لأن الصحافة كانت قد نوهت بذلك».

ويستأنف البغدادي حديثه عن التطورات التى انتهى إليها الموقف ، ويقول:

«.... وبعد أن افتتحت جلسة المجلس أشرت فى حديثى إلى الأعضاء عن الرسالة التى وردت إلى من مجدى ومن زملائه الأعضاء الآخرين ، وتلوت عليهم أسماء الموقعين عليها ، ثم تلوت الرسالة نفسها. وبعد انتهائى من تلاوتها قلت: «قبل أن ندخل فى تفسير مضمون الرسالة والقصد منها ، أحب أن أخبر المجلس أننى أشعر أن كرامتى من كرامة الأعضاء ، وأننى أعمل على الحفاظ على كرامة كل عضو فى المجلس كمحافظتى على كرامتى تماماً ، وواجب كل فرد منا أن يعمل على المحافظة على كرامته لأن كرامته من كرامة هذا المجلس ، ولكن من لا يحافظ من الأعضاء على كرامته لا يمكنه أن يطالبنى بأن أعمل على الحفاظ على تلك الكرامة ، بل أرى أن من واجب المجلس أن يطالب كل عضو فيه أن يعمل على المحافظة على كرامته لأن تصرفات كل منهم تنعكس على المجلس كله».

«ومستطرداً فى حديثى قلت: إن الصحافة حرة وحريتها مقدسة عندنا جميعاً، وأن هناك قانوناً يحدد وينظم العلاقة بينها وبين الأفراد ، وإنه فى حدود هذا القانون يمكن مساءلة الصحافة. وعند هذا الحد أنهيت كلمتى ، وطلبت من الأعضاء الموقعين على تلك الرسالة أن يشرحوا للمجلس الغرض من هذه الرسالة والقصد منها ، وأن يحددوا تلك الموضوعات التى أثارها الصحافة واعتبروها ماسة بكرامة الأعضاء ، وأن يشرحوا للمجلس أيضاً كيف تعمل الصحافة على الوقيعة بين أعضاء المجلس ورئيسه كما جاء برسالته».



على هذا النحو يقدم البغدادي صورة حديثه وحديث الأعضاء «المتهمين» عن شكواهم ، ثم هو يلخص حديثهم فيقول:

«وعلى إثر ذلك قام العضو أحمد أبو عوف وهو أحد الموقعين على الرسالة و طلب الكلمة ، كما أنه أيضاً أحد الأعضاء الذين وردت أسماؤهم فى جريدة الأهرام : أنهم يعملون بمشروع مديرية التحرير ، وقد بدأ يتكلم وهاجم الصحافة أنها تثير موضوعات تمس كرامة الأعضاء فى المجلس ، ولكنه كان يحاول فى نفس الوقت الابتعاد عن فتح أو الإشارة إلى موضوع الأعضاء الذين يعملون بالمشروع ، ولكن تحت ضغط أعضاء المجلس ومطالبتهم له بذكر الأسباب التى دفعتهم إلى إرسال تلك الرسالة اضطر إلى الإفصاح عن الدافع وراء ذلك ، وهو ذكر أسماء من يعملون بالمشروع على صفحات الجرائد».

«ولقد أخذ بعض أعضاء المجلس بعد هذا الإفصاح منه يسألونه عن صحة الخبر ، وعما إذا كان يعمل فعلاً بالمشروع من عدمه ، فبدأ يدافع عن نفسه بحالة من الانفعال والعصبية لشعوره بأنه قد تورط فعلاً فى هذا الأمر ، ولا يجد لنفسه المبرر المقنع ليرد به على زملائه ، مما أثار الشفقة عليه فى نفوس الأعضاء جميعاً وفى نفسى كذلك».

.....
هكذا نفهم من النصوص التى يوردها عبد اللطيف البغدادى أن أحمد شفيق أبو عوف كان قد لجأ إلى العصبية والانفعال ، أما الدكتور محمود القاضى [وهو نفسه نجم المعارضة البرلمانية فى السبعينيات] فقد اعتذر بأنه لم يعلم أن فى هذا العمل مخالفة قانونية ، وأما العضو الثالث إسماعيل نجم فلجأ إلى حيلة قصيرة النظر وهى تكذيب ما روى:

«وقام من بعده ليتكلم الدكتور محمود القاضى ، وأخذ هو كذلك يدافع عن نفسه ذاكراً أنه قبل العمل بالمشروع علناً ، ولكنه لم يكن يعلم أن فى هذا مخالفة قانونية ، ومن أنه يعتذر للمجلس عن هذا الخطأ الذى صدر منه والذى وقع فيه بحسن نية ، وكرر اعتذاره له عدة مرات ، وكنت أحس الصدق فى كلامه ، وأحسست بعطف المجلس عليه كذلك».

.....
نتوقف هنا لنشير إلى أن البغدادى فى رواية تالية يورد رواية مناقضة فى بعض جزئياتها لهذه الرواية فيما يتعلق بالدكتور محمود القاضى ، ونستأنف قراءة ما يرويه عبد اللطيف البغدادى فى كتابه :

«.... ثم طلب العضو إسماعيل نجم الكلمة ، وأخذ يدافع عن نفسه ، وأنكر إنكاراً باتاً أنه يعمل بالمشروع وتحدى الحكومة فى ذلك ، ولما سألته عن بيانه الذى كان قد نشره فى الصحف من أنه يعمل فعلاً مستشاراً قانونياً لمديرية التحرير ، أجاب بأن هناك تحريفاً فيما نشر ، ومن أنه سيتناول هذا فى دفاعه ، ولكنه لم يشر إليه ، ولم يحصل على عطف أحد من زملائه أعضاء المجلس لأنهم كانوا يعلمون أنه لم يذكر الحقيقة ، وقد اتضح ذلك فيما بعد من التحقيق».

«وبعد أن انتهى الثلاثة من كلمتهم تناول بعض أعضاء المجلس هذا الموضوع بالتعليق عليه من الناحية الدستورية ، كما تقدم البعض الآخر منهم باقتراح إسقاط العضوية عن مجدى حسنين والأعضاء الأربعة الآخرين. كما اقترح بعض آخر منهم إجراء تحقيق فى الموضوع ، وعلى أن يقوم المجلس بإصدار قراره بعد الاستماع إلى تقرير اللجنة التى ستباشر هذا التحقيق المقترح ، وعرضت على المجلس تأجيل اقتراح إسقاط العضوية عنهم والنظر فى تشكيل لجنة للتحقيق ، ووافق المجلس على ذلك بأغلبية الأصوات. وأوكل الأمر إلى لجنة الشئون الدستورية بالمجلس لإجراء هذا التحقيق المطلوب ، وعلى أن تتقدم إلى المجلس بتقريرها فى جلسة يوم الأربعاء ٦ نوفمبر ١٩٥٧».

ثم يروى البغدادي تفصيلات ما دار من حوار بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر عقب انتهاء مداولات المجلس فى هذا الموضوع ، وسنرى البغدادي نفسه قد بدأ يميل إلى تخفيف العقوبة عن الأعضاء ، وأن زكريا محيى الدين كان موافقاً للبغدادي على هذا الرأي:

«.... وبعد أن انتهى اجتماع المجلس اتصل بى جمال تليفونياً وتحدثنا فيما دار فى الجلسة ، وكان قد استمع إليها عن طريق الجهاز الموصل بين قاعة المجلس ومكتبه بالمنزل ، وطلب منى فى ختام حديثنا أن أقوم بالمرور عليه بمنزله فى صباح اليوم التالى وأنا فى طريقى إلى مكتبى بالمجلس».

«وفى يوم الثلاثاء ٥ نوفمبر ذهبت إلى جمال فى الصباح والتقيت به ، ولكننى لاحظت أثناء دخولى إلى منزله أن هناك بعض من أعضاء مجلس الأمة الذين هم أصلاً من الضباط الأحرار متوجهين إلى المنزل الذى يشغله حرس جمال وسكرتاريته الخاصة والمواجه مباشرة لمنزله».

«وفى أثناء حديثي مع جمال وكان زكريا محيي الدين متواجدا ، اقترحت عليه استبعاد إسقاط العضوية عن هؤلاء الأعضاء بعد ذلك الموقف الصعب الذي واجهوه في اليوم السابق في المجلس أمام زملائهم ، وأن في هذا [درسا كافيا] لهم ، وأنه يكفي لومهم فقط إن ثبتت إدانتهم خاصة أن البعض من أعضاء المجلس نفسه كانوا قد أصبحوا غير متحمسين لإسقاط العضوية عنهم خوفاً من أن يقفوا هم أنفسهم هذا الموقف نفسه في المستقبل وشعورهم أيضاً بهذا الخطر. وكان زكريا متفقاً معي في هذا الرأي ، وقد لمس عطف الأعضاء عليهم أثناء دفاعهم عن أنفسهم أمام المجلس».

ومع هذا التعاطف فإن البغدادى نفسه يبدأ في الإحساس بضرورة التمسك بالقانون ، واحترامه ، واحترام النفس عندما تنامي إلى سمعه الشائعات القائلة بأن الرئيس عبد الناصر كلف مستشاره القانوني بالبحث عن مخرج قانوني يجعل التصرف المغيب شيئاً لا غبار عليه ، وهو ما حدث بالفعل حيث كيفت اللجنة القانونية الموضوع بطريقة مستفزة فاعتبرت أموال مديرية التحرير أموال مؤسسة خاصة!!:

«وقمت بالانصراف من منزله مع زكريا وتوجهنا إلى مكاتبنا ، وفي أثناء تواجدي بمكتبي حضر إلى بعض الأعضاء من المجلس وكان قد مضى حوالى ساعتين من انصرافي من عند جمال ، وأبلغني هؤلاء الأعضاء أن هناك شائعات تدور بين أعضاء المجلس على أن اتجه الرئيس جمال هو عدم اتخاذ أى إجراء مع هؤلاء الأعضاء موضع التحقيق ، وأنه لا يرضى عن هذا الذي يجري ، ولا يوافق على هذه القسوة ، وأن البغدادى قد تصرف دون علمه بذلك. كما علمت من بعض أعضاء آخرين أيضاً أن هناك ضغطاً على أعضاء اللجنة القائمة بالتحقيق - لجنة الشئون الدستورية بالمجلس - من العضو محمد فهمي السيد ، وهو المستشار القانوني لرئيس الجمهورية أيضاً ، وأنه يتكلم باسم الرئيس على أنه - أى الرئيس - يرغب في تسوية الموضوع وذلك بأن تعتبر مديرية التحرير مؤسسة خاصة لا عامة حتى لا تصبح هناك مخالفة قانونية من هؤلاء الأعضاء موضع التحقيق ، رغم أن ميزانية مديرية التحرير من الأموال العامة ومدرجة بميزانية الدولة وخاضعة لرقابة المجلس».

.....
هكذا فوجئ عبد اللطيف البغدادى بهذا المنطق على الرغم من أنه كان في لقاء مع الرئيس عبد الناصر قبل ساعتين فقط ، وهو يروى انطباعاته عن هذا الموقف الذي وجد نفسه فيه على النحو التالي:

«.... ولم أصدق ما سمعته من هذه الشائعات ، وأن جمال (أى الرئيس جمال عبدالناصر) هو الذى يقف وراء ما يجرى ، لذا قمت بالاتصال به تليفونياً وأبلغته عما يدور بين الأعضاء من شائعات ، وعن موقف مستشاره القانونى داخل اللجنة الدستورية القائمة بالتحقيق ، ولكنه أخبرنى أنه قام فعلاً باستدعاء بعض أعضاء المجلس من الذين يثق بهم - على حد قوله - وذاكرألى أسماء لطفى واكد ، وحمدى عبيد ، وكمال رفعت ، ومحمود الجيار ، وإبراهيم الطحاوى ، وأحمد طعيمة ، وعدة أسماء أخرى ، وأنه قد طلب منهم الاتصال بباقي أعضاء المجلس والعمل على عدم اتخاذ قرار يدين هؤلاء الأعضاء ، وأن ذلك بغرض إنقاذ مجدى حسنين على حد تعبيره».

.....

ويرد عبد اللطيف البغدادي بالحديث عن حقيقة مشاعره تجاه هذا الموقف الذى اتخذه الرئيس جمال عبد الناصر فيقول:

«ولقد ضايقتنى هذا التصرف منه (أى من الرئيس جمال عبد الناصر) خاصة أننى كنت معه فى الصباح ولم يشأ أن يبلغنى بما انتواه ، وحاولت أن أفهم ماذا يرمى من وراء هذه الخطوة ، وكان قد نتج عن هذا الموقف وما يشاع بين الأعضاء بليلة فكر بينهم لأنه كان قد سبق وقيل لهم لابد من تطهير أنفسنا من مثل هذه العناصر وضرورة اتخاذ قرار حاسم بشأنهم حتى نضمن استمرار حياة نيابية سليمة وهى هدف كبير ، ولكن اليوم يُطلب منهم الاعتداء على الدستور ، والعمل على حماية انحراف واضح قد حدث فعلاً ، وأن يغير الوضع القائم بمديرية التحرير ، وأن تعتبر مؤسسة خاصة لا تملكها الدولة ، لا لشيء إلا لحماية انحراف قد حدث».

«وكان الضغط على أعضاء لجنة الشؤون الدستورية لا يزال مستمراً حتى صباح الأربعاء ٦ نوفمبر ١٩٥٧ ، وبعض أعضاء تلك اللجنة قد تهربوا من حضورها تجنباً لهذا الموقف الشائك كالأستاذ فتحى الشرقاوى ، ولكن صديقه صلاح دسوقي قد اتصل به بأمر من جمال ليؤثر عليه حتى ينضم للرأى القائل بأن مديرية التحرير مؤسسة خاصة وهو كان يصر على موقفه».

ينبغى لنا أن نشير هنا إلى أن الأستاذ فتحى الشرقاوى الذى ورد ذكر اسمه كان فى ذلك الوقت بمثابة عميد نواب محافظة البحيرة ، وكان محامياً كبيراً رفيع القدر وقد

اختير وزير العدل فى عهد الثورة ، وكان بمثابة المحامى الوحيد الذى وصل إلى منصب وزير العدل فى عهد الثورة.

ثم يلخص عبد اللطيف البغدادى ما انتهى إليه الموقف :

«... ولكننى عند الظهر وقبل مغادرتى لمكتبى علمت بأن الضغط قد انتصر فى النهاية وحقق غرضه ، وأن الغالبية من أعضاء اللجنة قد استسلمت لهذا الضغط الواقع عليهم واعتبرت اللجنة أن مديرية التحرير مؤسسة خاصة ، وبدأت تعد تقريرها الذى ستعرضه على المجلس فى المساء على هذا الأساس الجديد ، وبذا يصبح تصرف هؤلاء الأعضاء لا غبار عليه إن أقر المجلس هذا التقرير الذى ستعرضه عليه اللجنة».

ويروى البغدادى تفاصيل الجلسة الحاسمة التى عقدها مجلس الأمة على النحو التالى:

«وفى مساء يوم ٦ نوفمبر انعقد المجلس ، وقد تواجدت الأغلبية العظمى من أعضائه ، ولم يتخلف أحد منهم إلا القليل جداً ، بل وامتلأت أيضاً شرفات المجلس بالزائرين ، وقام مقرر اللجنة الدستورية السيد يواقيم غبريال بتلاوة تقرير اللجنة على المجلس ، واعتبرت (أى اللجنة فى تقريرها) أن مديرية التحرير مؤسسة خاصة ، وأن التصرف الذى حدث من هؤلاء الأعضاء موضع التحقيق فى حدود القانون ، ولا مأخذ عليهم فيه ، وأخذ رأى المجلس على تقرير اللجنة وما ورد فيه ، فوافقت الأغلبية المطلقة ، ولكننى أعلنت أن القرار بالإجماع تهكماً منى على هذا الوضع الغريب!!!».

هكذا كان البغدادى قد وصل إلى أقصى درجات الحيرة ، حتى إنه أثر التهكم على ما رآه يجرى أمامه بعد ما جرى من وراء ظهره!! وهو يعبر بأسى شديد وأسف بالغ عن هذا الشعور النفسى الذى اجتاحه فيقول:

«ولم يجرؤ أحد من أعضاء المجلس على مناقشة تقرير اللجنة أو مخالفتها فى رأى بعد أن حاول العضو شعبان [كذا فى الأصل ولست أدري مَنْ هو المقصود] الاعتراض عليه وقيام بعض الأعضاء بمهاجمته وقولهم له: هل تأكل لحم أخيك ميتاً؟ ولم يتمكن بل ولم يتمالك نفسه بعد ذلك من الاستمرار فى إبداء رأيه فصمت ثم جلس رغم محاولتى حمايته منهم عسى أن يشجع موقفه آخرين. ولكن حدث أن [حديث] كل من تكلم - وعددهم قليل - كان تأييداً منهم لتقرير اللجنة».

ويواصل البغدادي الحديث عما اعتمل في نفسه نتيجة هذا الموقف الذي واجهه ، ونحن نراه في روايته لوجهة نظره يحاول التحوط من كل ناحية ، مع أنه ليس في حاجة إلى كل هذا التحوط :

«وقدرت أن المجلس - بعد هذا الموقف منه - لابد سيفقد الكثير من هيئته ومن تقدير الشعب له ، لأنه حتى لو كانت مديرية التحرير مؤسسة خاصة كما جاء بتقرير اللجنة ، لكان هناك خطأ أدبياً على الأقل قد وقع فيه هؤلاء الأعضاء لقبولهم العمل بها وهي موضع تحقيق من المجلس».

«وكنت خلال تلك الجلسة التي أعلنت فيها اللجنة تقريرها أحاول أن أكون هادئ الأعصاب حتى لا يُظن خطأ كما كان يثار من أدوات الضغط أن لي اتجاهات خاصة لخلافات شخصية بين مجدى وبينى ، مع أن من يطلع على مضابط جلسات المجلس في أثناء مناقشته لهذا المشروع وما أثير حوله يجد أن موقفى من مجدى ومن المشروع ذاته مخالف تماماً لما يدعون».

«وكنت قد فضلت لنفسى الانتظار والاحتفاظ برأى على هذا القرار الذى اتخذه المجلس إلى الجلسة التالية له ، ذلك أننى وجدت أن هناك تحمساً شديداً ومفتعلاً من كثير من الأعضاء لقرار اللجنة ، وقدرت أننى لن أتمكن من إبلاغ وجهة نظرى إلى المجلس بالصورة التى أرضاها مع هذا الحماس المفتعل ، وقد رأيت أنه من الأفضل أن أنتظر حتى يتضح لأعضاء المجلس مدى الخسارة التى وقعت عليهم عندما يحسون باهتزاز ثقة الشعب فيهم بعد أخذهم ذلك القرار ، وأنه عندئذ يمكننى أن أعلن عن رأى فى قرار المجلس وأن أتقدم باستقالتى ، وذلك لأن المجلس قد ارتكب مخالفة دستورية بأن اعتبر مديرية التحرير مؤسسة خاصة لا عامة رغم علمه أن الأموال المخصصة للإنفاق عليها هى من الأموال العامة ومدرجة فى ميزانية الدولة وخاضعة أيضاً لرقابة المجلس نفسه».

ثم نأتى إلى ما يورده عبد اللطيف البغدادي فى مذكراته عن إعلان استقالته من رئاسة المجلس وإعلان استقالة كمال الدين حسين من عضوية ذلك المجلس :

«... وفى يوم الخميس ٧ نوفمبر ، أى فى اليوم التالى لقرار المجلس ، أرسل إلى كمال الدين حسين خطاباً يبلغنى فيه استقالته من عضوية مجلس الأمة ، ولما اتصلت به تليفونياً لأستفسر منه عن سبب تلك الاستقالة قال: إنه لا يحب أن يستمر عضواً فى

المجلس بعد أن اتخذ هذا القرار الخاص بمديرية التحرير ، ولما طلبت منه الاتصال بجمال وإبلاغه بقراره اعتذر ، ولما أكد على ضرورة إبلاغ المجلس بالاستقالة فى أول اجتماع له وعدته بذلك إن لم يقم هو بطلب سحبها قبل مساء يوم الاثنين ١١ نوفمبر ، وهو موعد انعقاد المجلس ، وقمت بإبلاغ جمال تليفونياً عن استقالة كمال حتى لا يعتقد خطأً أننى قد تعمدت إخفاءها عنه إن لم أعلمه بها».

«وحتى مساء يوم ١١ نوفمبر لم يكن كمال الدين حسين قد طلب منى سحب تلك الاستقالة ، وأما بالنسبة لموقفى من استقالتي فكان القرار لا يزال قائماً حتى ذلك المساء ، ولم أعلم به أحداً غير زوجتى التى أبلغتها بما انتهت به ، وقد وجدت منها تفهماً لموقفى وتشجيعاً لى على ما استقر عليه رأى ، وقد تعمدت عدم إبلاغ أحد به وأن يظل سرّاً حتى لحظة إعلانه على أعضاء المجلس حتى لا أعطى فرصة لاتخاذ ترتيبات التصدى لما أنا مقدم عليه».

«وفى ذلك المساء بعد أن بدأت الجلسة أعلنت على المجلس رسالة السيد كمال الدين حسين الخاصة باستقالته ، وقد قامت ضجة على إثر إعلانها من بعض الأعضاء ، فمنهم من يود معرفة سبب هذه الاستقالة ، ومنهم من يطلب من المجلس رفضها وعدم قبولها ، ومنهم من يثير دستورية حق المجلس فى قبول الاستقالة من عدمه. ولم يكن كمال موجوداً فى الاجتماع حتى يفسر لهم سبب تقديم الاستقالة ، وقد رأيت أن أوضح للأعضاء أنه طبقاً لللائحة المجلس فإن من حق كمال أو أى عضو يتقدم بالاستقالة أن يعلمهم فقط بها ، وليس من حق المجلس قبولها أو رفضها ، وعندما ذكرت ذلك طلب منى أحد الأعضاء أن أعمل على إقناع كمال بسحب تلك الاستقالة ، ورددت عليه بأن لدى أنا الآخر رسالة أود إبلاغها أيضاً إلى المجلس ، وفهم البعض من الأعضاء ماذا أقصد بهذه الكلمة ، وفوجئت بصياح البعض منهم ممن كانوا يقومون بنشاط بتوجيه من جمال فى أثناء تلك الأزمة ، وكان صياحهم يطالب بأن تكون الجلسة سرية ، وأخذوا يصيحون فى نفس واحد: «جلسة سرية.. جلسة سرية»، وظلوا كذلك فترة ، ورددت عليهم بقولى: «لابد أن تكون علنية حتى يعلم الشعب الحقيقة ، ومن حقه أن يعلمها»، ولكنهم استمروا فى صياحهم بطلب سرية الجلسة».

«ولما كانت اللائحة الداخلية تحتم على رئيس المجلس فى حالة ما إذا رغب فى الكلام فى موضوع معروض على المجلس أن يترك منصة الرئاسة لأحد الوكلاء وأن

يتقدم إلى المنبر ليتحدث إلى الأعضاء من فوقه ، لذا طلبت من وكيل المجلس أن يصعد إلى المنصة ليتولى رئاسة المجلس حتى أتمكن من التحدث إلى الأعضاء وأبين لهم الأسباب التي تدفعني إلى تقديم استقالتي، ولكنه ظل ملتزماً مكانه بين الأعضاء ولم يستجب لطلبي، واضطرت إزاء هذا الموقف منه أن أترك منصة الرئاسة وأن أتوجه إلى المنبر، وهنا فقط تحرك وكيل المجلس وصعد إلى المنصة وتولى رئاسة المجلس».

«ووقفت على المنبر، وانتظرت حتى يهدأ الأعضاء المشيرون لتلك الضجة ، ولكن صياحهم استمر مطالبين بإعلان سرية الجلسة ، وطلب الوكيل أخذ رأي المجلس في علنية الجلسة أم سريتها، وبدأ بأخذ الرأي حول سريتها فوافقت الأقلية - حسب تقديري - ولكنه أعلن أنها الأغلبية ، واعتضت مصرحاً بأنها أقلية ، ومطالباً بأن تقوم سكرتارية المجلس باحتساب عدد الموافقين على السرية وعدد المعارضين عليها حتى يتبين أين تقف الغالبية ، ولكنه لم ينظر إلى اعتراضى ، وتغاضى عن اتخاذ هذه الخطوة».

«ولما رأيت أن الأقلية فى المجلس قد انقلبت وأصبحت هى الأغلبية ، لذا قلت موجهاً كلامى إلى أعضاء المجلس: «إننى كنت أود أن أوجه كلمتى إلى الشعب من فوق هذا المنبر، ولكن طالما أن الأقلية قد انقلبت وأصبحت هى الأغلبية ، لذا فإننى سأمتنع عن الكلام».

«وتركت المنبر وغادرت قاعة الاجتماع وتوجهت إلى مكتبى بالمجلس، وعندما دخلت إلى مكتبى وجدت به زكريا وحسين الشافعى، وفهمت منهما أنها سمعا ما دار فى اجتماع المجلس عن طريق مكبر الصوت الموجود بالمكتب والمتصل بالقاعة ، ولقد صاح حسين الشافعى عند دخولى إلى الغرفة قائلاً: «ما هذا الذى فعلته؟ لقد شرخت جدار الثورة»، ورددت عليه ببعض الانفعال ، أما زكريا فقد لامنى لأنى لم أخبرهما بنيتى وهما كانا معى قبل التوجه إلى الاجتماع».



ثم يردف البغدادي حديثه هذا بتفصيلات كثيرة نستاأذن القارئ فى تجاوزها ، والانتقال مباشرة إلى ما يحرص على أن يرويهِ عن اللقاء الذى تم بينه وبين عبد الناصر بعد هذه الجلسة العاصفة التى أعلن فيها عزمه عن الاستقالة من رئاسة مجلس الأمة:

«... وبعد أن تم الاتفاق مع أعضاء المجلس واعتبر الموضوع منتهياً عند الحد الذى

وصل إليه ، غادرت مبنى المجلس كما غادره معى كل من أنور وزكريا وحسين الشافعى وعلى صبرى ، وعندما هممت بركوب سيارتى قفز فيها محمود الجيار، وذكر أن الرئيس قد أوصاه أن يبلغنى بأنه يرغب فى لقائى فى نفس الليلة ، وأنه قد أمره بعدم تركى إلا إذا ذهبت إليه. ولكننى ذهبت إلى منزلى رافضاً الذهاب معه ، وبقي محمود الجيار بمنزلى وقد أخذ يلح علىّ فى أن أذهب للقاء جمال ، ورأيت أنه ربما يكون من الأفضل أن يتم هذا اللقاء بيننا ، فذهبت إليه».

«وعندما دخلت إلى مكتبه وجدت معه زكريا وأنور وعلى صبرى ، وقد فوجئوا بوجودى بينهم ، فقام جمال وقابلنى مصافحاً ، وقد ظهر عليه السرور لأنه على ما يظهر لم يكن متوقفاً منى أن أستجيب لتلك الرغبة منه ، وعندما دخلت عليهم كان الحديث يدور بينهم حول ذلك الخلاف الذى جرى فى المجلس ، وهذا أمر طبيعى ، وقد قطع عندما دخلت عليهم الغرفة ، وكان زكريا هو الذى يتحدث إليهم ، وأراد أن يقطع الحرج الذى حدث بعدم الاستمرار فى الاسترسال فيما كانوا يتحدثون فيه فقال: «أصلنا نبحث عن الحلول «Objective» الهادفة .. وسكت».

«ثم بدأ الحديث بين جمال وبينى عن الأسباب التى دفعتنى لاتخاذ هذه الخطوة ، فقلت إن قرار المجلس الخاص بمديرية التحرير واعتبارها مؤسسة خاصة فيه مخالفة دستورية ، وما حدث يعتبر هدماً فى هدف أساسى من أهدافنا وهو إقامة حياة نيابية سليمة ، وكان يجب علىّ أن أدق ناقوس الخطر ، ولأننى شعرت أيضاً أننى لن أكون أميناً إذا كنت قد أحسست بهذا الإحساس ولمست هذه الخطورة ، ورغم ذلك أستمّر أجلس على كرسى رئاسة المجلس دون أن أحاول درء هذا الخطر ، ولكنه لم يرد على تلك النقاط التى ذكرتها ، وإنما نقل حديثه عن أن طلب إسقاط العضوية عن مجدى حسنين لم يتفق عليه بيننا. فذكرته بحديثى معه حول الموضوع عند بدايته ، وشعور الأعضاء نحو مجدى واعتباره شريكاً فيما حدث وأنه شبه بالراشى ، وما ذكره هو فى حينه من أنه يرى التخلص منه بعد أن ضمه الشيوعيون إليهم ، وأنه طلب فقط ألا يظهر بأننا ندفع الأعضاء نحو هذا الاتجاه ، ولم أشأ أن أذكره بأنه هو شخصياً قد أخبر على صبرى بذلك الاتجاه ، وأن على قام بإبلاغ وجيه أباطة بذلك أيضاً ، على أنه توجيه من الرئيس نفسه حتى يقوم بإقناع أعضاء المجلس عن مديرية الشرقية الذى هو أحدهم بذلك الأمر ، كما أن صلاح دسوقى كان هو الآخر قد ذكر لى أيضاً أن على صبرى أبلغه بأن هذه هى توجيهات جمال».

وهنا تأتى المصادفات [الناصرية] التى لم يكن البغدادى حتى ذلك الحين قادراً على أن يتصور حدوثها:

«ولكن الغريب أن جمال سأل على صبرى أثناء تلك المناقشة بينما عما إذا كان قد سمع عن أنه يريد ذلك أو أن هذا كان هو اتجاهه ، فكان رد على صبرى بالنفى بإشارة من رأسه ، وقد حركها يميناً ويساراً وهو موجه نظره إلى الأرض ، وقد أدهشنى هذا الأمر من على ، وكان من السهل على أن أقوم بإحراجه ومواجهته بما أعلمه من وجيه ومن صلاح ، ولكننى لم أحاول ، وقلت لجمال كيف يمكن لى أن أقوم بإخبار شقيقك الليثى بهذا الاتجاه إن لم تتفق عليه سوياً مع علمى أنه يبيت عندك بالمنزل ولا بد أنه سيخبرك!!».

ويواصل البغدادى رواية ما يدفعنا به إلى الشعور بأقصى درجات العجب من موقف الرئيس عبد الناصر على نحو ما صوره هو فى روايته:

«كما ذكرته أيضاً بموقف الطحاوى وطعيمة عندما جاءا إلى بمكتبى بالمجلس وأخبرانى بتوجيهات جمال إليهما ، وهى إسقاط العضوية عن مجدى والأعضاء الآخرين ، ومن أنهما سيعملان على الاتصال بأعضاء المجلس لتحقيق هذا الغرض».

«كما عتبت عليه أنه عندما رأى أن يغير رأيه فقد قام بالاتصال ببعض أعضاء المجلس صباح يوم الثلاثاء بفرض الضغط على أعضاء اللجنة الدستورية وأعضاء المجلس حتى لا يتخذ إجراء ضد الأعضاء موضع التحقيق رغم وجودى عنده بمنزله فى صباح نفس اليوم وأنه لم يشأ إبلاغى بما اتفوا ، ولكنه رد بأنه يعتقد أنه قد أبلغنى ، فذكرته بحديثى التليفونى معه بعدما سمعت ما كان يدور حول هذا الموضوع فى أروقة المجلس بعد عودتى من زيارته».

«ولكن كان كل الذى يهم جمال فى هذا اللقاء ألا أصر على استقالتى من المجلس لأن هذا - على حد قوله - هزة للنظام وإظهار أننا فشلنا فى تحقيق هدف إقامة حياة نيابية سليمة. لذا فقد حاول إقناعى بضرورة الاستمرار فى رئاسة المجلس ، وقد استجبت إلى هذا الرأى «....!!».

ها نحن قد وصلنا إلى نهاية الرواية التى أوردها البغدادى فى كتاب مذكراته الذى نشر عام سبعة وسبعين (١٩٧٧) فلنطالع إذا ما يرويه سامى جوهر فى كتابه «الصامتون يتكلمون» عن تفاصيل الأزمة كما رواها له البغدادى ، ونحن نرى البغدادى فى هذه

الرواية وهو يتحسب من البداية من حماية عبد الناصر لمجدى حسنين، وهو المعنى الذى لم تقدمه الرواية السابقة على هذا النحو ولا بهذا الوضوح ، كما نرى رواية سامى جوهر تشير إلى أن تعيين أعضاء المجلس كمستشارين للمديرية قد تم بعد أن أثير الموضوع فى المجلس ، كما نرى فى رواية سامى جوهر أمراً ثالثاً مختلفاً حين نطالع اسماً لم يرد فى الرواية السابقة وهو اسم عضو البرلمان عبد المجيد عامر الذى تقدم بسؤال عن جدوى الإنفاق على مشروعات استصلاح الأراضى:

«... وبدأ الاصطدام بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية على شكل سؤال وجهه العضو عبد المجيد عامر عن استصلاح الأراضى وتناولت مناقشة السؤال مديرية التحرير والتصرفات المالية المشبوهة التى تتم فيها والاعتمادات الكبيرة التى تنفق ولا تؤدى إلى أى ثمار ، وانتهت مناقشة السؤال إلى اتخاذ قرار بتشكيل لجنة تحقيق تنتقل إلى مديرية التحرير وتقدم تقريرها بعد عودة المجلس من إجازته فى نوفمبر عام ١٩٥٧ ، وفى خلال الإجازة نشر فى الصحف خبر صغير يتضمن أنه تم تعيين ثلاثة من أعضاء مجلس الأمة كمستشارين فى مديرية التحرير بأجر .. ولم يذكر فى الخبر أسماء الأعضاء الثلاثة...».

«وفى نفس اليوم جاء إلى مكتبى بمجلس الأمة سيد جلال عضو المجلس عن دائرة باب الشعرية فى القاهرة وقال لى : مجدى حسنين بدأ يشتري أعضاء المجلس .. تعيينه أعضاء المجلس فى مديرية التحرير ما هو إلا رشوة لشراء صمت المجلس ، وأنا سأقدم سؤالاً فى أول جلسة بعد عودة المجلس من إجازته . ورددت عليه : إن هذا من حقه .. فأنت تمثل الشعب ... وما دمت ترى أى انحراف فواجبك أن تقاومه وتكشفه . وخرج سيد جلال من مكتبى .. وأحسست بأول أزمة .. فأنا أعلم أن عبد الناصر يحمى مجدى حسنين .. والهجوم على مجدى حسنين وكشف ما تردد عن تلاعب فى أموال مديرية التحرير سيؤدى إلى أزمة بين عبد الناصر وبين المجلس .. ولكننى كنت عند عهدى الذى اتخذته بينى وبين الله ألا أحجر على كلمة تقال فى سبيل الوطن».

«واقرب موعد افتتاح الدورة البرلمانية .. يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٧ .. وقبل الافتتاح مباشرة تلقيت طلباً موقعا عليه من عشرة أعضاء لإسقاط العضوية فوراً عن أربعة أعضاء هم محمد مجدى حسنين بصفته المسئول الأول عن المساس بكرامة أعضاء المجلس ومحمود القاضى وأحمد شفيق أبو عوف وإسماعيل نجم الذين قبلوا العمل

مستشارين فى مديرية التحرير بأجر .. وقبل الجلسة أيضا تلقيت خطابا من رئيس لجنة الصناعة تضمن أن ما نشرته الصحف من تلميح عما وراء تعيين أعضاء بالمجلس فى مديرية التحرير بعد إحالة موضوعها إلى لجنة تقصى الحقائق فيه مساس بكرامة أعضاء المجلس».

«وقبل بدء الجلسة اتصلت بجمال عبد الناصر بالتليفون وأبلغته بالأمرين .. قلت له إننى سأحدث عن حرية الصحافة وأن المجلس لا يمكنه أن يحد من هذه الحرية .. فوافقنى .. وقلت له إننى أيضا سأثير موضوع الأعضاء الأربعة وإحالة موضوع فصلهم إلى لجنة الشئون الدستورية .. قال لى : اسمع يا بغدادى .. كل واحد منهم يعتذر ويكتفى المجلس بتوجيه اللوم لهم .. وبلاش حكاية الفصل دى . فرددت عليه : أنا سأتابع لائحة المجلس .. واللجنة هى التى تقرر ما تشاء .. فقال بضيق : طيب».



ونأتى بعد هذا إلى جوهر ما يرويه سامى جوهر عن وقائع الجلسة البرلمانية التى عرض فيها موضوع مجدى حسنين وسنجد أن البغدادى قد بدأ يأخذ الموضوع على أعصابه ، فهو يلتفت إلى الكرامة وإلى واجبه تجاهها وتجاه المفرطين فيها:

«وفعلا افتتحت الجلسة بعد هذا الحديث وبمجرد عقد الجلسة قلت : إننا نشهد الليلة أمرا خطيرا بالغ الخطورة .. طلب عشرة من حضرات الأعضاء إسقاط العضوية فورا عن أربعة أعضاء هم مجدى حسنين ومحمود القاضى وأحمد شفيق أبو عوف وإسماعيل نجم .. ثم تحدثت عن الرسالة التى بعث بها رئيس لجنة الصناعة وقلت ما معناه إن رئيس المجلس لا يتدخل فى حرية الصحافة إلا إذا مست فعلا كرامة أعضاء المجلس ، أما الأعضاء الذين لا يحافظون على كرامة المجلس فليس من واجبى أن أحميهم ماداموا هم الذين فرطوا فى كرامتهم بتصرفاتهم ..».

ونصل مع رواية سامى جوهر إلى الجزئية الخاصة بتحقيق تاريخ انضمام محمود القاضى إلى العمل فى مديرية التحرير ، وهى الجزئية التى تولى البغدادى حسب روايته تحقيقها بنفسه ، وسرى أن هذا التحقيق قد انتهى إلى إدانة محمود القاضى لأنه ثبت أنه قبل العمل فى المديرية بعد ثمانية أيام من إحالة موضوعها إلى لجنة تقصى الحقائق !! ومع هذا فإن البغدادى يذكر أن القاضى قدم فى تلك الجلسة الاعتذار سبع عشرة مرة!

«وبدأت مناقشات عنيفة .. وطلب كل من الأعضاء الثلاثة محمود القاضى وأحمد شفيق أبو عوف وإسماعيل نجم الكلمة ، كل للدفاع عن نفسه .. وأعطيت الكلمة لمحمود القاضى .. وتحدث مدافعاً عن نفسه ، قال إنه كان فى زيارة لمديرية التحرير وأبدى بعض الملاحظات فى العمل أعجب بها مجدى حسنين فعرض عليه أن يكون مستشاراً مقابل مكافأة لا تزيد عن ٤٨٠ جنيهاً سنوياً .. وإن هذا التكليف كان يوم ٢٠ أغسطس وقبل إحالة الموضوع إلى لجنة تقصى الحقائق».

.....

«على الفور أرسلت أحد موظفى المجلس بورقة لمعرفة تاريخ إحالة موضوع مديرية التحرير إلى لجنة تقصى الحقائق .. فعاد بعد دقائق يحمل الرد وأنه يوم ١٢ أغسطس ، أى قبل قرار تكليف العضو بالعمل فى المديرية .. وكان العضو لا زال يتكلم مدافعاً عن نفسه مبدئياً اعتذاره عن قبوله العمل .. وقدم فى تلك الجلسة ١٧ اعتذاراً وهو يتحدث .. وبعد أن أنهى من كلامه قلت: العضو يقول إن تكليفه بالعمل فى مديرية التحرير كان يوم ٢٠ أغسطس وقبل إحالة الموضوع إلى لجنة تقصى الحقائق .. وأنا أرسلت للتأكد من موعد إحالة الموضوع فتبين أنه كان يوم ١٢ أغسطس».

«وحدث هرج وأصوات تقول: دى رشوة .. لازم يفصل .. فأعدت النظام للجلسة وأعطيت الكلمة للعضو الثانى وهو أحمد شفيق أبو عوف. وتحدث أبو عوف على أساس أن علاقته بمديرية التحرير نشأت من قبل عضويته فى مجلس الأمة بسنوات وبحكم أنه كان ضابطاً بالقوات المسلحة ومجدى حسنين زميل له .. وأنه كان يعد لها الألحان والأناشيد بدون أى مقابل ، ثم عين مستشاراً موسيقياً لها بمكافأة شهرية ٢٥ جنيهاً وهو مبلغ ضئيل لا يوازى ما يقدمه من ألحان حيث إنه يتقاضى من الإذاعة أكثر من ذلك بكثير ، وأضاف أنه لم يكن يعرف أن قبوله ذلك فيه مساس بكرامة المجلس ولم يخطر على باله هذا الخاطر».



ونمضى مع رواية سامى جوهر حيث نرى عبد اللطيف البغدادي يبذل جهده فى تصوير نفسه حريصاً على القواعد الدستورية وليس فى هذا ما يتعارض مع ما يرويه عن أدائه فى تلك المعركة بالفعل ، لكن يبدو أن الأصوب من هذا أن يصور البغدادي المسألة على أنها مرتبطة بالحق والباطل أو بالصواب والخطأ ، فقد كان هذا التصوير كفيلاً بأن

يتطابق مع تصرفات البغدادي وتوجهاته في ذلك اليوم بعيداً عن كل إدعاء - تال - بحب الدستور ، وبخاصة أن الثورة لم تكن في أحاديثها اليومية ترحب بالدستور ولا بالممارسات الدستورية التي تمت في العهد السابق ، بل كانت تعتبر هذه التصرفات في مجملها شيئاً مما ينبغي القضاء عليه بسبب فساد ، وربما تولى سامي جوهر وضع هذه الصياغات (من قبيل: إرساء القواعد الدستورية) على لسان البغدادي ، لكن البغدادي على كل حال أصبح مسئولاً عنها مسئولية المستمتع بالحيازة للملكية والانتفاع.

ثم لنقرأ ما تورده الرواية عن موقف العضو الثالث إسماعيل نجم ، وهو الذي نفى (في الروايتين) علمه بأن يكون مستشاراً للمديرية:

«.... وعقب ذلك تحدث العضو الثالث اسماعيل نجم مدافعاً عن نفسه ، ونفى علمه نهائياً أنه عين مستشاراً قانونياً للمديرية التحرير وقرر أنه حدث إشكال بين فرع المديرية في الاسكندرية وبعض الأفراد وأنه تدخل بصفته عضواً في مجلس الأمة عن الدائرة التي يقع بها مقر فرع المديرية محل الاشكال وفوجئ بإرسال المديرية له مكافأة عن عمله. وأكد أنه لا علم له بصدور قرار تعيينه في المديرية».

«ودارت مناقشات عنيفة.. بعض الأعضاء كان يرى أن يصدر المجلس قراراً بفصل الأعضاء الثلاثة على أساس أنهم مرتشون ، وفصل مجدى حسنين على أساس أنه الراشى ، والبعض طالب أن يحال الموضوع إلى لجنة الشؤون الدستورية وكان يرأسها محمد محمود جلال للتحقيق ، وتقديم تقرير إلى المجلس خلال ٤٨ ساعة.. وفاز الرأي الثاني بالأغلبية وأحيل الموضوع إلى اللجنة لتحقيقه».

وسكت البغدادي لحظة ثم استأنف حديثه قائلاً:

«كنت أريد أن أرسى قواعد دستورية في البلد وأن المنحرف مهما كان مركزه يجب أن يلقي جزاء انحرافه .. ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يناله».

«بدأت اللجنة عملها في نفس الليلة واستمعت إلى أقوال الأعضاء الثلاثة.. وعكفت في اليوم الثاني على كتابة تقريرها».

ونصل إلى مطالعة ما يرويهِ البغدادي عن محاولات الرئيس عبد الناصر ضبط الإيقاع البرلماني في هذه الواقعة دون أن يوافقهِ البغدادي على خطته ، وربما يمكن لنا أن نزعم اليوم أن عبد الناصر كان أقرب إلى الواقعية من البغدادي الذي كان لا يزال حريصاً على المثالية.

ومن المؤسف أن مثالية البغدادي دفعت عبد الناصر إلى طريق أسوأ مما كان يعرضه في البداية على البغدادي كحل لهذا الموقف الذي وجدت الثورة نفسها فيه ، فلما تصلب البغدادي ولم يقبل بالحلول الوسطى التي كانت ممكنة التنفيذ اضطر عبد الناصر إلى التفكير في طرق أكثر مخالفة للقانون وللدستور ولروحيهما ، فإذا بالثورة وبعبد الناصر نفسه يبدوان متحاملين على القانون إلى أبعد الحدود ، بل وينساق البرلمان هو الآخر إلى هذا الطريق ، مع أنه كان في وسع البغدادي بشيء من الحنكة المبكرة أن يتجاوز هذا كله حرصاً على حياة وتاريخ المجلس نفسه.. وقد أثبتت الأيام أن عبد الناصر استثمر أول فرصة وتخلص من هذا المجلس ومن وجود البغدادي في موقع رئاسته.. وما إن تمت الوحدة مع سوريا حتى استثمرها عبد الناصر فرصة لحل المجلس ، وتكوين مجلس جديد اتحادي رأسه أنور السادات مع أن البغدادي كان لا يزال موجوداً في الصورة.

ونحن نفهم من الروايات التي يوردها البغدادي نفسه كيف أن الرئيس عبد الناصر حاول بطرق كثيرة أن يحفظ ماء وجه الثورة ، لكن عبد اللطيف البغدادي نفسه هو الذي أجهض مساعي عبد الناصر ، ومع أن الحق يبدو في صف البغدادي ، فإن روح المسؤولية والنظر إلى المستقبل تجعلنا نلوم البغدادي على أنه لم يتوقف بالمعركة عند حدود النجاح الأولى فحسب دون أن يطمح إلى ما هو أكثر من هذا ، مما يتعارض مع طبيعة عبد الناصر وطبيعة الثوار.

ولنقرأ ما يرويه البغدادي في روايته لسامي جوهر وسنرى هذه الرواية أكثر تصريحاً بالاختلاف الذي حدث بين عبد الناصر والبغدادي في معالجة المسألة ، كما أننا نراها ناطقة بتصلب البغدادي وبعده عن المرونة:

«وفي ذلك اليوم اتصل بي زكريا محيي الدين تليفونياً وقال لي:

- الرئيس يقول لك بلاش المجلس يفصل مجدى وكفاية يفصل الأعضاء الثلاثة..

فرددت عليه:

- أنا يا زكريا لا أتدخل فى أعمال المجلس.

فقال لي :

- طيب اتصل بالرئيس فى القناطر وبلغه ذلك.

فاتصلت بجمال عبد الناصر فى استراحة القناطر وعندما سمع صوتى قال لى :

- يا بغدادى... أنا شايف بلاش حكاية فصل مجدى حسنين لأنه منهار جداً وكلمنى وهو منهار تماماً..

فرددت عليه قائلاً:

- إن بقاء مجدى وفصل الأعضاء الآخرين سيفسر على أنك تسانده وتؤيد الانحرافات .. وأنا شايف إننا نترك المسألة لتقدير اللجنة.. فقال بسرعة:

- طيب .. لك حق..».

«وفى نشرة الأخبار بالإذاعة فى الثانية والنصف من بعد ظهر نفس اليوم أذيع نبأ عزل مجدى حسنين من إدارة مديرية التحرير».

«وفى اليوم التالى .. الأربعاء ٦ نوفمبر المحدد لسماع تقرير لجنة الشئون الدستورية المتضمن نتيجة تحقيقها.. وقبل موعد الجلسة ذهبت إلى جمال عبد الناصر فى منزله بمنشية البكرى وكان زكريا محيى الدين موجوداً ، وقلت له:

- أنا سمعت من بعض أعضاء المجلس أن اللجنة وجدت أن الأعضاء قد أخطأوا وبذلك فأنها سترى فصلهم.

فرد على قائلاً:

- بلاش حكاية الفصل دى.. كفاية إنهم يعتذروا ويقدم لهم اللوم .. وهو نفس رأى الذى أبداه.

وقلت له :

- أنا لن أ تدخل وسأترك للأعضاء الحرية فى اتخاذ القرار الذى يرونه بالنسبة لزملائهم».

«وانصرفت إلى المجلس .. وعقدت الجلسة وبدأنا ننظر جدول الأعمال العادى مؤجلين سماع تقرير اللجنة لعدم انتهاء طبعه وتوزيعه على الأعضاء.. ثم رفعت الجلسة للأستراحة.. وعدت إلى مكتبى ».



ونأتى بعد هذا كله إلى مجموعة من أسماء بعض أعضاء البرلمان من الضباط الأحرار وقد تورطوا فى «تربيط» الأعضاء ضد روح القانون .. كما نأتى إلى اللحظة

الفاصلة التي فوجئ فيها البغدادي - على حد روايته - بالرئيس عبدالناصر يخبره بما من شأنه أنه حسم الموضوع بطريقته بعيداً عنه:

«وأثناء جلوسى دخل العضو سيد جلال وقال لى :

- لطفى واكد فى البهو الفرعونى بينشر وسط الأعضاء أن عبد الناصر غير موافق على أن البغدادي يذبح الأعضاء وأنه سيحدث قبلة فى الجلسة ولن يفصل أحد .. فقلت له:

- أنت تمثل الشعب ياسيد وتستطيع أن تقول فى الجلسة ما تريده .. وخرج سيد جلال ، فأدرت قرص التليفون وطلبت جمال عبد الناصر .. نقلت له صورة ما يحدث فى البهو الفرعونى كما ذكره لى سيد جلال .. ففوجئت به يقول لى :

- هو أنا ماقلتش لك؟

ووجدتنى أسأله:

- قلت لى على أيه؟!!

فأجاب بصوته الملى بالمعانى:

- اللجنة الدستورية وجدت أنه لا محل لمؤاخذة الأعضاء الأربعة

فصرخت فى التليفون غيظاً قائلاً:

- ده يبقى شغل عيال ..

«وأنهيت المكالمة وجلست فى حالة غيظ شديد .. شعرت برغبة أن أخرج إلى البهو الفرعونى وأضرب كل من يردد أننى أردت ذبح أعضاء المجلس ومنعنى عبد الناصر».

«وانتهى طبع التقرير .. ووزع على الأعضاء .. واستأنفت عقد الجلسة .. ووقف العضو يواقيم غبريال مقرر لجنة الشئون الدستورية يتلو تقرير اللجنة .. وجاء فى التقرير بعد استعراض أقوال الأعضاء الثلاثة والتأكد من تعيينهم فى مديرية التحرير بعد صدور قرار إحالة موضوعها إلى لجنة تحقيق برلمانية ، أن اللجنة رأت بحث وضع مؤسسة مديرية التحرير ومركزها القانونى وطبيعة أموالها وهل هى عامة أم خاصة ودستورية الجمع بين عضوية المجلس وتقاضى مكافآت منها».

«وتبين للجنة أن المؤسسة عامة لها شخصيتها الاعتبارية وتعتبر أموالها أموالاً خاصة،

على أن حصولها على المال من الميزانية العامة لا يجعل مالها عاماً ، وأن الأموال التي تخصص لها وتدخل في ذمتها تعتبر أموالاً خاصة طبقاً لقانون المؤسسات».



هكذا نرى أنه قد تم التحايل على القانون بصورة فجأة ، وهذا هو البغدادي يروي لنا كيف بدأ يدرك حقيقة ما حدث ، وكيف كان رد فعله أن قرر الاستقالة وهو يعطى لكمال الدين حسين الفضل في سببه إلى الاستقالة:

«.... وعلمت بعد ذلك أن أعضاء اللجنة تعرضوا لضغط شديد من محمد فهمي السيد المستشار القانوني لعبد الناصر وزوج ابنة شقيقة زوجته حتى يتضمن تقريرهم هذا التفسير في أن مديرية التحرير مؤسسة خاصة حتى لا تخضع لرقابة مجلس الأمة».

«وبعد تلاوة التقرير أخذت الأصوات على الموافقة عليه.. وجاءت بالإجماع.. ويرجع ذلك إلى أن عبد الناصر طلب من علي صبري أن يتكلم نواب الشرقية مع التقرير ، وطلب من شقيقه الليثي عبد الناصر تكلم نواب الاسكندرية مع التقرير.. ورفعت الجلسة وعدت إلى غرفتي أكاد أنفجر من الغيظ وكان جالساً بها زكريا محيى الدين وحسين الشافعي. ولم يكذ الأثنان يرياني حتى قالوا:

- أنت بقيت سياسى خطير».

ثم غمضى مع رواية البغدادي لسامى جوهر وهي تحدثنا بتلقائية أكثر عن تفكيره في الاستقالة والاعتزال ، كما يورد نص الاستقالة:

«وعدت الى منزلى فى تلك الليلة.. كنت أشعر بالألم لما شاهدته من تلاعب بالديمقراطية .. وفى صباح الخميس استقيظت على تليفون من كمال الدين حسين وقال لى:

- يا بغدادي أنا بعث لك جواب

فقلت له:

- إيه .. خير؟

- وقال سريعاً:

- استقالة من هذا المجلس .. بأه ده معقول .. يا ناس مديرية التحرير تبقى مؤسسة خاصة .. أنا مش ممكن أفضل فى مجلس يوافق على كده.

وسأله:

- أنت كلمت جمال؟

فأجاب :

- لا.. وأكلمه له..

وانتهت المكالمة.. وعندما توجهت إلى مكتبي وجدت [خطاب] استقالة كمال حسين على مكتبي .. وكان نصه :

«السيد رئيس مجلس الأمة

أرجو أن تعرضوا على المجلس قبول استقالتي من عضويته راجيا لكم وللمجلس دوام السداد والتوفيق في العمل لخير الوطن.

كمال الدين حسين

١٩٥٧/١١/٧

يستطرد البغدادي ويقول:

«وكانت عادتي أن أتلو الرسائل التي تصلني في بداية جلسة يوم الاثنين من كل أسبوع ، فوضعت الرسالة في ملف الرسائل التي سأتلوها يوم الاثنين التالي ، وفي نفس الوقت اتصلت بجمال عبد الناصر تليفونيا وقلت له:

- كمال بعث لى استقالة من عضويته بالمجلس

فسألني :

- له؟

وقلت له بسخرية:

- لأن مديرية التحرير طلعت مؤسسة خاصة!!

فأنهى المكالمة قائلاً:

- طيب .. طيب..

واتصل عبد الناصر بكمال الدين حسين وطلب منه سحب الاستقالة ، وتظاهر كمال بالموافقة .. واعتقد عبد الناصر أن كمال سحب استقالته.

ويروي البغدادي بعض تفصيلات جزئية يحاول أن يصور بها ما اعتمل في نفسه

قبل التفكير فى الاستقالة فإذا بنا نرى حديثه إلى نفسه وإلى عائلته لا يتعدى التفكير فى نفقات معيشته:

«ولكن جاءت جلسة يوم الاثنين ولم يكن كمال الدين حسين قد سحب الاستقالة.. وقررت أن استقيل أنا أيضاً.. وظللت ليلة الجلسة ساهراً أفكر فى النتائج.. وجدتنى أحسب دخلى بعد الاستقالة.. سأنتقاضى معاش ١٢٥ جنيهاً يخصم منه ضرائب ١٧ جنيهاً ونصف ولدى التزامات شهرية حوالى السبعين جنيهاً وبذلك لن يبقى لى سوى سبعة وثلاثين جنيهاً ونصف.. وسألت زوجتى:

- نقدر نعيش بهذا المبلغ..

فأجابتنى متساءلة:

- ليه؟

وقلت لها :

- أنا قررت الاستقالة وهذا المبلغ هو الباقي من المعاش بعد سداد كافة الالتزامات.
فقلت:

- نسيب مصر ونروح نقعد فى البلد «شاوه» عندكم..

ونمت مرتاحاً.. بعد أن استقر رأى على الاستقالة.

واستيقظت فى الصباح.. وذهبت إلى المجلس.. ودخلت الى القاعة مبكراً.. وكان عدد كبير من الأعضاء لم يحضر بعد.. وبدأت الجلسة وبمجرد عقدها قلت:

- السادة الأعضاء.. وصلتنى رسالة من السيد كمال الدين حسين يوم الخميس الماضى سأقرأ عليكم نصها..

وتلوت الرسالة.. وساد الهرج فى القاعة.. وارتفع صوت من آخر القاعة.. لا تُقبل .. لا تُقبل .. نرفضها بشدة .. صوت زكريا لطفى جمعه عضو مجلس الشعب عن دائرة مصر الجديدة.

وارتفعت أصوات تقول:

نوسط رئيس المجلس فى الاتصال بالسيد كمال لا قناعه بالعدول عن الاستقالة..

وقلت لهم:

- رئيس المجلس له رسالة كمان ..

ثم أشرت لوكيل المجلس أن يصعد إلى المنصة ليرأس الجلسة وأنزل إلى مقاعد الأعضاء لأقول رسالتى بصفتى عضواً ، وكما تقضى اللائحة وعقدت الجلسة سرية فلم أقرأ استقالتي».



هنا ينبغي لنا أن نتوقف لحظات ونشير إلى أن مذكرات عبد الستار الطويلة «السادات الذى عرفته» تذكر أن الصحفي اليسارى إبراهيم عامر روى للطويلة أن السادات كان فى قمة ذكائه فى هذا اليوم فعقد الجلسة سرية ، وأن عبد الناصر قدر هذا الموقف للسادات لأنه رآه واعياً لأهمية صورة الثورة أمام الصحافة وال جماهير ، وهو ما كان عبد الناصر يحرص عليه بشدة.

وهذا هو نص رواية عبد الستار الطويلة :

«... وحكى لى إبراهيم عامر أن أنور السادات لم يتصرف تصرفاً هاماً فى حياة الثورة إلا عندما حدثت أزمة فى مجلس الأمة أثناء رئاسة السيد عبداللطيف البغدادي له عندما أراد البعض تحويل مشكلة مديرية التحرير إلى إحراج أصدقاء عبدالناصر (وكان هذا يعتبر إحراجاً لعبد الناصر نفسه أوتوماتيكياً ، بحكم طبيعة النظام الشمولى) ، وغادر عبداللطيف البغدادي منصة الرئاسة قائلاً: آّن للشعب أن يعرف كل شىء ، فتولى أنور السادات (وكيل المجلس حينذاك) رئاسة الجلسة ، ولما بدأ عبداللطيف البغدادي الحديث قال السادات: نعمل الجلسة سرية!».

«واعتبر عبدالناصر يومها أن هذا تصرف ذكى وحاسم من جانب أنور السادات ، لأنه يتستر على الثورة ولا يريد نشر فضائح منسوبة إليها».



ونعود إلى مضمون وقصة الحوار الخطير أو الشرير عن تسجيل خطأ لذكريا محيى الدين فى حق عبدالناصر وهو الحوار الذى نراه يروى بأكثر من طريقة فى أكثر من مصدر ، ولكن دلالاته لا تخرج عن أن ذكريا محيى الدين شأنه شأن البغدادي كان قد أصبح ضيق الصدر من تصرفات عبدالناصر ، وأنه كان فى حيرة من طبيعة الإجراء الذى ينبغي على قادة الثورة أن يتخذوه فى مواجهة الرئيس عبدالناصر ، لكن الأهم من

هذا الحوار أن البغدادي يتهم على صبرى بصراحة وبوضوح وبالتحديد أنه هو الذى نقل الحوار الذى دار ما بين البغدادي وزكريا محيى الدين ، وهو الحوار الذى أساء أياً إساءة إلى نفسية عبد الناصر تجاه زكريا محيى الدين وجعل الرئيس دائم الشك فى نوايا وحب زكريا له ، بل إنه أصبح دائم البحث عن فرص لإحراج زكريا حتى وإن لم يبد منه هذا الشعور:

«.... غادرت القاعة واتجهت إلى مكتبى وكان به زكريا محيى الدين وعلى صبرى ومحمود الجيار.. وكنت فى حالة ثورة.. ساخطاً.. وقال لى زكريا:
- نشيلوه بأه.. وكان يقصد عبد الناصر.

ولم أرد.. وأخذ على صبرى ينتقل من غرفتى إلى الغرفة المجاورة ليبلغ عبد الناصر بكل حرف..

وانقطعت عن الاتصال بعبد الناصر.. وانقطعت عن الذهاب إلى المجلس.. وفى يوم كنت فى نادى هليوبولس.. وفوجئت باستدعائى للتليفون.. وكان المتحدث عبدالناصر الذى بادرنى متسائلاً:
- أنت بطلت تكلمنى ليه؟

فقلت له:

- أنت صعيدى.. وأنا فلاح.. والمفروض إنك أنت الللى تسأل عنى بعد ما حدث.
وقال لى :

- طيب تعالى عايزك حالاً.

ورددت عليه:

- أنا مش فاضى دلوقت.. بعد الظهر سأمر عليك.

وفعلاً ذهبت إليه فى المساء.. ووجدته يسألنى :

- حقيقى «الأصفر اوى».. وكان يقصد زكريا محيى الدين وكان دائماً يصفه بذلك.. قال نشيلوه.

وسألته:

- ليه بتسأل؟

فقال:

- أنا عارف إنه قال كده .. هو فاكر نفسه يقدر يشيل غفير أما يشيل رئيس جمهورية».

«وانتقل الحديث بعد ذلك إلى ضرورة عودتي إلى المجلس أنا وكمال الدين حسين حتى لا يقال إن الثورة فشلت في أول تجربة ديمقراطية لها.. ووعدته بالعودة.. وكانت هذه أول أزمة وصدام بسبب تمسكنا بتطبيق الديمقراطية السليمة.. ورغبة عبد الناصر تطبيق شيء آخر.. ولم تكن آخر أزمة.. فبعد أقل من شهر تقريباً حدثت الأزمة الثانية بسبب سياسة التعليم.. وكان بطلها في تلك المرة كمال الدين حسين».

هكذا يبدو لنا من روايتي البغدادي أنه كان أقرب ما يكون إلى الثوريين الأنقياء لا يدرك إلا المعاني الفطرية للقيم المطلقة بعيداً عن تفصيلات القانون والتكيفات القانونية، كان يعرف أن الأبيض أبيض وأن الأسود أسود ولم تكن قد نمت عنده القدرات العملية التي نمت في شخصية الرئيس جمال عبدالناصر ومنها القدرة على الانحياز إلى مواقف وسطى من أجل الحفاظ على ما يُطلق عليه وحدة الصف .

ولهذا فإن الرئيس عبد الناصر بحنكة السياسيين قد استطاع أن يتغلب على الموقف المحرج الذي كان يتطلب منه توقيع عقاب صارم على صديقه مجدى حسنين وإلى التخلي عن بعض رجاله في مرحلة مبكرة ، ولم يشأ عبد الناصر أن يأخذ هذا الاتجاه حتى لو كان في هذا الموقف انتصار للقيم الأخلاقية أو للقيم البرلمانية أو الديمقراطية ، وإنما لجأ عبدالناصر إلى هذا التكيف القانوني الذي أنقذ به ماء وجه مجدى حسنين وزملائه ولكنه كشف في مرحلة مبكرة عن استهتار واضح بمجموعة من القيم الكفيلة ببناء دولة لا تنستر على الفساد ولا تنحاز للأفراد .

ومن حسن الحظ أن كان هناك في الوقت نفسه رجل من طراز البغدادي الذي لم يكن على استعداد لأن يقبل بمثل هذه الحلول ، وبهذا فقد احتفظ التاريخ السياسي للثورة ولرجالها بوجود الاتجاهين كليهما وتفاعلهما .. حتى وإن انتصر الاتجاه الأقل فائدة لحركة القيم وإن كان قد مكن من بقاء الثورة في الحكم حتى لو لم تبق على ما قامت من أجله.

عبد اللطيف البغدادي
شهيد النزاهة الثورية

6

موقف عبد اللطيف البغدادي
في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧

دار الخيال

تمثل دراسة آراء البغدادي وانطباعاته وذكرياته ومذكراته عن حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧ أهمية خاصة ، فمن ناحية النصوص ذات القيمة التاريخية فإن انطباعات البغدادي عن هاتين الحربين سجلت وكتبت بطريقة آنية معاصرة للأحداث دون أن تحمل بكل ما من شأنه إدعاء الحكمة بأثر رجعي ، أو تحميل الأمور برؤى معينة تخضع للرؤى التاريخية أو المذهبية أو الثورية ، إنما نحن أمام نصوص واضحة الصياغة وواضحة الدلالة كذلك ، يظهر فيها الإنسان قبل الثوري وقبل رجل الدولة ، سواء كان هذا الإنسان هو البغدادي ، أو عبد الناصر ، أو عبد الحكيم عامر ، أو كمال الدين حسين ، أو حسن إبراهيم ، أو صلاح سالم ، أو غير هؤلاء من قادة الثورة وقادة القوات المسلحة.

وقد تضمنت مذكرات البغدادي المنشورة في جزءين كثيراً من الفقرات الآنية التي كتبت في حينها ، والتي تصدقنا التعبير عن الحالات النفسية العميقة التي كانت تنتاب البغدادي في تلك الأوقات ، وهو ما لم يكن قادراً على التعبير عنه بدون تسجيله لهذه اليوميات.

وعلى سبيل المثال ينقل لنا البغدادي من يومياته فقرة تبين طبيعة المشاعر التي كانت تستحوذ عليه في أثناء حرب ١٩٥٦ ، وقد وصلت نفسيته إلى درجة من التدني والانهيار بحيث أصبح وكأنه يدفع نفسه بنفسه إلى الهلاك ويتمناه بدلاً من أن تستمر حياته في هذا الخزي والعار ، وكأنه يخشى مصير المنتحر ، لكنه يبحث عن الانتحار ، لأن الاستشهاد لم يعد ممكناً ، وهو يقول بصراحة :

«انصرفت بعد ذلك وتوجهت إلى منزلى بمصر الجديدة ، ولم أذهب إلى جمال للمبيت معه فى مبنى قيادة الثورة كما كان الاتفاق بيننا ، ولم أذهب كذلك للمبيت مع عائلتى بالدقى ، [وبقيت] بمنزلى بمصر الجديدة رغم علمى بأنه مهدد تماماً بأن يصاب إصابة مباشرة من إحدى الطائرات المغيرة ، وذلك لقربه الشديد من مطار ألماظة ومطار مصر الجديدة ، وكذا المنطقة العسكرية بألماظة ، وهى المناطق التى كانت تقوم طائرات العدو بالإغارة عليها وضربها بقنابلها ومدافعها ، وقد أقدمت على هذا التصرف متمنياً أن يحدث خطأ من أحد الطيارين ويصيب منزلى بإحدى قنابله حتى أنهى معه ، وحتى لا أشاهد المأساة القادمة ، والتى كانت صورتها تطوف بذهنى بعد تلك الأحداث التى مرت بى طوال اليوم ، وقضيت تلك الليلة بمنزلى ، وكان يهتز كلما انفجرت قنبلة من تلك القنابل التى تسقطها طائرات الأعداء ، ولكننى رغم هذا لم أكن أشعر بالخطر».

هكذا وصل البغدادى إلى ما يمكن اعتباره نوعاً من أنواع التبلد الذى يواكب اليأس ، فالبيت يهتز بالقنابل المتفجرة من حوله ولكنه لا يشعر بالخطر.



وبعد صفحات أخرى يروى البغدادى تفصيلات مغامراته التاريخية المهمة مع الرئيس عبدالناصر بالسفر إلى الإسماعيلية عن طريق الكورنيش (أى عن طريق الإسماعيلية الزراعى المحاذى لترعة الإسماعيلية) ، بينما الحرب أو الهجوم مشتعل ، وهو يحكى لنا بصدق شديد عما دار بينه وبين عبدالناصر من حديث أخوى مفعم بكل معانى التضامن والأخوة والفداء ، وناطق ومصور لحقيقة ما حدث فى ١٩٥٦ إلى أن يصل إلى قوله:

«.... ونحن فى طريقنا إلى الإسماعيلية قال جمال بصورة مؤثرة ومحزنة بعد ما شاهد العربات والدبابات محطمة على جانبى الطريق: «إنها بقايا جيش محطم». وأخذ (أى جمال عبدالناصر) يتحسر على المبالغ التى كانت قد أنفقت على تسليح الجيش قائلاً: «إن مائة وثلاثة ملايين من الجنيهات قد ضاعت هباء ، كما قال أيضاً بالإنجليزية: I was defeated by my army . «لقد هزمت بواسطة جيشى» ، وكنت أقول له: لا تيأس ، ولكنه يرد على بقوله: إنك تعرف أنتى لا أياس أبداً ، وكنت أحس أن أمامى رجلاً محطماً ، ويتوقف عليه وعلى تصرفاته مستقبل بلدى ، وشعرت بالعطف عليه ، بل قد شعرت فى تلك اللحظة أنه ملك على نفسه أكثر من أى وقت مضى ، وكنت

على استعداد للتضحية بنفسى فى سبيله - فى تلك اللحظة التى ينهار فيها وينتهى كل شىء - فى هذه اللحظة التى أصبح فيها ضعيفاً ولا حول ولا قوة له».



ومع أن أحداً لا يقلل من الدور المعنوى الذى لعبه عبد اللطيف البغدادى فى دعم الرئيس عبد الناصر فى أثناء عدوان ١٩٥٦ إلا أن هذا الموقف لم يحظ حتى الآن لا بالتقدير ولا بتسليط الضوء عليه ، والسبب مفهوم بالطبع ، ولعل هذا يدفعنا إلى التأكيد على أهمية أن نقرأ ما يرويه البغدادى عن دوره فى التصدى لعبد الحكيم عامر وصلاح سالم فى رابع أيام العدوان الثلاثى حين كان كلاهما يرغب فى إيقاف القتال والاستسلام حرصاً على المصلحة الوطنية ، ويقدم لنا البغدادى رواية مطولة سنطالعها بعد قليل ، وسنجد الرواية تدلنا على أن عبدالناصر قد استطاع أن يستعين على انهزامية عبدالحكيم عامر وصلاح سالم بحماس عبد اللطيف البغدادى وتأييد زكريا محيى الدين وربما ترينا هذه الرواية مدى الخسارة التى حاقت بمصر فى ١٩٦٧ حين أصبحت الأمور الاستراتيجية تخضع لتصورات عبدالحكيم عامر (المفردة) فقط بعيداً عن مثل هذا الحماس والإيجابية (المواجهة) من البغدادى.

ومن حسن الحظ أن هذه الرواية ترينا بصدق شديد أو فلنقل بدقة وبأمانة حدود انفعالات كل من الزملاء الخمسة: صلاح سالم ، وعبدالحكيم عامر ، وجمال عبدالناصر ، وزكريا محيى الدين ، وعبد اللطيف البغدادى.

هذا هو نموذج لما يذكر للبغدادى أنه سجله فى مذكراته:

« يوم الجمعة ٢ نوفمبر » :

« رأيت أن أذهب لرؤية أولادى لأننى لم أكن قد رأيتهم من عدة أيام ، ولأتناول الغداء معهم فى المنزل الذى كانوا قد نقلوا إليه بالدقى عند أحد الأقارب ، لكن بعد وصولى بعدة دقائق اتصل بى جمال وطلب منى الذهاب إليه فى مكتبه بمجلس الوزراء ، وأخبرنى أن عبد الحكيم موجود معه ، ولكننى شعرت من نبرات صوته أن هناك شيئاً يضايقه وله خطورته ، لذلك فقد نزلت مباشرة دون أن أتناول غدائى ، ولما وصلت إلى هناك لم يكن بالمكتب غير جمال وعبد الحكيم. وقد أخذت أتحدث إليهما عن روح الشعب وتصرفاته أثناء الغارة الجوية التى شاهدتها عندما كنت متوجهاً من

القيادة إلى الدقى ، واستهتار الشعب بهذه الغارات ، ومعنوياته المرتفعة. ثم حضر زكريا ، واتصل صلاح سالم تليفونياً بجمال عبدالناصر ، وطلب مقابلته فحدد له جمال موعد المقابلة بعد ساعة من حديثه التليفونى. ثم قام جمال واستأذن فى الذهاب إلى دورة المياه ، وطلب من عبد الحكيم أن يتحدث معنا فى الموضوع الذى سبق وذكره له أى لجمال».

وهنا يروى البغدادي مجمل آراء عبد الحكيم عامر التى عرضها فى هذا اللقاء على هذا النحو:

«وقد بدأ عبد الحكيم الحديث قائلاً: «إن الاستمرار فى المعركة سيترب عليه تدمير البلاد وقتل الكثيرين من المدنيين ، والشعب سيكره النظام والقائمين عليه ، وأنه يفضل تفادياً لهذا التدمير أن نطلب إيقاف القتال». هذا كان باختصار مضمون حديثه».

«ولما لم أكن أتوقع منه هذا الحديث فقد صدمت ، لذا فقد جاء ردى عليه بانفعال ويتحمس شديد ، وذاكراً أننا لا بد سنخسر المعركة ، ولكن لا بد لنا أن نخسرها بشرف ، وتسليمنا الآن سيتج عنه احتقار الشعب لنا ، والكره الذى يخشاه أخف وطأة من الاحتقار ، وأن ما خسرناه حتى الآن ليس إلا بعض الأشياء المادية ، وحتى لو قتلت بعض الأرواح فما هى إلا توضحيات فى سبيل الشرف والرسالة التى ننادى بها ، والأمر يستلزم منا الاستمرار فى المعركة حتى تسقط العاصمة وبعدها نقدر موقفنا ، ولا أقول أن نركب رءوسنا كهتلر ، ولا نستسلم أبداً حتى تدمر البلاد نهائياً ، ولكن أرى أن نستمر فى المعركة حتى لا نسقط من أعين الشعب ونفقد احترام الشعوب الأخرى».

«وكان جمال قد عاد وسمع قسماً من حديثى ، جلس ولكنه لم يتكلم ، وكان مقطب الجبين ، ولم أكن أعرف ماذا كان رده على عبد الحكيم عندما تحدث معه فى هذا الموضوع ، أما زكريا فكان يرى أن نستمر فى المعركة ولو إلى حين».



ويطلعنا عبد اللطيف البغدادي على آراء صلاح سالم ، وكأنه حريص على أن يوحى إلينا بما عُرف وشاع من أن صلاح سالم كان هو صاحب فكرة تجنب الوطن ويلات التدمير والتخريب ، وأنه كان هو وعبدالحكيم عامر أكثر من شجع وأشاع هذه الفكرة ، ونحن نرى البغدادي وهو يتصدى لصلاح سالم على نحو ما تصدى

لعبد الحكيم عامر من قبل ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نزعم أن أيّاً من الطرفين كان على خطأ مطلق ، فلا البغدادي وزكريا ، ولا صلاح سالم وعبدالحكيم عامر كان على خطأ ، إنما هي تقديرات موقف ، وآراء وطنية ، ولكن الموقف نفسه كان أكبر من تفكير كل هؤلاء الزملاء الذين اندفعوا إليه دون أن يدروا حدود تصرفاتهم ، ودون أن يستعدوا لردود الفعل الطبيعية التي لم يكن توقعها وتقديرها بالأمر الصعب.

ولنقرأ ما يرويه عبد اللطيف البغدادي :

«وفي أثناء هذه المناقشة حضر صلاح سالم ، وكان حضوره بعد نصف ساعة من مكالمته التليفونية ، وذكر عند دخوله غرفة المكتب أنه لم يقدر على الانتظار مدة الساعة التي كان من المفروض عليه أن يحضر بعدها بحجة أن لديه كلاماً يود أن يقوله لنا».

«وبدا حديثه: «إننا يجب أن نجنب البلاد ويلات التدمير والتخريب» ، وذاكراً ما سبق أن قاله عبد الحكيم ، واقترح على جمال أن يعلن بياناً على الشعب يخبره فيه بأنه رأى أن المصلحة تستدعي تجنب البلاد الدمار والخراب ، وأن يعلن أنه سيطلب وقف القتال والاستسلام» ، وقد زاد على هذا بقوله: «ونقوم ونسلم أنفسنا لـ«تريفليان» السفير الإنجليزي».

ويرد البغدادي بعد هذا بقوله:

«ولكني لم أحتمل منه هذا القول فرددت عليه: «إنني أرى أن أشرف لى باصلاح أن أنتحر قبل أن أقوم بمثل هذا العمل».

«وهنا قال جمال: «إنه من المستحسن أن نتحذر جميعاً هنا قبل أن نأتى بمثل هذا العمل».

«وطلب [أى جمال عبد الناصر] من زكريا إحضار عدد من زجاجات السم «سيانور البوتاسيوم» تكفى لعددنا لاستخدامها عند اللزوم ، وأكد كلامه بقوله: «إننى جاد فيما أقول».

«وهنا قال صلاح سالم إنه يسحب الاقتراح».

«واستمرت المناقشة محاولين إيضاح أن دواعى الشرف تستدعى منا الاستمرار فى القتال حتى تسقط العاصمة ، وحتى نصل إلى الحد الذى نعتقد أنه بعد ذلك يكون من الجنون الاستمرار فى القتال ، وبعد هذا نختفى ونعمل على استمرار القتال عن طريق

المقاومة السرية ، وعلى أن يقوم جمال بتكليف شخص قبل اختفائنا ليعمل على التفاوض مع تلك القوى المعتدية لإيقاف القتال ، وحتى لا نترك البلاد دون قيادة بعد اختفائنا. وأبدى صلاح موافقته على هذا الرأي ، كما ذكر عبد الحكيم أن هذا هو ما كان يقصده ، وهو موافق عليه ، وبعدها لم تفتح المناقشة حول الموضوع ثانية».



وعلى الرغم من كل هذا الذى يرويه عبداللطيف البغدادي عما يمكن تشخيصه على أنه يمثل روح الانهزام فى عبدالحكيم عامر وصلاح سالم فى أثناء الأيام الأولى من حرب ١٩٥٦ ، فإن البغدادي يحرص من باب الإنصاف على أن يشير إلى حقائق الأمور كما كانت واضحة له ، وهى أن الأمر كان أكبر من عبدالحكيم عامر ، بل إن البغدادي يحرص أيضاً على تبرئة عبدالحكيم عامر من تهمة الانفراد بالمسئولية ، لأن تقديرات الموقف التى كانت معروفة من قبل كانت تشير إلى حجم ما حدث بالفعل ، وهو ما لم يكن عبدالحكيم عامر بمفرده مسئولاً عنه ، وفى هذا المعنى يقول البغدادي بكل وضوح:

«... وفى تلك الفترة كان هناك نقد مرير لعبد الحكيم والجيش من الكثيرين ، لكن لا بد أن نكون منصفين ، فالحمل كان أكثر من أن يتحمله عبد الحكيم بمفرده ، خاصة بعد دخول إنجلترا وفرنسا المعركة. والعامل النفساني نفسه كان له تأثير كبير على تصرفات الكثيرين ، كما أنه كان قد حدث شلل مفاجئ للكثيرين أيضاً بعد أن اتضح دخول الدولتين المعركة بالإضافة إلى إسرائيل ، وكان البعض من الزملاء يشبه هذا الذى حدث بأنه سيكون هو الطوفان ، وذلك عندما كنا نناقش الموقف بعد التأميم ، ومن أن هذا الاحتمال موجود بتدخل الدولتين عسكرياً بعد دفع إسرائيل إلى الاعتداء علينا. ومن كان يشبه هذا الوضع بالطوفان لو حدث كان هو أول المهاجمين لعبد الحكيم ، وشبهه باللواء المواوى قائد العمليات الحربية أثناء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وفشله فى تلك الحرب».

ونأتى بعد هذا إلى بعض ملامح موقف البغدادي من حرب ١٩٦٧ ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن عبد اللطيف البغدادي كان واعياً كل الوعى فى ١٩٧٧ حين

نشر مذكراته أن نشره لبعض ما شاهد وسجل عن حرب ١٩٦٧ سيجلب له المتاعب (مع أن هذا فى الواقع لم يحدث على نحو ما توقع البغدادي) ، ولكنه مع هذا التزم الشجاعة فى تسجيل ثم نشر ذكرياته عن تلك الفترة الأليمة.

يقدم عبد اللطيف البغدادي لحديثه عن حرب ١٩٦٧ بقوله:

«... كنت خارج المسئولية عندما وقعت تلك الحرب. وكان قد مضى ثلاث سنوات منذ أن اعتزلت الحياة العامة ، ولم يمنعنا ذلك (الضمير يعود عليه وعلى زميليه كمال الدين حسين وحسن إبراهيم) من أن نؤدى واجبنا ونقول رأينا إلى جمال عندما أحسنا أن الحرب بين مصر وإسرائيل على الأبواب ، وقد شاهدنا بعض أحداثها عن قرب ومن داخل القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية نفسها ، ولم تدم الحرب طويلاً ، بل جاءت الهزيمة بعد ساعات قليلة من قيامها ، وكان ذلك صدمة أليمة على نفوسنا. وجرى أحداث داخلية فى مصر يومى ٩ و ١٠ يونيو ١٩٦٧ بعد قوع الهزيمة ، وكنا نشاهد ما يجرى والحسرة تملأ نفوسنا والألم يعتصر قلوبنا ، وكنت قد دوت ما شاهدته من أحداث وما أحسست به من آلام فى يومياتى».

هكذا يؤكد البغدادي على المعنى الذى أشرنا إليه ، ويبدو واضحاً أنه يريد أن يستنكر استمرار القيادة السياسية بعد ٩ و ١٠ يونيو على حين أنه كان يتوقع أن يتنحى المسئولون عن هذه النكبة أو يختفوا على الأقل:

«... وقد التزمت منذ البداية أن أقدم للقارئ وأن أذكر له ما كنت قد دونته فى يومياتى بكل أمانة ، وإننى لأعرف مقدماً أن ما سيأتى فى هذا الباب سيجر على المتاعب من بعض الأفراد غير المتفهمين لحقيقة ما جرى ، ولكن ليس أمامى من حيلة غير أن أظل على التزامى قبل القارئ متحملاً من هؤلاء الأفراد هذه المتاعب التى أتوقعها منهم. ولست أريد منهم غير أن يتحللوا من عواطفهم الشخصية ، وأن يضعوا أنفسهم مكاننا أثناء تلك الأحداث وما كان يجرى ، وألا يتحيزوا لأشخاص بل يكون تحيزهم فقط لمصر وللعرب. والواجب يتطلب منا أن نكون أوفياء لشعبنا وبلدنا قبل أى شىء آخر. والوفاء للأشخاص مطلوب أيضاً بل وواجب كذلك ، ولكن هذا الوفاء للأشخاص لا يجب أن يغلبه على وفائنا لشعبنا وبلدنا إذا تعارضاً معاً».

«وما كتبتة فى يومياتى هى أحداث وقعت ومشاعر أحسست بها على إثر ما كان يجرى ، وألماً لبلادى وما حاق بها من مهانة وضياع ، وإن كان هناك ما سيؤخذ على

هذه المشاعر منى فلى عذرى لأنى كنت أرى الظلام يحيط بنا من كل جانب ، ومستقبل بلادنا فى الميزان إن لم يكن قد قارب الضياع ، ومع هذه الأحاسيس التى كانت تملأ نفسى كنت أشاهد ما يجرى وكأن النصر هو الذى تحقق وليس هو الخزى والعار» .

هكذا يصل البغدادى إلى جوهر ما ينتقده وهو أنه فوجئ بما كان يجرى عقب الهزيمة من مظاهرات ، وكأن النصر هو الذى تحقق وليس الخزى والعار!! ولا يرى البغدادى أن المتهمين بهذا التدليس قد تجاوزوا فى كتاباتهم المسمومة كل ما كتبه فى هذا الشأن ، وهى آية من آيات العجب مما وصل إليه حالنا تجاه الهزيمة وهو ما لانزال نعانى منه على كل حال:

«وإننى لأعذر قلمى إن كان قد خط هذه الأحاسيس على هذه الصورة التى جاءت فى يومياتى ، وهو متأثر بما كان يحيط بنا ، وإننى لأود من الآخرين الذين سيعتبون على هذا الذى كتبت فى يومياتى أن يعذروا هم أيضاً قلمى لأنهم ربما لم يحسوا بما أحسنا به ولم يروا ما رأيناه» .



ولست أشك فى تقدير القراء لفهم عبد اللطيف البغدادى للسياسة الخارجية ولطبيعة الصراع الدولى فى أزمة الشرق الأوسط ، ولكنى وجدت أن من الأفضل أن ألفت نظر القراء إلى طبيعة وحجم هذا الفهم من خلال هذه الرسائل الثلاث التى شارك البغدادى فيها كلها وشاركه فى بعضها زميله كمال الدين حسين وحسن إبراهيم ، والقارئ لهذه الرسائل التى كتبت فى الأيام التى سبقت اندلاع الحرب فى ٥ يونيو ١٩٦٧ يدرك بكل وضوح أنه كانت لا تزال هناك فرصة فى ٢٧ مايو لمراجعة النفس والبعد عن الإلقاء بالنفس إلى التهلكة لولا أن نظامنا السياسى لم يكن فى ذلك الوقت قادراً على الإفادة من مزايا الديمقراطية وتعدد الآراء حتى لو لم يتبعها كنظام للحكم .. ولكن طبول الحرب كانت تدق بلا إبطاء ، وكانت الصحافة هى الأخرى تدق الطبول بعدما اختفت منها الحرية والقدرة على التعبير عن أى رأى إلا رأى الذى تقول به الدولة .

وربما يكون من المفيد فى تأمل موقف عبد اللطيف البغدادى وآرائه تجاه حرب ١٩٦٧ أن نبدأ بإيراد الرسائل الثلاثة التى شارك البغدادى فى كتابتها للرئيس عبدالناصر:

□ الرسالة الأولى وتاريخها ١٧ مايو وهى رسالة ثنائية وقد وقعها البغدادي وحسن إبراهيم.

□ الرسالة الثانية وتاريخها ٢٦ مايو وهى رسالة فردية وقد وقعها البغدادي فقط.

□ الرسالة الثالثة وتاريخها ٢٧ مايو وهى رسالة ثلاثية وقد وقعها البغدادي وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم.

الرسالة الأولى، وأهم ما فيها هو تنبيه البغدادي وزميله حسن إبراهيم إلى أهمية أن نكون على بينة من أمرنا ولا ننساق إلى فخ بدأت إسرائيل تجهيزه على نحو خبيث ، وهذا هو نص الخطاب:

«السيد رئيس الجمهورية

تحية طيبة وبعد ،

«لقد تتبعنا بكل اهتمام ما ينشر فى الصحف عن الحشود العسكرية الإسرائيلية على الحدود السورية وكذا الإجراءات الحاسمة التى اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة ردا على ذلك والاستعدادات التامة لتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك بيننا وبين الشقيقة سوريا».

«ولما كان الموقف له أهميته القومية والوطنية ، رأينا أن نكتب إليكم برأينا فى هذا الموضوع بعد أن تدارسناه فى ضوء المعلومات المحدودة المتوافرة لدينا ، وذلك لإحساسنا بأن الواجب القومى يتطلب منا أن نساهم ولو بالرأى فى هذه المعركة».

«ونحن نحب أن نؤكد أننا نؤيد ونقف وراء كل قرار يتخذ ويكون الغرض منه التصدى لإسرائيل ومنعها من الاعتداء أو التوسع على حساب أى دولة عربية ، بصرف النظر عن طبيعة النظام السياسى والاجتماعى فى تلك الدولة ومدى موافقتنا أو معارضتنا لهذه الأنظمة».

«ومع تأييدنا المطلق لهذا الموقف نحب أن نبين أنه من الصالح أيضا أن نكون على بينة من أمرنا ولا ننساق إلى معركة تحدد إسرائيل زمانها ومكانها وهو أمر غير مرغوب فيه وكنت سيادتكم على حق دائما حينما ذكرت فى خطابكم أنه لا بد لنا من أن نختار نحن موعد وأرض المعركة».

ونصل فى هذا الخطاب إلى فقرة تنبئنا أن الحديث المكثف عن الحشود الإسرائيلية

كان قد وصل إلى الدرجة التى صورت للمراقبين [ومنهم البغدادي وحسن إبراهيم] ، أن إسرائيل ماضية فى حشد حشودها بطريقة علنية ، وهذا ما جعل الرجلين صاحبى الخبرة بطبيعة الصراع العربى - الإسرائيلى يعجبان من أن تسلك إسرائيل هذا السلوك. وهذه هى قيمة مثل هذه الرسائل المؤرخة التى تعكس رؤية أصحابها فى وقتها قبل أن تكون الفرصة متاحة لادعاء الحكمة بأثر رجعى ، فهذه الرسالة تعكس بالفعل مشاعر اثنين من الوطنيين المتميزين فى بداية الأزمة حين كان الحديث مقتصرأ على الحشود الإسرائيلية:

«ونحب أن نضيف أنه مما يثير الدهشة فى هذه الأزمة الحالية أن إسرائيل على غير عادتها تقوم اليوم بحشد قواتها بصورة علنية ، وهى الحريصة دائما على استغلال عنصر المفاجأة.. فما الدافع وراء ذلك؟».

ويمضى الرجلان فى طرح ما يعتقدانه بمشابة الأسباب التى تدفع إسرائيل - فى ظنهما - إلى مثل هذا التصرف فى ذلك الوقت ، ومن الواضح أن الحيرة كانت تسيطر على فكرهما وهما يتلمسان الأسباب سببا وراء سبب.

وتطلعنا الأسئلة التى تضمنتها الرسالة على قدرة جيدة على استقصاء الاحتمالات المختلفة وتحليلها بتفكير متميز ورؤية متأملة فى هدوء ، ونحن نرى الرسالة تستعرض ستة أسباب محتملة للموقف على النحو التالى:

□ «... هل تقوم إسرائيل بمظاهرة عسكرية ، الغرض منها لفت أنظار العالم وتأزيم الموقف لحل مشكلة المنطقة المنزوعة السلاح؟».

□ «... هل تستعد إسرائيل للدخول فى معركة مع سوريا واضعة فى اعتبارها الظروف المعينة التى تساعد على النصر فى الموقف الحاضر؟».

□ «... هل يقلق إسرائيل فعلا تغلغل الفدائيين فى أراضيها حتى يدفعها ذلك إلى اشتباك فعلى باسم الحرب الوقائية وحتى تدفع الهيئات الدولية للتدخل لوضع حل لهذه المشكلة بوضع قوات من البوليس الدولى على الحدود المشتركة بين البلدين؟».

□ «... هل الدافع لإسرائيل من هذا التصرف هو معرفة رد الفعل عندنا ، وهل نحن

على استعداد لتحقيق ما أعلنه عن تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا أم إننا لسنا على استعداد؟».

«... هل الدافع هو وضعنا في موقف حرج هو إما التقاعس عن تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك فيكون لذلك رد سىء في العالم العربى مما يؤثر على هيبتنا وموقفنا بين الدول العربية ، أو أننا سنحشد جزءا كبيرا من قواتنا فى سيناء الأمر الذى يكلفنا الكثير قطعاً. وبذا يزيد الضغط على مواردنا المالية؟».

«... هل الغرض من الحشود الإسرائيلية يكمن فى معركة اليمن ، والقصد هو تثبيت قوات لنا فى سيناء حتى لايمكن مساندة قواتنا فى اليمن عندما يتطلب الأمر ذلك ، والواضح أن أعداءنا سيستغلون هذه الفرصة والقيام بمناوشات واسعة فى اليمن».

وهنا نلاحظ أن الرجلين (البغدادي وحسن إبراهيم) كانا يشعران فى ذلك الوقت بالأزمة الاقتصادية أو الأزمة فى الموارد على الأقل ، وهو ما لم تكن صحافتنا تشير إليه بأية صورة من الصور.

ثم يصل الرجلان إلى محاولة تقييم موقف المجتمع الغربى بنفس النمط من التفكير العاقل المتحسب ، ونحن نراهما يجيبان على هذه الأفكار والاحتمالات بما يراه كل منهما مرجحاً فى وجهة نظره :

«... لعل الدافع لإسرائيل هو أحد هذه الأسباب أو كلها مجتمعة ، ولكن الذى لاشك فيه هو أن الاستعمار وراء هذه العملية أيضا ، فهو يعمل بكل قواه فى الوقت الحاضر مدافعا عن كيانه فى منطقة الشرق الأوسط ، وهو فى سبيل ذلك يسعى إلى عزل الجمهورية العربية المتحدة عن باقى شقيقاتها العربيات وفى الوقت نفسه يسعى إلى استنزاف مواردنا الاقتصادية».

هكذا تبدو الرسالة التى كتبها الرجلان متشعبة إلى درجة كبيرة بما كانت الدعاية المصرية قد روجت له فى الداخل من أن الجمهورية العربية المتحدة قد حققت تقدما اقتصاديا أصبح بمثابة تحد للاستعمار الغربى ، ومن ثم فإن الرسالة تبدأ مباشرة فى تأسيس بعض الأفكار على هذه المقدمات (التي نعرف الآن أنها كانت خاطئة تماما) ،

ونلاحظ أن الأفكار التالية فى الرسالة أقل فى قيمتها الفكرية من الفقرات السابقة ، ولكن هذا لا يعيب الرجلين على كل حال فقد كانا كغيرهما من أبناء الجمهورية العربية المتحدة يتعرضان لتضليل إعلامى مكثف لا تزال آثاره باقية إلى اليوم .
تقول الرسالة :

«ولعزل الجمهورية العربية عن غيرها من دول المنطقة يتخذ إجراءات أهمها:
أ) إيجاد جو من الخوف من حركة التحول التقدمى الذى تتحوله الجمهورية والتهديد بأن هذا التحول يقضى على مصالح الحاكمين فى هذه الدول» .
ب) إيجاد جو من التشكيك فيما حققته الجمهورية من تقدم اقتصادى حتى لا يطالب بمثله الآخرون(!!)» .

جـ تحطيم هبة الجمهورية العربية بإيجاد جو من عدم الثقة فى تصريحاتها عن قدرتها على الدفاع عن الدول العربية إذا اعتدت عليها إسرائيل أو غيرها من الدول» .
د تحطيم كل مايدعو إلى الوحدة العربية الحقيقية ومايمت إلى القومية العربية الحقيقية .

ولاستنزاف مواردنا الاقتصادية يتخذ الاستعمار الخطوات الآتية:
أ) إرغامنا على حشد الجيوش العربية ووضعها تحت حالة طوارئ دائمة وذلك بإثارة بعض المناوشات هنا أو هناك وخصوصا فى اليمن» .

ب) خلق جو متوتر يدفعنا إلى اتخاذ نفس الاجراءات من حشد جيوشنا فى حالة استعداد وبذا يصبح الضغط على اقتصادنا مضاعفا وهى محاولة للتغلب على سياسة (النفس الطويل) » .

وتخلص الرسالة بعد هذا كله إلى استنتاجاتها المنطقية التى يمثل نصفها الأول ما كان معروفا للكافة ، على حين يمثل نصفها الثانى ما حاولنا (بتأثير من صحافتنا !!) تجاهله والقفز عليه .

ولنقرأ ما فى الرسالة:

«المهم هو أن مصالح الاستعمار تلتقى دائما مع مصالح ربيسته إسرائيل والمهم أيضا أن نكون على أتم استعداد لتقضى على كل مايقومون به من مناورات أو تحركات وملاقة أى خطوات تتخذ منهما » .

ثم تقدم الرسالة مقترحات عسكرية محددة تبلور في الاقتصار على استخدام القوات الجوية فقط ، ومن المفارقات أن خطتنا المعلنة قد عمدت إلى ما هو عكس هذا الاقتراح على طول الخط ، ومن المفارقات الأكثر مدعاة للأسف أن إسرائيل هي التي نفذت خطة الطيارين السابقين البغدادي وحسن إبراهيم.

«... وكل ما نأمله أنه في المرحلة الأولى من الاشتباك إن وقع بين سوريا وإسرائيل أن نكتفى نحن من جانبنا باستخدام قواتنا الجوية دون استخدام باقى وحداتنا المسلحة إلا إذا تطلب الأمر وحتمت الضرورة استخدام قواتنا المسلحة بكل ثقلها ، وهذا أمر لا يمكن تقديره إلا تبعاً لتطورات المعركة وظروفها ومداها».

«إن كل ما نتمناه هو أن يحقق الله النصر لأمتنا العربية وأن يوفقكم في اتخاذ القرارات التي تحقق هذا النصر سواء السياسية منها أو العسكرية والله الموفق».

والسلام عليكم ورحمة الله

البغدادي - حسن إبراهيم

القاهرة في ١٧ مايو ١٩٦٧



الرسالة الثانية: لعل أبرز ما تحتويه هذه الرسالة الثانية هو طلب عبد اللطيف البغدادي من الرئيس عبدالناصر بأن يجد الرئيس له مكاناً في الخطوط الأمامية بين صفوف الجنود. ومن العجيب أن الرسالة تبدى سعادة البغدادي بتمكن الرئيس عبد الناصر من استعادة السيطرة على شرم الشيخ ومزاولة السيطرة على الملاحه في مضيق تيران!! وهو ما يدلنا على أن البغدادي كان (شأنه في هذا شأن عبد الناصر وعبد الحكيم) يشعر بالمرارة من هذا الموقف الذي جاء نتيجة لحرب ١٩٥٦ واضطرت الثورة لاختفائه عن الشعب طوال هذه السنوات!!

«السيد رئيس الجمهورية

بعد التحية ،

«اليوم ، وأمتنا تمر في مرحلة من أدق مراحل تاريخها بعدما قررت استرداد حقوق سيادتنا على قطعة من أرض الوطن .. على شرم الشيخ.. ومزاولة حقنا في السيطرة

على الملاحه فى مضيق تيران ، وثورة بعض الدول الغربيه الاستعماريه وربيتهم إسرائيل على ممارستنا لهذا الحق دفعهم إلى التآمر والتهديد باستخدام القوة ضدنا» .
«وإننا نرى أنه لزاماً علينا أن نشارك فى الذود عن حرية وطننا والدفاع عن حقوقه» .
«وإنه ليشرفنا أن نجد لنا مكاناً بين صفوف جنودنا فى الخطوط الأماميه حتى ننال شرف الجهاد عن وطننا.. وهى أمنيه طالما تمنيناها. وأننا نظن أن وطننا الآن فى حاجه إلى كل مجاهد ومقاتل فى سبيل حريته وعزته» .
«والله يوفقنا جميعاً وأن يحقق لنا النصر» .
«والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

عبد اللطيف البغدادي

٢٦ مايو ١٩٦٧



الرسالة الثالثة، وفيها يؤكد البغدادي وزميله على فكرة أن يتاح لهم شرف المشاركة فى المعركة فى جبهة القتال أو فى أى موقع:

«السيد رئيس الجمهورية

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

« فقد جدت فى الموقف أمور ، إذ طالعتنا الأنباء والتصاريح بأن هناك احتمالاً كبيراً فى أن تدخل إسرائيل المعركة وأن تستخدم أمريكا وبعض الدول الغربيه القوة لفتح طريق الملاحه الإسرائيلية فى خليج العقبة» .

«وفى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ أمتنا ينتظر الوطن من كل مخلص من أبنائه أن يؤدى واجبه كاملاً لنصرته والذود عنه ، ولذلك فإن ضميرنا الوطنى يلزمنا بأن نتواجد فى الموقع الذى يتحتم علينا أن نكون فيه حيث نساهم فى التأهب للقاء العدو » .

« وإنا لفى انتظار تحديد موقع لنا فى هذه المعركة سواء فى جبهة القتال أو فى أى مكان ترونيه حتى نتمكن من أداء واجبنا. وختاماً نرجو الله أن يوفقنا جميعاً وأن يكتب لوطننا النصر والسلام .

عبد اللطيف البغدادي ، كمال الدين حسين ، حسن إبراهيم

السبت ٢٧ مايو ١٩٦٧

بعد أن استعرضنا نصوص ومضامين هذه الرسائل الثلاث يجدر بنا أن نتأمل فيما يرويه البغدادي عن ذكرياته في تلك الأيام التي سبقت الحرب ، وهو يروي أنه دعا زميله كمال الدين حسين وحسن إبراهيم إلى اللقاء به ، وأنه ناقشهما في مكانهما ومكانه من السلطة لو دعاهما عبدالناصر إلى العودة ، وهو يذكر أنه كان على خلافهما متتوياً قبول أى موقع يعرضه عليه الرئيس عبدالناصر فى هذا الاتجاه ، ولكن المناقشة أبانت لهم أن عبدالناصر قد تجاوزهم بالفعل لأنه كان قد مضى بمفرده فى الطريق الذى كان يتصوره المجد الزاهر والنصر الباهر ، وأنه لن يقابلهم إلا لكى يقطع عليهم خط الرجعة.

على هذا النحو كان اعتقاد هؤلاء الثلاثة من نواب رئيس الجمهورية السابقين فى قوة رئيسهم ومجده على الرغم من الهواجس والوساوس الطبيعية التى دفعتهم إلى اللجوء إليه ظناً منهم أنه بحاجة إلى اللجوء إليهم ، ولتقرأ ما يرويه البغدادي :

«اجتمعنا نحن الثلاثة فى منزل حسن إبراهيم قبل ذهابنا إلى موعد جمال عبد الناصر بحوالى نصف ساعة».

«ودار الحديث بيننا حول التصرف منا إذا ما طلب جمال أن نعمل معه كنواب لرئيس الجمهورية أو أعضاء فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي».

«وكانت هناك بعض التحفظات من كمال وحسن بأنهما استقالا لأسباب ، وهذه الأسباب لازالت قائمة ، ويفضلان العمل كمستشارين مثلاً فى هذه الظروف. وكنت أرى القبول دون أية تحفظات ، وأن تكون مزاوالتنا للمسئولية التى تعرض علينا مرتبطة فقط بالمعركة واستمرارها وأن تنتهى بانتهائها ، وذلك حتى لا يكن موقفنا مناقضاً للخطاب الذى أرسل منا إلى جمال».

«ولكننا خالصنا فى النهاية إلى أن جمال غالباً لن يتقدم إلينا بمثل هذه العروض ، ذلك لأنه يعتقد أنه حقق نصراً وهو لا يريد أن يشاركه هذا النصر ، كما أنه لا يحب أيضاً أن يظهر وكأنه فى حاجة إلينا فى هذه الظروف ، وهو فقط أراد من هذه المقابلة أن لا يؤخذ عليه تاريخياً - مع هذه الظروف التى تمر بها بلادنا - أننا مددنا يدنا إليه وهو لم يقابلنا بنفس تلك الروح الوطنية التى دفعتنا إلى الكتابة إليه مرتين ، وأن المقابلة معه لن تكون إلا مقابلة مجاملة ليس إلا».

«بل وتناولنا بالحديث ما الذى سيقوله أيضاً لنا».



ونأتى بعد كل هذا إلى ما ترويه مذكرات عبد اللطيف البغدادى عن مقابلة الرئيس عبدالناصر لنوابه (أو لزملائه) الثلاثة السابقين ، وسرى قدر البشر والخبور اللذين كانا لايزالان مسيطرين على الزملاء الأربعة [الرئيس والثلاثة] بينما كانت الكارثة تنسج أطرافها:

«وقد صدق حدسنا فعلاً. وما حدث فى المقابلة أنه عندما دخل علينا فى حجرة صالون منزله وبدأ يسلم علينا وكنت بالمصادفة الأول فى السلام ، ولاحظت عليه أنه أطل النظر إلى شعر رأسى. فسألته عن السبب الذى جعله يطيل النظر إليه...».

«فأجابنى: بأنه زاد بياضاً».

«فقلت : عجزنا».

«فرد : أنا معجزتش».

«وأعتقد أنه أراد بذلك أن يشير إلى ما كان قد جاء على لسانه فى مؤتمره الصحفى أمس رداً منه على سؤال لأحد الصحفيين الأجانب الذى سأله عما إذا كان لا يزال فى مقدوره مواجهة معركة عسكرية كما واجهها أثناء أزمة السويس بعد أن كبر سنه الآن».

«وقد أجابه جمال على ذلك بقوله: «إننى لست خرعاً كايدين» ، إشارة منه إلى الانهيار الذى كان قد حدث لايدن على إثر معركة السويس».

«لذلك عندما رد على بأنه لم يعجز فقد ذكرت بعدها نفس إجابته على ذلك الصحفى ، وقلت: «أصلك ما انتاش خرع زى ايدن».

«وضحكنا جميعاً بعد هذا الحديث ، وقد ساعد هذا فى إذابة الثلج الذى كان بيننا إلى حد ما».



على أن الأهم من هذه البدايات هو أن الرئيس جمال عبدالناصر كان لا يزال حتى ذلك اليوم الذى شهد هذا اللقاء [التاريخى] يقرأ بعناية كل ما يكتبه له زملاؤه ، وهو أمر يستحق الإنصاف والإعجاب والتقدير ، بل كان يحتفظ لنفسه بحق التعليق على

بعض كلمات فيه ، ذلك أن الحديث يتطرق بسرعة إلى مدى الاستعدادات العسكرية فإذا بالرئيس يطمئن هؤلاء الزملاء الثلاثة إلى وجود خمس فرق كاملة مستعدة (اثنان مدرعتان وثلاث مشاة) ، ولكنه مع هذا كان فيما يبدو شاردا فيما يتعلق بمساومات إسرائيل كما يتصورها البغدادي ، وفي المقابل فقد كان الرئيس واثقا كل الثقة من تأييد السوفيت.

ولنقرأ ما يرويه البغدادي عن تفاصيل مهمة فيما يتعلق بتقدير عبد الناصر للموقف:

«... وبدأ جمال حديثه بأن ذكر أنه كان يود الاتصال بنا عندما أرسلنا إليه الخطاب الأول ولكن لم يكن لديه الوقت الكافي لكثرة مشاغله ، وأشار إلى التحفظ الذي كان قد ورد في خطاب كمال إليه ، وقوله فيه «بصرف النظر» ، وعقب كمال على ذلك بقوله إنه يقصد أنه لم يشترك في تقدير الموقف وهو غير مسئول عن النتائج».

«ولم يعلق جمال على ذلك إنما استطرد في الحديث قائلاً: «إن البلد بلدكم والثورة ثورتكم ، والواحد بيتخانق مع أخوه ومع مراته ، وإحنا برضه بشر ، يمكن كل واحد اختار له طريق يمشى فيه ، لكن البلد بلدنا كلنا ، والثورة ثورتنا ، وعلى العموم الموقف كويس ومطمئن».

«وأشار جمال إلى خطابنا الأول وتقديرنا للموقف وذكر أن الخطة مبنية من الأساس على سحب قوات الطوارئ الدولية والرجوع إلى شرم الشيخ».

«فقلت: إننا استتجنا هذا يوم ١٨ مايو عندما طلبت مصر سحب قوات الطوارئ ، واستفسرت منه عما إذا كان لدينا فرقتان عسكريتان في سيناء أو أكثر».

«فرد عليّ باعتزاز قائلاً: خمس فرق ، منها فرقتان مدرعتان وثلاث مشاة. وسألناه عن تقديره لموقف إسرائيل ، وهل من المنتظر أن تتحرك عسكريا وتحارب ، وهل لدينا أية معلومات تدل على ذلك ، لكنه استبعد هذا ، وذكر أنها إن تحركت فلن يكون ذلك قبل ستة أو سبعة شهور. ولما استفهمنا منه عن موقف أمريكا أجاب: ولا حاجة».

«ولما سألته عما إذا كان ممكناً كسب القضية في هيئة الأمم إن أحيل إليها موضوع الخلاف».

«فرد بأنه مطمئن لذلك. وقد وجهت إليه هذا السؤال لاعتقادي أنه يؤزم الموقف مقدراً أن الموضوع سينتهي بأن يحال إلى مجلس الأمن».

«ولذا قلت بعد ذلك ربما تحاول إسرائيل الاستيلاء على قطاع غزة حتى تساوّم به على شرم الشيخ إن انتقل الخلاف إلى هيئة الأمم».

«فسكت جمال ولم يعلق على ما ذكرت».

«ولما سأله عن موقف الاتحاد السوفيتي .. أجاب - إنهم مستعدون لمساندتنا إلى آخر درجة».



ويبدو بوضوح أن عبد اللطيف البغدادي لم يكن ليعول على ثقة الرئيس عبد الناصر في السوفيت فإذا به يعيد عليه السؤال مرة ثانية وإذا بعبد الناصر يعيد التأكيد ، ولكن تظهر في حديث عبد الناصر معلومة تجعل كمال الدين حسين يتحفظ على صورة علاقتنا بالاتحاد السوفيتي فإذا بالبغدادي يتدخل حرصاً منه على عدم تكهرب الجو بين كمال الدين حسين وعبد الناصر:

«فسألته ثانية: هل هم على استعداد للاشتراك في المعركة ودخول حرب ثالثة من أجلنا لو تدخل الغرب».

«فأجاب: إنهم أبلغوا شمس بدران بمساندتنا عندما كان عندهم ، ووافقوا على جميع طلباتنا ، من إرسال طائرات بسرعة ، وتسليح فرقتين ، واحدة مدرعة وواحدة مشاة».

«وقال أيضاً: إنهم أرسلوا لنا لياخذوا رأينا في زيارة أشكول رئيس وزراء إسرائيل لهم ، وهو طلب منهم أن يقوم بزيارة لموسكو ، ووافقنا».

«فقال كمال: أنا خائف ليفهم أن مشاكلنا بتحل في موسكو».

«فرددت عليه (أي على كمال) بسرعة حتى لا يتكهرب الجو مع جمال من هذا الذي ذكره كمال بقولي: إن براون وزير خارجية بريطانيا كان قد سافر إليهم وليس معنى هذا أن مشاكل بريطانيا بتحل في موسكو».



ومما تجدر الإشارة إليه أننا نجد في صفحة ١٢٨ من كتاب «الصامتون يتكلمون»

للأستاذ سامى جوهر مضمون الحديث السابق ، وقد رواه البغدادي على نحو آخر يكاد يكون متقاربا وإن لم يكن متطابقا:

« يروى البغدادي أنه سأل عبد الناصر : متى تعتقد أن إسرائيل ستشن الحرب !

وأجاب عبد الناصر : مش قبل ٦ أو ٧ شهور .

وقال له كمال الدين حسين : إن إغلاقك مضايق التيران هو بمثابة إعلان الحرب على إسرائيل .. ومش ممكن تصمت ٦ أو ٧ شهور ؟

فقال جمال : احنا على كل حال مستعدين تمام .. واطمئنوا جدا .

وعاد كمال حسين يجادله قائلا : هل تعتقد أن أمريكا ودول أوروبا سترتك تلقى بإسرائيل فى البحر وتزيلها من الوجود ؟ وأجاب عبد الناصر بسرعة : شمس بدران كان فى موسكو .. وأخذ وعداً من القادة السوفيت بالتدخل معنا إذا اشتركت مع إسرائيل أى قوى أجنبية .

ونطق الثلاثة فى صوت واحد : «يعنى روسيا مستعدة لحرب عالمية ثالثة . ورد عبدالناصر: أيوه هم وعدوا .. ولا بد مستعدين .. وقام واقفا معلنا انتهاء الزيارة وهو يردد للثلاثة محاولا إشعارهم أنه قوى وكبير جدا .. أنا متشكر على مشاعركم .. واطمئنوا جدا ولو احتجنا لكم سننده (أى: ننادى) لكم .. ».



ثم نأتى إلى الموضع المهم الذى روى فيه البغدادي عن عبدالناصر قوله أو اعترافه الخطير بأنه اتخذ إجراءاته هذه من أجل إيقاظ العرب حين وجدهم قد ناموا !! :

«وقال جمال أيضاً: إن الملك حسين قد طلب أن يأتى لزيارتنا ، وألح على سفيرنا فى عمان حتى كاد يُقبل [هنا لفظ محذوف لا يخفى إدراكه على فطنه القارئ الذى يعرف موضوع التقبيل فى مثل هذه التعبيرات الدالة على الإفراط فى الرجاء] .. من أجل أن نوافق على قيامه بهذه الزيارة ، وأنه على استعداد لتغيير حكومته بحكومة أخرى وطنية. وذكر جمال أنه وافق على أن يقوم الملك حسين بهذه الزيارة لمصر ولكن دون إعلان عنها ، وقال: إنه سيحضر باكر ، وسينزل بطائرته فى مطار المأظلة وليس فى مطار القاهرة الدولى. وأشرنا فى حديثنا معه بعد ذلك إلى ظاهرة تجمع العرب ووحدتهم فى هذه الأزمة وبصورة مشرفة لم تحدث من قبل.»

«فقال جمال تعقياً على ذلك: أصلى لقيت العالم العربى نايم ويائس.. فحييت أصحيه».



ونأتى إلى ما يرويه البغدادي عما حدث منذ وقعت الحرب ، ونحن نجد فى مذكرات البغدادي المختلفة تفصيلات كثيرة اعتمدت عليها كثير من الكتابات التاريخية بعد ذلك ، وسنكتفى مما يرويه البغدادي ببعض ما يصور الموقف الذى وجد البغدادي نفسه فيه ، ونحن نراه على سبيل المثال لا يخفى عجبه الشديد من أن جمال عبدالناصر قد فقد اتصاله بجيشه وبيقادات هذا الجيش إلى الحد الذى كان يقرأ فيه الاستراتيجية التى سيدبر عليها عدوه الحرب من الصحف الإنجليزية ، وهو يقول فى مذكراته بلا أى إدعاء أو افتراء أو تأليف:

«ودخل (أى جمال عبدالناصر) ، وبعد أن سلم علينا قال لعبدالحكيم ببساطة: «إن استراتيجية اليهود مكتوبة اليوم فى جريدة إنجليزية ، إنهم يودون احتلال بورسعيد لضمان حرية الملاحة لهم فى قناة السويس» ، فدهشت من أن رئيس الدولة والذى قرر الحرب لم يعرف استراتيجية العدو من قبل ولم يتبينها إلا اليوم من جريدة إنجليزية ، واستطرد جمال عبدالناصر موجهاً كلامه إلى عبدالحكيم: «اليهود زى ما أحنا تعبانين هم تعبانين أيضاً ، ويمكن التصدى لهم ، ويمكنك استخدام الدبابات الخاصة بالحرس الجمهورى ، وعدد هذه الدبابات كما سمعت ستون دبابة».

بل إن عبد اللطيف البغدادي كان حريصاً على أن يروى ما يدل به بطريق غير مباشر على أن العشوائية فى اختيار وتحديد القادة العسكريين قد امتدت فشملت هو نفسه حيث رشحه عبد الناصر للمساعدة فى الإشراف على القوات الجوية(!!) وكأنما كنا لا نزال فى العصور الوسطى!! التى تحتفظ للقادة بلياقته المطلقة على الدوام.

ويبدو أن عبد الحكيم عامر كان أكثر وعياً من عبد الناصر فيما يتعلق بفهمه لمدى تقبل القوات الجوية أن يشارك البغدادي فى الإشراف عليها ، فهو ينصح زميله (البغدادي) بأن يتظاهر بأنه أراد أن يزور القوات الجوية وهو فى طريقه إلى منزله.. وهكذا فهم البغدادي أنه غير مرحب به فى هذه المهمة ففضل احترام نفسه وإن لم يمنعه هذا من تنفيذ اقتراح عبدالحكيم .. ولنا أن نقارن هذا بموقفه قبل بدء الحرب حين كان

يتمنى مكاناً - أى مكان - فى صف من صفوف الجنود المتقدمة!! ولكن هذا لم يمنع البغدادى بالطبع وعلى غير توقعنا من أن يمر بالقوات الجوية وأن يبقى معهم حتى الساعة الرابعة صباحاً!!.

يقول البغدادى:

«... وطلب [أى الرئيس عبد الناصر] منى مساعدة عبدالحكيم عامر فى الإشراف على القوات الجوية ، وانصرف الجميع بعد أن صدرت الأوامر لعدة وحدات من الجيش بالتحرك ، تاركين عبدالحكيم ليتولى أمر مقابلة هذا العدوان ، وبقيت معه بعض الوقت وذكرت له ما طلبه منى جمال. ولكننى أحسست من حديثه أنه لا يرغب فى أن أقوم بهذه المساعدة لأنه قال : «اعمل على أنك رأيت أن تمر عليهم بالقوات الجوية كزيارة لهم عند ذهابك إلى منزلك». ففهمت أنه لا يرغب فى أن أتدخل بصورة فعلية عكس ما كنت قد فهمته من جمال».

«وقد فضلت عدم إحراج نفسى ولا إيجاد مشاكل فى هذه الظروف ، خاصة أنه ليس هناك قرار واضح يحدد مسئوليتى المباشرة بالنسبة لهذا الشأن. والقائد العام المسئول الأول عن هذه العمليات ليس عنده الاستعداد فى قبول هذه المعاونة منى ، لذا فقد رأيت أن أكتفى بالمرور على رئاسة القوات الجوية كزيارة لها ، ولأطمئن على الموقف. وقد ظللت معهم حتى الساعة الرابعة صباحاً».



كذلك تدلنا مذكرات البغدادى بمثل بسيط جداً عن مدى خطورة القفز إلى أحكام خاطئة تنبنى عليها سياسات واستراتيجيات الحرب ، وهو ما حدث - على سبيل المثال - فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وهو يروى فى هذا المجال كثيراً من الوقائع بدون تنظير ولكننا سننقل للقارئ هذه الفقرة المهمة التى كان الرئيس مبارك فيها بمثابة الحكم الذى أنقذ القيادة السياسية من ترديد أوهام كانت كفيلة بأن تدل العالم على مدى تخبطنا ، ومع هذا فإننا لم نمانع فى أن نردد هذه الأوهام بعد ذلك بأسلوب التلميح:

«.... وفى مرة طلب صدقى محمود (أى قائد الطيران الفريق أول محمد صدقى محمود) عبدالحكيم (أى المشير عبدالحكيم عامر) وأخبره أن طائرات العدو قد أغارت

على مطار الأقصر وضربت طائرتنا هناك ، وكانت بعض طائرتنا قد نقلت إلى هذا المطار بعد ابتداء الضرب صباح اليوم ، وكانت أصلاً في مطار بنى سويف ، وقيل إن أحد الطيارين القدامى واسمه حسنى مبارك قد شاهد الطائرات المغيرة وهى من النوع الأمريكى ، وأنه يؤكد ذلك ، وطلب عبدالحكيم جمال عبدالناصر تليفونياً وأخبره أن عدد الطائرات المغيرة كثير جداً أكثر مما يملك العدو ، وأن هناك طائرات أمريكية تغير على مطار الأقصر ، وقد تعرف عليها أحد الطيارين وهو طيار قديم وله خبرته ، وطلب عبدالحكيم من جمال فى النهاية أن يبحث عن حل سياسى ، ولكن «جمال» كان حريصاً ولم يتسرع ويأخذ برأى عبدالحكيم ، وإنما طالبه بأن يثبت له تدخل الطائرات الأمريكية ، وأن يحضر له مثلاً طائرة منها يكون قد تم إسقاطها ، واتصل عبدالحكيم بمطار الأقصر وتحدث شخصياً مع الطيار حسنى مبارك وسأله عن نوع الطائرات التى أغارت على مطارهم هناك ، وهل هى أمريكية أم إسرائيلية ، فأجابه بأنها كانت إسرائيلية».



وحين يتأمل عبد اللطيف البغدادي المواقف الصعبة التى واجهت بلاده فى حرب ١٩٦٧ فإنه يجد نفسه يفرغ إلى آراء زملائه ، وهو هنا يعبر دون أن يدري عن نزعته الجماعية التى كانت تضيف إلى قدرته الفردية الهائلة ، وهو ينقل لنا - على سبيل المثال - حواراه مع كمال الدين حسين حيث يقول:

«.... لكن جمال عبدالناصر قال له (أى لكمال الدين حسين) إن الدول العربية المنتجة للبترول تسمح للشركات الأجنبية بالقيام بنقل البترول مقابل تعهد مكتوب منها بأنها لن تمون به أمريكا ولا إنجلترا ، وهذا يعنى - على حد قوله - أن المقاطعة شكلية ، كما اتهم جمال أيضاً الملك «فيصل» بالتواطؤ مع الغرب ضدنا ، فطلب منه كمال أن ننسى خلافاتنا مع باقى الدول العربية حالياً حتى يمكن الاستفادة بهم ، وأن يعمل على التفاهم مع فيصل وتسوية مشكلة اليمن. فرد عليه جمال بقوله: «ونترك البدر يدخل اليمن» ، فقال له كمال: «إن مصر أهم لنا من اليمن ، وأنا أقول لك ذلك مخلصاً ، ولما نيجى على أنفسنا مع بعض أحسن ما نيجى على أنفسنا مع اليهود».



وعلى الرغم من أن عبد اللطيف البغدادي كان فى منتهى الألم وقمة الإحباط بما

وصلت إليه الحال فى أثناء حرب يونيو ١٩٦٧ ، إلا أنه كان شأن كل المؤمنين بالقدر يبحث بفطرته عن الجانب الذى قد يكون خيراً فى هذا الشر الماحق ، وهو يحدث نفسه ويحدثنا أيضاً بفكرته التى طرأت له فى ذلك الوقت العصيب بأن نتيجة هذه الحرب ربما كانت بمثابة إنقاذ للأمة من الدكتاتورية والمصير المظلم الذى كانت قد سارت فيه بالفعل ، وعبارات البغدادى فى تصوير شعوره فى أثناء متابعته للحرب تتدفق بصدق شعورى لا نهاية له كما تدل على مدى معاناته هو نفسه من النظام الذى شارك فى صنعه أو دعمه وهو يقول:

«... إننا نشعر وكأننا فى حلم ، كابوس رهيب ، هل يدمر سلاحنا الجوى فى يوم ، وتدمر قواتنا الأرضية فى يوم واحد آخر ، هل هذه القوة الضخمة لا تصمد أكثر من ٣٦ ساعة ، وأخذنا نعود بذاكرتنا إلى التصرفات فى الجيش ، وأسلوب الحكم ، وهذه هى نهاية كل نظام مثل هذا النظام ، ومقامرة جمال عبدالناصر بمستقبل أمة بأكملها فى سبيل مجده الشخصى ، وكنا نعرف من قبل أنه يقامر وكنا نندهش من هذا التصرف ، وهو كان قد قدر أنه سيحقق نصراً يرفعه إلى السماء دون أن يخسر شيئاً ، فجاءت النهاية ، نهاية نظامه ، خزيًا وعاراً على الأمة ، ربما يكون هذا خيراً من يدرى؟؟».

«ربما أراد الله إنقاذ هذه الأمة من استعباد جمال لها ومن تأليههم له ، واستمرار هذه الصورة كان سيؤدى بها إلى أسوأ مصير ، فربما أراد الله بهذه الأمة أن تصحو من غفوتها وتحطم الآلهة ، وتصحو لنفسها ، وألا تدع شخصاً آخر يسيطر عليها كما سيطر جمال ، من يدرى؟».

«وقدرنا هذا المساء أن «جمال» وعبدالالحكيم لا بد أن ينتحرا بعد هذا الذى جرى ، وليس أمامهما مفر من ذلك. ورأينا عدم الذهاب «باكر» إلى مكتب عبدالالحكيم ، فالأمر قد انتهى ونحن فى انتظار ما يأتى بعد الغد ، من صور سوداء مظلمة لا يعرف مداها إلا الله».



ولا يبدى البغدادى ارتياحه ولا قبوله لما حدث من مجلس الأمة عقب تنحى الرئيس عبدالناصر ، بل إنه يصف ما حدث بأنه المهزلة الكبرى ، وبعد أن يصف ما حدث فى المجلس يتساءل فى جدية: ماذا كان جمال عبد الناصر حرياً أن يفعله لو انتصرنا؟ ومن العجيب أن أحداً من أعداء السادات اللاحقين لم يكلف نفسه عناء

الاستعانة بمثل هذه الفقرة فى الهجوم على السادات وعلى رئاسته لمجلس الأمة فى ذلك الوقت:

«... ياللمهزلة الكبرى ، بدلاً من أن يقوم المجلس بطلب مناقشة أسباب هذه الهزيمة وكيف يدمر لنا جيش من ست فرق ، وتحطم لنا أربعمئة طائرة ، وكل ذلك فى ظرف ست وثلاثين ساعة ، وبدلاً من أن يسأل عن الكارثة وكيف حدثت ومن المتسبب فيها ، ومحاسبة المسؤولين عنها ، بدل ذلك يرقص طرباً وفرحاً ، ولا يسأل ولا يخطر على بال أحد من أعضائه أن يسأل».

«ولكن الذى حدث هو أن اختنق صوت أنور أثناء إلقائه رسالة جمال وأخذ يجاهد نفسه حتى يستطيع الاستمرار فى الكلام. وقام رئيس الوزراء محمد صدقى سليمان ، وحمد الله وشكر باسم الحكومة جمال عبد الناصر لاستجابته لرغبة الشعب. وقام سيد مرعى وكيل المجلس ليقول كلمة المجلس فى هذا الموقف التاريخى ، وقال إنه يطلب من الله أن يلهمه قدرة فوق قدرته وفوق قدراتهم جميعاً ليكبح جماح عواطفه التى تملأه وتملأهم جميعاً ، ويبكى بل ويغمى عليه».

«ثم قام المجلس بعد ذلك وخول جمال عبد الناصر سلطاته كلها ليقوم بالتعبئة الكاملة والشاملة لكل قوى الشعب العامل وإعادة البناء العسكرى والسياسى بما يكفل مناعته وقوته على مواجهة كل التحديات ، هكذا جاء قرار المجلس».

«هذه هى الصورة المصغرة لما حدث اليوم».

«ولم أكن متصوراً كيف سيذهب جمال عبد الناصر إلى مجلس الأمة فى عربة مكشوفة ويمر بها فى شوارع القاهرة يحى هذه الجموع المحتشدة فى الشوارع. كيف يمكنه أن ينظر إليهم وهو يعلم الحقيقة. وإن كانوا هم مخدوعين فأظنه لا يمكن أن يكون مخدوعاً».

«ماذا يحدث لو انتصرنا؟

«وما الذى كان يفعله جمال عبد الناصر لو تحقق النصر إن كان يفعل هذا مع الفشل والعار؟ ما الذى كان سيحدث لو انتصرنا؟».

عبد اللطيف البغدادي
شهيد النزاهة الثورية

7

البغدادي والعلاقات العربية المثورة

الفصل الأول : موقف البغدادي من الوحدة مع سوريا
الفصل الثاني : البغدادي مارس المسؤولية عن الملف السوري
الفصل الثالث : البغدادي يقيم تجربة الوحدة
الفصل الرابع : نموذجان لمواقف عربية عابرة

دار الخيال

الفصل الأول : موقف البغدادي من الوحدة مع سوريا

ربما كان من الأوفق أن نبدأ هذا الباب بتقديم نبذة سريعة عن خلفيات عبد اللطيف البغدادي فيما يتعلق بالبلاد العربية ، وهو ما كان يميزه - كما ذكرنا من قبل - عن بقية زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار ، بل هي ميزة لم تكن متاحة بالقدر ذاته لأنور السادات الذي كان على معرفة جيدة وعميقة بكل الطوائف والاتجاهات السياسية في مصر ، لكن يبدو - مع هذا - أن هذه الخلفية الثقافية (أو المعرفية) للبغدادي لم تثمر ثمارها المرجوة في دفع البغدادي نحو توجهات عربية فاعلة ، والسبب في هذا واضح وهو أن التوجهات الوحيدة العربية في عصر عبد الناصر لم تتأسس على رغبات سياسية شعبية أو على تحالفات أحزاب متحدة الفكر وإنما ارتبطت بشخص الزعيم ، وفي هذا ما فيه من خطر لم يكن أقله أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يتولى كل هذه الأمور بنفسه ولا يترك لزملائه إلا الحواشي (كذهاب أنور السادات وعبدالحكيم عامر من آن لآخر إلى اليمن) ، ولم يكن البغدادي ليقبل مثل هذه الأدوار الهامشية ، بل إنه كان في الواقع متطرفاً في رفض هذه الأدوار إلى حد أنه وهو نائب لرئيس جمهورية الوحدة بين مصر وسوريا ، رفض أن يتولى أمر سوريا على الرغم من أن المنطق يقول بأنه كان ينبغي عليه أن يبحث عن سلطاته التي يخولها له هذا المنصب ، ولكنه مصداقاً لرؤيتنا لم يفعل بل رفض مجرد فكرة القيام بالرئاسة بالنيابة في سوريا ، وهو ما قبله عبدالحكيم عامر بعد ذلك وانتهى بالمأساة التي نعرف جميعاً أبعادها.

ومع أنى أشك فى أن الرئيس عبدالناصر (بطبعه الذى أصبحنا نعرف عنه الكثير بحكم ما قرأناه ورأيناه وسمعناه) كان سيفوض البغدادى فى نفس القدر من الصلاحيات التى فوضها لعبدالحكيم عامر حين أوكل إليه أمر سوريا فى الفترة الممتدة من أكتوبر ١٩٥٩ وحتى وقوع الانفصال فى نهاية سبتمبر ١٩٦١. على الرغم من هذا فإننى أدعو إلى التفكير الجاد فى الإجابة عن السؤال القائل بمدى إمكانية نجاح البغدادى (والنظام المصرى أو الناصرى بالتالى) لو كان البغدادى هو الذى فوض فى شئون سوريا بدلاً من عبدالحكيم عامر فى تلك الفترة التى تولى فيها المشير صلاحيات الرئاسة فى القطر الشمالى من دولة الاتحاد ، ولست أظننى مخطئاً إذا قلت إن البغدادى كان قادراً على النجاح وعلى تدبير أمور سوريا والسوريين بأكبر قدر من الحكمة والحنكة والانضباط ، وكان كفيلاً بأن يحظى من جموع الشعب السورى والجيش السورى بالحب والاحترام والطاعة ، ولو أنه فوض حقيقة فى إدارة أمور سوريا لما حدث الانفصال ولاستمرت دولة الوحدة قائمة.

لكننى مع هذا أعود فأقرر فى وضوح أن النظام الناصرى لم يكن سيسمح باستمرار البغدادى فى هذا الموقع ، وكان لابد لهذا النظام إن عاجلاً أو آجلاً من زحزحة البغدادى (الذى نجح) عن هذا الموقع وإسناده إلى عبدالحكيم (المرشح للفشل).. ولم يكن هذا التوزيع لعبد الحكيم فى سوريا قابلاً للتوقف إلا أن يحدث الانفصال ، ولست قاسياً فى هذا الحكم .. لكن هذا هو تشخيصى المتكامل لأزمة النظام الناصرى فإنه بكل عافيته كان يحمل عوامل التدمير الذاتى من داخله على نحو ما نعرف فى المرضى المصابين بمرض الذئبة الحمراء ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.



وعلى كل الأحوال فسنقرأ فى هذا الباب تفصيلات مواقف طريفة من قبيل أن الرئيس عبد الناصر كلف صحفياً كبيراً (لا يهمنا الاسم الآن مع احترامنا له وهو - أى الاسم - موجود فى النص) بأن يتولى إقناع البغدادى بقبول هذه المسئولية ، ولست سىء الظن ، لكننى أعتقد أن الإنسان حين يلجأ إلى توسيط مَنْ هو أبعد عنه إلى مَنْ هو أقرب إليه فإنه يعنى بذلك توجيه رسالة إلى القريب أو إحياء بأنه من الأفضل له أن يصرح برفض موضوع الوساطة ، وكثيراً ما أفعل أنا نفسى هذا ، وكثيراً ما يفعل هذا معى أيضاً.

والشاهد أن موقف البغدادي من قيام الوحدة مع سوريا كان واضحاً ، ولست أحب أن أفرض رؤيتي أو استنتاجاتي السابقة فيما يتعلق بهذه الجزئية ، ولكنني أستطيع أيضاً أن أذكر القارئ بما يجده واضحاً في روح كل الروايات المتاحة عن الأيام التي سبقت إعلان قرار قيام الوحدة ، وهو أن حالة من التوجس المبني على عدم المعرفة الكافية كانت تسيطر على كل مَنْ كانوا على شاكلة البغدادي من رجال مسئولين بين رجال الحكم في مصر في ذلك الوقت. وقد كان البغدادي معارضاً تماماً للوحدة الاندماجية ، وقد ذكر هو نفسه ما يعبر هذا المعنى في أكثر من موضع ، ونقلناه عنه فيما كتبناه [في كتابنا الذي لم ينشر بعد عن عبد الحكيم عامر] الذي كان على ما يروى البغدادي الوحيد من رجال الثورة الذي وافق على الاندماج مع سوريا.

على أنه من الجدير بالذكر أن نشير إلى أن عبد اللطيف البغدادي في حديثه لمجلة الشباب (ديسمبر ١٩٩٨) قد ظل على عقيدته فيما يتعلق بأهمية حرب اليمن لمصر ، كما ظل يردد وجهة النظر المفضلة لدى قادة الثورة (مع اختلاف آرائهم) فيما يتعلق بنجاح القيادة المصرية في إحباط محاولة الشيوعيين السوريين إظهار مصر وقيادتها في صورة مَنْ لا يريد الوحدة مع سوريا ، ولا أظن أن بقاء البغدادي على الاقتناع بمثل هذه الفكرة يعد أمراً غريباً على تكوينه وممارساته.

يقول عبد اللطيف البغدادي :

«يجب ألا نظلم عبدالناصر.. علينا أن نرى الأمور بموضوعية .. فلقد كان يريد في البداية الاتحاد مع سوريا لا الوحدة معها حتى يضمن عدم حصول أى ردة أو انتكاسة على طريق الوحدة ، ولكن الشيوعيين في سوريا حضروا لمصر [!!] وعلامات التعجب من عندنا] يطلبون الوحدة لا الاتحاد لأنهم يعرفون أن جمال يريد الاتحاد لا الوحدة بحيث يقولون للجماهير العربية: إن عبدالناصر هو الذي يرفض ويقف ضد مطلب الوحدة الذي يتمسك به الشعب السوري ويضغط به عليهم .. ففوت عبدالناصر عليهم هذه الفرصة ولم تكن الوحدة مع سوريا مغامرة أبداً كما قال أعداء الثورة».



أما فيما يتعلق بالفترة الممتدة بعد إعلان قيام دولة الوحدة فقد ذكر عبد اللطيف البغدادي مجموعة من الأسباب التي برّر بها موقفه من الاعتذار عن تولى الملف

السورى وهى أسباب منطقية فى الظاهر ، لكنها لا تتناسب ولا تتوافق ولا تتماشى بالطبع مع الروح الوجدانية ، وهذه هى رواية البغدادي نفسه فى حديثه لمجلة نصف الدنيا (١٩٩٦) حين سئل : «أصررت على رفض تولي منصب حاكم الإقليم السورى بالرغم من محاولة مصطفى أمين إقناعك فلماذا ؟ وقد أجاب البغدادي بما نصه :

«حتى لا يقال إن المصريين استعمروا سوريا وأرسلوا من يحكمها ، بالإضافة إلى أنني كنت لا أعرف شيئاً عن سوريا ولا عن مشاكلها إلى أن جاءني مصطفى أمين بمنزلي بناء على طلب عبد الناصر ليخبرني عن الحالة العامة والجيش والأحزاب فى سوريا والتي كان عائداً منها لتوه وأضاف قائلاً : إن السوريين يعتقدون أن مشاكلهم ستحل بعد ٤٨ ساعة بعد إتمام الوحدة ».

«وفى نهاية الحديث زاد اقتناعي بأنه من الخطأ إرسال مصرى لتولى هذه المهمة وأقنعت مصطفى أمين بالأسباب التى أبلغها لعبد الناصر ».

.....
ولكن ... يبدو أنه على الرغم من هذا الموقف الواضح للبغدادي ضد الاندماج ، وضد تولي مسئولية الحكم فى سوريا فإن البغدادي فيما يرويهِ من أحاديث كان حرياً بأن يوحى بأنه كان حريصاً جداً على أن تستمر هذه الوحدة وأن تنجح وليس أدل على هذا فى نظره من أنه أرجأ (أو سحب) استقالته من مناصبه حتى لا تؤثر على الوضع فى سوريا:

«.... قدمت استقالتي وعلمت أن عبد الناصر سوف يقبلها ، ولكنه عاد وأرسل لى مجموعة من أعضاء المجلس أخبرونى بأن إصرارى على موقفى سيؤثر على الوضع فى سوريا ، كنا فى فترة الوحدة . فقلت لهم : إذا كان هذا هو تقديركم للموقف فأنا رجل وطنى لا أحب أن يضار وطنى ، ولذلك سحبت الاستقالة ».



ونستعرض إحدى الروايات التى ضمنها البغدادي قصة رغبة عبدالناصر فى إسناد شئون سوريا إليه ، ويبدو لنا من نصوص هذه الرواية أن جوهر الفكرة كان أن يتولى البغدادي رئاسة المجلس التنفيذى ، وهو منصب أقل من منصب رئيس الوزراء ، وربما كان هذا (الانخفاض البروتوكولى) بمثابة أحد الأسباب التى دفعت البغدادي إلى

الاعتذار ، خاصة مع ما نعرفه عن أن عبدالحكيم عامر حين قبل بتولى أمور سوريا تولاهما في إطار أنه رئيس بالنيابة وليس رئيس مجلس تنفيذى فحسب.

يقول عبد اللطيف البغدادي:

«... وكان جمال قد اتصل بي يوم السبت ١٥ فبراير ١٩٥٨ وطلب أن ألتقى به في المساء بمنزله».

نتوقف هنا لنلفت نظر القارئ إلى أن هذا التاريخ يوافق ما قبل إعلان قيام الوحدة بأسبوع كامل !!.

«وفي هذا اللقاء اقترح على جمال أن أتولى رئاسة المجلس التنفيذي المزمع قيامه في الإقليم السوري بعد أن يتم الاستفتاء على الوحدة ، وكان الأمر مفاجأة لي لم أكن أتوقعها فتحفظت في الرد وقبول ما اقترحه على ، ومقترحاً أن يتولى هذه المسئولية أحد السوريين ومفسراً ذلك بحتى لا يقال أن المصريين قد استعمروا سوريا وأنهم أرسلوا من يحكمها. ولكنه ذكر أنه حتى يتلافى هذه الصورة فإنه سيعمل على أن يتولى رئاسة المجلس التنفيذي في مصر شخص سوري».

«فقلت: إذا كان من الضروري أن يتولى تلك المسئولية مصري فربما يكون من الأفضل أن تكون هذه الخطوة تالية بعد أن يتولاها السوري وحتى يصبح هناك المبرر إن فشل ، ولأن نجاح المصري في مهمته نجاح للثورة وللوحدة أيضاً ، والبدء بالسوري يتيح للمصري فرصة الدراسة والإعداد قبل توليه تلك المسئولية ، وتصبح بذلك فرصته في النجاح أكثر تحقيقاً».

«ولكنه [أى الرئيس عبد الناصر] قال: إن المشكلة أنه ليس هناك شخص سوري يمكن أن يتولى هذا المنصب ويرضى عنه أهالي سوريا.. على حد تعبيره».

«ولما سألته عن صبرى العسلى وإمكانية توليه هذا المنصب ، اعترض عليه لأسباب ذكرها وهي تتعلق بسلوكه العام».

«وعندما اقترحت عليه أكرم الحوراني وأنه شخصية يمكن الاعتماد عليها في تحمل تلك المسئولية كما أنه تقدمى وله دوره في قيام حزب البعث الاشتراكي. أجاب بأن كل الأحزاب هناك ضده ، وأن من يؤيد حزبه من الشعب السوري لا يمثل إلا ١٠٪ منه فقط».

«وعندما ذكرت اسم صلاح البيطار ، اعترض عليه ذاكراً أنه ضعيف ولا يصلح».

هكذا فإن عبد الناصر ، فيما يتعلق بقدرة الزعماء السوريين على حكم بلادهم ، قد قاد الحوار مع البغدادي إلى «انسداد الطرق» وذلك على نمط النصف الأول والأطول من الروايات البوليسية حين يواجه القارئ (والبطل أيضاً) بالحوادث السادة في نهاية كل شارع ، ونمضي مع الرواية:

«... ولما طلبت منه أن يمهلني يومين لأفكر فيما اقترحه عليّ ، قال: «إن موضوع الوحدة ونجاحها متوقف على هذه العملية ، والناس في سوريا في انتظار المعجزات ، ويعتقدون أن حل مشاكلهم سيتم في خلال ٤٨ ساعة بعد إتمام الوحدة».

«وقد أمنت على ما ذكره مشيراً إلى ما كتبه مصطفى أمين في جريدة الأخبار بعد زيارته لسوريا حول هذا الموضوع. وهو في كلمته التي كتبها أشار إلى نفس هذا المعنى الذي ذكره جمال ، وحاول جمال أن يحثني على قبول اقتراحه ويدفعني إلى الموافقة عليه. ولكنني ذكرت له أنني لا أعرف شيئاً عن سوريا ولا عن مشاكلها ولا أعرف أيضاً أحداً بها ، وأن الأمر يختلف فيها عن مصر التي عشت مشاكلها وأعرف عادات الناس بها كما أعرف من أثق بهم ، ويعرفني أيضاً الكثيرون وهم يخبرونني عما يجري من أخطاء ، ولكن الوضع سيختلف في سوريا».

«فذكر أنه قد اتفق مع جريدتي الأهرام والأخبار على أن يقوموا بفتح مكاتب لهما في سوريا لتقوم بالإبلاغ عما يجري هناك».

ربما نتوقف هنا لتأمل طبيعة وحجم هذه الحلول (!!!) التي كانت كافية في نظر الرئيس عبدالناصر للإحاطة بتفصيلات الأوضاع في سوريا.. وربما كان الانفصال - لمثل هذا السبب وقبل هذا التفكير - منطقياً مادام مكتبا الأهرام والأخبار سيتكفلان بوضع نائب الرئيس أو الرئيس النائب أو الرئيس والنائب في الصورة فيما يتعلق بالأخطاء والآراء.

ونمضي مع ما يرويهِ البغدادي من حديث الرئيس جمال عبد الناصر:

«... كما ذكر - أى الرئيس عبد الناصر - أن الناس فى سوريا كل ما تحتاجه هو العدل لأن الجيش السورى - على حد قوله - قد أوجد صورة من الإرهاب فى أنحاء البلاد».

«وقال أيضاً : إن سوريا فى حاجة إلى تنفيذ بعض المشروعات بها لأن الشعب هناك لم يلمس شيئاً من هذا من فترة طويلة».

«وأشار إلى أن البنك الدولى كان قد وضع مشروعاً لأغراض التنمية هناك منذ عام ١٩٥٤ . ولكن هذا المشروع لم يُنفذ منه شئ».

«كما أن سوريا أيضاً كانت قد اقترضت من روسيا مبلغ أربعة ملايين من الجنيهات، ولكن نصف هذا القرض قد أنفق كمرتبات على الفنيين الروس الذين يدرسون إمكانية وضع خطة تنمية لها ، وأنه - أى جمال - قد اقترح على السوريين العمل على إلغاء تلك الاتفاقية».

«وفى نهاية حديثنا سلمنى جمال مشروع الدراسة الذى قام به البنك الدولى لأطلع عليه ، كما اتفقنا على أن نلتقى بعد يومين لأبلغه بقرارى النهائى فيما اقترحه على».

[]

وفى إطار هذا الذى نتحدث عنه من تهيب البغدادى لتولى المسئولية عن الملف السورى ربما كان من المهم أن نتأمل فى حقيقة وطبيعة الدور الذى كلف به الرئيس جمال عبدالناصر الأستاذ مصطفى أمين القيام به فى سوريا والنتيجة التى خرج بها مصطفى أمين من لقاءاته فى سوريا.

يقول عبد اللطيف البغدادى:

«... وفى هذا اللقاء الثانى يوم الاثنين ١٧ فبراير ١٩٥٨ [نلقت نظر القارئ إلى أننا لاتزال فى الأسبوع السابق مباشرة على إعلان قيام دولة الوحدة فى ٢٢ فبراير] طلب منى جمال مقابلة مصطفى أمين عندما علم بأنى لازلت عند موقفى السابق من اقتراحه، وذلك حتى يطلعنى مصطفى أمين على ما لديه من معلومات ، والتى كان قد حصل عليها أثناء زيارته لسوريا مؤخراً ، وحتى أكون رأياً سليماً بعد الاستماع إليه . وكان جمال قد أرسل مصطفى أمين إلى هناك بغرض الاتصال بالهيئات المختلفة بها وكذا بالقيادات السياسية - التقدمية منها والرجعية كذلك - وقد تقابل معه جمال فى اليوم

السابق للقائنا هذا بعد عودته ، وأعطاه مصطفى - على حد قول جمال - صورة سوداء عن الموقف هناك ، ومقترحاً عليه تعييني أو تعيين كمال الدين حسين رئيساً للمجلس التنفيذي السوري».

«ولقد التقيت مع مصطفى أمين يوم الثلاثاء ١٨ فبراير ١٩٥٨ في منزلي ، وأخذ يسرد عليّ تلك المعلومات التي أمكن له جمعها أثناء تلك الزيارة ، وقد كتبها تفصيلاً في مفكرة لديه ، وهي عن الحالة العامة هناك ، وعن الجيش ، وعن الأحزاب المختلفة القائمة في البلاد ، وكذا عن الأشخاص الذين التقى بهم من القيادات السياسية».

ويبدو أن طريقة مصطفى أمين في تقديم المعلومات كاملة ومتعددة وبالتفصيل للبغدادي قد حققت أثراً جعلت البغدادي أكثر اقتناعاً بصواب رفضه لهذه المهمة ، أو كأنما كانت المعلومة التفصيلية أدعى إلى تشجيع البغدادي على الرفض والاعتذار على حين أنه كان لا يزال متردداً بعد سماعه الآراء الملخصة التي قدمها الرئيس عبدالناصر:

«... وقد خرجت بنتيجة في نهاية الحديث معه ، وهي اقتناعي الكامل بأن إرسال أي مصري لتولى هذه المهمة في سوريا سيكون خطأ ، وأن النتيجة لن تبشر بالخير».

«ولم أشأ أن أترك مصطفى أمين يغادرني دون أن أناقشه اقتراحه الذي ذكره لجمال ، وأن أبين له موضع الخطأ فيه».

«وقد استأذن مني في إبلاغ ما ذكرته إلى جمال بعد أن أوضح أنها نقاط لها أهميتها ووجاهتها وأنه مقتنع بها».

«وقد انصرف مصطفى أمين بعد أن أبدت له هذه الأسباب ذاكرةً لي اقتناعه بها ومستأذناً في إبلاغها إلى جمال».



وربما كان من المهم أن نقرأ بالتفصيل مجمل وجهة نظر البغدادي بعد أن استمع إلى التفصيلات التي قدمها له مصطفى أمين ، ومن حسن الحظ أن البغدادي قد احتفظ بملخص لآرائه التي أبدّاها في ذلك اليوم على هيئة نقاط محددة ، وهي نقاط مهمة تكشف عن نضج في الفكر السياسي والتنفيذي للبغدادي في ذلك الوقت ، وإن كانت تكشف في ذات الوقت عن عقلية متحفظة في سن كان من المفروض فيه أن يكون

صاحبها أكثر اقتحاماً للمصاعب ، لكن يبدو أن المناقشات المملة التي شهدتها مجلس قيادة الثورة المصرى طيلة سنوات الثورة الأولى كانت كفيلة بأن تصيب أفكار العمل السياسى عند أعضائه الجادين من أمثال البغدادى بشيخوخة مبكرة فيما يتعلق بمواجهة المشكلات أو التحديات السياسية.

وهذه هى النقاط التى يلخص بها عبد اللطيف البغدادى المعاناة التى واجهتها فكرة الوحدة مع سوريا وذلك حيث يقول:

« من جهة الشكل العام فالأمر غير مقبول ، وربما يكون مقبولا اليوم فى ثورة حماس قيام الوحدة ، ولكنه سيستغل من المفرضين بعد مضى فترة على قيامها بغرض إثارة حفيظة السوريين ، خاصة أن الأوضاع هناك ستدفع من سيتولى المسئولية بها إلى اتخاذ بعض الإجراءات التى ربما يترتب عنها صدام مع بعض الهيئات والأفراد».

«فالجيش هناك ربما يصطدم به لأنه سيبعد عن ممارسته للسياسة والسلطة التى كان قد تعود عليها لعدة سنوات مضت».

«وكذا الأحزاب أيضاً التى ستحل اسماً فقط ولكن نشاط أفرادها وتنظيماتها ستبقى دون شك ولكن بصورة سرية».

«وكذا هناك الرشوة والفساد كما قيل ، وللقضاء عليهما لابد من استخدام الحزم والشدة فى ممارسة الأمر».

«كما أنه توجد قوانين قيل إنها لا تنفذ ، والأمر يحتاج أيضاً إلى حزم وصرامة لضمان تنفيذها واحترامها».

«أما فساد السلطة التنفيذية هناك فستدفع من سيتولى الأمر إلى استخدام الشدة والجدية مع الموظفين حتى يضمن أن يسير العمل على ما يرام».

«كل هذا سيثير أغلب الناس والهيئات وحينئذ يمكن أن تستغل من المفرضين بأن المصريين يحكمون سوريا ، وأن الإقليم المصرى قد قام باستعمارها خاصة إذا عمل على تنفيذ فكرة تهجير بعض الفلاحين المصريين إلى هناك لاستثمار وزراعة الأراضى الزراعية غير المستغلة بها ، أو لو تمت الاستعانة ببعض المقاولين المصريين والخبراء الفنيين لتنفيذ بعض المشروعات هناك ، وحينئذ ستنتسى الوحدة ويفتر الحماس لها».

«وأما القول بأن شخصاً سورياً سيتولى رئاسة المجلس التنفيذي فى الإقليم المصرى فقول مردود عليه بأن وضعه سيكون مختلفاً لأن الأحوال هنا فى مصر قد استقرت ولن يصطدم السورى بأحد ، ولن يكون إلا صورة فقط الغرض منها تغطية شكل سرعان ما سيتضح أمره للسوريين بعد فترة وسيكون محل تعليق منهم وانتقادهم بل وضيقهم أيضاً».

ويعود عبد اللطيف البغدادى ليؤكد على هذا المعنى بصورة تتمشى مع نظرية الاعتقاد فى فعالية ونفوذ وتأثير اسم عبدالناصر الضخم الرنان فى ذلك الوقت ، وهو يجاهر فى شجاعة بأن هذا الاسم الضخم نفسه لن يكفى بعد فترة:

«وعلى أساس تلك الصورة فلن يكون هناك فى سوريا من سند يؤمن الوضع والنظام بها غير إيمان الشعب السورى نفسه بالوحدة وثقتهم فى جمال عبد الناصر شخصياً ، ولكن هل هذا يكفى ، خاصة بعد أن تتعدد المشاكل ولا يتحقق لهم ما كانوا يأملونه من الوحدة فى زمن قصير؟ وهل يجوز لنا أن نلقى جانباً شعور الشعب السورى ونستند إلى الجيش هناك كقوة ضرورية لضمان استقرار النظام بها؟ وما تأثير ذلك على الوحدة نفسها؟ أم نعتمد على حزب البعث كقوة سياسية تقدمية ، وجمال تتابه الشكوك منه ولا يمكن أن يأخذ هذه الخطوة؟».



ويتناول عبد اللطيف البغدادى جوهر النقاط المنطقية التى أشار إليها من قبل بقدر أكبر من التفصيل:

«... يقال كما ذكر إنه مطلوب تحقيق المعجزات هناك فى ساعات ، ومن الطبيعى أن هذا لن يتحقق ، بل إن عجلة التنفيذ نفسها لن تبدأ فى المسير إلا بعد عدة شهور طويلة إلى أن تتم الدراسة ويستكمل البحث والإعداد. وهذا التأخير سيكون له رد فعله لأنه سيجىء على غير ما كانوا يتوقعون ويأملون».



ويستطرد البغدادى إلى فقرات لم أكن أتصور أنه كان مقتنعا بها فى وقتها إذ نراه

يتحدث عن معرفة عادات وتقاليد الشعوب ونفسيات وفلسفة هذه الشعوب !! وهو كلام جميل، لكن الثابت أن القيادة الثورية المصرية ، والبغدادى واحد من أبرز رجالها ، لم تكن تفكر بهذه الطريقة ، ودليلنا على هذا أن البغدادى نفسه قبل تولى المسؤولية الجزئية هو وزكريا محيى الدين وغيرهما فى ظل هذه الوحدة نفسها.

وعلى أى الأحوال فلنقرأ هذا النص للبغدادى :

«... كيف يمكن لإنسان أن يحكم شعباً لا يعرف من عاداته شيئاً ولا من تقاليده ، وليس له علم بنفسياته ولا بفلسفته فى الحياة ، بل ولم يشاركه حياته على أرضه فترة كافية من الزمن حتى يمكنه التعرف على أحواله ومشاكله ، وكيفية التصرف والتعامل معه».

«إن تولى مصرى هذه المسؤولية مع وجود تلك الظروف والمشاكل [يبدو] كأننا نكون كالذى استخدم احتياطى جيشه من بداية المعركة قبل أن يتعرف على خطط العدو وقوته ، ولا حتى على أرض المعركة نفسها. وقد يتسبب عن فشل هذا المصرى خسائر نحن فى غنى عنها لو تولى الأمر شخص سورى. وعلينا أن نحتفظ بالمصرى كاحتياطى يمكن لنا استخدامه عند الضرورة ، وبعد أن يكون قد أعد نفسه إعداداً كاملاً وتعرف على المشاكل والعادات والتقاليد هناك ، وحتى يصبح هناك أيضاً المبرر الذى يسمح لنا باستخدامه بدلاً من السورى فى حالة فشله ، خاصة أن الفترة الأولى من الوحدة ستكون فترة فيها تصادم مع بعض القوى التى كانت تسيطر على الأمور هناك من قبل».



ويصل البغدادى فى تحليله إلى نقطة مهمة جداً كثيراً ما غفلت عنها الثورة فى سعيها إلى توزيع السلطة وإسنادها ، فكانت النتيجة - على نحو ما نعرف جميعاً - أن انتقلت المسؤولية إلى يد أشخاص غير مسئولين ، وهو يجيد عرض هذا المعنى حيث يقول:

«... إن تولى «المصرى» الأمر هناك سيكون كالشخص الذى عصبت عيناه ووضع فى مكان معين ، وطلب منه أن يتحرك إلى هدف محدد ، وهو لا يدري شيئاً عما يحيط به ، وإن أراد الوصول إلى ذلك الهدف فلا بد له من أن يستعين بشخص ما تجنباً له من التخبط ، ومن الطبيعى فإنه سيتصرف طبقاً لإرشادات ذلك الشخص وتبعاً لتوجيهاته

وعلى أساس ما سيدلى به إليه من المعلومات ، وهو ربما لا يدري بنوايا هذا الشخص ولا اتجاهاته ، وسيصبح الأمر وكأن صاحب الكلمة النهائية هو ذلك الشخص الذى سيستعين به إلى أن تزال تلك [العصابة] من على عينيه ، ولن تستقيم الأمور على هذه الصورة لأن الرجل المسئول أساساً سيفقد بذلك احترامه وهيبته عند الناس لأن تلك الصورة ستكون لابد واضحة لكل ذى عينين ، وهو لذلك لن يحقق الهدف الذى من أجله قد أرسل إلى هناك».



وإذا عدنا إلى الانطباعات المبكرة لعبد اللطيف البغدادي فيما يتعلق بإدارة دولة الوحدة فإننا نلمح تصريحه الواضح بتحفظه الشديد على أفكار عبدالناصر فيما يتعلق بإدارته لدولة الوحدة ، وذلك على الرغم من أنه كان يفهم ويقدر ويعترف بالملابسات التى دفعت عبدالناصر إلى مثل هذا التفكير ، ولنقرأ ما يرويه عن ذكرياته عن ثانى يوم فى عصر الوحدة بعدما أعلنت فى اليوم السابق ٢٢ فبراير:

«... وفى ظهر يوم الأحد ٢٣ فبراير التقينا فى منزل جمال للنظر فى التنظيمات الجديدة التى سترتب على قيام الدولة الجديدة ، ولكننا علمنا أن جموعاً غفيرة من المواطنين قد تجمعوا عند مبنى مجلس الوزراء للإعراب عن فرحتهم بقيام الوحدة ، فتوجهنا إليهم لتحيتهم ، وفى الطريق إليهم أخبرنى جمال وكنت أرافقه مع عبد الحكيم فى سيارته أنه قد وجد الحل لمشكلة سوريا والمجلس التنفيذى - على حد قوله - وقد أشار إلى عيوب تعيين شخص سوري أو مصري فى هذا المنصب ومبيناً الخسائر التى سترتب عن هذا التعيين ، وأن الحل الذى يراه هو أن لا يكون هناك مجالس تنفيذية ، وإنما يعمل على إيجاد حكومة مركزية مقرها القاهرة مع تعيين نائبين لكل وزير فى الوزارة المركزية ، أحدهما لإقليم مصر والآخر منهما لإقليم سوريا ، وأنه بهذا الحل ينهى المشكل على حد تعبيره».

«وبعد أن ألقى جمال كلمة فى الجموع المحتشدة وعدنا إلى منزله قام بذكر هذا الحل الذى أخبرنا به ونحن فى السيارة لباقي الزملاء ، وأما موضوع اقتراحه السابق والخاص بتعيينى رئيساً للمجلس التنفيذى السورى فلم يشر إليه فى حديثه كما أننى لم أحاول من جانبى إثارتة».

الفصل الثاني: البغدادى يمارس المسؤولية عن الملف السورى

نمضى مع عبد اللطيف البغدادى إلى مرحلة تالية [بعد عشرة شهور كاملة] حين كُلف برئاسة لجنة وزارية عليا ضمت اثنين من كبار رجال مصر وسوريا من أجل دفع عجلة الإنتاج فى سوريا ، ونحن نرى البغدادى وهو يعترف بصراحة بأن هذه اللجنة عانت معاناة شديدة ، ومع هذا فإنها أنجزت كثيراً من الأعمال ، وهو ما يؤكد ما ذهبتُ إليه فى مقدمة هذا الباب من أن دولة الوحدة قد خسرت بالفعل بتخلى البغدادى عن تولى المسؤولية التنفيذية فى سوريا:

«... وكان جمال قد أعلن فى نفس خطابه فى بورسعيد فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ عن قيام لجنة ثلاثية مشكلة من أكرم الحورانى وزكريا محيى الدين ومنى وأطلق عليها اسم «اللجنة الوزارية العليا» ، وذكر أن الغرض من قيامها هو العمل على دفع عجلة الإنتاج فى سوريا ، وسرعة تنفيذ المشروعات بها ، وعينت رئيساً لتلك اللجنة ، ولم يحدد لها أية اختصاصات واضحة أو أية مسئوليات ، ولم تتضح سلطاتها كذلك ، وكان لابد لها من الرجوع إلى القاهرة فى أغلب القرارات التى ترى ضرورة صدورها ، ورغم ذلك قامت اللجنة بدراسة العديد من المشروعات ، وتعاونت مع الوزراء السوريين والأجهزة التنفيذية التابعة لهم مما ساعد على تنفيذ الكثير من الأعمال».

ولا يجد البغدادى فى معرض حديث عن نشاط هذه اللجنة حرجاً فى أن ينتقد أداء زميله عبد الحميد السراج فى سوريا بصوت عال ، وهو يشخص المشكلات التى نشأت عن أدائه البوليسى وعن انفراده بالسلطة فى سوريا:

«.... وقد وضح لنا من بداية عملنا هناك قوة عبد الحميد السراج وقبضته البوليسية

على الشعب السوري حتى أطلق عليه أفراد الشعب اسم «السلطان عبد الحميد» إشارة منهم إلى عبد الحميد سلطان تركيا المستبد في عهد الدولة العثمانية.

«وكان قد أعيد تشكيل الحكومة المركزية لدولة الوحدة في أكتوبر ١٩٥٨ ، ونقل في هذا التشكيل كل من أكرم الحوراني وصلاح البيطار إلى القاهرة ، وترك السراج في سوريا منفرداً بالسيطرة عليها ، وكان موضع ثقة جمال عبد الناصر ومساندته ، وتولى رئاسة المجلس التنفيذي في سوريا عند إعادة هذا التشكيل المهندس نور الدين كحالة ، ولم يكن بعثياً ولكن كان مديراً لمرافأ (ميناء) اللاذقية قبل أن يتولى هذا المنصب ، وهو مهندس كفء ونزيه ولكنه لم يسبق له ممارسة الشؤون السياسية ، ولم يتم إلى أى حزب من الأحزاب السياسية هناك».

ويلخص البغدادي ما استطاع أن يلمسه في أثناء وجوده في سوريا كرئيس للجنة الثلاثية التي أشرنا إليها ، وسوف نعجب ما شاء الله لنا أن نعجب من أن هذا التشخيص الواضح كان واضحاً ومتبلوراً ومتاحاً أمام القيادة المصرية (والبغدادي جزء منها) ، ومع هذا فإن السلبية أو اللامبالاة ظلت بمثابة الرائد الذي حرك توجهات الصف الأول من رجال الحكم فيما يتعلق بسوريا وشعبها ، فالمزارعون لا يستطيعون الشكوى ولا إبلاغ وجهة نظرهم ، بل هم يُعتقلون لمجرد رغبتهم في مقابلة رئيس وأعضاء اللجنة الثلاثية أى البغدادي وزكريا وأكرم الحوراني ، ولا يستطيع البغدادي (هو واللجنة) أكثر من إبلاغ عبدالناصر بما حدث ، والبعثيون يحتجون على فصل سبعين منهم من وظائفهم في وزارة الحربية السورية دون جدوى أيضاً.

يقول البغدادي:

«... ومنذ بداية تواجدها هناك في يناير ١٩٥٩ لمسنا عدم ارتياح الكثيرين من أفراد الشعب السوري لقانون الإصلاح الزراعي الذي صدر في سبتمبر ١٩٥٨ ليطبق في الإقليم الشمالي (سوريا) ، وكان ذلك القانون كثير الشبه بقانون الإصلاح الزراعي المطبق في الإقليم الجنوبي (مصر) ، والذي صدر في سبتمبر ١٩٥٢ عقب قيام الثورة ، رغم اختلاف الأوضاع والظروف الزراعية في كل من الإقليمين ، لكن جمال كان قد صمم على ضرورة أن لا يكون هناك تفرقة بين إقليمي دولة الوحدة ، وأن تكون المبادئ الرئيسية في كل من القانونين واحدة على قدر المستطاع».

«وكانت اللجنة قد علمت في ٢٤ يناير ١٩٥٩ من عبد الحميد السراج أنه قام باعتقال بعض المزارعين السوريين لا لشيء إلا لأنهم رغبوا في مقابلة أعضاء اللجنة ، وكان غرضهم من هذه المقابلة هو شرح وجهة نظرهم بالنسبة لهذا القانون ، وعندما قام السراج بمنعهم عن هذا اللقاء أرسلوا برقيات إلى جمال فمنعها أيضاً واعتقلهم على إثر ذلك».

«وكان من بين هؤلاء المزارعين الذين قام باعتقالهم بعض أفراد من عائلة صبحي العظمة والبرزي وغيرهم ، ولم تكن اللجنة تملك من السلطة شيئاً حتى يمكنها التصرف إلا إبلاغ جمال بما حدث ورأينا فيه».

«وفي هذا التاريخ أيضاً أبلغنا أكرم الحوراني [وهو أحد أعضاء اللجنة الثلاثية ، أي أنه أبلغ زميليه البغدادي وزكريا] احتجاج البعثيين السوريين على فصل سبعين موظفاً من موظفي وزارة الحربية بسوريا وكانوا قد فصلوا من وظائفهم بحجة أنهم ينتمون إلى أنظمة سياسية والتي حذر منها القانون».



ويثبت البغدادي لأكرم الحوراني (وكان نائباً لرئيس الجمهورية شأنه في ذلك شأن البغدادي) أنه (أي الحوراني) قد نبه إلى امتعاضه وامتعاض البعثيين من تصريح لزكريا محي الدين يفهم منه إبعاد البعثيين ، وأنه نبه كذلك إلى خطورة الفراغ السياسي الناشئ عن حل الأحزاب السورية :

«..... وقد تحدث أكرم الحوراني أيضاً عن التصريح الذي كان زكريا قد أدلى به إلى مجلة «روزاليوسف» ، الذي جاء فيه أنه ستشكل لجنة حيادية للإشراف على تنظيم الاتحاد القومي في سوريا ، وقد تساءل أكرم الحوراني عن المعنى المقصود من هذا التصريح ، وهل هو إبعاد للبعثيين. وتكلم كذلك عن وجود فراغ سياسي في سوريا بعد حل الأحزاب هناك وعن ضرورة ملء هذا الفراغ. وذكر أن أصلح مَنْ يشغله هو البعثيون لإيمانهم بالوحدة ودورهم في قيامها - وهذا صحيح - ولكن جمال كانت تتابعه الشكوك في نواياهم».

ويلخص البغدادي بعض الآراء التي نبه إليها أحد وزراء الوحدة البارزين وهو مصطفى حمدون المعروف بانتمائه البعثي ، وسرى في آراء مصطفى حمدون التي

يوردها البغدادي وعيا كاملا ومبكراً بوجود ونمو جذور واضحة لكل ما حدث من تطورات مؤسفة بعد هذا:

«... وقد أثار مصطفى حمدون وزير الإصلاح الزراعي بالإقليم الشمالي في حديثه معنا أيضاً الحملة التي تشن عليه بحجة أنه قام بتعيين بعض البعثيين في وزارته ، ونفى ذلك ، وأحضر كشوفاً بأسماء موظفي وزارته ليؤكد لنا ما يقوله. وأشار إلى أن الإقطاعيين والشيوعيين هم الذين يحاولون إثارة مثل هذه المسائل بغرض الإيقاع بين جمال عبد الناصر وبين البعثيين السوريين».

«وتكلم أيضاً عن مقال جاء في مجلة روزاليوسف ، وذكر أن الجيش السوري قد وصف في هذا المقال وكأنه جيش من المرتزقة ، وكان متأثراً مما جاء فيه».

«وأشار حمدون في حديثه إلى مواقف الجيش السوري الوطنية وحمانيته لاستقلال البلاد ، وأن الانقلابات العسكرية التي قام بها ضباط الجيش لم يكن يعلم بها أكرم الحوراني كما يشاع».

«وأثار في حديثه أيضاً تخوفه من تشكيل الاتحاد القومي في سوريا في هذه الظروف مع وجود تكتل من عناصر مضادة له ، وأوضح أن الاتحاد القومي سيكون هو آخر سهم في المحافظة على هذه الوحدة ولا بد من العمل على إنجاحه».

«ولقد أوضحنا له أن ما فهمناه من ذلك الذي جاء بمجلة روزاليوسف يختلف عن هذا التصور الذي ذكره لنا ، وأن كاتب المقال لم يقصد المعنى الذي فهمه حمدون عن الجيش السوري ، وإنما قصد به أن يقول إن السياسيين ورجال الأحزاب في سوريا قبل الوحدة كانوا يتسابقون في التعرف على ضباط الجيش لعلمهم أن الجيش هو القوة الحقيقية في البلاد في تلك الفترة».

على هذا النحو كان البغدادي يستطيع التبرير فيكتفى به دون أن يلتفت إلى النار التي تحت الرماد ، وربما نجد أنفسنا الآن نأسف لهذا بعد فوات الأوان.



ولأن البغدادي كان يجيد تسجيل الأحداث ، وتذكرها ، ويحاول أيضاً أن يسجل كيف تفهمها في وقتها ، فإنه دون أن يقصد ودون أن يدعى ، نجح في أن يصور المناخ السياسي في ذلك الوقت على نحو دقيق ، وهو ينقل عن الصحفيين المصريين ما

اكتشفوه من حقيقة قصة رئيس الغرفة الزراعية فى حلب الذى أرغم على تكذيب تصريحه:

«... والتقى بنا أيضاً فى دمشق بعض من الصحفيين المصريين هناك ، وعلمنا منهم أن الناس فى سوريا تشعر بالخوف وعدم الأمان ، وليس هناك مَنْ يمكنهم الرجوع إليه ، حتى أن رئيس الغرفة الزراعية بحلب كان قد صرح فى الصحف أن الرئيس جمال قد ذكر فى حديث له معه أنه - أى جمال - يهمله أن يتعرف على المشاكل فى سوريا ، ويطالب السوريين بموافاته بها ، وأن يرسلوا إليه ما يرون من اقتراحات. ويقول الصحفيون : ولكن رئيس الغرفة الزراعية أرغم على تكذيب هذا التصريح الذى أدلى به ، وأن الذى قام بإرغامه على ذلك أناس سوريون مسئولون».

«وذكروا لنا كذلك أن الأهالى بحلب بعد أن تفهموا الهدف من قيام الاتحاد القومى وفلسفته ، رغبوا فى التقدم إلى اللجنة الوزارية بطلب تشكيل تنظيماته فى مدينتهم ، ولكنهم عادوا وتراجعوا ثانية مبررين التراجع منهم بالخوف من التوقيف أو الاعتقال».

«وكان قد طلب مصطفى حمدون وطعمة والسراج الاجتماع بى مع زكريا ، وذلك لإيضاح موقف الجيش السورى قبل قيام الوحدة ، والأوضاع السياسية التى كانت قائمة فى البلاد وقتذاك».



ثم يفاجئنا البغدادى بعد كل هذا الفهم وكل هذا الجهد بأنه قرر الابتعاد عن سوريا وعدم العودة إليها ، وأن الرئيس عبد الناصر لاحظ تعمده البقاء فى القاهرة وسأله ، وأنه - أى البغدادى - أجابه بما يراه أو يعتبره وجهة نظر تفصيلية! ولا يذكر لنا البغدادى ما رد به عبدالناصر عليه ، لكنه يذكر أن عبدالناصر أصدر قراراً جمهورياً بتعيين عبدالحكيم عامر حاكماً لسوريا وفوضه سلطات رئيس الجمهورية ، وربما نقف هنا لتتساءل: ألم يكن الأولى بعبدالناصر أن يستصدر هذا القرار للبغدادى أو زكريا بدلاً من عبدالحكيم خاصة أنهما درسا سوريا ومشكلاتها من خلال عملهما فى اللجنة التى أشرنا إليها؟ ومع هذا يبدو لى مثل هذا السؤال من الأسئلة الحائرة فى تاريخنا المعاصر.

ولنقرأ ما يرويه البغدادى عن نهاية عمل اللجنة الثلاثية بعد ستة شهور من بدء عملها:

«... وقد استمر وضع اللجنة على هذه الصورة حتى يونيو من عام ١٩٥٩ ، وكان عملي موزعاً بين القاهرة ودمشق حيث إنني كنت وزيراً مركزياً للتخطيط منذ إعادة التشكيل الذي تم في أكتوبر ١٩٥٨ ، بالإضافة إلى عضويتي باللجنة [هكذا يقول البغدادي مع أنه رئيس اللجنة] ، وكنت قد عدت إلى القاهرة في يونيو لمباشرة مسؤولياتي بعد قضاء فترة في سوريا».

«وتعمدت البقاء في القاهرة دون العودة ثانية إلى دمشق حتى لاحظ جمال ذلك وسألني عن السبب في عدم سفرى إليها ، وصرحت له بأن وجود اللجنة هناك دون أن تحدد سلطاتها ومسؤولياتها رغم وجود نائين للرئيس بها ، يضعف من هيبتها ويقلل من قدرتها على إنجاز ما هو مطلوب منها ، وأن الرجوع إلى القاهرة في أغلب القرارات التي تتخذها ليس عملياً ، بل معطلاً للعمل أيضاً ، ولكنه لم يشأ أن يفسر لي الأسباب التي دفعته لاتخاذ هذا الموقف من اللجنة ، ولم يحاول أن يعدل عنه ، واستمر الوضع قائماً ، ورأيت أن أستمّر على موقفى وبقيت في القاهرة حتى أكتوبر من نفس العام [أى أكتوبر ١٩٥٩] حين أصدر جمال قراراً جمهورياً بتعيين عبد الحكيم حاكماً لسوريا وقد فوضه سلطات رئيس الجمهورية ، كما فوضه أيضاً في الإشراف على انتخاب لجان الاتحاد القومى هناك».

الفصل الثالث: البغدادي يقيم تجربة الوحدة

من حسن حظ تاريخنا المعاصر أن عبد اللطيف البغدادي وهو نائب لرئيس الجمهورية في عصر الوحدة قد كتب في مذكراته باستفاضة عن فترة هذه الوحدة ،

وهكذا أصبحت في أيدينا وجهة نظر «مصرية» في مقابل وجهات نظر سورية عديدة سجلتها كتب قيمة ومذكرات متميزة لعل أشهرها وأهمها مذكرات أكرم الحوراني نائب رئيس الجمهورية في عهد الوحدة.

وحين نصل مع ما يرويه البغدادي إلى الأيام التي سبقت ثم شهدت وقوع الانفصال فإننا نجد حريصاً على أن يلخص في مذكراته أسباب الانفصال بطريقة دقيقة يشرح فيها هذه الأسباب وتداعياتها بعد أن تناول - على مدى صفحات طويلة من مذكراته المتعددة - كثيراً من تفصيلات أيام الوحدة وهو يبدو في تحليله للانفصال وكأنه يخرج لنا بالعبارة حيث يقول:

«... وقد مرّ كل ذلك في ذهني وكأنه شريط سينمائي ولكنه لم يستغرق إلا لحظات، وأحسست ما حدث كأنه كابوس ثقيل، وأن أملنا في وحدة عربية شاملة قد انهار فجأة، وفي ساعات محدودة، وما حدث سيكون له تأثيره وعاملاً مؤخراً دائماً لإتمام هذه الوحدة التي هي أمل كل عربي مؤمن بوطنه وبعرويته».

ويتحدث البغدادي بقدر من الأسى والانتقاد عما يصفه بأنه ممارسات عبد الحميد السراج الخاطئة فيقول:

«ولاشك أن هناك أخطاء تسبب عنها تدهور في قوة الوحدة وكان يمكن تداركها وعلاجها خاصة تصرفات السراج في سوريا والطرق البوليسية التي كان يتبعها وتدمير الشعب السوري منها حتى أطلق عليه اسم السلطان عبد الحميد، وكان جمال يعلم ما يفعله السراج وضيق الشعب السوري وشكواه من هذه الأفعال، ولكن «جمال» كانت له طريقته الخاصة في معالجة مثل هذه الأمور، وكان يعتقد أنه بالصبر ومع الوقت يمكن حلها، هكذا كان يردد دائماً عندما تواجهه بعض المشاكل، ولكن هناك بعض الأمور إن لم تعالج فوراً فغالباً ما يترتب عنها أضرار بالغة».



ومن أهم الفقرات التي تعرض فيها البغدادي في مذكراته المنشورة بالنقد لتجربة الوحدة مع سوريا ما يرويه البغدادي عن ملاحظات للوزير السوري البارز طعمة العودة لله في أحد اجتماعات الوحدة، والقصة تنبئنا عن مدى البلبلة التي كانت تحدثها صحافتنا الموجهة بما يؤثر بل وبما أثر بالفعل على الوحدة روحاً ومضموناً.

ونحن لا نستطيع أن نلوم الصحفي وحده فى هذه الواقعة ، فهذا هو البغدادى نفسه يدعونا - دون أن يدري ودون أن يقصد - إلى أن نلومه هو نفسه هو الآخر ، لأنه بعد أن تفهم دوافع زميله الوزير السورى لم يفعل شيئاً إلا أن أنبأنا أنه فهم دوافعه!! وهكذا كان إخواننا السوريون (أو أبأونا) يعانون أشد المعاناة من قياداتنا المصرية ، سواء فى السلطة أو فى الصحافة:

«..... وقد أثار طعنة فى نهاية الاجتماع الأخير معنا ذلك المقال الذى نشر فى الأهرام بقلم محمد حسنين هيكل ، والذى جاء تحت عنوان «ياسيادة الزعيم الأوحده» ، وقد قصد هيكل بهذا عبدالكريم قاسم ، وقال طعنة: «لماذا لا يكتب التاريخ على حقيقته؟ وما الذى دعاه إلى كتابة أسماء بعيدة عن الواقع الذى حدث؟» ، وفسر هذا التساؤل منه بأن ما ذكره هيكل فى مقاله عن اتصال السراج والنافورى بعبدالكريم قاسم أثناء قيادته لقوة عراقية كانت معسكرة فى منطقة المفرق فى شرق الأردن ، وقبل قيام الثورة العراقية ليس صحيحا ، وأن من سعى إلى هذا اللقاء كان هو طعنة نفسه ومعه البرزى وليس السراج والنافورى ، وأنهما قد التقيا مع قاسم ، وأنه يخشى أن يذكر قاسم الحقيقة رداً على ما جاء بمقال هيكل ويعلن عن أن اللقاء قد تم مع البرزى وليس معهما ، وأنه لو ذكر ذلك فسترتفع أسهم البرزى وسيستفيد منها شعبياً ، وذلك ليس فى الصالح».

وبعد هذا التحليل الدقيق والصائب لا يعلق البغدادى إلا بقوله:

«وشعرت أن ما ضايق طعنة من هذا المقال هو عدم ذكر اسمه فى هذه الاتصالات التى جرت مع قاسم قبل الثورة العراقية».



ومن المهم هنا أن نشير هنا إلى أن هيكل فى أكثر من موضع من كتاباته كان حريصا على أن يرتفع بقامة عبدالحميد السراج وإنجازاته (!!) فى هذه الفترة إلى حدود لا نهائية يستحيل على البشر أن يحققوها ، وعلى سبيل المثال فإنه فى كتابه الأقدم عن حرب السويس والمسمى «قصة السويس» نسب إلى السراج مجموعة من الأدوار يستحيل أداؤها مع بعضها على فرد واحد.



كذلك يتحدث البغدادي في وضوح عن انتقاده لأسلوب عبد الحكيم عامر وما كان يجره من متاعب:

«وكان هناك أيضاً خطأ آخر جسيم ساهم فيما حدث في سوريا وهو طريقة إدارة دفة الجيش وأموره ، وعبدالحكيم كان عادة يترك الأمور لمساعديه ، وهم كانوا يتخذون ما يرون من قرارات وأغلب مساعديه قل أن يحسنوا التصرف ، وقد أدى تصرف البعض منهم في سوريا إلى جرح كرامة وكبرياء كثير من الضباط السوريين ، وكثيراً ما كنا نسمع قصصاً تؤكد هذا المعنى وكانت تبلغ إلى جمال».

ويضرب البغدادي المثل على صحة حكمه على تصرفات عبد الحكيم عامر غير المستولة بقصة عبد الكريم النحلاوي نفسه:

«وقصة عبدالكريم النحلاوي مدير مكتب عبدالحكيم وكاتم أسرار الجيش في سوريا، وهو أحد قادة الانقلاب إن لم يكن أهمهم ، تؤكد هذا المعنى الذي سبق ، فقد عمد إلى إجراء حركة تنقلات بين ضباط الجيش السوري ووحداته تم له فيها نقل أغلب الضباط المتفقين على القيام بالانقلاب إلى قيادة الوحدات المهمة في المناطق المختلفة ، وذلك حتى يضمن نجاح الانقلاب ، كما أوفد أيضاً الضباط السوريين المؤمنين بالوحدة إلى بعثات بالخارج زيادة منه في الحيلة ، وقد تم له كل هذا دون أن يشك في نيته عبدالحكيم أو أحد من معاونيه».

«بل إن مؤامرة الانقلاب نفسها كان قد سبق وعلم بأمرها وذلك قبل حدوثها بثلاثة شهور ، وذكر أثناءها أسماء ثلاثة من قادتها وكان النحلاوي نفسه أحدهم ، ولكن عبدالحكيم استبعد الأمر لثقته في النحلاوي ولم يحاول التأكد من صحة هذه المعلومات أو يجرى تحقيقاً فيها ، وقد أثير معه هذا الموقف منه بعد عودته مباشرة من سوريا بعد الانقلاب في منزل جمال ، فذكر أن النحلاوي غيبى وقد استغل هذه العملية».



كذلك يتحدث البغدادي عن سوء أداء شمس بدران الذي كان لا يزال مديراً لمكتب عبد الحكيم عامر في القاهرة:

«وليس بخاف أيضاً ما كان يذكر عن مدير مكتبه في مصر البكباشي شمس بدران ،

والطريقة التى كان يتعامل بها مع الضباط من ذوى الرتب الكبيرة إلى أن أصبح هذا موضع تعليق دائم ليس بين الضباط فقط بل وبين المدنيين كذلك ، ولم يحاول عبدالحكيم إبعاده عن منصبه أو حتى إيقافه عند حده رغم ضيق الضباط من هذه الأفعال إلى درجة أثارت حفظيتهم منه».

«وإنه لمن الغريب أن يعلم جمال كل هذا كما كان يعرف أخطاء السراج ولم يحاول معالجة تلك الموضوعات ووضع حد لها رغم استمرارها وتكرارها».

وبعد كل هذا التحليل الناقد للسياسة المصرية فى سوريا فى أثناء فترة الوحدة يتناول البغدادي ما يطلق عليه أسلوب جمال (أى الرئيس جمال عبدالناصر) فى الحكم بالنقد الشديد ، وهو ينبه إلى أن الشعب قد فقد دوره الإيجابى نتيجة لهذا الأسلوب ونتيجة لغياب التنظيم السياسى والرقابة الشعبية وغياب دور الصحافة ، فضلاً عن محاباة الضباط ، وهو ما أدى إلى سلبية الشعب فى النهاية:

«ولا يفوتنى كذلك أن أذكر أن من ضمن الأسباب التى أوصلت الحال إلى ما وصل إليه هو أسلوب جمال فى الحكم ، فالشعب لم يكن له دور إيجابى فى السياسة التى ترسم له ، وكان هذا الوضع له خطورته فى سوريا ومصر على السواء».

«ولم يكن هناك تنظيم سياسى اللهم إلا تنظيم الاتحاد القومى ، وهو نفسه كان تنظيمًا فاشلاً ولا يشارك فى وضع السياسة العامة للبلاد ، وحتى قراراته نفسها إن اتخذ قراراً لم يكن ملزماً لأحد».

«ومجلس الأمة سلطة الرقابة الشعبية على أجهزة الدولة كان قد أصبح أضحوكة الجميع ، ولم يكن يباشر صلاحياته بل وصوته لم يكن مسموعاً على الإطلاق».

«والصحافة لم تكن تقوم بدورها الطبيعى فى إبداء رأى الحر ومناقشة ما كان يجرى من أخطاء ، إنما اقتصر دورها فى الغالب على التمجيد والتلهيل للحاكم ، وأصبح السباق بين الكتاب فيها على التقرب إليه عن طريق الزلفى والنفاق».

«وكانت هناك محاباة زائدة لضباط الجيش الذين تركوا خدمته ، وقد أصبحت لهم الأولوية فى شغل المناصب الرئيسية فى الشركات أو التعيين فى سفاراتنا بالخارج».

ويصل البغدادي إلى أن يبلور الموقف كله من وجهة نظر تؤمن بأهمية دور الشعب والجماهير في قوله:

«والشعب كان ينظر إلى ما يجري من حوله ولا يملك من أمره شيئاً إلا أن يعلق على ما يجري كعادته بنكاته وقفشاته لينفس بها عن نفسه وعما يعتمل في صدره من آلام وحسرة ، ومتخذاً لنفسه موقفاً سلبياً من تلك المجريات حتى أصبح في جانب ، والحاكم في جانب آخر ، وبعيداً عنه».



ونأتى إلى فقرة خطيرة يروى فيها البغدادي أن عبد الناصر صرح له بأنه لن يقدم على خطوة الوحدة مرة ثانية ، «وإذا أردتم عملوها أنتم بقى» ، وقد جاءت هذه الفقرة ضمن حديث بين الرجلين يرويه البغدادي فيقول:

«قلت: لو سُمح بعودة الأحزاب في سوريا بصورتها القديمة كما يعلنون الآن ، فسيترتب عنه انقسام داخلي في البلاد ، وسيكون له تأثيره داخل الجيش ، وربما يعود إلى ما كان عليه قبل الوحدة ويفرض إرادته على الحكومات هناك ، وتعود ثانية حالة عدم الاستقرار التي من الممكن أن تدفع السوريين إلى المطالبة بعودة الوحدة ثانية ، وتعود أقوى مما كانت بعد أن نكون قد استفدنا من أخطائنا».

«وجاء رده بأنه لن يقدم على هذه الخطوة ثانية وقائلاً «إيقوا عملوها أنتم». قلت: على العموم يجب عليك أن تستمر في المناداة بالوحدة والقومية العربية. وأمن جمال على ذلك ثم انصرفت».



هكذا يمكن لنا إدراك حقيقة أن مذكرات البغدادي المتعددة تحفل بكثير من التفاصيل الكثيرة التي يرويها عن المشكلات المختلفة التي صادفت دولة الوحدة ، ولا يتسع المقام في هذا الكتاب للحديث عن المواقف المختلفة التي حفلت بها المعالجات الرئاسية (أو المصرية) لمثل هذه المشكلات ، وقد رأيت أن أكتفى بإحدى هذه القصص الكثيرة التي تنبئ عن مدى الإرهاق الذي كان يسم معالجة القيادة لمشكلات الوحدة ، وقد اخترت قصة توسط البغدادي لدى أحمد عبد الكريم وزير الإسكان المركزي للعدول عن استقالته ، فهذه القصة - في رأيي - كفيلة بأن تصور لنا على نحو دقيق كثيراً

من السمات المميزة لأداء النخبة الحاكمة فى دولة الوحدة ، وهى السمات التى كان من الصعب مع وجودها - بحكم المنطق - أن تستمر الوحدة نفسها ، فنحن نرى وزيراً مصرياً تنفيذياً يحرص بكل دهاء (!!) على أن يضع الوزير المركزى (وكان سوريا) فى مواقف متتالية لا تتحملها كرامة إنسان مسئول على خلق - وذلك حسبما يصوره البغدادى بروايته - ونحن نرى الرئيس عبدالناصر مجهداً غير قادر على أن يحسم الموضوع فى اجتماع مجلس الوزراء فيطلب إلى الوزيرين المختلفين أن يجلسا مع بعضهما ليصلا إلى حل بينما الظاهر للجميع فى وضوح أن أحدهما وهو «التابع: الوزير التنفيذى» يعتمد التعدى على «المتبوع: الوزير المركزى» ، ومع هذا فإن البغدادى يلعب دور حمامة السلام وينجح فى الدور الذى قام به ، ويساعده على هذا مصادفة مواتية وهى أن على صبرى أنهى إليه خبر استقالة أحمد عبدالكريم قبل أن ينهيه إلى عبدالناصر ، ونحن نرى عبدالناصر وهو لا يزال رطب الصدر ، لكنه مجهد إلى أقصى حدود الإجهاد ، سواء فى اجتماع مجلس الوزراء ، أو فى اليوم التالى حين قضى عشر ساعات فى المرور بين أجنحة المعرض.

لنقرأ رواية البغدادى الكاملة:

«... وعاود المجلس الاجتماع لمناقشة سياسة الإسكان ، وعُرض على المجلس فى هذا الشأن مذكرتان ، إحداهما من أحمد عبد الكريم الوزير المركزى للوزارة وهو سورى ، والأخرى من محمد أبو نصير الوزير التنفيذى عن الإقليم المصرى. وتكلم أبو نصير عن المشروع المتقدم به واعترض أحمد عبد الكريم على بعض ما ورد فيه ، ودارت حوله مناقشة طويلة ، وكان جمال مجهداً ويود أن ينهى الاجتماع عند منتصف الليل ، لذا اقترح عليهما أن يتفقا سويّاً على مشروع واحد وأن يتقدما به بعد أسبوع فى الجلسة القادمة».

«لكن أحمد عبد الكريم أبدى أنه لم يطلع على مشروع الوزارة التنفيذية إلا قبل الجلسة مباشرة ، وأن المشروع لم يوزع على الوزراء إلا ظهر نفس اليوم ، واعترض بحكم مسئوليته كوزير مركزى وعن نفس الوزارة على هذا الوضع ، وأوضح أن المشروع المقدم منه قد أخذ شهراً فى دراسته وإعداده من اللجان المختلفة ، وأنه قد انتهى منه منذ ثلاثة شهور وأخطر به الوزارة التنفيذية ، وأن الفنيين المسئولين بتلك الوزارة ووكيلها قد اشتركوا معه فى تلك الدراسات وإعداد المشروع ، لكن أبو نصير نفى علمه

بهذا الأمر ، وعلى ما يظهر أن هذا الإنكار منه ضايق أحمد عبد الكريم لأنه ردد بعض الكلمات ولكن بصوت خافت غير مسموع ، ولم يعجب جمال هذا التصرف منه معتقداً أن هذه البرطمة - كما جاءت على لسانه - رد من عبد الكريم عليه ، لذا وجه حديثه إليه قائلاً: «إحنا مش تلامذة فى الفصل هنا ، حلوا مشاكلكم مع بعض».

«وتصرف جمال على هذا النحو لأنه لم يتبين سبب ضيق عبد الكريم ، فقال عبد الكريم إن سيادتكم كلفتكم أبو نصير فى الجلسة الماضية بتقديم مشروع رغم إعدادى المشروع من مدة طويلة ، واعتقدت أن لكم رغبة فى إعداد مشروع آخر غير مشروعى».

«ولكن جمال أوضح أنه لم يقصد هذا ، ولم يكن فى ذهنه شىء مما ذكر».

«وصرح لى جمال بعد الانتهاء من الاجتماع عن تخوفه من أن يكون عبد الكريم قد اعتقد حقيقة أنه قصد أن يكلف أبو نصير بإعداد مشروع آخر متجاهلاً مشروعه».

«وقد توقعت أن يقوم عبد الكريم بتقديم استقالته بعد ذلك الذى حدث فى الاجتماع لمعرفتى أنه من الأشخاص الذين يحافظون على كرامتهم».

«وفى اليوم التالى - الأحد ٣ يناير ١٩٦٠ - وفى أثناء مرافقتى لجمال فى زيارة المعرض الصناعى الزراعى ، علمت من على صبرى أن أحمد عبد الكريم قد تقدم باستقالته ، وقام بإرسالها إلى على صبرى مع سكرتيره الخاص ، وقد تسلمها منه أثناء زيارتنا للمعرض».

«وانتهت زيارتنا للمعرض بعد الساعة العاشرة مساءً ، ولم يكن جمال قد علم بعد بأمر هذه الاستقالة ، ولم أشأ أن أخبره بها إشفافاً منى عليه لحالة الإعياء الشديدة التى كان عليها بعد أن أمضينا ما يقرب من العشر ساعات ونحن نتجول فى أنحاء المعرض المختلفة».

«وكنت قد قرأت فى الصحف فى اليوم التالى ٤ يناير خبر استقالة الكلاس وزير الاقتصاد فى سوريا ، ووددت أن أعرف أسبابها فاتصلت بجمال تليفونياً ولأطلب منه أيضاً أن يتيح لى فرصة العمل على تسوية موضوع استقالة أحمد عبد الكريم فعلمت منه أنه بعد عودته إلى المنزل بعد زيارة المعرض وجد برقية من عبد الحكيم عامر يبلغه فيها أن الكلاس قد تقابل معه بعد الظهر - الأحد ٣ يناير - وقدم إليه استقالته».

«ويقول جمال إنه قبلها فوراً عندما اطلع على البرقية وأبلغها إلى الصحف. وذكر

أنه سبق وطلب من عبد الحكيم سؤال الكلاس عما إذا كان يرغب هو الآخر كبعثى فى الاستقالة كباقى زملائه من الوزراء البعثيين أم لا ، ولكنه كان قد نفى لعبد الحكيم عن وجود أية نية عنده للاستقالة».

«واعتقد جمال أن أكرم الحورانى هو الذى وراء تقديم الكلاس استقالته ، وأنه هو الذى قام بالضغط عليه لتقديمها خاصة أن أكرم قد غادر القاهرة إلى دمشق بالطائرة صباح نفس اليوم الذى تقدم فيه الكلاس باستقالته».

«ولما تحدثت إلى جمال عن استقالة أحمد عبد الكريم ، وجدته لم يكن قد علم بها بعد ، وتساءل عن سبب تقديمه لها».

«فأجبتة بأنه ربما يكون السبب هو ما حدث أثناء اجتماع الحكومة المركزية. فذكر أنه لو كان قد اطلع عليها بعد عودته من المعرض لقبلها هى الأخرى مع استقالة الكلاس. ولكنى أثبتت على خلُق وعمل عبد الكريم وطلبت منه أن يتيح لى فرصة لقائه والتحدث إليه لأسوى معه تلك المسألة».

«والتقيت مع أحمد عبد الكريم فى منزلى ، حاولت إقناعه بأنه قد تسرع فى الإقدام على هذه الخطوة لأن الأسباب التى بنى عليها استقالته غير صحيحة ، وقد بناها على أساس أن جمال شبههما بالتلامذة فى الفصل ، وذكر أن مسئولية الوزير لا يمكن أن يتحملها تلميذ. وربط بين حديث جمال هذا وبين ما كان قد سبق وذكره فى بداية الاجتماع عن مسئوليته الدستورية كرئيس واللى مش عاجبه يمشى».

«كما أبدى عبد الكريم عدم قدرته على التعاون مع أبو نصير ، وبين الضرر الذى نتج عن هذا ، وكذلك لأنه لم يعامل كباقى الوزراء المركزيين فى القيام ببرنامج الوزارة فى الخطة ومناقشتها فى اجتماع الحكومة المركزية ، وشعوره أيضاً أنه فقد شخصيته وكيانه وأصبح بذلك غير قادر على القيام بالرسالة التى آمن بها وعمل لها من قبل الوحدة ، لكنه أكد إيمانه بالوحدة ومن أنه سيعمل دائماً من أجل تدعيمها».

«ودارت بينه وبينى مناقشة طويلة حول هذا اللبس الذى حدث وحسن نية جمال ، وأنه لم يكن يقصد تكليف أبو نصير ونجاهل مشروعه كما يعتقد ، وأن جمال اعتقد خطأ أن ما رده بصوت منخفض كان رداً منه عليه شخصياً ، وأنه كان مجهداً».

«وأكدت له أن جمال لو علم بهذه الاستقالة التى لا تزال عند على صبرى لبادر إلى

الاجتماع به ليوضح له الموقف على حقيقته ، ولكن عبد الكريم ظل مصراً على موقفه من الاستقالة ، وقدرت أنه لو تقابل مع جمال لأمكن تسوية الموضوع لأن عبد الكريم سيشعر في هذه الحال أن طلب جمال له ومصارحته بالحقيقة فيه رد اعتبار كاف خاصة بعد أن اتضح خطأ نقاط كثيرة ، وتلك كانت هي الحقيقة».

«وأبلغت جمال بما دار بين عبد الكريم وبينى وما يشعر به وطلبت منه مقابلته ، ووافق على الالتقاء به في اليوم التالي ٥ يناير ، وسوى الخلاف بعد أن تقابلا ، وسحب عبد الكريم استقالته».



بقيت نقطة مهمة فيما يرويه لنا عبد اللطيف البغدادي عن موقفه في المسئولية عن بعض ديناميات العلاقات العربية السوفيتية في أثناء فترة الوحدة مع سوريا حيث التبت الأمور على القيادة المصرية ، فبينما كانت هناك ثورة في العراق بقيادة عبد الكريم قاسم كانت القيادة المصرية ، وقد امتدت حدود سيادتها حتى لاصقت العراق ، تخطط لثورة على الثورة وهي تلك التي عرفت باسم «ثورة الشواف» وكان من المخطط لهذه الثورة أن تنطلق من الأرض السورية ، وقد قدر الله ولم تصب هذه الثورة النجاح المنشود ، ومن المؤسف أن رد فعل القيادة المصرية كان عصبياً وقد أدى إلى إيذاء مجموعة الشواف الباقيين منهم على قيد الحياة ، حيث أذاعت الجمهورية العربية المتحدة أسماءهم وهي تناشدتهم التحرك ، وبذلك قدمت أرواح هؤلاء مجاناً لنظام عبد الكريم قاسم الذي أعدهم جميعاً ، ونحن نرى البغدادي وهو يتغاضى تماماً عن هذه القصة التي أوردها أكرم الحوراني بالتفصيل في مذكراته ، لكنه يدلنا على جانب آخر تجاهله كثيرون لأسباب معروفة .. وهو يذكر بكل تحديد ملخص أفكار عبدالناصر التي هاجم بها الاتحاد السوفيتي بعد فشل ثورة الشواف في العراق فيقول:

«.... وكنت قد استمعت يوم الأحد ٢٢ مارس ١٩٥٩ إلى صورة صوتية لخطاب جمال من إذاعة القاهرة الذي كان قد ألقاه في دمشق في نفس اليوم ، وقد حمل جمال في هذا الخطاب على الاتحاد السوفيتي ، وحاول أن يكشف حقيقة موقفهم أثناء الاعتداء الثلاثي على مصر ، وأعلن أنهم لم يتدخلوا في المعركة التي كانت دائرة معنا ، وأن تحركهم جاء يوم ٦ نوفمبر ١٩٥٦ بإرسال ذلك الإنذار المعروف بعد أن اتضح لهم

أن القتال سيتوقف. وأشار كذلك إلى موقفهم السلبي عندما نزلت قوات مشاة الأسطول السادس الأمريكى على سواحل لبنان ، والقوات البريطانية فى شرق الأردن عام ١٩٥٨ عند قيام ثورة العراق ، وذلك رغم ذهابه إليهم فى موسكو وطلبه منهم اتخاذ موقف إيجابى إزاء هذه التحركات ، وقد أراد جمال بهذا التصريح منه أن يضيع الأثر الذى كان لدى الشعب العربى عن موقف موسكو من قبل ، وأن دورها كان سلبياً ولم تساندنا فى المعركتين بصورة فعالة كما يشاع .

وهكذا تتضح لنا بجلاء فلسفة النظام المصرى من المشكلة الحاكمة فى ذلك الوقت من مثلث العلاقات السورية - العراقية - السوفيتية!! ومن ثم يمكن القول بأن البغدادى رغم شخصيته ومعرفته بالعرب من قبل الثورة لم يكن أفضل بكثير من عبد الناصر فى أدائه فى مثل هذا الموضوع.

الفصل الرابع : نموذجان لمواقف عروبية عابرة

١. لجنة تحويل نهر الأردن :

ومن الأدوار العربية المهمة للبغدادى أنه كان رئيساً للجنة التى تولت دراسة تحويل نهر الأردن وهو الموضوع الذى كان سبباً فى اجتماع الزعماء العرب فى مؤتمر قمة فى ١٩٦٤ ، ومن مذكرات صلاح نصر نقطف للمقارئ حديثه عن هذه اللجنة :

«.... ولكن المعلومات التي لدينا تفيد بأن الإسرائيليين يفكرون في إجراء التحويل من المنطقة غير المجردة من السلاح على بعد خمسة كيلومترات بالقرب من بحيرة طبرية.. ومن ثم فهذه حالة مستجدة لم تنص عليها اتفاقية الهدنة ، لأن عملية التحويل ستتم من داخل الأراضي الإسرائيلية ، لذلك ينبغي دراسة الموضوع من الناحية القانونية».

«وانتهى الاجتماع بتشكيل لجنة فرعية لبحث هذا الأمر، ولتقديم تقرير عن ذلك في الاجتماع المقبل.. وقد تشكلت اللجنة برئاسة عبد اللطيف البغدادي وعضوية كل من أكرم الحوراني ، وعلى صبري ، والمهندس أحمد الشرباصي وزير الري، وأحمد عبد الكريم ، وجادو عز الدين ، ومحمود رياض.. وانضم إلى هذه اللجنة السفير صلاح الطرزي على أساس أنه اشترك في مناقشة الموضوع في مجلس الأمن سنة ١٩٥٣.. وتم تكليف السفير الطرزي كي يضع بالاشتراك مع الدكتور سلطان الأستاذ في كلية الحقوق بجامعة القاهرة دراسة قانونية تتعلق بالناحية القانونية للأمناء الدولية».



٢. موقف البغدادي من حرب اليمن :

في أخريات حياته روى البغدادي علاقته المبكرة باليمن ، وكيف كرمه إمام اليمن بسيف لا يزال يحتفظ به ، ومع أن البغدادي لم يستثمر هذه العلاقة القديمة أو لم تستثمرها الثورة - فيما نعرف من تاريخها - من خلاله ، فإنه في الوقت نفسه لم يكن صاحب توجه معين تجاه اليمن ثم تجاه الموقف المصري منها ، ونحن نراه في مذكراته ينفي على النظام المصري تورطه في حرب اليمن وأثر هذا التورط على مكانة مصر واستراتيجيتها لكنه في الوقت ذاته لا يمانع في التدخل في اليمن بصورة أو أخرى ، والحق أن وجهة نظر البغدادي في أهمية حرب اليمن تبدو وكأنه يشجع المكيافيلية كما يتضح من نصوصه العفوية: «لماذا لا يكسب جولة» حتى لو كانت المعطيات خاطئة: «وصلت معلومات تفيد أن حاكم اليمن قد قتل» ، كما يحفل منطقه بتجريح بعض اليمنيين على نحو ما نقرأ في هذا النص العفوي المهم ، ومن ناحية رابعة يعترف البغدادي صراحة بمدى فداحة الاستنزاف المصري في اليمن:

يقول عبد اللطيف البغدادي :

«... إننى أتساءل: بعد خمسة عشر عاما من استقرار الأوضاع فى اليمن بعد الثورة.. وبعد أن وصلت لجمال معلومات تفيد بأن حاكم اليمن قد قتل.. فلماذا لا يساعد عبدالناصر ثورة شعب اليمن الذى عانى عشرات السنين من التخلف والرجعية للحكم الإمامى فيها ؟ ولماذا لا يكسب جولة للقومية العربية فى هذه المنطقة يمكن أن تعوض أزمة الانفصال ؟ ولكن بعد أن ساعد عبد الناصر النظام الجديد فى اليمن عسكريا إذا بالإمام محمد البدر الذى قيل إنه قتل يظهر فجأة وتسانده السعودية وترشو القبائل اليمنية فتتقلب ضدنا.. وتعود إلينا هذه القبائل ثانية عندما نرشوها نحن.. ثم ترشوها السعودية مرة أخرى وهكذا كنا نستنزف ماديا بالإضافة لاستنزافنا عسكريا.. فقد كنا غير مستعدين لا لحرب العصابات ، ولا لطبيعة البلاد الجبلية فى اليمن ، حتى إننا ضحيننا بوجود خمس فرق عسكرية كاملة فى اليمن ونحن فى أمس الحاجة إليها فى حرب ٦٧ ، ف وقعت الحرب وهذه الفرق ذات الكفاءة العالية مازالت هناك».

عبد اللطيف البغدادي
شهيد النزاهة الشورية

8

البغدادي وعبد الناصر

الفصل الأول : علاقة الرجلين وهما في السلطة
الفصل الثاني : علاقة الرجلين بعد ابتعاد البغدادي عن السلطة
الفصل الثالث : حقيقة فكرة استخلاف عبد الناصر للبغدادي

دار الخيال

الفصل الأول : علاقة الرجلين وهما في السلطة

ربما يجدر بنا أن نبدأ بإثبات حقيقة مهمة ، وهي أننا لا نعرف أنه قد أتاحت للبغدادي وعبد الناصر الفرصة للاقتراب من بعضهما من خلال زمالة أو معيشة مشتركة فيما قبل الثورة ، مع أن الرجلين من دفعتين متتاليتين في الكلية الحربية (ينتمي البغدادي إلى الدفعة السابقة وينتمي عبد الناصر إلى الدفعة اللاحقة) ، ولكن انخراط البغدادي المبكر في القوات الجوية باعد بينه وبين زمالة عبد الناصر بالطبع فلم يحدث بينهما ما حدث بين عبد الناصر والسادات من اللقاء في منقباد ، ولا بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر من المعيشة في شقة واحدة ، هكذا فإن الرجلين كانا يعرفان بعضهما ويحتفظان بعلاقات جيدة ولكنهما لم يجربا ما نسميه «العشرة» ، بل ربما يمكننا لفت النظر إلى أن أول فرصة شهدت اقتراب الرجلين من بعضهما على المستوى العاطفي كانت في أثناء العدوان الثلاثي في ١٩٥٦ حين سافرا معا إلى القنال عبر طريق الإسماعيلية الزراعي .

لم تكن علاقة البغدادي إذاً بعبد الناصر تصل إلى مستوى علاقة شريكه عبد الحكيم عامر ولا علاقة خليفته أنور السادات ، وهذه حقيقة يدركها كل المتابعين والقراء .

وربما يجدر بنا ثانية أن نبدأ بالتنبيه على أنه لا يمكن مسaire الادعاء السائد بأن البغدادي كان (ضد) عبد الناصر فيما روى من مذكرات ، بل يمكن القول إن البغدادي في مذكراته كان صادقاً في التعبير عن معاناته من ممارسات عبد الناصر ، وإن كان هذا لم يمنع البغدادي من أن يقدم التقدير اللائق لعبد الناصر في كثير من المواقف ، ويبدو عبد اللطيف البغدادي حتى من قبل الثورة أكثر إدراكاً لطبائع الأمور وأكثر حكمة من

جمال عبدالناصر ، ولكنه أقل منه تحكماً وفهماً لطبائع الأشخاص وأقل منه حنكة ،
كأنما أريد أن قول إن عبد الناصر كان أكثر حنكة من البغدادي على حين كان البغدادي
أكثر حكمة من عبد الناصر ، كما أن عبد الناصر كان يفهم في طبائع الأشخاص أكثر
مما يفهم البغدادي ، على حين كان البغدادي يفهم في طبائع الأشياء أكثر من
عبد الناصر ، فهو في صفحة ٤٤ من مذكراته يروي أن عبدالناصر «كان يرى عدم
الاندفاع ، ويدعو إلى التأني وكانت هذه عادته» ، ويأتي حكمه هذا على عبدالناصر
فيما كان يثيره البغدادي من أهمية عامل الوقت بعد انتخابات مجلس إدارة نادي
الضباط ، ثم هو يروي موقف عبدالناصر من الاندفاع نحو محاولة اغتيال حسين سري
عامر في ٨ يناير ١٩٥٢ بعد انتخابات رئاسة اللجنة التأسيسية بخمسة أيام.

والبغدادي يروي موقفه من عبدالناصر ومن اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار في
هذه الواقعة في صراحة شديدة فيقول:

«... وكان جمال قد قام بهذه المحاولة مستقلاً دون أخذ قرار من الهيئة التأسيسية
للضباط الأحرار وأشرك معه فيها كلا من حسن إبراهيم ، واليوزباشي كمال رفعت ،
واليوزباشي حسن التهامي من التنظيم ، وكنت قد اعتبرت هذا التصرف منه عندما
اجتمعنا ثاني يوم لهذه المحاولة خروجاً منه على رأى الجماعة ، وهو مبدأ رئيسي في
تنظيمنا ، وأن الحرية والاستقلال في التصرف في مثل هذه الأمور لهما خطورتهما ،
بالإضافة للأضرار التي ربما تقع على التنظيم نفسه لو أمكن للبوليس اكتشاف أمر الذين
قاموا بهذا الاعتداء».

«وقد بلغ من حدة المناقشة وعنفها في ذلك اليوم أن طلب جمال عبدالناصر إعادة
طرح الثقة به كرئيس للجنة ، وقد حاز أغلبية الأصوات ، وكان صلاح سالم مشاركاً
معى في هذا الرأى وضد خروج جمال على رأى الجماعة ، ولما وجدت أنه لا يزال هناك
إصرار على عدم التحرك السريع رغم تلك الأحداث أعلنت لزملائي أعضاء اللجنة عن
انسحابي من حضور اجتماع اللجنة التأسيسية في المستقبل حتى يقرروا أن الوقت
المناسب قد حان لتنفيذ خطتنا ، وأن يعتبروني في تلك الفترة جندياً لهم في سلاح
الطيران ، وأنهم سيجدوننى وزملائي ضباط القوات الجوية خير عون لهم حينما تحين
الساعة».

«ومن هذا التاريخ لم أعد أحضر اجتماعات اللجنة التأسيسية حتى يوم ١٦ يوليو ١٩٥٢. وهو اليوم الذى صدر فيه قرار حل مجلس إدارة نادى ضباط الجيش تلبية لرغبة فاروق ، وفى اليوم التالى لهذا القرار حضر حسن إبراهيم إلى منزلى عند الغروب ، وأبلغنى برغبة زملائى أعضاء اللجنة فى أن أحضر اجتماعاً فى مساء نفس اليوم ، وتوجهنا معاً إلى الاجتماع».



لعلنا نتقل الآن إلى التعبير المباشر عن طبيعة العلاقة ، ومن حسن الحظ أن عبد اللطيف البغدادى قد تولى فى مذكراته كثيراً من الجوانب المهمة والخفية فى شخصية الرئيس جمال عبد الناصر ، وسأكتفى بخمسة أمثلة من أمثلة كثيرة قدمها البغدادى فى منتهى الوضوح:

(١) ينبهنا البغدادى إلى إدراك عبد الناصر لغياب القاعدة الشعبية المؤيدة للثورة وهو معنى فى غاية الأهمية كان عبدالناصر مدركاً له فى مارس ١٩٥٤ وهو يورد حواراً أشرنا إلى نصه فى موضع آخر ولكننا لا نجد مانعاً من تكرار قراءته .
يقول البغدادى:

«فى أثناء المناقشة ذكر جمال عبدالناصر أن هذه الثورة ليست لها قاعدة شعبية تعتمد عليها ، وليس هناك من يؤيدها لا من الشعب ولا من الجيش ، وأن الذين قاموا بهذه الثورة تسعون ضابطاً فقط وأنهم فى تناقص حتى أصبح عددهم خمسين ضابطاً الآن»، ثم يعقب البغدادى فيقول: «وعلّقت على كلامه هذا بقولى: معنى هذا أننا نفرض أنفسنا على هذا البلد ، فرد على بالإيجاب».

(٢) يشير البغدادى فى أكثر من موضع إلى مناورات الرئيس عبدالناصر الذكية ضد الرئيس محمد نجيب ، فهو يروى عن عبد الناصر أنه طالب بالإفراج فوراً عن رشاد مهنا «لإزعاج محمد نجيب الذى يخشى أن ينافس رشاد مهنا فى الرئاسة» ، كما يروى قبل هذا أن الرئيس نجيب كان يطالب بمحاكمة على ماهر بخصوص الهلال الأحمر لمخالفات مادية ، وذلك للتخلص منه لأنه أشيع أنه ينوى ترشيح نفسه للرئاسة أمام نجيب.

(٣) يروي البغدادي أن الرئيس عبدالناصر أبلغه هو وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم أثناء أزمة ١٩٥٤ أن «الانفجارات التي كانت قد حدثت في اليوم السابق وأشار إليها في اجتماع المؤتمر ، إنما هي من تدبيره لأنه كان يرغب في إثارة البلبلة في نفوس الناس وجعلها تشعر بعدم الأمن والطمأنينة على نفوسهم وحتى يتذكروا الماضي أيام نسف السينمات .. إلخ ، وليشعروا بأنهم في حاجة إلى مَنْ يحميهم - على حد قوله».

(٤) يلقي البغدادي بعض الضوء على تفسير ذكي ومعقول لإصرار الرئيس عبدالناصر في بدايات الثورة على الاقتداء بما كان قد حدث في تركيا أيام مصطفى كمال أتاتورك عندما انسحب من السلطة تاركاً الأمر لعصمت أينونو ، ثم لما استفحل الأمر عاد ثانية وأعاد الأمور إلى نصابها.

(٥) من المواقف الطريفة التي يرويها البغدادي أن الرئيس عبدالناصر بعد أزمة مارس ١٩٥٤ تقدم باقتراح بإغلاق نادي الجزيرة لأنه مصدر الشائعات !

وفضلاً عن هذا فإن البغدادي لا يتجاوز المحطات الكبرى في مجد عبد الناصر دون الإشادة بالرجل وبإنجازاته ، وبعد حديثه المطول عن نجاح مصر في تأميم قناة السويس يتحدث البغدادي بحب شديد عن الرئيس جمال عبدالناصر ويقول:

«... لقد كان لقرار تأميم قناة السويس صدى واسع في العالم كله ، وفي العالم العربي خاصة ، وأصبح جمال عبدالناصر بعد هذا القرار بطل القومية العربية وزعيم العرب دون منازع ، وكان قد سبق ونال إعجاب الجماهير العربية عندما كسرت مصر احتكار الغرب للسلاح وأنجحت نحو روسيا وتبعتها من بعدها سوريا في أوائل عام ١٩٥٦ ، وأصبح جمال بذلك أمل الملايين من العرب في كل مكان من الأمة العربية ، وسيزداد هذا الشعب وثوقاً وتعلقاً به بعد معركة السويس».



ونتقل من هذه الأمثلة المحددة إلى بعض الروايات عن بعض المواقف .

يدلنا عبد اللطيف البغدادي بتلقائية شديدة على مدى ذكاء الرئيس جمال عبدالناصر في استغلال الخطاب السياسي للإعلان عن قرارات لم يتم الاتفاق عليها مع زملائه ، وكأنه بهذا حريص على أن يفاجئ هؤلاء الزملاء من ناحية ، ويكسب الإيحاء بأنه يقف

مع مطالب الشعب السياسية من ناحية أخرى ، ومع هذا فإننا لا نعتقد أن عبدالناصر قد كسب على المدى الطويل بمثل هذه الإجراءات ، ويبدو أن عبدالناصر والبغدادي وغيرهما من أعضاء مجلس القيادة كانوا في حاجة إلى أن يفهموا ما فهمه أنور السادات وعبر عنه بأكثر من صورة طوال سنوات عمره [بما فيها فترة رئاسته] من أن قرارات الثورة لا تؤخذ بالأصوات ولا بالأغلبية ، وأن هناك عقلاً مديراً لها هو الذي يتولى كل ذلك ، ولنقرأ فقرات البغدادي التي تدلنا على ما أراد تصويره من ذكاء عبد الناصر حيث يقول:

«.... وفي مساء يوم الخميس ١٩ مايو ١٩٥٥ كنت قد علمت أن جمال عبدالناصر ألقى كلمة في نادي ضباط الجيش بالزمالك ، وكان قد دعى لتناول الإفطار بمناسبة عودته من باندونج ، وكنا في رمضان ، وكانت الدعوة فجائية ، ولم أحضرها لارتباطي من قبل على تناول الإفطار مع أصدقاء لي ، وعلمت في نفس المساء أنه أعلن في كلمته التي ألقاها عن انتهاء فترة الانتقال في يناير ١٩٥٦ ، وهي نهاية مدة السنوات الثلاث ، كما أنه أعلن في كلمته أيضاً عن عودة الحياة النيابية ، ولكنها ليست في شكل أحزاب ، وإنما ستكون ممثلة في هيئات ، ولم يكن المجلس قد ناقش هذا الموضوع من قبل ، وكان الأمر مفاجأة لي - لا للخبر نفسه - بل لأن جمال عبدالناصر قد أعلن هذا القرار منفرداً ، وبهذه الصورة العلنية دون الرجوع إلى مجلس الثورة ، وكانت هذه أول مرة يخطو فيها هذه الخطوة».

«وهل كان القصد منها ممارسة السلطة منفرداً وتشبث حقه في إصدار مثل تلك القرارات وإعلانها تنفيذاً لقرار الأغلبية في مجلس الثورة ، أم إنه أراد أن يعطي الشعب انطباعاً بأنه هو الذي يعمل على عودة الحياة النيابية في أقرب وقت؟ كان هذا هو الذي خطر في ذهني على أثر سماعي هذا الخبر في نفس المساء».

« ولكن بعد إعلان هذا بأيام قليلة اتصل بي عبدالحكيم ليهتني بالعيد وفاتحته فيما أعلنه جمال عبدالناصر ، وفسره لي بأن جمال عبدالناصر قد اضطر لإعلان ما أعلنه بحجة أن هناك شائعات تدور في البلاد عن أن صلاح والبغدادي منقسمان على المجلس لرغبتهما في عودة الحياة النيابية ، كما أن جمال سالم كان قام بزيارتي في نفس اليوم الذي تحدثت فيه إلى عبدالحكيم وأثير ما أعلنه جمال أثناء حديثنا ، فأبلغني أنه شخصياً

لم يعلم به إلا قبل قيام جمال عبدالناصر بإلقاء كلمته مباشرة ، وذلك أثناء جلوسهم على مائدة الإفطار ، وأن جمال عبدالناصر أبلغه أنه سيعلم ما أعلنه بحجة أن هناك شائعة عن أن جمال سالم [نلاحظ هنا أن جمال سالم قد حل في هذه الشائعة محل البغدادي في الشائعة الأولى التي تحدث عنها عبدالحكيم عامر] وصلاح منقسمان على المجلس بسبب نظام الحكم ورغبتهما في عودة الحياة النيابية وبسرعة ، وأن مجلس الثورة معارض في ذلك ، وأنه بهذا التصريح منه يريد أن يقضى على هذه الشائعة ، ولكنني لم أكن قد سمعت عن هذه الشائعة من قبل.



ونأتى إلى ما يلخص به عبد اللطيف البغدادي أسباب نشأة الحساسية المبكرة بينه وبين الرئيس جمال عبدالناصر حيث يروي قصة حوارهما في أبريل ١٩٥٤ وهو حوار طويل ومتشعب وقد شمل عدداً من الموضوعات ، لكنه ينبئنا بصدق ووضوح عن العقلية الحاكمة للعلاقات الثنائية في هذه الجماعة الصغيرة التي قدر لها أن تتحكم في مقدرات الشعب لفترة طويلة:

«... ثم تكلم جمال عبدالناصر عن الحساسية ذاكراً أنني حساس ، وأنه كان يحتاط دائماً لذلك ، وضرب مثلاً بقوله إنه بالرغم من أن مجلس الثورة قد فوض له كل السلطة فإنه لم يستخدمها (ينبهنا البغدادي إلى أن عبد الناصر يشير بهذا إلى اقتراح جمال سالم وموافقة المجلس عليه) ، ولو أعطى هذا الحق لشخص آخر غيره لاستخدمه دون الرجوع إلى المجلس ، وأراد أن يبين أنه قاسى الكثير في سبيل المحافظة على وحدة المجلس ، وأنه ملاك وليس بشراً».

«ولكنني [يستطرد البغدادي] لم أشأ أن يمر ما أشار إليه من عدم استخدامه لهذه السلطة التي فوضها له المجلس دون أن أشير إلى بعض التصرفات التي صدرت منه وتدل على غير ما ذكر فقلت له: «ألم تذكر لضباط المدفعية أنك كل شيء في هذا المجلس ومن أنك قادر على تمرير أي شيء فيه دون صعوبة؟ وأنت قلت لهم أيضاً لا يهتمكم من أعضاء هذا المجلس ، فما هم إلا صورة داخل المجلس» ، وكان هذا الكلام قد أتى على السنة بعض من ضباط المدفعية الذين حقق معهم في يناير ١٩٥٣ (وهم: محسن عبدالخالق ومجموعته) ، فحاول جمال الرد ولكنه لم يعرف كيف يرد ، هل ينكر ، إن ذلك غير ممكن لأنه يعلم أن المجلس كله يعرف هذه الواقعة ، أو يقول إن هذا

صحيح فيسبب بذلك إخراجاً لأعضاء المجلس. لذلك كان رده على: «إنه يمكن إضافة هذا إلى الاعتبارات المختلفة التي تسبب عنها ما في نفسك».

وتساءل: «هل هو يُستجوب أم ماذا؟».

«وتكلم عبدالحكيم قائلاً: «هل أنت مازلت متذكراً هذا من يناير ١٩٥٣؟» فأجبت به بأني أذكر هذا فقط بمناسبة حديثه عن السلطة وعدم اهتمامه بها رغم أن الشواهد تدل على غير ذلك ، فأراد جمال عبدالناصر أن يبين أن هذا الخلاف ما هو إلا لسبب دفين في نفسى ، وربما يكون هذا صحيحاً ، وذلك لاعتقادي بأنه هو الذى أوجد هذا الشقاق والخلاف ، وهو الذى جعل الشعب يفقد ثقته فينا ، كما سبق أن فقدوها فى زعمائه السابقين ، وليس هذا إلا بسبب سعيه الدائم وراء القوة ومركز الثقل - على حد قوله - وأن الناس عندما تشعر بهذه القوة تأتى إليه تسعى كما كان يردد ، وذلك هو الذى دفع محمد نجيب إلى الاستماتة فى سبيل الاحتفاظ بصورته كقائد ثورة ، وحتى لا يقال عنه إنه «فوزى سلو» [أى أنه أصبح كقائد انقلاب سورى فاشل] ، وهو - أى محمد نجيب - كثيراً ما كان يردد هذا. وأصبح هناك تسابق بينهما ومزايدات فى الخطب مما دفعنى إلى أن أبتعد عن كلا الطرفين وأقف موقف الحذر فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ مصر » .

وفى إطار هذا الحوار وهذه المكاشفة يورد البغدادي فقرة مهمة لتاريخنا المعاصر يقول فيها:

«ذكرت من ضمن ما ذكرت أيضاً ما كنت قد سمعته عن إعطاء الصاوى محمد الصاوى رئيس نقابة عمال النقل بالقاهرة مبلغ أربعة آلاف جنيه تشجيعاً له ليدفع عمال النقل إلى الإضراب بعد أن صدرت قرارات ٢٥ مارس ١٩٥٤ ، ومنتقداً هذا التصرف ، ولكن جمال ذكر أنه أراد بذلك أن يسبق خالد محيى الدين ويوسف منصور صديق لأنهما كانا ينويان عمل نفس الشيء - على حد قوله » .



كذلك نجد عبد اللطيف البغدادي حريصاً على أن يروى وجهة نظره فى الرد على اتهام عبد الناصر له بالحساسية تجاه النقد على نحو ما نفهم من الفقرة التالية:

«ولكنى لمحت إليه عن تدخله فى اختصاصى ذاكراً له بعض الحالات ، وهو ما كان يأخذه على محمد نجيب ، وهو قد أخذها فى رده علىّ عندما لم يجد لها تفسيراً بأن اعتبر هذه الأشياء من الرواسب العالقة عندى والتي تؤثر علىّ نفسياً. وقارن بين موقفى هذا ونقدى له من تدخله فى اختصاصى وموقف أحد الزملاء من المجلس ، وتدخل جمال فى اختصاصاته دون أن توجد عنده هذه الحساسية ، وضرب مثلاً بأنه عقد مؤتمرات مع موظفى الأجهزة الخاصة بأمن الدولة التابعة لهذا الزميل ويصدر إليهم الأوامر دون علمه ، بل وتصادف أن ذهب هذا الزميل إلى مكتب جمال عبد الناصر فوجده مجتمعاً ببعض الأجهزة التابعة له والخاضعة لرئاسته ، فاستأذن هذا الزميل ليذهب إلى السينما».

«وكان تعليق الزميل على هذا بأن موظفى وزارته والأجهزة الأخرى التابعة لرئاسته يعتبرونه ممثلاً للمجلس وليس وزيراً لها ، وأنه عندما يصدر جمال الأوامر إليهم فكأنه هو الذى أصدر هذه الأوامر. وأشار جمال إلى الفرق بين حساسيتى وحساسية هذا الزميل».

ثم يعلق البغدادي على هذا كله بعبارات رجل الدولة المسئول ويقول:

«.... ونسى كل منهما أن الأوضاع لا يمكن أن تستقيم على هذه الصورة ، وإذا كان الأمر كذلك فليس هناك معنى لتحديد الاختصاصات ، ولو كان من حق كل فرد أن يصدر الأوامر لكل من يشاء لتضاربت الأوامر فى هذه الحالة ونتجت عنها فوضى وضياح للمسئولية».



هكذا نرى الاحساس المبكر بالتربص ينمو بين هذين الرجلين العظيمين منذ مراحل مبكرة من العمل المشترك فى الحياة العامة ، ولا نستطيع أن نجد ما ينفى هذا الاحساس ولا ما يشير إلى أنه خبا أو تضاعف مع تقدمهما فى السن .

وقد ظل شعور عبد اللطيف البغدادي تجاه هذه النقطة ثابتاً بل إنه يذكر هذا المعنى ذاته فى حديثه لمجلة نصف الدنيا (١٩٩٦) بعد قرابة عشرين عاماً من نشر مذكراته فإذا هو لا يكرر طريقة التعبير عن المعنى فحسب ولكنه يكرر بعض الألفاظ والصياغات أيضاً، وهو يتحدث عن توليه وزارة الشؤون البلدية والقروية فى أول عهد الثورة على الرغم من صعوبة العمل المنوط بها ، وقبوله هذا التحدى ، وذلك حيث يقول:

«... نعم فقد أراد عبد الناصر إضعافى سياسيا ، خاصة وأن الدكتور مهندس وليم سليم حنا والمشهود له بالكفاءة لم يستطع تحقيق أية إنجازات ملموسة اثناء توليه هذه الوزارة (يقصد وزارة الشؤون البلدية والقروية) والتي كان يشاع عنها فساد أجهزتها لذلك كان عبد الناصر متيقنا من فشلى الذريع فيها » .

هنا تساءلت منى الدحة : « إذن لماذا قبلتها ؟ » ، ويشموخ الثورى أجاب (هكذا تعلق المجلة) : لروح التحدى التى تملأ نفسى وجدتنى أقبل هذا المنصب وقد استطعت تحقيق إنجازات غير مسبوقه ومشروعات ضخمة تم تنفيذها فى أزمنة قياسية مما جعلها تحظى بإعجاب الشعب . وماذا كان صدى هذا النجاح على عبد الناصر (تعود المحررة لنسأل)؟ : للأسف فقد حاول عبد الناصر أن يشكك فى أهدافى أمام زملائى فى مجلس قيادة الثورة مبررا نجاحى هذا بأنه سعى وراء السلطة ورغبة منى فى الحصول على شعبية كبيرة أمام الرأى العام ، بالرغم من أننى حاولت تقديم استقالتي عدة مرات فقد كانت هذه السنوات من أتعب سنوات حياتى وما معنى من الاستقالة هو مصلحة الوطن خاصة وأنه لم يكن قد تم جلاء القوات البريطانية عن أرضنا » .



ويروى البغدادي بالتفصيل قصة غضب الرئيس جمال عبدالناصر من قراره إجراء تحقيق مع عمه فى أثناء غيابه عن مصر ، ولا بد لنا أن نتأمل كل التفاصيل التى يوردها عبداللطيف البغدادي فى هذه القصة ، لأنها تطلعنا بعمق على العوامل المتضاربة فى اتخاذ قرارات نزاهة الحكم ، فلا شك أن البغدادي وعبدالناصر كانا حريصين على هذه النزاهة ، ولكن المشكلة جاءت من أن القرار اتخذ بينما عبدالناصر فى الخارج ، هذا فضلا عن أن الإنسان عندما يكون مسئولاً كبيراً يؤثر تصديق الروايات التى فى صالحه أو فى صفه أكثر من تصديق الروايات التى فى غير صالحه أو فى غير صفه ، فإذا ما تواترت الروايات الأولى لم يكن عليه حرج فى أن يبحث للرواية الأخرى عن أسباب أخرى ومعان كثيرة ، وليس من الصعب أن تطل هذه المعانى برأسها على السنة كثير من المحيطين بأى رئيس أو زعيم ، وها هو البغدادي يروى القصة بشيء من التفصيل المهم فيقول:

«... وكان قد حدث فى أثناء وجود جمال عبدالناصر فى مؤتمر باندونج أن علمت من مصطفى عبود وكيل الوزارة التى أتولى شئونها أن حسين خليل عبدالناصر (عم

جمال) قد تدخل لدى إحدى الشركات التابعة للوزارة لصالح أحد أصدقائه ، ولما كان عم جمال موظفاً بوزارة الإصلاح الزراعي فقد قمت بإبلاغ هذا التصرف منه إلى جمال سالم لمسئوليته عن تلك الوزارة ، وقد رأى جمال سالم إجراء تحقيق معه فيما هو منسوب إليه ، ولما عاد جمال عبدالناصر من المؤتمر وعرف موضوع التحقيق مع عمه تضايق من هذا التصرف وأخذه بمعان أخرى بعيدة تمام البعد عن الحقيقة».

«وكنت قد علمت بهذا الأمر من زكريا وحسن إبراهيم فاصطحبت معي جمال سالم وتوجهنا إليه لتوضيح هذا اللبس ، وكنا متأثرين منه لحالة الشك التي راودته وعاتبناه عليها ، ومما ذكره جمال سالم له أنه كان يعتقد أنه بهذا الإجراء الذي اتخذه إنما كان يحمي به جمال عبدالناصر ، وأنه قد تصرف كما لو كان هو جمال عبدالناصر نفسه ، كما أن هؤلاء الموظفين الذين يحقق معهم تابعون لوزارته وهو مسئول عن تصرفاتهم ، أما جمال عبدالناصر فقد أشار إلى أن هذا التصرف من عمه كان قد حدث من مدة ولكنه لم يثر إلا أثناء وجوده - أي جمال عبدالناصر - بالخارج حتى تفهم البلد - على حد قوله - أن عمه كان مستغلاً لنفوذه ، وكان محمياً منه ، ولكنه فقد هذه الحماية بعد سفره إلى الخارج ، وحاولت من جانبي أن أوضح أن الموضوع قد عُرف مصادفة ، ولم أبلغ جمال سالم به إلا لكونه مسئولاً عن تصرفات موظفيه».

«وبعد حديث طويل أظهر لنا اقتناعه بملاحظات الموضوع ، وأن الشك الذي كان يساوره قد زال ، ولكن تبين لي فيما بعد أنه كان لا يزال عالقاً في نفسه».



وفي أحد المواضع من مذكراته يتحدث عبد اللطيف البغدادي عن جلسة مصالحة بينه وبين عبدالناصر من أجل إزالة الجفاء الذي نشأ بينهما فيقول:

«.... وبدأت المناقشة بينه وبينى وفي هدوء تام وكنت أتركه يتم حديثه حتى النهاية ثم أبدأ في ذكر حقيقة الموضوع وأساسه ، فيسكت ولا يعقب على كلامي. حدث هذا في كل مسألة من المسائل التي أثارها».

«وقد بدأ بمسألة عمه والتحقيق معه ، وتلاه بموضوع محاربتى لهيئة التحرير ، وأننى أقوم بتعيين أعضاء مجالس البلديات دون الرجوع إليه ، وبعض المسائل الأخرى ، وكلها مرتبطة بالأعمال التنفيذية ولا أحب أن أشغل القارئ بها».

«وانتهت الجلسة بهذه المناقشة بيننا والتي كانت تدور بهدوء دون أن يرفع أحدها صوته على الآخر ، وكل منا أوضح وجهة نظره دون أى انفعال ، وحمدت الله على أن موقفى كان سليماً وواضحاً وقوياً ، وكان كل ما يهمنى أن يفهم زملائى موقفى على حقيقته من تلك المسائل التى كانت تذكر لهم ، ولقد وصلت إلى هذه النتيجة وشعرت بعدها براحة نفسية كبرى لم أكن قد شعرت بها من مدة».



وهذه فقرة من الفقرات التى يحسن بنا أن ننقلها عن البغدادي فى تقسيمه لدور عبدالناصر فى ١٩٦٤ ، أى فى الفترة التى شهدت استقالته الأخيرة ، ونحن نراه يصف عبد الناصر دون مواربة بأنه أصبح يستهين بالرأى العام ، بل يتحدى مشاعر الشعب.

«.... كما أن إصرار جمال على تعيين على صبرى رئيساً لمجلس الوزراء رغم فشله الواضح كرئيس للمجلس التنفيذى قبل ذلك التعيين مباشرة ، ورغم موقف شقيق زوجته جمال فؤاد أيضاً فى قضية الاستيراد والتصدير المعروضة حالياً [هكذا فى النص لأن البغدادي يشير إلى أنه كتب مذكرات يومية..] على القضاء ، واتهامه فيها بالرشوة ، وما يدور حولها كذلك من لغط كثير بين أفراد الشعب ليدلُ على أن «جمال» قد أصبح يستهين بالرأى العام ، بل ويتحدى مشاعر الشعب كذلك أو أن الغرور قد تملكه».



ومن المهم أن نقرأ بعض ما قدمته الأدبيات المكتوبة عن الثورة من وجهة نظر من خلفات الرئيس عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادي .

يروى الأستاذ أحمد حمروش فى كتابه عن ثورة يوليو أن عبد اللطيف البغدادي قدم استقالته الأولى عام ١٩٥٤ خلال أزمة مارس ، ويحصر حمروش السبب وراء هذه الاستقالة فى تمسك البغدادي بالمبدأ عندما رفض الموافقة على عودة محمد نجيب وكان قد سبق له عدم الموافقة على خروجه أيضاً :

«..... كانت بداية احتجاج عبد اللطيف البغدادي على تصرفات عبد الناصر وانفراذه برأيه ، وكانت الاستقالة على هيئة أسئلة وعلامات استفهام مستنكرا من خلالها أن يكون قد سعى وراء القوة والسلطة والسلطان ، أو أنه يحاول فى يوم أن يركز السلطة فى يديه ، ومن الواضح أنه كان يقصد بهذا الاستفهام الاحتجاج على أسلوب

جمال عبدالناصر بالذات بطريقة غير مباشرة ، وهو ما فهمه وأدركه عبدالناصر ، وقد قرأها كمال الدين حسين أمام مجلس قيادة الثورة مما جعل عبد الناصر يخرج غاضبا ويقول : « هو إحنا جايين هنا علشان تلقحوا علينا بالكلام » وغادر المكان لفترة ، ثم عاد ليعانق البغدادي قائلا له : « أنا نزلت إلى مكتبي تفاديا للصدام معك ، فقد كنت فى حالة عصبية ».



ربما نعود مع الأدبيات المتاحة عن تاريخ الثورة لتأمل مظاهر مبكرة لهذا الشقاق بين الرجلين.

يورد سامى جوهر فى كتابه «الصامتون يتكلمون» نصا كاملا لاستقالة عبداللطيف البغدادي من مجلس قيادة الثورة « فى ١٤ أبريل ١٩٥٤ » وهذا هو النص :

« إخوانى .. أعضاء مجلس قيادة الثورة ..

أتقدم اليكم كقضائى لأنه لا يملك أحد بمفرده أن يتصرف فى أمرى فالأمر أمركم أنتم .. وأقول .. إنه قد تبين لى فى جلسة ١١ أبريل ١٩٥٤ أنكم كلكم «رسل» إلا أنا «بشر» ... ولاحظت سكونكم ولم يعترض أحد منكم ، أى أن ما كان يلمسه أحدكم كتم جميعا تلمسونه ».

« وإذا كانت هذه حقيقة فيحق لكم ألا يتواجد هذا البشر بينكم ».

« كما أننى لا أنكر عليكم أننى أخذت أبحث عن تلك الرواسب التى فى نفسى وأحللها لأتبين حقيقة أمرى ونفسى ولأعمل على علاجها ما استطعت ، ولأحاول أن أعود إلى زمركم وقلت لنفسى : تذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين .. وفشلت فيما مضى منذ يوم قيام الثورة حتى الآن ».

« وقلت لنفسى : هل سميت يوما وراء السلطة والسلطان ؟ ».

« وهل وقفت يوما موقفا معيبا من أعضاء هذا المجلس ؟ وهل سميت يوما وراء القوة وحاولت تركيز السلطة وثقلها بين يدي لتأتى الناس إلى تسعى لأنهم يحبون القوة ويخشونها طالما تتحكم فى لقمة عيشهم ؟ ».

« وهل انحرفت عن مبادئ الثورة ومثلها التى اعتنقتها من قبل قيامها ؟ ».

«وهل لمت أحداً لأنه يتدخل فى اختصاصاتى ، وسمحت لنفسى بهذا التدخل ؟ أو سعت إليه؟».

«وهل كنت سببا فى إيجاد خلاف أو انقسام داخل هذا المجلس».

بعد هذا التلميح الواضح والتعريض المباشر بأسلوب أداء الرئيس عبد الناصر يبدأ البغدادي فى نفي هذه الأخطاء عن نفسه ويقول:

«كلا يا إخوانى .. والله بحثت وفتشت لم أجد ما يمس كل هذه المبادئ ، ولكننى وجدت نفسا طاهرة نقية عيبتها أنها تكره الطغيان والاستبداد ، تعلمت الحرية واعتنقتها فأمنت بحرية الرأى والفكر والاستقلال فى إبداء الرأى مهما كانت النتائج . تعلمت الصراحة فكانت سببا فى شقائى وتعب الآخرين منى .. وهناك ضمير يحاسب تلك النفس على ما تقوله أو تفعله .. وهى تعلم أن هناك قاضيا سيحاسبها فى يوم من الأيام ولكنه ليس بقاض سياسى وإنما هو قاضى التاريخ الذى يسعى دائما وراء الحقيقة وهو الذى يظهرها ويكشفها للناس مهما طال عليها الأمد .. هذا القاضى ستقفون أمامه فى يوم من الأيام لا مفر من ذلك».

«كان هناك رادع آخر بجانب ضميرى أعمل له ألف حساب هو ذلك القاضى العادل .. قاضى التاريخ».

ثم يبدى البغدادي حيرته أو اعترافه بعدم القدرة على الاستمرار على هذا النحو حين يجد هذه الصفات وقد أصبحت محل انتقاد ووصفت بأنها رواسب ، ويصل البغدادي فى نهاية كتاب استقالته هذه إلى أن يهدد زملاءه جميعاً بأنه إذا كان اليوم لهم ، فإن الغد سيكون عليهم !!:

«وإذا كانت يا إخوانى الصراحة فى القول وحرية الرأى والفكر ، ومقاومة الطغيان والخوف من هذا القاضى الذى لا يحابى أحدا .. كل هذه رواسب يجب إزالتها .. فأقول لكم إنه لايمكننى أن أزيل تلك الرواسب من نفسى لأنها قد امتزجت بى وامتزجت بها وأصبح من العسير الفصل بيننا».

«ولكن لما كنت أضع مصلحة الوطن فوق كل اعتبار .. لذا أترك لكم حرية التصرف فى أمرى وأستحلفكم بالله أن تتوخوا الصدق والأمانة عندما تبررون تصرفكم معى ،

ولا تذكروا إلا الحقائق وإلا فستقتلون أنفسكم بأيديكم ، فالحقائق لا بد لها أن تظهر فى يوم من الأيام ، واليوم لكم ، وغد عليكم . والله ولى التوفيق....».

عبد اللطيف البغدادى

١٤ أبريل ١٩٥٤



ويروى البغدادى بنفسه وقع استقالته على زملائه حين تلى نص استقالته فى أثناء الاجتماع ، ويؤكد على أنه هو نفسه تأثر بما فى الاستقالة لشعوره بالإخلاص الصادر عنه هو نفسه:

«... وبدأ كمال فى قراءته (أى خطاب الاستقالة) وكان السكون مخيماً علينا جميعاً ، وكنت متأثراً بما جاء فى الخطاب أثناء تلاوته رغم أننى أعلم ما به ، ولكنه هز كيانى لشعورى بإخلاصى وإنكار ذاتى ، وأن ما قيل فى جلسة ١١ أبريل كان كله تجنياً علىّ. ولقد استخدمت فى خطابى كثيراً من الكلمات التى كان قد ذكرها جمال عبد الناصر ، وقصدت أن تكون بطريقة استفهامية ، كما أنى لمحت فيه أيضاً إلى القوة والسلطان ومركز الشغل والانقسام متسائلاً هل سعت إلى هذا أم لا ، ومن الذى سعى إليه».



وهذا تصوير دقيق يقدمه البغدادى لحالته النفسية بعد هذه الاستقالة - المبكرة - بعام حين التقى بصلاح سالم ودار الحديث حول المشكلات القائمة فى مجلس القيادة:

«وانصرفت من عند صلاح (أبريل - مايو ١٩٥٥) وذهبت إلى منزلى وأنا أشعر أننى مقدم على معركة وليس فى يدي أى سلاح غير سلاح الحق وإخلاصى لبلادى وأبناء وطنى ، وساءلت نفسى ماذا أفعل؟ هل أستسلم وأترك الحكم للتاريخ الذى سيظهر الحقيقة فى يوم من الأيام مهما طال عليها الزمن؟ أم تاريخ إيه - على حد قول صلاح - ومن أين سيعرف التاريخ هذه الحقائق؟ وكانت نفسى تنازعنى وتحدثنى ألا أستسلم بل علىّ أن أقاوم مهما حدث ، وأنه ليس من حقى الانسحاب من المعركة لأنها ليست معركتى إنما هى معركة بلدى ، ولكنى أعود ثانية وأحدث نفسى وأقول كيف أقاوم وأنا

مجرد من كل سلاح؟ ولم يكن أمامي غير الصمود والدعاء إلى الله أن يلهمني طريق الصواب .. هذا ما سجلته في يومياتي بعد أن عدت من زيارة صلاح».



ومن المهم هنا أن نستجلى بعض الأسباب التي جعلت البغدادي يصل إلى هذا الموقف وتبدو لنا هذه الأسباب واضحة مما رواه في موضع آخر عن حواراته مع صلاح سالم وما تضمنته هذه الحوارات من وجهة نظر عبد الناصر وعبد الحكيم فيما يتعلق بموقع البغدادي نفسه من كيان الدولة.

يجدر بنا أن نتأمل فيما يرويهِ البغدادي عن صلاح سالم ما يوحى بالحسابات التي كان الرئيس عبد الناصر يحسبها لوجود البغدادي ، وكيف كان البغدادي من ناحية أخرى يشعر بالغيظ من إدراكه أو معرفته المتأخرة بمثل هذه الحقائق.

يقول عبد اللطيف البغدادي :

«.... ويقول صلاح سالم إنه سأل عبد الناصر وعبد الحكيم عن وضع جمال سالم والبغدادي بعد انتهاء فترة الانتقال ، فقيل له «إننا مازلنا نفكر». وأبدى لهما صلاح حلاً مقترحاً أن يتولى جمال سالم رئاسة مجلس الإنتاج ، والبغدادي رئاسة مجلس الخدمات العامة ، حتى يتم إبعادهما - على حد قوله - عن السلطة التنفيذية ولا يصبحا أعضاء في المجلس النيابي. لكن جمال عبد الناصر اعترض قائلاً: «إنك تريد بهذا الاقتراح أن يصبح هناك ثلاثة رؤساء وزارات». كما اعترض عبد الحكيم أيضاً ذاكراً أن معنى هذا أن يصبحا هما اللذين يؤديان الخدمات للشعب ويعملان على زيادة الإنتاج. كما قال جمال عبدالناصر إنه يحاول عدم جمع لجنة التخطيط ، وإنه يعمل على إقامتها تدريجاً وذلك خوفاً من أن يحصل داخلها (Comer) (محور) بين جمال سالم والبغدادي».

«ويقول صلاح إنه بعد ذلك تساءل عن الحل ، ومقترحاً عليهما العمل على تقريب جمال سالم إليهما حتى يتم بذلك عزل البغدادي لوحده. ويقول إن جمال عبد الناصر استجاب لهذه الفكرة قائلاً - على حد قوله - إنها فكرة حسنة».



أما استقالة البغدادي المؤرخة في ٢٤ أغسطس ١٩٥٨ فقد قدمها عندما أصدر عبدالناصر منشوراً (خطاباً دورياً) وزع على نوابه والوزراء وأشار فيه إلى أن البعض يتصل بالصحافة بهدف الدعاية الشخصية ومحاولة إبراز إنجازاته وظن البغدادي أنه

المقصود بهذا ، فاحتج على هذا الاتهام .. ولكن جمال عبد الناصر أرسل له وفدا من زكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وحسين الشافعى وأنور السادات أقنعوه بالعودة حيث عاد يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٨ .

.....
ويشير البغدادي فى حديث له عن فترة تالية إلى هذه الاستقالة فيقول:
«وحاول [أى الرئيس عبد الناصر] أن يؤكد لى هذا المعنى الذى ذكره فأشار إلى الخلاف الذى كان قد حدث بيننا عام ١٩٥٨ وأنه أصر على التمسك بى رغم إصرارى على الاستقالة».

«وهذه الاستقالة التى أشار إليها كنت قد تقدمت بها على إثر خطاب دورى منه كان قام بإرساله إلى جميع نواب الرئيس والوزراء ، وكان قد جاء فيه:
«قد لاحظت فى الأيام الأخيرة الجرى وراء الصحف والصحفيين وتوزيع نشرات عليهم تهدف إلى دعايات شخصية والتسابق فى نسبة الأعمال للأشخاص».

«وكنت قد ذكرت فى استقالتي رداً على ما جاء بهذه الرسالة:
«حاشا لله.. إننا لا نجرى وراء الصحف والصحفيين ، وإن نفسى وعزتى تأبى على هذا ، وأنكم لتعلمون أن كرامتى هى أعلى من أى شىء فى الحياة وعليها تتوقف حياتى كلها بل وسعادتى فى تلك الحياة ، ولم نخرج جنبا إلى جنب ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلا للدفاع عن هذه الكرامة والقتال فى سبيل حريتنا ، ولقد استهان كل فرد منا بالحياة فى ذلك اليوم ، وإننى مازلت أستهين بها حتى الآن لنفس الأسباب ، وإننى أؤمن تمام الإيمان بأن الثورة لا يمكن أن تحقق أهدافها التى سعيينا جميعاً إلى تحقيقها إلا إذا توفرت الثقة المتبادلة بيننا وروح التعاون الكاملة حتى يمكن لنا أن نسير فى الطريق الذى رسمه الله لها. لكننى أشعر أن هذه الثقة لم تصبح بالقوة التى كنت أتمنى أن تكون عليها ، لذا أرجو أن تعفينى من تلك المسئوليات التى أوكلتها لى ، متمنياً لك ولزملائك فى الكفاح النجاح والتوفيق دائماً لما فيه خير الوطن والعرب».

وتفضلوا بقبول احترامى ،

البغدادي

١٩٥٨/٨/٢

وبيلور البغدادي الأسباب التي جعلته يفكر في الاستقالة النهائية ، وهو يجمل هذه الأسباب في عودة عبد الناصر إلى عاداته القديمة التي يحرص فيها على الظهور بمظهر الرجل القوي ، وسيادة مبدأ الحلول الوسط ، وإهمال الرأي الجماعي :

«وكنت قد اعتقدت في البداية أن جمال جاد في قيام التنظيم الذي تقوم فيه الدولة على مجموعة من المؤسسات السياسية ، وأنه حريص على تحقيق ونجاح القيادة الجماعية من أعلى مستوى في القيادة إلى أدنى المستويات فيها ، خاصة أن هذه القرارات التنظيمية كانت قد صدرت على إثر انفصال سوريا من الوحدة والمأساة التي حدثت ، وصدورها لم يكن إلا كدرس مستفاد لنا من أخطاء الماضي ، ولكن سرعان ما نسي جمال هذه المأساة وعاد إلى عاداته القديمة وهي محاولة الظهور بمظهر الرجل القوي وأنه المحرك لكل شيء ووراء كل قرار».

«وعندما تبينت ذلك بالإضافة إلى ما سمي بالحل الوسط وإهمال قرار مجلس الرئاسة ، فكرت في أن أعتزل الحياة العامة وأن أكتفى بالدور الذي قمت به خلال الفترة السابقة من يوم قيام الثورة ، ولاعتقادي أيضاً أن هذا الأسلوب المتبع في الحكم سيؤدي إلى نتائج وخيمة».

وفي موضع آخر يعبر عبد اللطيف البغدادي عن هذا المعنى نفسه بعبارات أكثر تركيزاً وأكثر تحديداً في الهجوم على الرئيس عبدالناصر فيقول:

«.... في سبتمبر ١٩٦٢ كان قد تشكل مجلس الرئاسة كأعلى سلطة في البلاد ولكن بعد فترة أصبح المجلس في عزلة تامة عن مجريات الأمور ولا يملك من السلطة شيئاً وقد اتضح لي أن عبد الناصر كان يخشى على قوته السياسية لذلك لم يكن يريد أن يكون للمجلس فعاليته فجمد سلطاته ، ولأنه لم تكن هناك جدوى من نقد أسلوب عبد الناصر في الحكم فاعتبرت أنني مسئول أمام نفسي والتاريخ والرأي العام لذلك قررت الانسحاب من الحياة العامة ، ورأيت أن آخذ هذه الخطوة مع قيام مجلس الأمة في يوليو ١٩٦٣ وبداية مرحلة جديدة ، ولكن تأجل قيامه حتى مارس ١٩٦٤ فأرسلت استقالتي إلى عبد الناصر يوم ١٦ مارس ١٩٦٤ وتضمنت أنه منفرد بالسلطة وهذا لا يحقق أمن ولا استقرار المواطنين وردا على ذلك حاول عبد الناصر الإساءة إلى ».



ويروي البغدادي في موضع آخر كيف وجد نفسه يوازن بين خيارين متاحين أمامه

وأنه قضى قبل استقالته عدة شهور يحضر فيها الحفلات الرسمية ويخفى شعوره بعدم الرضا ويستعجل مرور الزمن ليأتى اليوم الذى يعتبره يوم الخلاص :

«وكان أمامى أحد حلين.. إما أن أتقدم باستقالتي فوراً أو أن أنتظر حتى تنتقل الثورة إلى المرحلة الجديدة من التنظيم بعد قيام مجلس الأمة فى يوليو ١٩٦٣ [تأجل موعد قيام هذا المجلس كما نعرف إلى مارس ١٩٦٤] ، ثم أستقيل مع بداية تلك المرحلة».

«وقد اخترت لنفسى الحل الثانى وكموقف منى فى سبيل المحافظة على مظهر وحدة المجموعة ، ولاعتقادی أيضاً أن فى ذلك صالح بلدى ولأن أضراره أخف على وطنى ولو أنه أقسى على نفسى».

«ولقد قمت بتنفيذ ما قررته لنفسى ، وكان واضحاً لزملائى أننى متخذ هذه السياسة رغم عدم حديثى معهم فيها ، ولم يفانحنى فى ذلك أحد منهم غير حسن إبراهيم بعد عودتى من لندن التى كنت قد سافرت إليها فى أوائل أغسطس ١٩٦٣ لإجراء عملية جراحية بها وعدت منها فى يوم ٤ أكتوبر ١٩٦٣».

«وكان موعد انعقاد مجلس الأمة قد تأجل من يوليو ١٩٦٣ إلى فبراير من العام التالى ثم إلى مارس من نفس العام بسبب التأخير فى إعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى. وقد اضطررت أن أتحمل تلك المدة الزائدة على يوليو ١٩٦٣ ولكننى كنت أقاسى فيها معنوياً ونفسانياً».

«وكان يهمنى أن أعتزل الحياة العامة فى سكون دون إثارة المتاعب لزملائى عند إعادة التنظيم ، وكنت أتصرف على هذا الأساس ، فأحضر الحفلات الرسمية وأحاول إخفاء شعورى بعدم الرضا ، ولا أذهب إلى مكتبى إلا مرة واحدة فى الأسبوع لاستقبال فيها بعض السفراء الأجانب وبعض المواطنين الذين يرغبون فى مقابلتى».

«وكنت أهدف بذلك إلى تغطية الشكل أمام الرأى العام ومنعاً لإثارة الشائعات».

«وكنت أستعجل مرور الزمن ليأتى اليوم الذى أستقيل فيه وقد اعتبرته يوم الخلاص بما كنت أقاسيه».

ونأتى مع البغدادى إلى اليوم الأخير فى هذه السلسلة من الأيام:

«وكنت أشعر أن الأيام تمر ببطء شديد حتى جاء يوم ٤ مارس ١٩٦٤ ودارت فيه مناقشة بين جمال وكمال ، وبينى كذلك وبحضور باقى الزملاء ، وتقدمت بعدها باستقالتي يوم ١٦ مارس».

وفيما يلي نص استقالة البغدادي التي بعث بها إلى عبد الناصر يوم ١٦ مارس سنة ١٩٦٤ وقد بلور فيها ما سبق له أن ناقشه مع الرئيس عبد الناصر نفسه في ٤ مارس من عدم وضع مبدأ القيادة الجماعية مبدأ التنفيذ ، مما أدى إلى شل فاعلية مجلس الرئاسة ، وهو ما عانى منه صاحب الاستقالة:

« السيد رئيس الجمهورية....

بعد التحية ..

إن موعد انعقاد مجلس الأمة الجديد قد قُرب ومعنى ذلك بداية مرحلة جديدة من مراحل ثورتنا مما يتطلب بطبيعة الحال إعادة تنظيم الأجهزة السياسية وعلى الأخص القيادات العليا منها على ضوء تجارب الماضي .

ولما كنت غير راغب في الاستمرار في الحياة السياسية لأسباب سبق ذكرها في اجتماعنا الأخير بمنزلكم يوم ٤ مارس سنة ١٩٦٤ وهي تتعلق بالمرحلة الحالية من التنظيم كما تعلمون أن مبدأ القيادة الجماعية مبني أساساً على المسؤولية التضامنية والمشاركة في إصدار القرارات وهو أمر حتمي لنجاح مثل هذه القيادة في مباشرة مسؤولياتها ، ولكنه قد ترتب على عدم وضع هذا المبدأ الأساسي موضع التنفيذ عدم قدرة هذا المجلس على القيادة والقيام بواجباته الجماعية وهي في نظري أساسية وضرورية لضمان الأمن والاستقرار السياسي في بلادنا في المستقبل.

ومما لاشك فيه أن هذه النتائج لها انعكاسات على أعضاء مثل هذه القيادة.

وقد تأثرت أنا شخصياً في خلال الفترة الماضية من هذه النتيجة في تحمل تلك المسؤولية الضخمة.

لذا قررت من فترة الانسحاب من الحياة العامة وعدم المشاركة في المسؤولية في المرحلة القادمة من التنظيم التي تبدأ حسب تقديري من أول يوم لانعقاد مجلس الأمة الجديد يوم ٢٦ مارس ١٩٦٤ متمنياً لك وللزملاء دوام التوفيق .»

عبد اللطيف البغدادي



ونحن نرى البغدادي في كل ما روى وسجل ونشر من مذكرات وهو يشكو من

سوء معاملة أجهزة الدولة المختلفة له عندما صمم على استقالته الأخيرة في ١٩٦٤ ، وهو يسهب في ذكر صور هذه الإساءة المنظمة وغير المنظمة ، ولا يقف البغدادي عند هذا الحد ، بل إنه يعبر عن بداية إحساسه بالخوف من عبد الناصر ، وهو خوف غير محدد الملامح ولكنه يتجلى في الخوف من «إجراءات تعسفية» محتملة ، وحين يقوده تفكيره إلى الركون إلى أحد أصدقائه ليحتفظ بيوميته فإنه يفاجأ بأن هذا الصديق قد تعرض هو الآخر لهذه الإجراءات التعسفية التي خشى البغدادي أن يتعرض لها ، وإذا به يفقد وظيفته ، ولم يكن عند المراقبين في ذلك الوقت تفسير لهذا إلا صداقة عبد الرؤوف نافع هذا للبغدادي .

«.... وكنت قد اتصلت بصديقي عبدالرؤوف نافع وطلبت منه الحضور إلى منزلي حتى أسلمه يومياتي ليخفيها عنده ذلك لأنني خشيت أن يقوم جمال بالمزيد من الإجراءات التعسفية معي ، ولكن عندما حضر عبدالرؤوف إلى منزلي علمت منه أن «جمال» قد أمر بإعفائه من منصبه كعضو منتدب لدار الهلال ، وأنه قد علم بالخبر من الأستاذ علي أمين الصحفي قبل أن أتصل به بنصف ساعة فقط ، وأن الدكتور عبدالقادر حاتم وزير الإعلام قد اتصل به أيضاً وأبلغه بالقرار».



ومن المهم أن نعيد تأمل محاولات البغدادي المتكررة للخروج من الحكم ، ونحن نعرف أنه كان بمثابة العضو الذي بدأ التملل المبكر إن صح هذا التعبير ، وقد اعتزل تنظيم الضباط الأحرار قبل الثورة ثم عاد إليه قبل الثورة بوقت قصير على نحو ما ذكرنا ، ويقتضينا المقام أن نشير إلى أن في الأدبيات المتعددة التي خلفها لنا البغدادي نصوصاً بديعة وفريدة تجيد التعبير عن الدوافع التي دفعت به وهو واحد من المشاركين الأوائل في الثورة إلى أن يتخلى - سواء بصعوبة أو بسهولة - عن موقعه المتقدم فيها ، ومن أهم تلك النصوص نص كتبه البغدادي بروح أقرب إلى البرود والتعقل يحاور فيه نفسه ويحاول أن يناقش فيه مدى صواب قراره بالابتعاد:

«... كنت من ضمن الذين اشتركوا في قيام ثورة ١٩٥٢ ، ومن الذين أعدوا لها سنوات قبل قيامها، وقد ظللت متحمساً لها وأعمل من أجلها بكل طاقتي طوال اشتراكي في مسئولية تسييرها بعد قيامها ، وذلك لإيماني بها وبأهدافها وأنها لم تقم إلا

لصالح شعبنا وبلدنا ، وكنت طوال فترة وجودي مشتركاً بها ، أميناً عليها وأعمل لصالحها ، وكنت لا أتردد في قول أو في عمل عندما أعتقد أنه يدعمها أو يجنبها المخاطر والأخطاء».

«وربما أكون قد أخطأت في عمل أو في رأي ولكن عذري أنني كنت أعتقد أنه الصواب ، وربما أكون قد تجنببت الصدام من أجلها في مسائل فرعية ولكنني كنت عكس ذلك فيما أعتقد أنه يمس الأساس الذي قامت من أجله الثورة».

«كانت الثورة جزءاً مني هي بالتشبيه كابني تماماً ، عملت لها وجاهدت في سبيلها سنوات طوالاً قبل وبعد قيامها ، وقد استنفدت من عمري زهاء خمسة وعشرين عاماً. ولم أكن أفكر في البعد عنها إلا عندما أرى أن هذا هو الصواب وأن المسئولية التاريخية تحتم على ذلك».

ثم يبلور البغدادي مشاعره المفعمة بالأسى والأسف في قوله:
«وليس من السهل اتخاذ قرار يبعدك عن شيء عشت له وضحيته من أجله وأضعت جزءاً عزيزاً عليك من عمرك في سبيله».

«واتخاذ قرار البعد عن المشاركة في مسيرة الثورة لم يكن سهلاً على نفسي ، ولا بد أن يكون هناك الأسباب القوية التي جعلتني مقتنعاً تمام الاقتناع أن هذا هو الصواب وأن فيه أيضاً صالح بلدي».

ويصل البغدادي إلى تحديد اللحظة (أو الفترة الزمنية) التي استقر فيها عزمه على الاستقالة والابتعاد ، فيشير إلى أنه وجد نفسه لا يفعل شيئاً ، ولا يؤخذ برأيه حتى في واقعة اعترض عليها كعضو في مجلس الرئاسة عندما عرضت عليه بالتمير:

«كنت قد مرضت وسافرت إلى الخارج لإجراء عملية جراحية هناك ، وعندما عدت في أكتوبر ١٩٦٣ وجدت أن مجلس الرئاسة أصبح لا ينعقد بتاتاً ، ولم يبق من دور يؤديه غير أن ترسل إلى أعضائه بعض المسائل الواردة من مجلس الوزراء للموافقة عليها بالتمير. والمعروف كقاعدة عامة أنه لو اعترض عضو على مسألة مطلوب الرأي

فيها بالتمرير استحالة إصدار قرار بها إلا بعد عرضها على المجلس مجتمعاً ، وكنت قد فوجئت بصدور قرار جمهوري في مسألة سبق أن اعترضت عليها عندما تم عرضها بالتمرير ، ولم يكن قد أعيد عرضها في اجتماع للمجلس».

«وبعد هذه الواقعة رأيت أن أمتنع عن النظر في أية مسائل مطلوب الرأي فيها بالتمرير ، ونفذت ذلك بأن أصدرت أوامري إلى مدير مكتبي بأن يعيد مثل هذه المسائل إلى سكرتير عام مجلس الرئاسة ثانية دون أن يفض غلافها».



ما يذكره البغدادي نفسه في حديثه لنصف الدنيا (١٩٩٦) ملخصاً استقالاته العديدة بطريقة استرجاعية ومقارناً بينها وبين استقالات عبد الحكيم عامر بصفة خاصة ، وهو يركز على فكرة أنه كان يختلف على المبدأ على حين كان عبد الحكيم عامر كان يستقيل عندما تتعرض سلطاته للتقلص:

« قدمت ٨ استقالات كلها موضوعية ، وعلى مبدأ ، فكثيراً ما كنت أختلف مع عبد الناصر في وجهات النظر ، وكان لا يحتمل أن يعارضه أحد أو يختلف معه ، أما بالنسبة لعبد الحكيم عامر فقد كان الصديق الصدوق لعبد الناصر ، ولم تكن هناك نقطة خلاف بينهما تجعل عامر يقدم استقالته لكنه كان يقدمها عندما يشعر أن سلطته تهتز».



ويهمنا أن ننقل للقارئ ما يرويه صلاح نصر في مذكراته عن هذه الجزئية حيث يقول :

«.... وكان عبد الناصر قد قرر تأميم بعض الشركات والمؤسسات فدعا مجلس الرئاسة إلى الانعقاد في مدينة الإسكندرية في شهر أغسطس سنة ١٩٦٣ ، ووافق المجلس على قرار التأميم».

«وكان بغدادي وكمال الدين حسين يعارضان التأميم بحجة أنه اعتداء على الحريات.. وبدأ الصراع داخل مجلس الرئاسة يبدو جلياً ، وبخاصة بين أعضاء مجلس الثورة المنحل.. والواقع أن الاختلاف الأيديولوجي بين أعضاء مجلس الثورة الباقيين في مجلس الرئاسة ، فضلاً عن الصراع على منصب خليفة عبد الناصر ، كانا من الأسباب الرئيسية لتفكك القيادة الثورية في مصر».

«كان عبد الناصر قد أصبح متأثراً بالنظرية المادية التي سيطرت على فكره وسلوكه.. وظهر كمال الدين حسين يعارض هذا الخط ، ويطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية ، والابتعاد بالثورة عن الخط الماركسى.. وكان جمال عبد الناصر واضحاً في سلوكه ، ولم يخف تأثره بأفكار ماركس ، وإن كان ينفي بشدة انتسابه للشيوعية».

«كان عبد الناصر يرى أن الاشتراكية لن تتحقق في مصر إلا بمزيد من القرارات الاشتراكية ، وكان يعلن دوماً أن الاشتراكية ليست لها حدود ، وينبغي أن تصل إلى حد ملكية الشعب لوسائل الإنتاج.. وكان البغدادى يعارض هذا الخط.. وأحس عبد الناصر أن المعارضة في مجلس الرئاسة سوف تحدد من سلطاته.. وقرر بينه وبين نفسه التخلص من البغدادى وكمال الدين حسين ، لقد بدا له أن هناك تكتلاً ثلاثياً بين كمال الدين حسين وبغدادى وحسن إبراهيم».

«وفي إحدى مقابلاتي مع عبد الناصر في شهر مارس سنة ١٩٦٤ قال لى :

- «أنا قررت أحط النقط على الحروف.. سوف أعين عبد الحكيم نائباً أول وأخلص من مشكلة الأقدمية في مجلس الثورة».

«واستطرد عبد الناصر يقول:

- «ها أعمل إيه.. عبد اللطيف البغدادى عاوز يعمل ريس وكمال الدين حسين حقوق».

هكذا يبلور صلاح نصر بعبارات صريحة رأياً ينسبه إلى الرئيس جمال عبد الناصر فيما يتعلق بهذين الزميلين ، ومن العجيب والطريف أن هذا الرأى نفسه كان يُنسب أيضاً إلى الرئيس السادات بطريقة مماثلة.



ويشير صلاح نصر في مذكراته إلى أحد أسباب الخلاف بين عبد الناصر من ناحية والبغدادى وآخرين من زملائه من ناحية أخرى ، فيقول :

«وتفجر أول خلاف على الاشتراكية داخل مجلس الثورة المنحل ، وتربع على عرش المعارضة عبد اللطيف البغدادى وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين.. وقد أشرت أنهم لم يكونوا سعداء بما اتخذ عبد الناصر من إجراءات عام ١٩٦١».

«وفي الشهور الأخيرة من عام ١٩٦٣ ، علم البغدادي بأن المشير عبد الحكيم عامر سوف يُعين نائبا أول للرئيس ، وقد تم هذا الإجراء بعد مصرع الرئيس كيندي في نوفمبر سنة ١٩٦٣ ، إذ رأى عبد الناصر أن يعين خليفته ، مع أنه كان هناك دافع آخر وراء هذا القرار يكمن في رغبة عبد الناصر في وقف الصراع بين نوابه الخمسة».

«وعارض البغدادي تعيين المشير عامر نائبا أول ، لسبب واحد هو أن عبد الحكيم أصبح المرشح الوحيد ليكون خليفة عبد الناصر ، وكان بغدادي يعد أقدم في ترتيب مجلس الثورة منذ بدايتها».

«واستقال عبد اللطيف البغدادي مع حسن إبراهيم وكمال الدين حسين».

الفصل الثاني : علاقة الرجلين بعد ابتعاد البغدادي عن السلطة

من الفقرات المهمة في مذكرات البغدادي فقرة يتحدث فيها البغدادي إلى نفسه في هذه المذكرات محاولاً التخلص من المرارة من صدور قرار بفرض الحراسة على شقيقه عند اعتقاله بالحكم في ١٩٦٤ ، وهي فقرة تدلنا على أن عبد الناصر لم يكن يأبه كثيراً بالدقة والصدق في تواريخ صدور قراراته وغير ذلك من شكيليات القرار [وقد تناولنا في كتابنا «مذكرات وزراء الثورة» نقلاً عن ثروت عكاشة في مذكراته قصة تصرف شبيهة بمثل هذا التصرف حين أصدر الرئيس عبد الناصر قراراً بتعيين ثروت عكاشة رئيساً للبنك الأهلي بتاريخ سابق] ، وهذا هو البغدادي يقول:

«... وكنت قد علمت فى يوم الأربعاء ٢٥ مارس أن الذين كلفوا بوضع الاختام على مكتب شقيقى هم من جهاز المباحث العامة ، وأنه قد طلب بعد ذلك من إدارة الحراسات أن تتولى الأمر ، ولكن المسئولين فيها كانوا فى حيرة من أمرهم ولا يعرفون كيف يتصرفون ، لأن قراراً كان قد صدر بإلغاء تلك الإدارة يوم ٢١ مارس ١٩٦٤ ، وليس هناك أيضاً من سند قانونى لهم لتنفيذ أمر الحراسة لأنه صدر بتاريخ ٢٤ مارس وبعد إلغاء تلك الإدارة».

«ولكننى علمت فى مساء نفس اليوم أن تعليمات جديدة قد صدرت إلى إدارة الحراسات بأن تعتبر أن قرار فرض الحراسة كأنه صدر بتاريخ ١٣ مارس وليس بالتاريخ السابق الذى صدر به ، واستغربت التصرف ، ولذا جاء فى يومياتى تعليقاً على ذلك: إننى لا أعرف كيف رضى جمال لنفسه أن يتخذ هذه الخطوة وأن يغير من تاريخ القرار بعد أن أطلع عليه موظفون صغار ، وأن يعتدى بهذا الشكل على القانون الذى أصدره ولم يجف حبره بعد ، وعلى الدستور أيضاً الذى أعلنه فقط فى اليوم السابق لإصدار هذا القرار بالحراسة».

«ولا أعرف أيضاً لماذا اختار جمال يوم ١٣ مارس بالذات ، هل حتى يصبح وكأن خطاب استقالتي لاحق لهذا القرار منه ، وهل هو لا يعلم أن الحقيقة لابد أن تتضح فى يوم من الأيام ، وهل هو نسى أيضاً أننى أشرت فى خطاب استقالتي إليه أن الأسباب التى تدفعنى إلى الانسحاب من الحياة العامة قد سبق لى أن ذكرتها يوم ٤ مارس عندما اجتمعنا فى منزله ، وخطابى إليه ما هو إلا تأكيد لهذا الذى سبق أن قلته يوم الاجتماع».



ويحاول عبد اللطيف البغدادي فى مذكراته أن يختزل [أو يتجنب] التعبير عن ألمه من المضايقات التى بدأت أجهزة مسئولة توجهها له قبيل استقالته ، وعلى الرغم من هذه المحاولة فإنه لا يستطيع أن ينكر أن هذه المضايقات قد أثرت على نفسيته وعلى حياته:

«.... وفى يوم ٢٦ يونيو جاء وجيه أباظة لزيارتي وأخبرنى أنه يلمس فى هذه الفترة أن هناك شائعات منظمة تطلق ضدى ، وأنه يعلم الشائعات المنظمة من غيرها [يقصد أنه يستطيع تمييزها]. وذكر لى بعض هذه الشائعات ، وكلها غير صحيحة ، وطلب منى أن أسمح له بزيارتي من حين لآخر فى هذه الآونة ليلغنى بما يسمعه أولاً بأول ، وذاكراً صداقتنا الطويلة وأنى السبب فى إشراكه فى هذه الثورة».

«وكان قد حصل لى كثير من المضايقات خلال تلك الفترة ، وليس هناك ما يدعو لذكر تفاصيلها هنا ، وهى مسجلة فى يومياتى . ونتج عن هذه المضايقات المستمرة أن شعرت فى يوم الاثنين ١١ يوليو عندما ذهبت إلى مكتبى لمباشرة مسئولياتى ، أننى غير مبال للعمل إطلاقاً ، بل إن عقلتى قد توقفت عن التفكير ، وأنه غير قادر على التركيز ، ولم أتمكن من حصر ذهنى فى الموضوعات التى عرضت علىّ ، وقد تكرر هذا معى خلال تلك الفترة الأخيرة ، وأعتقد أنه نتج بسبب ضغطى على أعصابى ، وتحميلها أكثر من طاقتها ، بدل أن أترك لها الزمام للانفجار حتى تستريح وترتاح نفسى كذلك ، ولأننى لم أكن قد تعودت على أن أهاجم وأن آخذ موقفاً سلبياً من هذا الهجوم ، وهذه ليست طبيعتى التى أعرفها ، وكنت أعرف أنى لو تركت لنفسى الزمام لتسبب عن ذلك ضرر بالبلاد ، وهو ما لا أرضاه لنفسى ، لذا كنت أجدنى مضطراً إلى الضغط على أعصابى وعلى نفسى ، وما كان يشغل بالى هو إلى متى يمكن أن تتحمل أعصابى لهذا الضغط . وكنت أدعو الله أن يشد من أزرى ويجعلنى صابراً هادئاً . وفى هذا اليوم اضطررت أن أغادر مكتبى دون أن أستكمل عملى عندما شعرت بهذا الملل وعدم القدرة على التركيز» .



والشاهد أن مذكرات صلاح نصر فى بعض فصولها تلقى كثيراً من الضوء على طبيعة تصرفات الرئيس عبد الناصر مع عبد اللطيف البغدادى وزملائه الآخرين بعد ابتعادهم عن السلطة ، ويصل صلاح نصر إلى التصريح بمدى حرص عبد الناصر على الانتقام من عبد اللطيف البغدادى وإيذائه وهو يقول ما نصه :

«.... بعد استقالة البغدادى وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم ، قام عبد الناصر بمراقبة تليفوناتهم من جهاز المراقبة القائم فى منزله .. وتطوع أهل الدس والوقية فنقلوا لعبد الناصر أن البغدادى يهاجمه فى مجالسه الخاصة ، وينتقد استغلال الليثى عبد الناصر لشقيقه جمال للإثراء ، وفرض سيطرته على مدينة الإسكندرية .. وثار عبد الناصر ثورة عارمة ، فأمر بوضع سعد البغدادى شقيق عبد اللطيف البغدادى الذى كان يعمل فى مجال الاستيراد والتصدير تحت الحراسة .. ولكن تبين لعبد الناصر أن سعد البغدادى لم يكن له رصيد فى البنوك ، وجاءت إلى ذهن عبد الناصر فكرة كاد ينفذها لولا أننى أثنيته عنها» .

«قال لى عبد الناصر :

«سوف أصدر أوامر للمباحث العامة بتفتيش [منازل] أسرة البغدادي في القاهرة وشاوة (قرية البغدادي) .. دول عاينين فلوسهم في البيوت».

«قلت له:

«دى تبقى فضيحة لك ، وبخاصة لو لم نجد ما تبحث عنه .. لا داعى لهذه الإجراءات التى ستترك فى النفوس آثارا بغيضة لن تمحى».

«قال عبد الناصر:

«أنت عارف البغدادي قال إيه لما وضعت أخيه تحت الحراسة .. قال: أحسن لعبد الناصر يحط الليشى الللى واكلها من كل ناحية».

.....
هكذا يروى صلاح نصر دون أن يعقب على المقارنة بين كل من الرئيس عبد الناصر والبغدادي... بل هكذا يروى عبد الناصر نفسه [على حد رواية صلاح نصر] دون أن يعقب على ما نسب إلى البغدادي من مثل هذا التعقيب الجارح الحاد.



ويشير صلاح نصر إلى أنه كان صاحب الفضل فى كبح بعض تصرفات الرئيس جمال عبد الناصر ، وهو يعترف فى ذات الوقت بأن قلب عبد الناصر كان يمتلئ برواسب من الحقد من البغدادي وأسرته وهو يقول ما نصه بالحرف الواحد:

«ونجحت فى إقناع عبد الناصر أن يلغى فكرة التفتيش ، ولكن قلبه كان يمتلئ برواسب من الحقد على البغدادي وأسرته».



ومع هذا فإن عبد الله إمام - كما هو متوقع من توجهاته وأسلوبه فى الانحياز التلقائى ضد أى موقف يهاجم صورة عبد الناصر - يورد فى كتابه « عبد الناصر والحملة الظالمة » وجهة نظر مخالفة انفرد بها من أجل ما يظن أنه إنقاذ ماء وجه عبد الناصر ويشكك عبد الله إمام فى مغزى قصة وضع شقيق أحد أعضاء مجلس الثورة تحت الحراسة ويؤكد أن هذا القرار الذى أصدره عبد الناصر لم يكن لسبب شخصى ، ونحن ننقل هنا نص عباراته كما هى مع الاعتراف بحاجتها إلى الترابط :

«... الحقيقة أن الشقيق وضع تحت الحراسة بناء على مذكرة تقدمت بها الرقابة الإدارية، وكان رئيس الهيئة العامة للإصلاح الزراعي الدكتور أحمد عامر النشترى قد تقدم بمذكرة «صادر رقم ٣٥٦ بتاريخ ١٩٦٥/٥/٢» إلى رئيس الرقابة الإدارية شرح فيها المخالفات التي ارتكبها شقيق العضو والتي أدت إلى تحويله لنيابة أمن الدولة هو وبعض السادة مهندسي إدارة الميكانيكا والكهرباء بالهيئة .. وقد رأت النيابة الإدارية محاكمة المهندسين تأديبياً وتمت محاكمتهم التأديبية بتاريخ ١٤ فبراير ١٩٦٥ وأخطرت الهيئة بالجزاءات التي توقعت عليهم. أما السيد شقيق عضو مجلس الثورة فقد وضع تحت الحراسة فلم تكن القضية التي حققت فيها النيابة، وحولت إلى المحكمة، وشاركه فيها عدد من المتهمين سجن معظمهم، تتعلق بخلاف بين عضو مجلس القيادة وعبد الناصر، وإن وضعه تحت الحراسة لم يكن أبداً لأسباب شخصية».

انتهت رواية عبد الله إمام، وهي رواية لم تذكر البغدادي بالإسم وإن كان السياق كافياً جداً للإشارة إليه، ولكننا نلاحظ على هذه الرواية بعض التناقض في التواريخ من ناحية، وفي الأسباب والنتائج من ناحية أخرى، وفي المبررات والتعقيبات من ناحية ثالثة .. ولكن الحرص الشديد من جانب عبد الله إمام يتجلى في إيراد رقم وتاريخ للصادر، مما يحدث الأثر العكسي للمقصود بالقصة أو الرواية، لأنه يدل على تبيت النية في المقام الأول !! ونحن نلاحظ أن ما يورده عبد الله إمام يكتفى بالعموميات دون أن يحدثنا عن نوعية المخالفات وعن الجزاءات عن هذا الجرم المنسوب إلى شقيق عضو مجلس قيادة الثورة كما يقول.

ونواصل قراءة ما يرويهِ عبد اللطيف البغدادي في حديثه عن شكواه من معاملة عبد الناصر رافياً أن زوج ابنته قد تعرض للإيذاء بسببه، وهو يقول :

«... ورغم هذا فلم يقف إيذاء جمال عند هذا الحد، لكنه تعده أيضاً إلى زوج كريمتي المهندس محمد محمود نصير. وهو كان يعمل بالخارج في الأعمال الحرة ومقيم في لندن منذ أن تزوج ابنتي بعد استقالاتي بشهور قليلة. وكان قد حضر مع زوجته وطفله الصغير إلى القاهرة في إجازة لمدة أسبوع في شهر نوفمبر عام ١٩٦٦. ولكنه مُنع من السفر عندما أراد العودة إلى عمله وحجز في مصر، ووضع اسمه في القائمة السوداء».

«وقد ضايقتني هذا التصرف من جمال ولكنني لم أحاول الاتصال به لرفع هذا الظلم الذي وقع على زوج ابنتي. وقد طرق زوج كريمتي جميع أبواب معارفه وهم كثيرون ومنهم زكريا محيي الدين وهيكل ، ولكن جمال صمم على موقفه ، ولم يستجب لأحد».

«ولقد تحطم ما كان قد بناه زوج ابنتي بالجهد الشاق والعرق وضاع عليه جهد عامين. وظل بالقاهرة يبحث عن عمل له لعدة شهور دون جدوى إلى أن عينه هيكل في جريدة الأهرام ليتولى أمر وحدة العقل الحاسب الذي أنشئ بالجريدة ، وهو كان ذا خبرة سابقة في هذا العمل قبل أن يتجه إلى الأعمال الحرة».

«ومن الطبيعي أن هذا التعيين لم يتم إلا بعد أخذ موافقة من جمال عليه. ولم يكن هناك من سبب لهذا الإجراء الذي اتخذه جمال ضد زوج ابنتي غير أنه كان قد استقبل مع زوجته من المسئولين في الأردن أحسن استقبال مجاملة منهم لى. وكان قد سافر إليها في عمل قبل منتصف عام ١٩٦٦. ولكن لما أبلغ جمال بهذا الاستقبال لهما انتابه الشك ، واعتقد خطأ أن زوج ابنتي موفد من قبلى في مهمة سياسية».

«وقد دفعه هذا الشك إلى أن يضع تحركاته تحت المراقبة السرية فى الخارج ولفترة بعد هذه الزيارة ، ولما لم يجد شيئاً أراد - على حد قوله - أن يريح نفسه وحتى يصبح تحت نظرهم فحجزه فى مصر ومنعه من العودة إلى عمله ، وكنت قد علمت أن هذا هو السبب الرئيسى فى هذا التصرف منه من أحد الزملاء الذى كان لا يزال مشاركاً فى المسئولية فى ذلك الحين».



ويتحدث البغدادي عن بعض الإجراءات التعسفية الصغيرة التى اتخذها الرئيس عبدالناصر ضده:

«وقد اتخذ جمال إجراءات أخرى أوديت بها حتى معاشى لم يسلم من التخفيض ، كما نبه على الصحف أيضاً بعدم ذكر أسمائنا فيها حتى فى الشكر على التعازى ، ولم ينج بعض أصدقائى من الفصل من عملهم لا لسبب إلا لأنهم استمروا فى علاقاتهم معى ولم ينقطعوا عن زيارتى».

«ولست أبغى ذكر تفاصيل هذه الإجراءات وإنما أردت أن أبين بما ذكرته أن مثل هذه

التصرفات التي كان يتخذها جمال كانت تصدر كرد فعل منه لأي سبب من الأسباب يدفعه إلى الشك أو الانفعال».

«ولكنه كثيراً ما كان يلغى مثل تلك القرارات التي يكون قد اتخذها ضد بعض المواطنين عندما يعلم أن مَنْ صدر ضده القرار قد اتخذ موقفاً فيه تأييد أو دفاع عنه».

«وقد عرف البعض من المقربين إليه هذه الخصلة فيه، وكانت تستغل منهم في رفع ضير يكون قد وقع على أحد أصدقائهم أو معارفهم ، كما كانت تستغل أيضاً في دفعه إلى إيذاء مَنْ يودون إيذائه باختلاق تصرف يدعون أنه قام به ويعلمون أنه سيكون له رد فعل عنده».

وفي حديث البغدادي المطول للأستاذ صلاح منتصر (مجلة أكتوبر ، يوليو ١٩٨٨) تفصيلات كثيرة عن بعض صور المعاناة التي عاناها بعد استقالته في ١٩٦٤ ، ومن هذه التفصيلات ننقل قصة التضييق على زوج ابنته محمد نصير ، وهو التضييق الذي تطور إلى تلفيق حتى امتلأت ملفات بتقارير كانت كفيلاً بزيادة أسباب القطيعة بين الزميلين عبدالناصر والبغدادي:

«... وفي خلال سنوات القطيعة فلقد تعرضت لوقية لم أعرف بحقيقتها إلا فيما بعد وفاة عبدالناصر ، وكان من بين الضغوط وأسباب الوقية التي تعرضت لها محمد نصير زوج ابنتي وكان قد تزوج ابنتي شيرين في يونيو ١٩٦٤ وقد غادر مصر مع زوجته للعمل في لندن ، وبعد سنتين في ١٩٦٦ عاد إلى القاهرة ولكنه عندما أراد السفر مرة ثانية فوجئ بأن اسمه موضوع على قائمة الممنوعين ، وحاول أن يجعلني أتدخل وأكلم له عبد الناصر لكنني رفضت وقلت له يومها إنه حتى لو وصل الأمر إلى «نأكلها عيش وبصلة» فلن أتكلم أبدا.. وراح محمد نصير يتصرف وحده ويجري اتصالاته إلى أن جاءني يسألني إذا كان يقبل عرضاً من الأستاذ هيكل بالعمل في الأهرام ، وقلت له على الفور: لازم تقبل ، لأنك إذا لم تعمل مع هيكل فلا يمكن أحد سيقبلك في العمل معه. وكان اعتقادي أن هيكل لا بد أنه أخذ موافقة عبد الناصر على عمل محمد نصير في الأهرام ، كما كان اعتقادي أيضاً أن ما تعرض له محمد نصير كان بسبب دعوة وجهت إليه في أثناء وجوده في لندن من الشريف ناصر خال الملك حسين لزيارة الأردن عندما تعرف عليه وعرف أنه زوج ابنتي ، وقبل محمد نصير الدعوة وقام بالفعل بزيارة الأردن وهو في طريقه إلى القاهرة ، وقد فوجئ في الأردن

بترتيبات الاستقبال والحفاوة التي قوبل بها هو وزوجته ، وكان من بين ما حدث مثلاً أن الشريف ناصر أقام لهما حفل عشاء وبحضور جميع الوزراء وزوجاتهم ، وفي أثناء العشاء قال لمحمد نصير إنه إذا كان يريد إجراء أى اتصال خاص بالعمل فمجلس الوزراء كله أمامه ويستطيع التحدث فى أى موضوع ، وفى اليوم الثانى تلقيا دعوة من وزير الداخلية ، وفى اليوم الثالث دعاهما ولى عهد الأردن على العشاء...».

«فيما بعد عرفت أنه تم إبلاغ عبد الناصر بأن زوج ابنتى يهاجمه فى أحاديثه وهو ما لم يكن صحيحاً ، فكان أن قال عبد الناصر للذين أخبروه: «خلاص خليه جنبنا هنا وراقبوه».. وقد تحدث معى عبد الناصر فى بداية عودة علاقتنا سنة ١٩٧٠ عن هذه التقارير وقال لى: «على العموم إحنا شغلناه فى الأهرام وبمرتب كبير».. وبعد وفاة جمال عبد الناصر وفى أثناء زيارة لأنور السادات لى بمنزلى فإنه شاهد محمد نصير وطلب إليه أن يذهب إلى أشرف مروان سكرتير شئون المعلومات للرئيس السادات فى ذلك الوقت [هكذا تعقب المجلة أو البغدادي من أجل التعريف بأشرف مروان.. وربما كان الأفضل للمجلة أن تعرفه بأنه زوج ابنة عبدالناصر ، وأنه هو الآخر رجل الأعمال المشهور ، أو باختصار فإن أشرف مروان ومحمد نصير نظيران مع الفارق بالطبع] ويطلع على ملف التقارير التى كانت تكتب عنه ، وبالفعل ذهب محمد نصير ووجد ملفاً متنفخاً من كثرة التقارير التى كانت ترسل عنه ، وكانت كلها تلفيقاً وكذباً.. ولا بد أن الذين كانوا يكتبون هذه التقارير - بهدف زيادة أسباب القطيعة بينى وبين عبدالناصر - لم يكن كما قلت يسعدهم إطلاقاً أن أعود مرة أخرى».



هكذا ساءت علاقة البغدادي بعبدالناصر بعد اعتزاله السلطة وتعددت المضايقات التى تعرض لها البغدادي عقب ابتعاده عن السلطة فى ١٩٦٤ .

ومن المهم أن نشير إلى حقيقة مهمة وهى أن علاقة عبد الناصر بزملائه الذين اعتزلوا العمل السياسى لم تكن منقطعة تماماً ، وإنما كانت شأن علاقة المصريين بعضهم ببعض تخضع للشد والجذب والمد والجزر دون أن يعنى ذلك شيئاً محدداً.



ولست أظننى فى حاجة إلى أن أفيض أكثر من هذا فى الحديث فى هذه الناحية من علاقة البغدادي بعبد الناصر أو بغيره من زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة فقد

صدرت فيها كتب كاملة وفصول كاملة من كتب فضلاً عن أن مذكرات عبد اللطيف البغدادي حافلة بكل تفصيلات العلاقة مع عبد الناصر على مدى السنوات التي عاشها.

ولكنني أجد من الضروري أن أتناول بشيء من التحليل البسيط موقفين مهمين يلقيان الضوء على علاقة الرجلين ولكنهما استخدمتا - حتى الآن - في أدبيات تاريخنا المعاصر بطريقة بعيدة كل البعد عن المنطق والموضوعية والعقلانية.

الموقف الأول يتعلق بهذا التقارب العاطفي الذي حدث بعد عام من القطيعة ، ذلك أن البغدادي اعتزل المناصب التنفيذية كلها في مارس ١٩٦٤ بانتهاء عهد مجلس الرئاسة وتشكيل المجلس التنفيذي برئاسة علي صبري ، وفي ١٩٦٥ أعلن دستور مؤقت جديد ، وتم الاستفتاء عليه وعلى رئاسة عبد الناصر . وقد نقلت أجهزة عبد الناصر الأمنية « التي كانت نشطة جداً في مثل هذه الجزئيات » أن البغدادي قد ذهب إلى لجنة الاستفتاء ليدلي برأيه ، وكان تسجيل مثل هذا الخبر يعد بمثابة إنجاز كبير لبعض هذه الأجهزة المهمة ، وقد نقل هذا الخبر إلى عبد الناصر الذي كان بطبعه قلقاً وعصبياً ، وقد روى الناس بمن فيهم البغدادي نفسه عن هيك (وهو المصدر المعتمد لهذه القصة) أن عبد الناصر أخذ يفكر في الرأي الذي حرص البغدادي على الإدلاء به : هل هو الموافقة على عبد الناصر أم لا ؟ وهكذا ظل عبد الناصر مستيقظاً حتى اطمأن إلى أن نتيجة تلك اللجنة الفرعية التي أدلى فيها البغدادي بصوته كانت ١٠٠٪ وبهذا انشرح صدر الرئيس جمال عبد الناصر ، وأصدر في اليوم التالي قراراً برفع الحراسة عن شقيق عبد اللطيف البغدادي .

ولأن هذه القصة طريفة (حتى مع ما يعتقده البعض في تفاهة مضمونها) وحافلة بالمشاعر الإنسانية التي لا يليق بنا أن نجملها في سطر أو سطرين ، كما أنها حافلة بأنماط غريبة من تفكير السياسيين فسوف ننقل للقارئ نص رواية الأستاذ محمود فوزي (في كتابه : ثوار يوليو يتحدثون) على لسان البغدادي عن هذه الواقعة حيث يقول :

«... عندما أعلن دستور ١٩٦٥ وبدأ الاستفتاء على رئاسة عبد الناصر للجمهورية.. رفض كمال الدين حسين أن يشترك مرة أخرى في اختياره وبقي في منزله لا يدلي بصوته .. أما عبد اللطيف البغدادي فقد ذهب وأدلى بصوته موافقاً على اختياره رئيساً

للجمهورية. ويعلل [أى البغدادي] تصرفه هذا وأنا أنقله كما قاله تماماً أمام كمال الدين حسين فى كابيته.. إنه قبل الذهاب الى اللجنة أخذ يوازن بين إيجابيات عبد الناصر وسلبياته فى الماضى .. فوجد أن كفة إيجابيات الماضى ترجح .. وأخذ يوازن بين كفته فى المستقبل ، وكفته فى الماضى فوجد أن يترك له فرصة فرما يعود إلى ما كان عليه فى الماضى.. وأعطاه صوته .. ويضيف إنه سمع من محمد حسنين هيكل أن عبد الناصر لم ينم فى ليلة الاستفتاء إلا بعد أن علم نتيجة صناديق الاقتراع فى لجنة البغدادي بعد أن وصله علم أنه أدلى بصوته ، وجاءت النتيجة ١٠٠٪ وتؤكد أن البغدادي أعطاه صوته.. وفى اليوم التالى مباشرة أصدر قراراً جمهورياً برفع الحراسة عن شقيقه سعد البغدادي وأعاد له جميع ممتلكاته.. وكأن شيئاً لم يحدث.. هكذا كان ينص القرار».

ولا نستطيع مع إثباتنا لنص هذه الرواية عن القصة التى تجمع مع صحتها بين الكوميديا والدراما فى آن واحد إلا أن نتأمل تكنيكات المستشار الصحفى الدرامية فى تصوير الاستفتاءات على أنها تتم بمثل هذه الجدية البالغة التى تجعل الفرز يستغرق كل هذا الوقت حتى إن عبد الناصر تخطى موعد نومه مع أننا ندرك أن فرز هذه اللجنة مهما عومل بجدية وببطء لم يكن يستغرق فى حالات الاستفتاء أكثر من ساعة بعد إغلاق الصناديق فى الساعة الخامسة مساءً ، ونحن نعلم أيضاً أن عبد الناصر كان ينام - فى العادة - متأخراً !!!



هكذا حدث التقارب الذى أشرنا إليه يوم الاستفتاء على رئاسة عبد الناصر. وعلى الرغم من أن هذا التقارب كان كفيلاً فى الظاهر بأن يعيد الرجلين إلى علاقة شبه ودية إلا أن العلاقات بينهما سرعان ما تعرضت لنكسة ، وقد حدثت هذه النكسة نتيجة موقف للبغدادي تكررت قصته فى أكثر من مصدر ، ذلك أن البغدادي قد تعمد تجاهل السؤال عن صحة عبد الناصر حين كان يعالج فى الاتحاد السوفيتى فى العام الأخير من حياته ، وذلك على الرغم من أن محمود الجيار ومحمد أحمد ، وكانا من أبرز العاملين المقربين من عبد الناصر قد اقترحا عليه القيام بهذه الخطوة.

ومن حق القارئ بعد هذا أن يطالع تفاصيل هذه القصة الطريفة التى يروى بها ضياء الدين بيبرس هذا الموقف بطريقة أقل دقة وتحديدأ على لسان محمود الجيار فى

كتاب «الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر» وهو يوحى من خلال روايتها بأن الرئيس عبد الناصر كان ينوى إعادة البغدادي إلى الحياة السياسية :

«وكننت أشعر (الضمير للجيار) أن الرئيس الراحل مستعد لإعادة البغدادي إلى صورة الحياة العامة . لماذا البغدادي : كان وراء هذا التفكير ثلاثة عوامل :

«أولها : أن التنافس بين المشير عامر رحمه الله وبين البغدادي كان من عوامل تباعد البغدادي عن عبد الناصر ... فكان ذهاب عامر بعد ظهوره بمظهر التآمر على فرض نفسه على القيادة السياسية عاملا من عوامل مراجعة النفس والحاجة إلى من يملأ الفراغ».

«ثانيها : أن موجة مراجعة النفس بعد نكسة ٥ يونيو ، امتدت إلى كل شيء .. وكان يتجلى في أحاديث عبد الناصر أمامي في تسخالطوبو أنه لم يعد يدهشه شيء في محيط العلاقات الإنسانية والسياسية . فعبد الحكيم عامر الذي كان توءمه الروحي انتحر بعد ضبطه متآمرا عليه . والمقاومة الفلسطينية تفتح عليه النار وهو الذي كان قد دفع زهرة عمره وعمر ثورته من أجل فلسطين ، و .. إلى آخر قائمة من انتقال المواطنين والأحداث والناس من اليمين إلى اليسار وبالعكس».

«وثالثها : ... وأخيرا فقد شملت موجة مراجعة النفس تساؤلات تكررت أكثر من مرة في عبارات مقتضبة ظهرت في أحاديث عبد الناصر حول ضرورة أن يجدد عبد الناصر شباب ثورة يوليو بأن يقوم بانقلاب سلمى ضد بعض الذين وقعت الثورة في أسرهم من المستغلين ، ودعاة الإرهاب والتعذيب . وهذا كان يقتضى صورة دستورية أشد رحابة وانفتاحا».

«وبدا أن للبغدادي مكانا في عقل ووجدان عبد الناصر ، ومكانا في الصورة التي بدأ يرسمها للانقلاب الذي ينوى أن يقوم به ، على أساس أنه لابد أن يعتمد على أكبر عدد من الباقين من الرعيل الأول للثورة».

لسنا بحاجة إلى لفت نظر القارئ إلى حجم التناقضات الرهيبة في هذا «الخطاب السياسي» الذي يتسم به حديث ضياء الدين بيبرس وهو خطاب حافل بالتناقضات ما

بين الانقلاب .. وأكبر عدد من الباقين .. والدستورية الأشد رحابة .. وتجديد الشباب .. إلخ.

ثم يردف الجيار هذا الحديث بقوله الذى سجله ضياء الدين بيرس بقلمه فيقول:
«هكذا كان تفكير عبد الناصر فى تسخاطوبو . ولكن الغريب أن البغدادي رفض مجرد السؤال عن صحة عبد الناصر ! . وكنت أنا الذى وجهت إليه بنفسى ، بطريقة غير مباشرة ، من تسخاطوبو ، رسالة عبر أسلاك التليفون بأن يقوم بهذه المبادرة (الاستفسار عن صحة عبد الناصر) ... وقد تسبب تطوعى بهذا فى أن عبد الناصر فصلنى أنا ومحمد أحمد من الخدمة لمدة ٢٤ ساعة !» .

وبعد أن يورد ضياء الدين بيرس نقلاً عن محمود الجيار تفاصيل قصة المكالمات التى طلب فيها من البغدادي أن يتصل بعبد الناصر للاطمئنان عليه يذكر لنا أن عدة عوامل سياسية قد ساهمت فى التفريق بين الرجلين منها أن البغدادي فوجئ بتخفيض معاشه تطبيقاً لقرار توحيد المعاشات ، ويمكن للقارئ أن يطالع هذه التفاصيل فى الصفحات ٨١ - ٨٦ من كتاب ضياء الدين بيرس الذى أشرنا إليه.



وفى كتابه «العشاء الأخير» للمشير يعلق عبد الصمد محمد عبد الصمد على أحد الجوانب المهمة فى هذه الواقعة التى رواها محمود الجيار على صفحات روزاليوسف ثم فى كتابين متوازيين كتبهما الأستاذان ضياء بيرس وصلاح حافظ ، ويبدو عبد الصمد حريصاً (بالطبع) على أن يتصيد فى تصرفات عبد الناصر الجانب المجافى للإنسانية والعقل فيقول :

«... يكفى مثل واحد يعترف فيه محمود الجيار فى ذكرياته العجيبة التى يدفعه الحماس وبراعة كاتبها الأستاذ صلاح حافظ فى التشويق فيفلت منها بعض الصدق يفسد رغبة صاحبها فى الإطراء والثناء على عبد الناصر ! فيقول إن عبد الناصر أثناء وجوده فى روسيا للعلاج سنة ١٩٦٨ « وهو فى حاجة إلى كل إنسان فى أيام الهزيمة المريرة والضعف الشديد » يعلم أن الجيار أرسل يرجو البغدادي أن يبعث ببرقية لعبد الناصر يتمنى له فيها الشفاء وذلك لرقعة وصفاء نفس الجيار كى يخفف من الوحدة النفسية لعبد الناصر بعد أن لم يبق حوله من يؤنس وحشته ويخفف مما قد يشعر

به من عذاب الضمير من قسوته فى الفتك بزملائه من أعضاء مجلس الثورة غير الجيار توأم روحه « كما يقول » وأيقونته الزرقاء التى يتفاءل بهما حينما يفتح عينيه ليراه كل صباح ويغمض عينيه على رؤيته قبل نومه كل مساء ! [هكذا كان الأستاذ ضياء بييرس يمارس السخرية من الجيار بعد أن وقع بينهما الخلاف الشهير] وغير محمد أحمد الذى لا يفارقه ويقوم بتمريضه وكل شئونه ، والوحيد هو والجيار من حول عبد الناصر ولا يكرههما أحد».

«يعلم عبد الناصر بهذه الجريمة العاطفية البشعة والخيانة الرهيبة من الجيار لخضوعه لشعور إنسانى نبيل وحنين وأمل فى استعادة صداقات وذكريات ولت واختفت ، فيثور ثورة عارمة ويقول للجيار : « لم شنطك أنت ومحمد أحمد ، وامشوا ! .



وقد كانت هذه الواقعة دائماً ما تثير استغرابى وشكى مع ما أعرفه عن سلوك البغدادى المتحضر ، ولم أكن أجد لها ما يبررها ، وظل الاستغراب يطبع شعورى تجاه هذه الواقعة ، حتى قرأت للبغدادى نفسه ما يدل على أن هذا حدث فعلاً وعلى السبب الذى دفعه إلى هذا الموقف غير الحضارى ، وهو أن عبد الناصر قد تعمد عدم زيارة زميلهما كمال الدين حسين حين كان يزور جمال سالم فى مستشفى قصر العينى ، ويبدو لى من المعلومات المتاحة عن مرض جمال سالم ودخوله قصر العينى أن هذا الموقف قد حدث فى بدايات ١٩٦٨ .

وعلى كلٍ فهذا هو ما يذكره البغدادى نفسه فى نصف الدنيا (١٩٩٦) حيث يقول :
«... كنت أرغب فى أن يشعر عبد الناصر أننا أنداد له ، وأن التعامل يجب أن يكون بالمثل ، فعندما أصيب كمال الدين حسين أثناء ذهابه لزيارة أخيه بمصر الجديدة فى حادث سيارة يقودها ضابط مخابرات تم نقله إلى مستشفى قصر العينى ، وقد علمت بالحادث من زوجة جمال الذى كان يعالج فى المستشفى فى نفس الوقت ، وأثناء زيارتى لكمال الدين حسين ، وكنا مستقيلين وقتها ، علمت بوجود عبد الناصر لزيارة جمال سالم ، وكانت إدارة المستشفى قد أعدت نفسها على أن عبد الناصر سيزور كمال حسين بعد جمال سالم ولكنه لم يفعل».

«وقد أخذت على عبد الناصر أنه لم يزر زميلاً له بالمستشفى مهما كان بينهما من

خلافات ، وترك هذا الموقف أثرا سيئاً بداخلى ، وردا عليه فلم أبادر بالسؤال عنه أثناء علاجه فى روسيا بالرغم من اتصال محمد أحمد ومحمود الجيار سكرتيرى عبد الناصر من روسيا بصديق لى وله وهو عبد الحميد بهجت وكان ملحقا تجاريا لمصر فى ألمانيا وموجودا بالقاهرة فى هذه الفترة ، فاتصل بى فى الإسكندرية ، وأخبرنى أن سكرتيرى عبد الناصر أبلغاه بضرورة أن أسأل عن عبد الناصر وأخبراه بأنه [أى عبد الناصر] قال : « أنا سايب البلد فى فراغ ، والبغدادى هو الوحيد الذى كنت أستطيع الاعتماد عليه لكنه حتى لم يبادر بالسؤال عنى وأنا تعبان وجاى أتعالج » . وطلب منى عبد الحميد بهجت أن أحضر إلى القاهرة لأنهم سيتصلون فى اليوم التالى لمعرفة ردى ، ولكنى أخذت موقفا سلبيا ، وأخبرته أننى لن أستطيع السفر للقاهرة ، وفى اليوم التالى اتصلوا به وأخبروه أنه يمكن تجهيز طائرة خاصة لى لأسافر لزيارة عبد الناصر ولكنى رفضت . « وتكرر اتصالهم بعد عودة عبد الناصر لكى أسأل عليه ولكنى لم أفعل فى هذا الوقت » .

« كان سامى شرف يسجل هذه المكالمات ، وعندما اطلع عبد الناصر عليها تضايق وقام بطرد سكرتيريه ، وعادا [أى إلى العمل] بعد وفاة والد عبد الناصر » .

« وأراد عبد الناصر أن ينتقم فأصدر قرارا جمهوريا بتخفيض معاشى أنا وكمال الدين حسين إلى الثلثين فبعد أن كان ٢٨٦ جنيها أصبح ١٩٣ جنيها ، وكان هذا تصرفا غير قانونى وظل الوضع هكذا حتى جاء السادات رئيسا للجمهورية وأصدر قرارا استطعنا من خلاله استرداد فرق المعاش » .

ربما نتوقف هنا لنشير - من باب الإنصاف - إلى أن عبد الناصر لم يكن مبتدعا فى هذا الذى فعله من تخفيض معاش زميليه ، ذلك أن إسماعيل صدقى فى الثلاثينيات لم يتورع عن أن يخفض معاش النحاس باشا الذى تألم من هذا ورفع قضية ثم عاد الحق إليه ، ولا أدرى هل رفع البغدادى أو كمال الدين حسين قضية أم لا .



ويهمنى الآن أن أطلع القارئ على فقرة طريفة للبغدادى تحفل بتفصيلات نفسية طريفة تجعلنا نتعاطف مع عبد الناصر الذى كان يعانى الهزيمة والعمل من

أجل آثار العدوان ، ومع هذا فإنه لم يكن يسلم من تكرار العتاب من زملائه ، وهو يجيد الرد على أسئلتهم العاتبة بما يكشف عن مهارته فى توجيه رأى العام:

«... وكنت قد سألت جمال فى مايو عام ١٩٧٠ بعد أن عادت علاقاتنا معاً عن سبب اتخاذه هذا الإجراء الخاص بالحراسة ، وذلك أثناء تناول العشاء بمنزلى ، والذي حضره معه كل من أنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى ، وكان قد أجاب أن السبب هو عبد الرؤوف نافع إشارة منه إلى أنه تضايق عندما علم أن عبد الرؤوف قد تحدث عن استقالتي إلى بعض الصحفيين».

«ولكنه عاد وأجابنى إجابة أخرى بعد أن أعدت عليه نفس السؤال بعد ذلك بحوالى ستة شهور ، وكانت إجابته أنه لما وجد الناس تتكلم عن استقالتي فقد رغب - على حد قوله - فى أن يتحدثوا عن شىء آخر ، وذكر أنهم فعلاً قد نسوا الاستقالة وأخذوا يتحدثون عن موضوع الحراسة. واستغربت أن يجيبني بهذه الإجابة. ولكنه على ما يظهر كان قد تعمد أن يقول ذلك ضيقاً منى لأننى أعدت عليه نفس السؤال ، وكنت ألقيه عليه كنوع من العتاب».



ويبدو لى بعد هذا كله أن عبد اللطيف البغدادي كان فى أكثر الأوقات حريصاً على استبقاء حبال المودة مع عبدالناصر ، وهو يروى كيف أنه استشار زملاءه فى كثير من هذه المواقف وأنه كان يستجيب لنصيحهم:

ويروى البغدادي فى مذكراته كيف أن حسن إبراهيم نصحه بتأجيل إرسال خطاب استقالته الذى كتبه عقب الانفصال السورى ، وهو الخطاب الذى ناقشنا محتوياته:

«وكنت قد أطلعت حسن إبراهيم على هذا الخطاب قبل أن أقوم بإرساله إلى جمال ، واتفق معى على ما جاء به ، ولكنه أبدى تخوفه من أن يسىء جمال فهم قصدى من إرسال هذا الخطاب إليه خاصة فى تلك الظروف ، وربما يفسر الأمر تفسيراً بعيداً عن القصد الذى قصده منه ، وأن هذا ربما يدفعه إلى التشدد وعدم الأخذ بما جاء فيه رغم محاولتى إبراز حسن نيتي واعتمادى على وطنيته فى تفهم الدوافع وراء إرسال ذلك الخطاب .. ورأيت بعد مناقشة الأمر معه تأجيل إرساله إلى وقت آخر أكثر مناسبة».

«وفى يوم الأربعاء ٤ أكتوبر رأيت أنه ربما يكون من الأفضل الالتقاء مع جمال والتحدث إليه فى تلك النقاط التى سطرته فى خطابى ، والذى كنت قد نويت أن أرسله إليه . وتقابلنا فى المساء فى منزله».



ونعود إلى تطورات العلاقة بين الرجلين عبد الناصر والبغدادى بعدما فشلت هذه المحاولة من جانب الجيار (أو غيره) لتحقيق إعادة التقارب بينهما فمن الثابت فيما يبدو أن الرجلين قد عادا إلى التباعد .. ولكن يشاء القدر لهما أن يعودا إلى اللقاء والتلاقى مرة أخرى فيما قبيل وفاة عبد الناصر ، وقد كنت أبحث عن تعاقب الأحداث الذى جعل عبد الناصر يقترب ثانية من البغدادى فى ١٩٧٠ مثلاً على الرغم من أن الواقعة السابقة التى تتعلق بعدم سؤال البغدادى عن عبد الناصر كانت فيما بين ١٩٦٧ و ١٩٧٠ على سبيل القطع ، وظللت فى حيرة إلى أن روى البغدادى نفسه السبب فى سياق حديثه لنصف الدنيا فى ١٩٩٦ ومن المفيد أن نورد للقارئ قصة التقارب الأخير كما رواها البغدادى بنفسه للأستاذة منى الدحة حيث يقول :

«... كانت بسبب مشكلة لابنى طارق الذى كان يدرس بالجامعة الأمريكية فقد كانت لوائح الجامعة تسمح بالانتقال من شعبة إلى أخرى على أن يعود بعدها لشعبته الأساسية ، وهكذا فقد انسحب طارق مؤقتاً من شعبة الاقتصاد والسياسة ليدرس بشعبة الكمبيوتر ، وبعد إتمامه لدراسته أراد العودة لشعبته الأساسية ففوجئ بالمسؤولين يرفضون ذلك ، بحجة أنه أصبح مخالفاً للائحة وأن هناك أوامر عليا بعدم استثناء أبناء أعضاء مجلس قيادة الثورة».

«وعندما أبلغنى ابنى لم أصدق ، فاتصلت بالدكتور نزيه ضيف وكان وقتها حارساً على الجامعة الأمريكية [كان وزيراً سابقاً للخزانة] لأستفسر منه ولكنى وجدته مسافراً لأمريكا وأحسست أن مستقبل ابنى سيضيع ، فقررت كتابة خطاب لعبد الناصر أخبرته فيه بتفاصيل ما حدث وأنهم أخبرونى أنك وراء هذا القرار ، ولكنى أعتقد أنهم فهموا قرارك بشكل خاطئ ، وأنا أرسل إليك لتبلغهم صحة قرارك ، وآسف فأنت تعرف قلق الآباء على الأبناء وأرسلت الخطاب ، ولكنى فوجئت بعدم رده».

«وعلمت أنه سافر إلى روسيا سرا لمدة ٤٨ ساعة في أعقاب الغارات الإسرائيلية على مدرسة بحر البقر وغيرها».

«وعاد ليتصل بي ، ولكنى لم أكن بالمنزل فقد ذهبت مع حسن إبراهيم إلى النادي فوجدت زوجتى تتصل بى هناك لتخبرنى أن عبد الناصر ينتظر مكالمتى له ، وبالفعل اتصلت به من النادي وقد تعرف إلى صوتى قائلا : أهلا يابوغ لقد قرأت خطابك بعد عودتى من السفر ، وإذا كان هناك قرار بهذا الشكل فأنا أستثنى ابنك طارق حتى لاتفهمنى خطأ ، وعموما فقد أبلغت أمين هويدى وسامى شرف ليقوما بتسوية المسألة مع الجامعة ، ووجدها عبد الناصر فرصة ليقول لى : أنا عايز أشوفك فأنا فى عزلة لا أرى أحدا ، فقلت له : أنا فاضى وأنت مشغول ، اتصل بى وحدد الموعد الذى يناسبك فقال : النهارده الخميس أشوفك السبت ، وأذكر أن المكالمة استمرت ٤٥ دقيقة ، وتقابلنا بعد انقطاع دام سنتين وثمانية أشهر وعادت العلاقة وظلت قائمة حتى وفاته».



هكذا عادت صورة من صور التلاقى بين الرجلين ، ويبدو أن هذا التلاقى قد أخذ أكثر من صورة من صور المشاركات الاجتماعية العابرة ، ومن الطريف أن الحديث عن تفاصيل هذه اللقاءات الأخيرة لم ينشر بتفصيل كثير إلا فى حوارات البغدادى الأخيرة مع مجلة نصف الدنيا كما ذكرت فى فقرة سابقة ، ورداً على سؤال لنصف الدنيا حول ما ذكر عن أن عبد الناصر كان قد خصص له سيارة من الرئاسة أجاب البغدادى بقوله : «... نعم ولكنى لم أتسلمها ، فبعد وفاة عبد الناصر اتصل بى سامى شرف ، وقال لى : عربية سيادتك وصلت فقلت له أرسلها ولكنه لم يفعل ، وانتظر أن أكلمه لأسأل عنها ، ولكنى لم أفعل».

«وتبدأ القصة حينما كنت أزور عبد الناصر ذات مرة ورأى سيارتى ، فسألنى متعجبا: إيه القلعة اللى أنت راكبها دى ، فرددت : دى مرسيدس ٣٠٠ موديل ١٩٦١ أتوماتيك فقال ضاحكا : دى تدخلها المتحف وتركب سيارة أحدث ، وبالفعل أرسل لى سيارة شيفروليه لاستخدمها حتى وصول السيارة الجديدة التى طلب من سكرتيره محمد أحمد شراءها ولم يكتف بهذا ولكنه جهز لى مكتبا فى قصر القبة وأخبر معاونيه أنه سيقوم بتغيير وزارى فى أكتوبر القادم وسيكون للبغدادى دور» .



الفصل الثالث : حقيقة فكرة استخلاف عبد الناصر للبغدادى

حدث فيما بعد وفاة الرئيس السادات أن بعض الفيروسات التى أرادت تشكيلك الناس فى كل شىء وطرح كل موضوع لاحتمالات بعيدة وقريبة دفعوا إلى سوق التكهنات بشائعات قوية حول فكرة وجود نية عند الرئيس عبد الناصر فى أيامه الأخيرة لاستخلاف البغدادى، واستمر النفخ فى هذه الشائعة ينمو إلى حد أن صورت الأمور على أن الرئيس عبد الناصر كان فى اللحظات الأخيرة من حياته ينتظر أن تذيع الإذاعة قراره بتعيين البغدادى نائبا لرئيس الجمهورية ، وأنه استمع إلى نشرة أخبار الساعة الخامسة فوجدها وقد خلت من هذا الخبر ، وسرعان ما أسلم عبد الناصر الروح ومات .

وتطرقت شائعات أخرى لتشير إلى أن قرار تعيين البغدادى كان فى الخزانة الخاصة التى فُتحت عقب وفاة عبد الناصر بطريقة غير رسمية ، من أجل الحصول على بعض ما فيها مما لم يكن يتوافق مع هوى مَنْ فتحوها!! وكأنما هانت مصر على أصحاب هذه الشائعات حتى ظنوها تنتظر وجود القرار الخاص بالرئاسة فى خزانة.

ولست أدري كيف فات هؤلاء أنه لو صح ووجد هذا القرار فإنه يحتاج أولا إلى التنفيذ بأن يقسم البغدادى اليمين الدستورية على الأقل كنائب للرئيس.. فأمام مَنْ كان يقسم النائب الجديد هذا اليمين؟

هكذا وجدت القوى السياسية نفسها فى مواجهة موقف صعب الفهم ، أو مستحيل الفهم ، وقد ازدهر الحديث فيه ، كما ذكرنا ، بعد وفاة الرئيس السادات وليس قبلها ، وكان كل المشاركين فى تنمية الجانب الدرامى فى هذا الموقف يحاولون بكل الطرق أن يثبتوا أن عبد الناصر كان تواقا إلى أن يعين البغدادى نائبا للرئيس ، ويقفزون إلى الإيحاء بأن ذلك كان يعنى أن يحل البغدادى فى موقع نائب الرئيس بدلا من أنور السادات .

على كل الأحوال فسرعان ما فهم جمهور القراء أن تنمية مثل هذه الفكرة لم تكن نصب في مصلحة البغدادي ولا تاريخه ولا مصلحة عبد الناصر ولا تاريخه ، وإنما كانت محاولة ساذجة من أجل إلقاء بعض الشبهات على شرعية خلافة السادات لعبد الناصر ، وبالتالي على شرعية حقبة كلها.. وقد كانت هناك جهود محمومة في هذا السبيل لا تزال تطل برأسها من حين لآخر .

ومع هذا فمن المهم أن نبدأ مباشرة نتأمل في مدى سلامة مثل هذه التفكير :
ومن الواضح أننا جميعاً لانملك الوسائل الكفيلة بالحكم بترجيح مثل هذا الظن ، على حين أننا لحسن الحظ نملك - وبالتأكيد - الأدلة الكفيلة بتقليل احتمال حدوثه إلى أبعد حد وهي مجموعة كبيرة من الأدلة المقبولة والمعقولة :

□ لم يكن عبد الناصر ميالاً أبداً إلى إعادة من سبق له الاختلاف معهم من زملائه إلى السلطة التنفيذية ولم يحدث هذا في عهده على الإطلاق ! وحين أعاد صلاح سالم فقد أعاده صحفياً أو رئيس تحرير لا وزيراً للارشاد ! وينطبق هذا أيضاً على خالد محيى الدين .

□ لم يكن عبد الناصر عاجزاً عن أن يصدر مثل هذا القرار بمجرد التفكير فيه وبخاصة أنه كان يصدر معظم قراراته بعد التفكير فيها مباشرة ، ولم يكن مثل هذا القرار في حاجة إلى هيكل ليكتبه ، لأن الذى يتولى كتابة هذا القرار هو التايست على الآلة الكاتبة فحسب ، وكان هيكل بالطبع أكبر من تايست ، حتى وإن كان بدأ حياته فى مثل هذه الوظيفة .

□ لم يكن عبد الناصر فى ظل الضيق النفسى الذى كان يعانيه بعد ١٩٦٧ على استعداد لأن يخوض مناقشات ومجادلات مطولة مع البغدادي ، ولا مع أناس من وزن أو طبيعة أو شخصية أو عقلية البغدادي .

□ لم يكن البغدادي نفسه فى حاجة إلى أن يمهد عبد الناصر لرجوعه فى أى منصب فقد كان يتمتع بسمعة طيبة جداً فى وجدان الجماهير والصحافة .

□ لم يكن الذى تخطى البغدادي إلا عبد الناصر نفسه حين كان البغدادي فى عز مجده ، وقد فعل عبد الناصر هذا بتعيين عبد الحكيم عامر نائباً أول فى ظل وجود البغدادي حياً يرزق وفى منتهى الحيوية.. وصحيح أنه كان قد قدم استقالة مكتوبة ولكنها كانت على ما يرويه البغدادي نفسه الاستقالة الثامنة أى أنه عدل عن سبع استقالات قبلها ، وأن عبد الناصر لم يعتد بهذه الاستقالات السابقة .

هذه بعض أمثلة من دلائل كثيرة ومتعددة، لا نشك في أن القراء يعرفونها، تدلنا على تضائل احتمال صواب كل هذه الروايات المتأخرة التي وصلت إلى حدود الميلودراما بدون أى مبرر، كفتح الخزانة الخاصة بعبد الناصر، وكانتظار عبد الناصر لأن يستمع من الإذاعة إلى نبأ ما ساعة الاحتضار أو ساعة الموت.

ولكننا مع هذا كله لا نستطيع أن ننكر حقيقة مهمة وهى أن الرئيس عبد الناصر نفسه كان كثيراً ما يفتأ يلوح (لأجهزة الاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطليعى بصفة خاصة) بورقة البغدادي فيما بعد ١٩٦٧ ولكن هذا التلويح - فى نظر الذين يعرفونه جيداً - لم يكن ليصل به إلى الإتيان بالبغدادي إلى مقعد الرجل الثانى فى الدولة مرة أخرى، ولا التمهيد له ليكون الرجل الأول.

ولهذا فإننى أفضل فى هذا الصدد أن أنقل عن مذكرات ثروت عكاشة نصاً فى غاية الأهمية يعطينا الصورة الحقيقية [للدور الذى كان عبد الناصر يفكر فيه للبغدادي] بدون تكبير كثير أو تصغير كثير، ونحن نفهم من سياق كلام ثروت عكاشة، ومن نصوص أخرى تناولت نفس الفترة، أن عبد الناصر كان تواقاً إلى أن يعطى البغدادي دوراً إيجابياً فى المشاركة السياسية فحسب، لا فى الحكم، وذلك بأن يكون زعيماً للمعارضة [الداخلية] أو شيئاً من هذا القبيل، كأنه بلغة رجال التربية والتعليم كان يريد أن يعينه هو وغيره فى دور المفتشين لا فى دور الناظر، وكأنه كان يريد أن يعطيه المكانة التى أعطاها أنور السادات فيما بعد لخالد محيى الدين أو لبراهيم شكرى أو لمصطفى كامل مراد.

ويستطيع القارئ أن يحكم على صواب ما ذهبت إليه إذا ما تأمل فى النصوص والأدبيات المتاحة فى تاريخنا المعاصر وبخاصة محاضرات الاجتماعات الاتحاد الاشتراكي ولجانه المختلفة التى شارك فيها الرئيس عبد الناصر بآراء واضحة حول الممارسة السياسية، وغياب المعارضة، والرأى الآخر وما إلى ذلك، ولن أطيل على القارئ بنقل نصوص كثيرة من المحاضر التى نشرت ولكنى سوف أكتفى بأن أنقل ما يرويه الدكتور ثروت عكاشة فى مذكراته ملخصاً به رأى عبد الناصر نفسه فيما حادثه به وقد صاغه ثروت عكاشة بأسلوب مذكراته ائتميز حيث يقول:

«... إننى أرى [الضمير يعود على الرئيس عبد الناصر] من تلك التجربة الطويلة فى الحكم على مدى خمسة عشر عاماً أن لا بد من نظام سياسى جديد يتفق والظروف

المحيطة بنا بعد أن استنفد نظامنا الحالى طاقته ولم يعد يصلح لتحمل أعباء ما نحن فيه. هذا إلى أن الطهارة الثورية قد منيت بما يشوبها ، كما أن السنين التى مرت بنا قضت على ما كان من وحدة فكرية تجمع بيننا».

«وأقول لك [الضمير يعود على الرئيس عبد الناصر] فى صراحة إنى لم أعد أؤمن بنظام الحزب الواحد ، لأنه يفضى إلى دكتاتورية الشلل ومراكز القوى ، كما أنه لا مناص أمانا من أن تكون ثمة معارضة، ولذا عن لى أن أطلب إلى عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين أن يشكلا حزبا تكون له المعارضة ، وبعدها تكون لنا نظرة تنظيمية لتعديل مسار الاتحاد الاشتراكى ، ثم نجرى انتخابات حرة على أن يكون الغالب فيها هو الذى يلى الحكم ، والأقلية تؤلف المعارضة والبقاء للأصلح ، وتعزل القوات المسلحة السياسة ، ويكون للبلاد نظام مفتوح لا نظام مغلق كما هى الحال عليه الآن. وفى هذا ما يتيح للمعارضة الحق أن تولد فلا تكون ثمة إقطاعات ولا شللية».

«فعلقت قائلاً (الكلام لشروت عكاشة) : «إن هذا لو تم نكون قد خطونا بالبلاد خطوة جريئة إلى حياة مستقرة لا تتعرض للأهواء والعواصف. فإذا هو يعقب قائلاً: للأسف لقد عرضت هذا رأى على اللجنة التنفيذية العليا فأشارت بإرجائه إلى ما بعد إزالة آثار العدوان».

وهكذا نتبين بوضوح أنه حتى فى حالة إعادة البغدادى إلى الصورة ، فقد كان عبدالناصر لا يزال يرحب بمعارضة أعوانه الموجودين وقتها للفكرة ، بل إنه كان يجعل معارضة هذه الفكرة بمثابة القرار الذى يتخذه فى النهاية !!



ومما يؤيد وجهة نظرنا هذه ما يرويه صلاح نصر فى مذكراته عن شعور عبد الناصر نجاه البغدادى بعد فترة من ابتعاده ، حينما حاول صلاح نصر تشجيع التوجه إلى عودة أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى المشاركة فى المسئولية :

«وحينما جاء ذكر البغدادى وكمال الدين حسين نظر إلى نظرة تعجب وقال لى بالنص:

«أتريد أن أحضر البغدادى وكمال الدين حسين عشاء يأكلوها! وهل تتصور إذا جاء البغدادى وعينته رئيسا للحكومة ، ألا يتصرف كرئيس دولة؟ تصور صحف الصباح وبها عمودين الأول لرئيس الجمهورية وبجواره عمود لرئيس الحكومة ، إن الحكم فى مصر لا يتحمل وجود رئيسين!».

هذا هو مجمل رأينا فى قضية استخلاف عبد الناصر للبغدادى ، ومن المهم أن نطلع القارئ على ما هو متاح فى الأدبيات المتاحة حول هذه القضية ، وأن نتدارس هذه النصوص المتاحة مع القارئ ونبدأ بأن نقرأ فقرة تمثل أقصى درجات الحكمة والتعقل ، وردت فى حديث البغدادى للأستاذ صلاح منتصر (مجلة أكتوبر ، يوليو ١٩٨٨) وفيها يشير البغدادى بكل وضوح إلى عدم جدوى الحديث فى هذه الجزئية [اليوم] ، فليس هناك إرث مستحق يطالب به ، ولكن البغدادى فى الوقت ذاته يشير إلى أهمية رواية الوقائع من أجل التاريخ ليس إلا:

«لقد تكلم كثيرون عني وآخرون كتبوا فى التاريخ ، والأمانة تقتضى أن أقول كلمتى عما حدث .. إننى اليوم قد تجاوزت السبعين ، مستقبلى كله أصبح ورائى ، وسواء كان عبد الناصر قد رأى أن أشاركه مسئولياته أو لا أشاركه ، فإن الحديث اليوم عن كل ذلك لن يغير شيئا ، ليس هناك إرث مستحق أطالب به ، ولا وصية مغلقة أريد فض أختامها ، والحصول على ما تقول به ، وحتى خلال حكم السادات فلم يكن مطلبا خاصا أن نزاحمه سلطانه ، كان الهدف هو مواجهة فترة خطيرة من الفترات التى تعرض لها الوطن .. نفس الشعور انذى جعلنا نقوم بما قمنا به فى يوليو ١٩٥٢ قبل ٣٦ عاما .. وخلال هذه السنوات قد أصبنا وأخطأنا ، لكن لكل منا دور قام به ، وقد قمت بدورى بما أعتقد أنه كان الصواب ، وبحسب ما اعتقدت أنه حق اخترت موقفى ، وأية كلمة أقولها اليوم فإنما لأضيف إلى التاريخ ، هذا التاريخ الذى سيصبح ملكا لكل أبناء هذا الوطن ، وعندما يأتى من يقلب الأوراق التى تركناها فإنه يستطيع أن يستشف بإحساسه المجرد من أى تأثير: أين كانت الحقيقة».



وبالإضافة إلى هذا القول الفصل الذى أدلى به البغدادى للأستاذ صلاح منتصر فإن عبد اللطيف البغدادى فى حديثه لمجلة الشباب (ديسمبر ١٩٨٨) حرص على أن يسفه تماما الفكرة التى روج لها محمد حسنين هيكل من أن عبد الناصر عين السادات نائبا له ثم نسيه(!!) ، ويقول إن هذا أمر لا يقبله عقل:

«إن الحكاية التى رواها هيكل عن أن عبد الناصر عين السادات نائبا له كإجراء احتياطى مؤقت ، ثم نسيه فى هذا الموقع المهم ، هو أمر لا يقبله عقل .. إذ كيف تشغل

عبد الناصر أى أحداث مهما كانت أهميتها عن إغفال هذا الأمر؟! ثم إن جمال - كما قال لى بنفسه عندما عادت علاقتنا سنة ١٩٧٠ - أختار السادات نائباً وحيداً بسبب التنافس الذى كان يحدث بين السادات وبين النائب حسين الشافعى على المسئولية والاختصاصات فى أثناء سفر عبد الناصر إلى الخارج.. فأراد أن يضع حداً لهذا التنافس فاختار السادات نائباً وحيداً أو نائباً أول.. كان الأقدم.. والأكبر سناً.

ربما يجوز لنا أن نتحفظ هنا على جزئية الأكبر سناً ، فمن الطريف أن حسين الشافعى ولد قبل الرئيس السادات. وربما أن البغدادي لم يقل هذا اللفظ على نحو ما رواه المحرر فى حديثه وإنما قاله باللفظ الانجليزي المتداول Senior ، واللفظ فى بعض الأحيان يعنى الأكبر سناً لكنه فى المقام الذى نحن فيه يعنى الأسبق فى كشف الأقدمية فى القوات المسلحة ، وقد كان السادات بالفعل أقدم فى هذا الكشف من حسين الشافعى.



ومن الجدير بالذكر أن أول حديث للبغدادي عن فكرة استخلاف عبد الناصر له جاء فى حديث أدلى به البغدادي لجريدة الأهالي فى يوليو ١٩٨٢ بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على الثورة، وفى ذلك الحديث نسبت الأهالي إلى البغدادي القول بأنه قد تم الاتفاق بينه وبين الرئيس عبد الناصر على تعيينه نائباً لرئيس الجمهورية ورئيساً للوزراء عقب انتهاء مؤتمر القمة الذى عقد فى سبتمبر ١٩٧٠ لإنهاء مذبحة الفلسطينيين بالأردن ولكن كما يقول البغدادي : « القدر كان أسبق ». بل وقد اعتقد البغدادي على حسب النص الذى صدرت به الأهالي أن «قرار تعيينه قد سرق من خزانة عبد الناصر عقب وفاته» .



ويشير البغدادي فى حديثه لصالح منتصر إلى حقيقة مهمة ، هى أنه لم يحاول أبداً فتح موضوع استخلاف عبد الناصر له ، وأنه اعتبر الموضوع سرا بين كليهما ، وأنه انتهى بوفاة عبد الناصر ، ولكن حديث الآخرين - المتأخر عنه - هو الذى جعله يتحدث فى هذا الموضوع.

يقول عبد اللطيف البغدادي :

«... أولاً أنا لم أكن مصدر فتح الخزانة أو الإشارة إلى أى قرار وقعه عبد الناصر ، بل أجزم لك أن موضوع اتفاقى مع عبد الناصر لم يكن أبداً وارداً فى أى حديث نقل

عنى بعد وفاته .. لأننى اعتبرت أو تصورت أن الموضوع سر بيننا نحن الاثنين وبوفاته أصبح ما بيننا فى ذمة الله ، ولكن تبين أن هناك مَنْ كان يعرف وبدأ يتكلم ويقول عن قرار مسروق .. وقد سمعت بهذا القرار فى سنة ١٩٧٩ من المرحوم محمد عبد السلام الزيات ، وكنت مدعوا يومها على العشاء فى منزل د. مراد غالب ، وقال لى الزيات: إن القرار سرق من الخزينة فور وفاة عبد الناصر وأنا شخصيا لا أعتقد أن وجود قرار مثل هذا كان يمكن أن يغير فى الأمر شيئا ، لأن مثل هذه القرارات ليست وصايا يتركها الرؤساء للتنفيذ .. ولكن ربما كانت هناك مذكرات أشار فيها ، سواء إلى ما كان بيننا فى الفترة الأخيرة ، أو إلى الذين حوله ، وتعمدت اليد التى امتدت إلى الخزينة ، وامتدادها [يقصد امتداد اليد] تؤكد أكثر من رواية ، تعمدت أن تخفى هذه الأوراق».



ويشير عبد اللطيف البغدادى أيضاً فى سلسلة أحاديثه للأستاذ صلاح منتصر (مجلة أكتوبر ، يوليو ١٩٨٨) إلى أنه لم يكن من الممكن أن يشير موضوع استخلاف عبدالناصر له فى أثناء حياة الرئيس السادات وتولييه الحكم وهو يقول:

«... كيف كان ممكنا فى فترة حكم أنور السادات أن أنشر وأقول إن عبد الناصر تحدث معى أو عرض علىّ أن أشاركه مسئولياته ، صحيح أنه كان معروفا أنه يعد لتغيير كبير وواسع يجريه فى أكتوبر ، وهذا التغيير كان كثيرون يتحدثون عنه ، الأستاذ هيكمل نفسه أشار إلى أن عبد الناصر لم يكن مطمئنا إلى أنور السادات ، وأنه كان يفكر فى إعادة ترتيب الأوضاع الداخلية ، ولعل أول سؤال يمكن أن يسأله أى واحد هو: إذا كان الأمر كذلك فما هو البديل؟ مع ذلك فقد كان كبريائى يمنعنى أن أنشر كلمة واحدة عما حدث بينى وبين عبد الناصر فى خلال السنة الأخيرة قبل وفاته ، لقد كان ما جرى بينى وبينه ولم يكن أنور السادات طرفا فيه بالنسبة لى حتى أدخل معه فى معركة ، بالعكس كان كل تفكيرى بعد وفاة عبد الناصر هو محاولة مساعدة السادات فى إنقاذ مصر من الهزيمة ، أما أن أقول أو أكتب أن عبد الناصر تحدث معى فى نية أن أكون نائبا له ورئيسا للوزراء فهذا أمر لم يكن معقولا أبدا أن أكتبه خصوصا فى خلال حكم السادات ، سواء لأن مذكراتى كانت قد توقفت عند عام ١٩٦٧ ولم أتجاوزها ، وأيضا لأن كبريائى يمنعنى».



أما فى حديثه لمجلة نصف الدنيا فإن رواية البغدادى عن الموضوع ذاته تأتى بصيغة أخرى مخالفة للرواية الأولى التى هى أقرب إلى المعقولية ، وربما كان الفضل فى معقولية الرواية الأولى راجعا إلى صياغة الأستاذ صلاح منتصر :

«... كنت فى منزل الدكتور مراد غالب أنا وعزيز صدقى ومحمد عبد السلام الزيات الذى كان اليد اليمنى للسادات فى مجلس الأمة ، ثم أصبح نائبا لرئيس الوزراء وقد حكى لى الزيات فى أثناء هذه الزيارة أنه كان بخزانة عبد الناصر قرار بتعيينى نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للوزراء ، لكن العابئين بخزانة الرئيس أخفوا الأوراق التى لا يريدونها ، وأن هذا هو سبب فتح الخزانة لسرقة القرار . وأضاف الزيات أن السادات قد طلب من «هدى» ابنة عبد الناصر فتح الخزانة ليأخذوا مالهم بها».

«ويتعجب البغدادى قائلا: «وكان هذا أمرا غريبا ، فقد كان المفروض التحفظ على الخزانة حتى يتم حصر ما بها ، وقد اشتكى السادات فيما بعد أن الخزانة فتحت ، كما قيل إن مجموعة سامى شرف هم الذين فتحوها ليأخذوا القرار ويخفونه ، وهكذا تضاربت الأقوال ، وتاهت الحقيقة ، ولكن المؤكد هو ما قلته لك من أن عبد الناصر اتفق معى على السفر إلى الإسكندرية بعد مغادرة وفد القمة العربى لإصدار قرار تعيينى نائبا له ، أما عن كلام الأستاذ هيكى فهو غير صحيح ، فهيكى لم يكن وصيا على عبد الناصر ، إلا إذا كان كذلك وأنا لا أعلم!».



ويضيف البغدادى ما يؤكد به هذا المعنى فيقول:

«هناك أربعة سطور فقط جاءت فى كل مذكراتى التى نشرتها عام ١٩٧٧ تشير إلى ما كان بين عبد الناصر وبينى قبل وفاته ، وقد جاءت هذه السطور فى صفحة ٢٣١ من الجزء الثانى عندما كنت أتحدث عن فهم عبد الناصر لوجود محور بينى وبين كمال الدين حسين وقلت فى هذه السطور: كان جمال يعتقد أن هناك محورا بين كمال وبينى ، وهذا غير صحيح ، ولكن هذا الاعتقاد ظل يلزمه حتى توفاه الله رغم نفى ذلك له عدة مرات آخرها عام ١٩٧٠ عندما عادت العلاقة بيننا فى ذلك العام بعد قطيعة دامت ست سنوات».

«هذه السطور الوحيدة التى أشرت فيها إلى عودة العلاقات مع عبد الناصر ، وهو بالفعل كانت لديه حساسية من علاقتى بكمال الدين حسين ، وفى أكثر من مرة خلال

سنة ١٩٧٠ أشار إلى أنه كان يعتقد بما كان يسميه Click (ما معناه علاقة خاصة بإشعال المواقف المثيرة) ، ولم يكن ذلك بالفعل حقيقة ، لكن ما كان يحدث هو أنني تجاه حدث معين كنت أتصرف بطريقة معينة يتضح أن كمال الدين حسين تصرف تجاهها بنفس الطريقة ، فكان عبد الناصر يعتقد بضرورة وجود اتفاق مسبق بيننا على ذلك بينما الواقع أن كلا منا كان يتصرف وحده وبتلقائته الوطنية».



وقد سألت منى الدحة محررة نصف الدنيا البغدادي عقب ما رواه عن قصة السيارة التي أمر عبد الناصر بشرائها له : «هذا الكلام يؤكد المعلومات التي تقول إنك كنت مؤهلاً لاستلام منصب وأن عبد الناصر سيعينك نائباً له».

وقد أجاب البغدادي بإجابته التي سنوردها هنا بالنص ، وهي حافلة بمعلومات تاريخية تستأهل التصحيح والتوضيح وستناولها بالتفصيل بعد أن ننتهي من إيراد النص المنسوب إليه والذي يقول فيه :

«كان عبد الناصر يريدني أن أشارك معه ثانية ، على ألا أعترض على شيء... لذلك فمن يناير ١٩٧٠ وحتى سبتمبر جعلني على علم ومتابعة لكل ما يجري في البلد أكثر من زملائه الذين كانوا معه وهم حسين الشافعي وزكريا محيي الدين وعلى صبري وأصبحت الرابطة بيننا قوية ، بعد أن تصافينا ونسينا الماضي ، وذات مرة وجدته يقول لي : أنا عايز أتفرغ للاهتمام بالجيش وأجهز للمعركة وأريد من يتولى أمر البلد ، وأنت أقدر واحد يقوم بهذه العملية وتتولى السلطة التنفيذية».

«واتصل بي بعد عودته من مرسى مطروح قائلاً : كنت أنوى الرجوع للإسكندرية واتصل بك لتحضر حتى ننتهي من إصدار قرار تعيينك نائباً لي ، ونحضر هيكلي ليكتبه ، ولكنني فوجئت بحضور الرؤساء العرب بدون علمي بسبب مشكلة أيلول الأسود ، وقيام الجيش الأردني بضرب الفلسطينيين في الأردن ، وأضاف عبد الناصر : على العموم بعد ما أخلص منها نطلع على الإسكندرية لنتم الموضوع».

هل لنا أن نبدي الآن التحفظات التي أشرنا إلى وجودها ، ونبدأ بأن نتحفظ على الفقرة المنسوبة إلى البغدادي ، وبوسعنا أن نتحفظ على ذكر زكريا محيي الدين الذي كان قد ترك السلطة تماماً في مارس ١٩٦٨ ، كذلك بوسعنا أن نتحفظ على ورود اسم

على صبرى بين الزملاء ذلك أنه أى على صبرى لم يكن أبداً يعامل على أنه من طبقة زملاء عبد الناصر ، كذلك لابد لنا أن ننتبه إلى أن أنور السادات لم يرد له ذكر بين هؤلاء الزملاء بينما كان لا يزال باقياً..

هذا من ناحية الوقائع التاريخية التى وردت فى هذه الفقرة ، أما من جهة المنطق فإننا نفاجأ فى هذا النص بموقفين غير متطابقين^١ ، الأول هو قول البغدادي فى صدر الفقرة كان عبد الناصر يريدنى «أن أشارك معه ثانية على ألا أعترض على شىء» ، هل هناك عرض بالمشاركة على هذه الصورة ؟ وهل وصل الحال بالبغدادي أن يقبل عرضاً كهذا بينما هو رجل يقظ الضمير ؟ الثانى هو إحضار هيكل لكتابة القرار فهل كان هيكل مجرد «تايست» الرئاسة الذى يتولى كتابة هذه القرارات على الآلة الكاتبة ؟

وأظن القارئ بعد هذا كله قادراً على فهم المقصود من فقرة البغدادي.



ويشير الأستاذ صلاح منتصر فى مجلة أكتوبر (يوليو ١٩٨٨) إلى ما رواه له البغدادي من أنه كانت هناك إشارات من عبد الناصر لم يفهم البغدادي عمق دلالتها إلا فيما بعد ، ومن هذه الإشارات ما تتضمنه الفقرة التالية :

« ... صيف ١٩٧٠ اقترح عبد الناصر على البغدادي أن يرتب له دعوة لزيارة روسيا مع السيدة زوجته ، ولم يتحمس البغدادي للزيارة ، لكنه عرف من مراد غالب سفير مصر فى موسكو فى ذلك الوقت أنه تم استدعاء السفير السوفيتى وإبلاغه توجيه دعوة رسمية للبغدادي ، وجاءت الدعوة من روسيا متضمنة قائمة بـ ١٤ شخصاً بينهم البغدادي ، ولكن عبد الناصر كما عرف البغدادي كل ذلك فيما بعد من مراد غالب ، طلب أن تكون دعوة البغدادي بصفة شخصية وإن كانت الزيارة لم تتم بسبب وفاة عبد الناصر وتغير الظروف .. وكان المعنى الواضح لذلك (يقول صلاح منتصر) أن عبد الناصر كان يريد تقريب المسافات المتباعدة بين البغدادي والاتحاد السوفيتى بحسب العلاقات الخاصة التى كانت تربط بين القاهرة وموسكو فى ذلك الوقت ، خصوصاً بسبب اعتماد القاهرة فى السلاح على موسكو».



بقى بعد كل هذا أن نشير إلى أن الدكتور محمد مراد غالب قد تعرض لهذا الموضوع فى المذكرات التى نشرها عام ٢٠٠١ ، وليس فيما ذكره الدكتور مراد غالب

جديد مغاير لما تدارسناه من راويات منسوبة إليه ، أو إلى غيره ، لكنه يشير بكل وضوح إلى أنه هو الذى كان قد استنتج أن الرئيس عبد الناصر ينوى تعيين البغدادي نائباً له ، وأنه هو الذى نقل هذا الاستنتاج إلى البغدادي.. ومع هذا فإن الدكتور مراد غالب نفسه فى نهاية روايته يقدم رؤيته القائلة بأن السادات «والحق يقال» على حد تعبيره كان منسجماً مع الشرعية:

«... كان الرئيس يقضى شهر أغسطس فى الإسكندرية فى استراحة المعمورة ، وهى استراحة متواضعة الأثاث . وكنت أتطلع إلى هذه المقابلة بعد ما ذكره «البروفيسير شازوف» اختصاصى القلب فى الكرملين ، والذى أسرّ لى عندما كنا فى موسكو بأن حالة قلب الرئيس غير مطمئنة وأن شرايين القلب الفرعية لم تفتح وما زالت مسدودة ، رغم كافة الأدوية وتزويده بالأوكسجين المخصص لرواد الفضاء».

«وجدت الرئيس بادى النشاط وفى حالة استرخاء ومعنوياته عالية ولم يكن يعرف شيئاً عن حالة قلبه وطبعاً لم أذكر له شيئاً عنها».

«تركز الحديث حول المرحلة المقبلة وأهمية تحريك حائط الصواريخ وكان هذا الموضوع بالغ السرية. وفى لقائى مع الرئيس شرح متطلبات تنفيذ أهداف المبادرة ومطالبة السوفيت بتصعيد مساعدتهم فى كافة الأسلحة ، خصوصاً بالنسبة لدعم حائط الصواريخ الذى سيتقدم إلى ضفاف القناة. ثم شرح الرئيس رأيه فى الحل السلمى ولم يكن متفائلاً ، وأخيراً انتهت المقابلة. وهممت بالانصراف وإذا به يقول: «لا... انتظر أنا عايزك فى مسألة مهمة» ولما استفهمت عنها قال: «أنا عايزك ترتب عدة مقابلات مع الزعماء السوفيت بريجنيف وكاسيجين وباجورنى وجريتشكو وجروميكو... إلخ». مع السيد عبد اللطيف البغدادي الذى سيزور موسكو قريباً فلما قلت له: «إيه ده يا ريس ده الحكاية كبيرة» ، قال لى: «بلاش لماضه» أنت فاهم كويس! روح نفذ اللى قلتك عليه». وخرجت من عند الرئيس ومعى كل الخلفية التى ذكرتها من قبل. وفهمت ما يرمى إليه الرئيس ، وذهبت مباشرة إلى بلاج «عايدة» فى المنتزة ، وكانت هناك مفاجأة غريبة تنتظرنى . فقد وجدت «البغدادي» فى كابينة الصديق المشترك سليمان جميعى فى بلاج «عايدة». فسألنى أين كنت !! انتحيت به جانباً وذكرت له إننى جئت توا من لقاء مع الرئيس ، وأخبرته بما ذكره الرئيس بالنسبة لزيارة لموسكو ومقابلة الزعماء السوفيت ولم يكن الرئيس قد أبلغه بعد . واستفهمت منه عن تطور

علاقته مع الرئيس فأجاب بأنها تغيرت تماما ، وهو يتصل به بالتليفون عدة مرات فى اليوم ، كما يرسل له الكثير من التقارير وبدأنا نتزاور . أما ما ذكرته الآن فهذا يدفع الأمور فى اتجاه جديد . وقلت له ألا تشعر بأن هذا يعنى أنك نائب الرئيس القادم ؟ قال إن الرئيس أشعرنى بهذا ولكنه لم يقلها صراحة ؟ وعلمت فيما بعد أن الرئيس كان ينوى إعلان هذا الخبر فى اجتماع خاص باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى !! ولكن طغت أحداث الأردن والصراع بين الملك حسين والفلسطينيين وما نعرفه جميعا عن أحداث «أيلول الأسود» . وتوفى جمال عبد الناصر وهو يودع أمير الكويت . وهكذا شاء القدر أن يظل أنور السادات هو نائب الرئيس ، وتسير الأمور بعد ذلك كما نعرفها . وتبقى قصة تعيين عبد اللطيف البغدادى نائب للرئيس معروفة فى أضيق الحدود . ولم يثرها البغدادى ، فقد كان حريصا على كرامته وعزة نفسه إلى أقصى الحدود . كما أن وفاة عبد الناصر منعت الإعلان عنها . وهكذا انفتح الطريق على مصراعيه لكى يصبح أنور السادات رئيس للجمهورية . وكان رجال عبد الناصر يفضلونه على البغدادى ظنا منهم أن السادات ألين عريكة وأسلس قيادة ، كما أنه والحق يقال منسجم مع الشرعية ، فقد كان السادات نائب رئيس الجمهورية الرسمى ، والتف حوله الكثيرون من كبار رجال الدولة مثل المهندس سيد مرعى والدكتور عزيز صدقى والأستاذ هيكىل».

عبد اللطيف البغدادي
شهيد النزاهة الثورية

9

البغدادي وزملاؤه

دار الخيال

نستعرض في هذا الباب علاقة البغدادي بزملائه بدءاً بعلاقته بالرئيس السادات وعلاقته بالرئيس محمد نجيب ثم نتأمل بعض عوامل الخلاف والاتفاق بين البغدادي وزملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة حسبما أوردتها الأدبيات المتاحة في تاريخنا المعاصر، وذلك بعد أن تناولنا في الباب السابع تطور علاقته بعبد الناصر ومدى تعاونهما واختلافهما ثم افتراقهما باستقالة البغدادي .

ويمكن لنا على سبيل الإجمال أن نبدأ بالقول بأن البغدادي فيما كتب وسجل من مذكراته كان يعتز بزملائه كمال الدين حسين وجمال سالم وحسن إبراهيم بصفة خاصة. ولكنه لا يفتأ يذكر لنا أن حسين الشافعي كان يؤثر السلامة في كثير من المواقف ، أما موقفه من أنور السادات وزكريا محيي الدين فمتوازن إلى حد بعيد ، وأما موقفه من صلاح سالم فيحمل كثيراً من الانتقادات شأن موقفه من عبدالحكيم عامر ، ولكنه يبدو موضوعياً جداً تجاه مواقف هذين الرجلين. والحق أن عبد اللطيف البغدادي لم يدخر وسعه في أن يقف في صف صلاح سالم وعبدالحكيم عامر ، وبإعطائهما العذر حين يستحقانه وبإعطائهما العذر حين يجده لهما، لكنه لم يكن يستطيع أن يقنع نفسه بأسبابهما أو وجهة نظريهما فيما اعتري حياتيهما ومواقفيهما من دراما سريعة الإيقاع.

أولاً: علاقة البغدادي بالرئيس السادات، يمكن لنا الزعم بأن أنور السادات و عبد اللطيف البغدادي كانا على علاقة طيبة ، وأنه ربما كان الدافع من كل هذه الروايات القائلة التي

أخذت تروج لفكرة أن أحدهما كان يهدد الآخر فى آخر أيام عبد الناصر هو محاولة تدمير مثل هذه العلاقة ، وكأن الخطاب الصحفى الذى بذل أصحابه جهدهم فيه باستماتة كان موجهها باقتدار إلى البغدادى حتى لا ينحاز إلى الدفاع عن السادات فى الحملة الشرسة المفاجئة التى أعقبت وفاته .

ومن العجيب أن البغدادى لأنه رجل عظيم فعلاً لم ينسق أبداً فى أعقاب وفاة السادات إلى الترهات والتجاوزات الكثيرة التى تورط فيها صحفيون كبار بل بعض رجال الثورة لمجرد تصفية حسابهم الوهمى مع السادات كورثة لعبد الناصر ، وذلك على الرغم من أنه لم ينف أن احتمال استخلاف عبدالناصر له أو تعيينه نائبا أو رئيسا للوزراء كان وارداً .

وربما كان من الأوفق أن نبدأ حديثنا عن علاقة البغدادى بالسادات ، بمناقشة ما هو كفيل بأن يصور لنا طبيعة الدور الذى قدر للبغدادى أن يقوم به فى عهد السادات فى هدوء شديد .



وهو فى رأى من أهم الأدوار السياسية فى حياتنا السياسية المعاصرة .

ومن أهم الأدوار فى قيادة التحول الذى تم فى عهد أنور السادات .

وقبل هذين فانه من أهم الأدوار السياسية التى أداها البغدادى لوطنه .

ونحن نفهم أن البغدادى كان تواقاً إلى المشاركة فى الحياة السياسية بعد رحيل عبدالناصر ، وقد كان الرجل من أوائل الذين نشروا مذكراتهم ، وكان حاضراً على الدوام فى قضايا وطنه فى أحاديث صحفية وآراء معلنة . وليس من شك أن البغدادى بنشره المبكر لمذكراته قد تولى « دون أن ينتبه الكثيرون » قيادة النقد السياسى الذاتى لفترة الثورة الأولى ولعهد جمال عبد الناصر .

ولأن الكتابة السياسية فى مصر كثيراً ما تمضى فى طريق المحاكاة والنقل وتصبح أقرب إلى أن تكون تردداً أو تكراراً لنغمة سائدة فقد توجهت الكتابات السياسية التى نقدت عهد عبد الناصر فى نفس الخط الذى بدأه البغدادى فى مذكراته من ناحية ، وتوفيق الحكيم من ناحية أخرى فى كتابه « عودة الوعى » .

وهكذا تم التركيز على انتقاد الدكتاتورية أو الفردية ، وتم انتقاد عبد الحكيم

ورعونته وتم انتقاد الألعاب السياسية غير الصريحة .. إلى آخر كل ما انتقده البغدادي في عهد عبد الناصر .

ومع أنه كانت في عهد عبد الناصر ، رغم كل إيجابياته ، سلبيات أخرى واضحة إلا أن الحملة على عبد الناصر فضلت تضخيم ما نبهنا إليه كتابات من وزن كتابات البغدادي وتوفيق الحكيم فحسب ، ولانستطيع أن نجد كتابا تناول التجربة الناصرية بالنقد (أو بالدفاع) بدون أن ينقل عن البغدادي حتى ولو لم يثبت ، في النصوص أو في الهوامش ، أنه نقل .

وهكذا أدى البغدادي الدور الذي كان عبد الناصر يتمنى له أن يقوم به في عهده ولكن بعد انتهاء هذا العهد بأكثر من خمس سنوات !!

وبدلاً من أن يؤديه في عباءة عبد الناصر وبرضاه وفي حضوره فانه أداه كزعيم غير متوج لكل من نقد عهد عبد الناصر .

وقد تولى البغدادي [أو ولى دون إعلان صريح] مهمة الزعامة الفكرية التي لا يصيبها عنت التوفيق بين التابعين ولا جهد تحريضهم وإقناعهم .

وهذه في الحقيقة هي طبائع الأيام بكل ما تحمل من تقلبات السياسة والساسة والسياسيين .

وقد كان السادات ونظام حكمه كما نعرف جميعاً بمثابة أكبر المستفيدين من هذا الدور الذي أداه البغدادي من دون اتفاق .



أما علاقة البغدادي بالسادات في السنوات العشر الأولى من الثورة فيمكن تلخيصها بأنها كانت علاقة مثالية رغم ما هو معروف من أن العسكريين الذين يتحولون إلى سياسيين في المواقع المتقدمة يصبحون في وضع غريب لا يمكن وصفه إلا بالعبرة القائلة «إنهم قوم لا يحب أحد منهم أحداً» ، ودليلي على حسن هذه العلاقة ظواهر كثيرة ، منها أن السادات وهو زميل مساو تماماً لعبد اللطيف البغدادي قد قبل العمل تحت رئاسة البغدادي مرتين ، المرة الأولى في محكمة الثورة حيث كان البغدادي رئيس المحكمة والسادات عضو اليمين في المحكمة . والمرة الثانية في مجلس الأمة الأول (١٩٥٧) حيث كان البغدادي رئيساً وكان أنور السادات وكيلاً .

ومع هذا فإن العلاقة بين الرجلين ظلت خالية من الشد والجذب ، وربما يرجع البعض الفضل فى هذا إلى أنور السادات وقدرته على التكيف ، ولكنى لا أظن أن هذا هو كل ما فى الموضوع ، فعادة النفس البشرية فى مثل هذه الظروف أن تبحث عن أى أمر صغير يمكنها من التعبير عن التذمر من مثل هذا الوضع ، وما كان أسهل على أنور السادات أن يجد مثل هذا السبب ، وهنا تأتى الحقيقة التى أود أن ألفت النظر إليها وهى أن البغدادي كان يتمتع بدرجة قصوى من التهذيب الأسر والتقدير الرفيع فى معاملته لأنور السادات حين عمل معه فى محكمة الثورة أو فى مجلس الأمة ، ولولا هذا ما كان السادات قد أحبه ولا تحمله ، وهو ما يحسب للبغدادي بكل تأكيد.

وليس أدل على هذا من الانطباع الأول الذى صرح به السادات وهو رئيس للجمهورية من أنه يحب البغدادي دون غيره من الزملاء ، ومن أن يقابله دون غيره من الزملاء ، وفى حقيقة الأمر فإن البغدادي فى مذكراته بموضوعيته وأمانته أبان لنا فى أكثر من موضع عن أن أنور السادات كان يتمتع دون زملائه جميعاً بحس سياسى متميز وعلى سبيل المثال فإنه فى روايته لآراء أعضاء مجلس الثورة فى أكتوبر ١٩٦١ وعقب الانفصال ، روى البغدادي آراء زملائه فرداً فرداً إلى أن وصل إلى الفقرة التى قالها أنور السادات والتى تعطينا فكرة صادقة عن طبيعة شخصية السادات المتفهم للسياسة بأكثر من زملائه ، وها هو البغدادي يروى فيقول: «أما أنور فكان يؤكد ضرورة قيام مجلس ثورة ، وتحدث عن مقابله مع أعضاء مجلس الأمة عن مدينة القاهرة ، وما أثاروه من نقد حول أسلوب الحكم وعن إهمال الدولة لمجلس الأمة ، وخرج من هذا بأنه قد وجد نفسه واقفاً موقف المدافع وأن هذا من الخطورة بمكان ، وأنه لابد من أن نقلب الوضع بحيث نقف موقف المهاجم وإلا نروح إلى بيوتنا - على حد قوله».



ومن الثابت أيضاً أن البغدادي حين نشر مذكراته فى عهد السادات لم يمالئ السادات فى شئ بل إنه ذكر بكل وضوح قصة ذهاب السادات للسينما ليلة الثورة ، وهى القصة التى أثارها أعداء السادات بعد وفاته وكأنهم قد عثروا على كنز ثمين ، مع أنها نشرت فى حياته وفى مذكرات البغدادي نفسه.

ومن العجيب أن المصادر التاريخية فى مرحلة تالية ذكرت أن عبد الناصر وعبدالحكيم ذهبا أيضاً إلى السينما حيث قطعاً تذكرتين واحتفظا بهما فى ملابسهما المدنية.

ولكن المشكلة الكبرى فى هذا الموضوع التى قد تواجه قراء التاريخ أن بعض خبثاء الطوية والنية خطر ببالهم أن يصوروا البغدادى فى مرحلة متأخرة أنه كان المرشح الطبيعى عند عبد الناصر لخلافته ، وأن السادات قد انتزع منه هذا الحق ، وقد تعرضنا لتفاصيل علاقة عبد الناصر والبغدادى وبرهنا للقارئ على رأينا القائل بأن عبد الناصر نفسه لم يكن - فيما قاده من سلوك أو تصرفات - يرحب بوجود البغدادى خلفا له .

ومع هذا فقد أصبح المجال فى وقت من الأوقات مشحونا بفكرة استخلاف عبد الناصر للبغدادى ليس من أجل هذه الفكرة ذاتها ولكن من أجل تصوير نزاع وهمى بينه وبين السادات الذى سطا على موقعه ، ومن حسن الحظ أن البغدادى ظل حتى آخر أيامه عاقلاً تماماً كالعهد به فلم يتورط فى هذه الحملة ، ولم يجب على أى سؤال من الأسئلة التى تتعلق بها بأكثر مما يعرفه من حقائق أو ما شهده بنفسه .



وقد كان أمين هويدى أول من لفت نظرنا إلى أن علاقة السادات والبغدادى كانت طيبة، وإلى أن السادات كان يحتفظ للبغدادى بمشاعر التقدير، وهو (أى أمين هويدى) يروى لنا فى كتابه « مع عبد الناصر » أن أعضاء مجلس القيادة الباقين على قيد الحياة أرادوا أن يقابلوا الرئيس السادات (ولم يكن قد توفى من أعضاء مجلس قيادة الثورة إلا صلاح وجمال سالم وعبدالحكيم عامر) ليقترحوا إعادة تشكيل مجلس قيادة الثورة أو بعبارة أخرى ليشاركوه (أو يساعده) فى الحكم بصورة أو أخرى ، لكن السادات رفض هذه المقابلة وقال إنه سيقابل البغدادى فقط لأنه يرتاح له دون الآخرين . وأمين هويدى يروى هذا كما ذكرنا فى إطار الحديث عن رغبة أعضاء مجلس قيادة الثورة فى العودة إلى الحياة السياسية فى عهد السادات .

وهذا - على كل حال - هو نص رواية أمين هويدى :

« وفى اليوم التالى مباشرة أرسل أعضاء مجلس الثورة القدامى إلى السيد أنور السادات مذكرة مكتوبة يعرضون فيها إعادة تكوين مجلس الثورة على أساس ديمقراطى ويتولى سيادته الرئاسة ، وقد وقع على المذكرة كل من السادة عبد اللطيف البغدادى ، زكريا محيى الدين ، حسن إبراهيم ، كمال حسين ورفض السيد أنور السادات مقابلتهم كطلبهم فى المذكرة وذكر أنه سيكتفى بمقابلة البغدادى لأنه يرتاح إليه دون الآخرين ، وقد تمت المقابلة ولا أدري شيئاً عما تم فيها » .

ويبدو لي أن هذه الروح التي حكمت موقف السادات من البغدادي .. حكمت أيضا موقف البغدادي هو الآخر من السادات.

فعلى الرغم من أن كمال الدين حسين شارك في عصر السادات بفاعلية أكبر حين خاض انتخابات البرلمان وفاز ومارس النيابة وناقش تحت القبة ، إلا أنه سرعان ما اصطدم بالسادات أو اصطدم به أنور السادات .. على حين ظل زكريا محيى الدين متحفظاً إلى النهاية ، كذلك ظل حسن إبراهيم شبه متحفظ إلى قرب النهاية حين أعلنت الصحف في العام الأخير من حكم السادات عن مقابلهما !!



وفي حديثه المطول للأستاذ صلاح منتصر (مجلة أكتوبر ، يوليو ١٩٨٨) روى عبد اللطيف البغدادي بالتفصيل محاولات اشتراك أعضاء مجلس قيادة الثورة في السياسة بعد وفاة الرئيس عبد الناصر ، وأشار البغدادي بكل وضوح إلى أنه أحس بالخرج عندما أنهى إليه وزير السياحة الأسبق أمين شاكراً نبأ دعوة الرئيس السوداني له للقاء به هو وكمال الدين حسين وزكريا محيى الدين وحسن إبراهيم في صباح اليوم التالي ، وأن حسن إبراهيم بالانفاق مع البغدادي أنهى نبأ هذه الدعوة إلى الرئيس السادات ، ويبدو أن السادات (حسب تصور البغدادي) طلب إلى جعفر نميري إلغاء الفكرة ، وقد حدد السادات موعداً للقاء البغدادي بمفرده ، ومن الجدير بالذكر كما سنرى أنه في ذلك اليوم نشر بيان عزيز صدقي الشهير الذي يتحدث عنه البغدادي في لقائه مع السادات ، وقد تم اللقاء وفيما يلي من فقرات نروى تفاصيل ما رواه صلاح منتصر عن البغدادي :

«.... في نفس اليوم [أي اليوم المحدد للقاء بين السادات والبغدادي] أصدر الدكتور عزيز صدقي وزير الصناعة والبتترول في ذلك الوقت بيانا ظهر في الصحف في اليوم التالي (الثلاثاء ٦ أكتوبر) وكان يبدو أن هدفه الأساسي أن يكون بيانا موجهاً إلى الأربعة: (البغدادي ، وكمال الدين حسين ، وحسن إبراهيم ، وخالد محيى الدين) الذين انسحبوا من العمل مع عبد الناصر. ففي هذا البيان قال عزيز صدقي:

«لقد سار خلف عبد الناصر أعوان له ، ساهم كل منهم بنصيبه فيما رأى جمال

عبدالناصر أنه قادر عليه ، وهناك مَنْ تخلف بعد جزء من الطريق ، وهناك من أكمل الشوط حتى نهايته ، وكان الشرط الذى لا يرضى الرئيس الراحل عنه بديلا لمن يبقيه معه فى مسيرته ، إيمانه بالمبادئ التى نادى بها الشعب إيمانه بالاشتراكية».

«وفى وقت الشدائد يجب أن نتصارع بالحقيقة ، فهى التى تقينا من الوقوع فى أوهام باطلة».

«لن يقود المسيرة - مسيرة الاشتراكية.. مسيرة جمال عبدالناصر بعد أن غاب عنا - إلا الذين يؤمنون بمبادئ الاشتراكية ، بحق الشعب العامل فى حياة أفضل ، فى الحفاظ على جميع المكاسب الاشتراكية التى حصل عليها العمال والفلاحون وباقى أفراد الشعب العامل ، فى ضرورة التنمية بمزيد من المصانع ، بمزيد من الأرض ، بمزيد من فرص العمل فى جميع المجالات».

«وانى أطمئنكم [الضمير لعزيرى صدقى] أننا لن نسمح لمن ارتد أو تخلف ، أو ظن أن الاشتراكية تنتهى بموت جمال عبدالناصر ، أن يرفع رأسه - وكان له وضع فى مسيرتنا - أن يكون له مكان فى مسيرتنا. إن جمال عبد الناصر فى أثناء حياته أصدر حكمه وعبر عن رأيه فى كل مَنْ عملوا معه ، لم يبق معه إلى نهاية الشوط إلا الذين آمن إليهم ، واطمأن إلى أنهم يعتنقون المبادئ الأساسية التى عمل من أجلها وأنهم سيكونون قادرين على الحفاظ عليها».

ويعلق البغدادي للأستاذ صلاح منتصر على بيان عزيز صدقى فيقول:

«.. انتابنى انفعال شديد وضيق مما كتبه عزيز صدقى ، ولم أجد نفسى إلا جالسا على مكتبى أكتب خطابا إلى محمد حسنين هيكل وزير الإرشاد ورئيس تحرير الأهرام ، إلا أننى لم أتمكن من إكماله لحلول موعدى مع أنور السادات ، وعندما ذهبت إليه فى الموعد المحدد وجدته جالسا فى الصالون ، فعانقنى وبدأت حديثى معه بأننى فى حالة عصبية لبيان عزيز صدقى ، وكيف يسمح بنشر مثل هذا البيان؟ وكيف يمكن اتهامنا بمثل هذه الاتهامات الواردة فى بيانه؟ فحاول (أى الرئيس السادات) إقناعى بأن المقصود زكريا محيى الدين ، وبيان عزيز صدقى الغرض منه طمأنة العمال على مكاسبهم لأنهم يخشون أن يكون لزكريا دور فى هذه المرحلة وهم لا ينسون أنه عندما كان رئيسا للوزراء أنه حاول حرمانهم من الـ ٢٥٪ الأرباح التى توزع عليهم ، أمال لو سمعت ما

قاله خالد محبى الدين فى اجتماع اللجنة المركزية تقول إيه وهو ابن عم زكريا فلا يقاس ما قاله عزيز صدقى بجانب ما قاله خالد. واستطرد السادات قائلا: إن خالدا قال هل معقول أن نلغى كل هذه المؤسسات السياسية من أجل أربعة ؟ ومن الطبيعى أنه كان يقصدنا نحن الأربعة أعضاء مجلس قيادة الثورة القدامى ، فقلت لأنور: أنت تعرف خالد ، وأن خالد بموقفه إنما يخشى من عودة هذه المجموعة للسلطة وضرر ذلك على الشيوعيين الذين يسعون للتغلغل داخل الأجهزة المختلفة. فرد بأنه فاهم طبعاً ، ثم استطرد قائلا: إنه قرأ المذكرة والاقتراحات الواردة فيها ، ولكن نتیجتها هو إلغاء هذه المؤسسات السياسية القائمة ، ومعنى هذا التشكيك فى النظام الذى أقامه المرحوم جمال والشعب استفتى على نظام جمال عبد الناصر ، وسار فى جنازته خمسة ملايين من البشر ، ورددت عليه بأنك تعلم عدم ثقة الجماهير فى هذه المؤسسات وانتخابها لم يكن نزيهاً ، فرد بأنه هو شخصياً لم يحصل إلا على ١٢٠ صوتاً فى انتخابات اللجنة المركزية ليكون عضواً باللجنة التنفيذية العليا ، وأنه علم باللعب الذى حصل لكنه لن ينتقم».

«ثم عدنا ثانية للحديث عن المذكرة وقلت له إن ما ورد بالمذكرة من اقتراحات هو ما نراه أفضل الحلول فى هذا الوقت العصيب ، وأنه من الضرورى أن يتولى الشعب حكم نفسه بنفسه ، وأن تنقل إليه السلطة ، ويجب أن نستفيد من أخطاء المرحلة الماضية وإن عملت على نقل السلطة للشعب تكون قد أدت لهذه البلاد خدمة جليلة ، وقال أنور: إن المرحوم جمال كان مركزاً السلطة كلها فى يده ، لكنه ينوى أن يوزع المسئوليات على الأجهزة المختلفة ، وأن تكون مسئوليته المحافظة على التوازن بين هذه الأجهزة ، وطلب أن نعطيه فرصة إلى أن يتم الاستفتاء ثم تشاور فيما يجب عمله مبيناً فى الوقت نفسه أنه لا يمكنه التعاون مع زكريا ولا كمال الدين حسين».

«وعلى موقف زكريا من استقالته ورأيه فيه والسبب الحقيقى للاستقالة هو الهروب لاعتقاده - أى اعتقاد زكريا - بأن الوضع سينهار تماماً ومظاهرات الطلبة فى حلوان ما هى إلا بدايته. (كان زكريا محبى الدين قد قدم استقالته إلى عبد الناصر سنة ١٩٦٨ فى أعقاب المظاهرات التى قام بها الطلبة فى ذلك الوقت)».

«وأضاف [أى السادات] إن زكريا ركب الغرور من يوم أن تولى رئاسة الوزارة ، وأنه يعتقد فى نفسه أن له مدرسة خاصة. واستطرد قائلا: أما كمال الدين حسين فأنا كنت أسميه النبيل حتى تشكيل مجلس الرئاسة فوجدته انقلب شخصاً آخر عندما انتقلت منه

السلطة التي كان يباشرها قبل تشكيل مجلس الرئاسة ، أما أنت فكنت فلاحا ورجلا في كل مواقفك ، وجمال قال لي في هذا الصيف ، إن البغدادي عايش معنا المعركة ، وأنت دائما لك رأى في كل موقف ، وما يجب عمله رغم بعدك عن السلطة ، ولم أشأ أن أعلق على ما ذكره بالنسبة لأشخاصنا ، ولكنى قلت له إن ما أردناه من المذكرة هو أن نحدد أفكارنا والحلول التي نراها لحماية هذا البنيان من السقوط ، وليس وراءها غير ذلك ، فالصالح العام هو الذى أملى علينا هذا الموقف ، وحتى أمننا الشخصى مرتبط بحماية الوضع. فقال [أى السادات]: إن تجمعكم نتجت عنه بلبلة شديدة مما استدعى السرعة فى الإجراءات حتى يستقر الوضع ، فقلت له: إننا لم نكن نجتمع لتأمر إنما للبحث عن أفضل الحلول ، ولو كنت قد اجتمعت معنا فور طلبى لهذا الاجتماع يوم الخميس الماضى لما تمت اجتماعاتنا بهذه الصورة ، ولكن تأخر هذا الاجتماع هو الذى دفعنا لأن نتقابل ، فقال بأن زكريا كان له نشاط واتصالات فى أثناء اجتماعاتكم حتى أن مصطفى عبد العزيز (مدير مكتب زكريا سابقا) ذهب لضباط البوليس وأبلغهم «بأننا جمعنا لكم الأربعة ومنتظرين إيه ما تتحركوا بقه» بخلاف اتصالات أخرى ، فقلت له: إننا لا نعلم بهذا ، فقال: أنا متأكد وكنت مطمئنا بوجودك معه ، وقال أيضا: إن الأمريكان فى حالة جنون وكادوا يقولون إحنا عايزين زكريا ، وكل صحافتهم وصحافة الغرب تنادى بزكريا ، ورددت عليه بأننا على العموم لم نجتمع إلا من أجل صالح عام ودافع وطنى وتقدمنا لك برأينا وأنت المسئول والمسئولية التاريخية ستقع عليك أنت ، ولك مطلق الحرية فى الأخذ بما اقترحنه أو بما تراه أنت ، فرد بأن نعطيه فرصة حتى يستقر الوضع بعد الاستفتاء ، وذكر لى اجتماعاته مع كوسيجين وما دار فيها ، وأنهم - أى الروس - أكدوا استمرارهم فى تأييد موقفنا من قضية فلسطين ، وأكدوا أن التعاون سيستمر كما لو كان عبد الناصر موجودا ، وكل مطلبهم أن نستمر أيضا فى العلاقة التى كان يسير عليها عبد الناصر معهم. وكذا أخبرنى عن استمرارهم فى توريد بعض الأسلحة الإلكترونية التى كان قد تم الاتفاق عليها مع المرحوم جمال فى أثناء زيارته الأخيرة لموسكو ، والأسلحة الأخرى فى حدود ٦٠٠ مليون جنيه. وأخبرنى عن مقابله للوفد الأمريكى الذى كان قد حضر للتعزية فى وفاة جمال وما قاله لهم من أنه لن يسحب الصواريخ ، ولما سأله عما إذا كان سيلتزم بما كان قد التزم به جمال فأكد لهم هذا الالتزام من جانبه أيضا».

«وبعد أن استعرض الموقف بهذه الصورة قال لى: هذا هو الموقف ، عرضته عليك

ولكننا سنحتاج للتشاور معا دائما، وأنا كنت قد اشتغلت معك وكيلا لمجلس الأمة ، ولم أشعر بحساسية من ذلك ، وكان كل واحد منكم متوليا عملا وشايله وماشى من أول الثورة ، وكنت أنا أقول المهم إن الثورة تستمر ولم يكن لى عمل ، وعندما يصبح أى منا رئيسا للجمهورية فالآخرون رؤساء لأنه لا فارق بيننا».

«وختمت حديثى «بأننى لا أود أن آخذ من وقتك أكثر من هذا ، ولكنى أود أن أخبرك بأننى سأرسل خطابا إلى هيكمل ردا على بيان عزيز صدقى ينشره ، وهذا حقى لأننى لا أقبل أن أسكت على ما ورد فيه». فأخذ يهدئنى ، ولكنى أصررت على موقفى فوافق وقال: «ربما ينفع فى المستقبل» ، ولم أسأله ماذا يقصد ولم أفهم قصده ، ولكن ربما يكون الغرض هو محاولة إرضائى وإفهامى أنه متجه إلى طلب التعاون منى ، وعند انصرافى أبلغنى بأنه سينقل مكتبه إلى قصر الطاهرة لأنه لا يمكنه العمل فى نفس مكتب جمال بالقبة.. ثم صحبنى حتى باب قصر العروبة وركبت عربتى وانصرفت».

«وعدت إلى المنزل وأكملت خطابى لهيكمل ، وكتبت خطابا آخر لعزيز صدقى».

ثانيا : علاقة عبد اللطيف البغدادى بالرئيس محمد نجيب: من المفارقات، وما أكثر ما فى التاريخ من مفارقات، أن السبب الوحيد لاستقالة البغدادى عام ١٩٥٤ كان معارضته فى قرار مجلس قيادة الثورة بإعادة محمد نجيب لأنه كان ينظر للأمر على أنه مسألة مبدأ.. وسنقرأ تفاصيل هذا الموقف الذى لم يقف فيه مع البغدادى إلا جمال سالم بينما رأى الباقون أن يحنوا رأسهم للعاصفة الشعبية الهادرة إلى أن تمر، ثم سرعان ما تخلصوا من محمد نجيب.

ولا يمكن لنا تأمل الموقف لو أن مجلس قيادة الثورة أخذ برأى البغدادى ورفض عودة محمد نجيب! هل كانت الأمور تمضى فى اتجاه ابتعاد مجلس قيادة الثورة من الحكم وعودة أحزاب ما قبل الثورة أو ظهور قوى ليبرالية جديدة أو تمكن القوى السياسية الناشطة (كالإخوان والشيوعيين) من تسلم مقاليد الأمور؟

كل هذا كان محتملا لكن شبق الثوار بالسلطة ألغى هذه الاحتمالات ونظر إلى موقف عبد اللطيف البغدادى المستند إلى المبادئ على أنه موقف نظرى فحسب!!

ومن المفارقات أن مجلس القيادة رأى أن يعاقب خالد محبى الدين أو أن يحاكمه بينما كان البغدادى لا يرى هذا رأى لأن خالد محبى الدين لم يخف توجهاته على زملائه.

وهذا على كل حال التاريخ.. وهو صدى الطبائع البشرية.



لم تكن للبغدادى علاقة مباشرة بالرئيس محمد نجيب فيما قبل الثورة ، ولم تسجل الأدبيات المتاحة حدوث مشادات بينهما على نحو ما كان يحدث بين الرئيس نجيب والأخوين جمال سالم وصلاح سالم ، كذلك لم تسجل الأدبيات أى نوع من أنواع التحالف بينهما على نحو ما حدث بين الرئيس نجيب وكل من خالد محيى الدين ويوسف صديق ، ومع هذا فإن الأمر لم يخل من مشاركة عبد اللطيف البغدادى فى خداع محمد نجيب ، ولنأخذ على سبيل المثال ما يرويه هو نفسه عن الدور الذى قدر له أن يقوم به فى ١٧ أبريل ١٩٥٤ وهو تاريخ تخلى محمد نجيب النهائى عن رئاسة الوزارة قبل أن ينحى عن رئاسة الجمهورية بسبعة أشهر.

ونحن نرى عبد اللطيف البغدادى على حد اعترافه الصريح فى مذكراته قد لجأ إلى المناورة حتى استخلص من محمد نجيب بسهولة ما كان يريد منه هو وزملاؤه من فريق عبد الناصر.. وربما كان محمد نجيب واعيا لهذه المناورة ، وربما لم يكن على درجة كافية من الوعى ، خاصة أن البغدادى كان مباشرا ولم يكن معروفا عنه مثل هذه الأساليب. وقد دفع نجاح عبد اللطيف البغدادى فى هذه الواقعة إلى أن يمثل على زملائه أنفسهم أنه لم ينجح قبل أن ينهى إليهم خبر نجاحه ولنقرأ القصة:

«.... ومع هذا التشكيل الوزارى الجديد اقترح أيضاً فى الاجتماع - يوم ١٧ أبريل - أن يكتفى محمد نجيب برئاسة الجمهورية فقط ، وأن يتولى جمال عبد الناصر رئاسة الوزارة بدلاً منه، واقترح أن أتوجه إليه بهذا الاقتراح ومعنى كمال وزكريا لمقابلته وإقناعه بذلك ، وكان الاتجاه الغالب أنه سيرفض، ولكن عندما التقينا به رأينا أن نعرض عليه الموضوع من زاوية أخرى. وبدأنا حديثنا معه على أن مجلس الثورة ينوى أن يتخذ إجراءات شديدة وعنيفة فى المرحلة المقبلة لمواجهة ميوعة الموقف الداخلى بالبلاد ، وأنه بحكم توليه رئاسة الوزارة فمن الضرورى عليه أن يتمشى معنا فى هذه السياسة وأن يكون حازماً ، وأخذنا نضرب له على هذه النغمة. لكن لما كان هو يسعى إلى التقرب من الناس عن طريق أنه رجل طيب ، وضد سياسة الشدة والعنف ، فقد رأى أنه من الأفضل له أن يبعد نفسه عن هذه المسئولية. واقترح بنفسه أن يكتفى برئاسة الجمهورية وقيادة مجلس الثورة. وعدنا إلى إخواننا بسرعة لم تكن منتظرة. وقد توقعوا أن النتيجة

التي وصلنا إليها هي الرفض منه . وكنا قد اتفقنا في الطريق على أن نمثل هذا الدور قبل إبلأهم بالحقيقة وموافقتة . وقد قمنا فعلاً بتمثيل هذا الموقف في البداية ، لكننا سرعان ما أبلغناهم بالحقيقة عندما لاحظنا الضيق الذي انتاب جمال عبد الناصر . وذكرنا لهم الطريقة التي تقدمنا بها إليه تاركين إياه ليقدم الاقتراح بنفسه» .



وعلى غير المتوقع من طبيعة البغدادى وأخلاقه ونحضره فإننا نراه كما أشرنا وحسبما يرويه في مذكراته من أشد المناهضين [إن لم يكن أشدهم] لعودة الرئيس نجيب في أزمة فبراير ١٩٥٤ ، وكانت وجهة نظره معبرة عما نسميه «الصدق الفني» وهو ما يبلوره هو نفسه بقوله: «هدم للمثل والمبادئ» ، وبعبارة أوضح يقول: «كيف نستبعده اليوم لانحرافه ثم نعيده في اليوم التالى»:

«وفي ليلة ٢٦ فبراير أبدى لنا جمال عبد الناصر استعدادة لقبول الاقتراح بعودة محمد نجيب رئيساً للجمهورية وبدون سلطات ضماناً لوحدة الجيش وتفادياً لإيجاد انشقاق داخله . وقد وافقه جمال سالم على هذا الرأى ، لكن عبد الحكيم وزكريا وأنا قاومنا هذا الاتجاه لأن هذا في حد ذاته سيكون هدماً للمثل والمبادئ التي نتحدث عنها . وكيف نستبعده اليوم لانحرافه عنها ثم نعيده في اليوم التالى كرمز لها وللثورة ، وأن هذا يتناقض تماماً مع ما ندعو إليه . ثم كيف نسمح لأنفسنا أن نتخذ قراراً اليوم ثم تأتى قوة من الجيش وترغمنا على أخذ قرار آخر متعارضاً مع القرار السابق الذى أخذ ، وأنه بهذا الوضع لا تستقر الأمور ، وفي ظلها لا يمكن العمل ، كما أن عودة محمد نجيب ثانية في ظل هذه الظروف ستمده بالقوة ولن يلزم حدوده وسيتمدى السلطات التي ستحوّل له مطمئناً بأننا لن نجرؤ على التصدى له خشية أن نقف نفس هذا الموقف الذى نقفه اليوم ، وربما يكون الموقف أسوأ لأن هذا سيشجع الكثيرين من المناهضين للثورة على العمل على مناوئتها بعد هذا التراجع منا ، ومعنى هذا أن الحل المقترح لن يكون إلا حلاً مؤقتاً ولن يمنع الانشقاق ثانية في المستقبل» .



«وتقدمت باقتراح تكليف شخص مدنى بتأليف الوزارة على أن يعيد الحياة النيابية في أقصر وقت ممكن ، وأن يحل مجلس قيادة الثورة وتظل استقالة محمد نجيب قائمة» .

وفى موضع آخر من مذكراته يشير البغدادي إلى حوار بينه وبين جمال سالم ، ويتضح لنا من هذا الحوار أن البغدادي وصل إلى اعتقاد بأن عبد الناصر هو الذي دفع بمحمد نجيب إلى اتخاذ موقفه وهو يقول :

«وقد شمل حديثنا (أى حديثه مع جمال سالم) أيضاً موقف محمد نجيب وجمال عبد الناصر ، وكيف أن محمد نجيب كان فى البداية خاضعاً ولا حول له ولا قوة ، ولكن محاولات جمال المستمرة بأن يظهر أنه المحرك الأساسى للثورة وأنه هو كل شىء ، وأن محمد نجيب ما هو إلا صورة هى التى دفعته إلى القيام بهذه التصرفات التى أخذها المجلس عليه وهو - أى محمد نجيب - كان يحاول أن يظهر أمام الشعب رداً على ذلك بأن له كيانه كقائد للثورة ، فأخذ يدلى بتلك التصريحات المختلفة ، وأصبح الموضوع مزايادات سياسية بينه وبين جمال فى خطبهم عن الدكتاتورية والحريات والحياة النيابية.. إلخ».

«ولقد تطور حديثنا إلى التفكير معاً فى إيجاد حل لهذا المشكل القائم داخل مجلس الثورة ، وكان جمال سالم يرى أن ينسحب الأعضاء المختلفون مع الأغلبية على أن يبقى الباقي منهم كمجلس للثورة ، وكنت مختلفاً معه فى هذا الرأى ، رغم أننى لست مستريحاً لتلك الأوضاع الجارية فى المجلس ، واعتقادى أن الحل الذى يراه سينتج عنه فقدان ثقة الشعب فىنا لأنه لا يعلم الحقيقة ولن يعلمها ، واقترحت عليه حلاً آخر ، وهو أن يتولى محمد نجيب رئاسة الجمهورية مع تحديد اختصاصاته حتى لا يحيد عنها ، وعلى أن ينسحب أعضاء مجلس قيادة الثورة من السلطة التنفيذية ويبقى كمجلس له سلطة السيادة فى حدود الدستور المؤقت ، وتكون مهمته الأولى الرقابة للمحافظة على أهداف الثورة ورسم السياسة العامة ، وأن تشكل الهيئة الاستشارية وتحدد اختصاصاتها وتشكل كذلك وزارة مدنية تكون مهمتها تنفيذ السياسة التى ترسم لها».

«وكان لجمال سالم نقطة اعتراض على هذا الحل الذى اقترحته ، وهو أن الوضع سيظل قائماً كما هو ولن يتغير لأن الوزراء المدنيين سيلجأون إلى جمال عبد الناصر فى كل شىء - على حد قوله - فأجبت بأن الحل لذلك هو أن يعين جمال عبد الناصر رئيساً للوزارة المدنية لتغطية هذه النقطة التى أثارها ويصبح هو - أى جمال عبد الناصر - كحلقة اتصال بين مجلس الثورة ومجلس الوزراء ، فوافق جمال سالم على تلك الفكرة ومعلقاً عليها بقوله: إن ذلك يحافظ على بقاء مظهر وحدة المجلس ، وعليه أن يجتمع مرة كل أسبوع حتى يكون فى الصورة بالنسبة لما يجرى فى البلاد ، ونتجنب بذلك الحل الهوة التى نراها أمامنا ، وتصبح المسئولية التاريخية واضحة».

ثالثاً: علاقة البغدادي وعبد الحكيم عامر: نستطيع أن نقول إن مصدر «الحيرة العظمى» في مذكرات البغدادي المتعددة ربما يكمن في عجزه عن تفسير تلك العلاقة الخاصة بين جمال عبدالناصر وعبد الحكيم عامر ، ويهيأ لى كما يهيأ للقارئ لهذه المذكرات أن اختفاء عبد الحكيم عامر عقب حرب ١٩٥٦ مثلاً كان كفيلاً بأن يغير صورة مصر والعالم العربى كله ، ذلك أن سرد البغدادي وتحليله للحوادث المتعاقبة كان يصب في هذا الاتجاه.

ولا أستطيع أن أنكر أنني طوال قراءة هذه المذكرات كنت أحدث نفسى بضرورة القضاء على ذلك الشبح الذى تصوره شخصية وتصرفات عبد الحكيم عامر (مع أنى أعلم أن هذا لم يكن إلا مجرد حلم غير قابل للتحقيق) ، وهكذا فقد ظلت عقدة الأحداث تتصاعد إلى ذروتها طيلة وجود عبد الحكيم عامر فى ثورة الأحداث ، ونقاد الأدب قادرون على أن يدلونا من خلال تطبيق الدراسات النفسية وتحليل المضمون أنه لم تكن مصادفة أن مذكرات البغدادي انتهت بوفاة عبد الحكيم عامر فى الصفحة الأخيرة منها.

ويخيل إلى بعض قراء التاريخ المكتوب حتى الآن أن أزمة البغدادي الحقيقية لم تكن فى هذا التناطح الواضح بين شخصية عبد الناصر وشخصيته ، بقدر ما كانت تتمثل فى وجوده قبل عبد الحكيم عامر فى الأقدمية ، وأنه كان لابد أن يفسح هذا المكان أو الموقع المتقدم أمام عبد الحكيم ، ومن ثم فقد كان مطلوباً من البغدادي أن يتراجع على نحو ما تراجع زكريا محيى الدين ، وذلك ليرضى عبد الناصر وعبد الحكيم كليهما وعلى حين فعل زكريا محيى الدين هذا حين قبل بتخطى عبد الحكيم له منذ مرحلة مبكرة برضاه فإن البغدادي لم يفعل ، ولم يتح لعبد الحكيم عامر أن يتقدم إلى موقع النائب الأول للرئيس إلا بعد خروج البغدادي بالاستقالة.



هل كان البغدادي حساساً تجاه عبد الحكيم إلى هذا القدر؟ وهل قادته هذه الحساسية إلى أن يقدم صورة عبد الحكيم فى مذكراته فى صورة لا ترقى إلى حقيقة ذلك الرجل، ربما يسهل على بعض الباحثين أن يصل إلى هذه النتيجة فى يوم من الأيام ويعيد النظر فى كثير من الوقائع على ضوء هذا الزعم.

ولكننى أستطيع أن أقول إن الحقيقة كانت فى صف البغدادي بأكثر من مائة فى

المائة ، ورغم تعاطفى الشديد مع عبدالحكيم عامر إلا أنني لا أستطيع أن أزعم أن البغدادي كان يحس تجاه عبدالحكيم بشيء من الغيرة أو الحقد أو أنه كان ينفس عليه موقعه ، فقد كان البغدادي يشعر بكل تأكيد بقيمة نفسه وبتفوقه على عبدالحكيم فى كل شىء.. بل وقد كان عبدالناصر نفسه يشعر بذلك ، وعندى من الدلائل كثير جداً على هذا الذى أقوله ، ولكنى أكتفى بأن أدل القارئ على أن عبدالحكيم نفسه عين قائداً عاماً للقوات المسلحة عند إعلان الجمهورية ، ولكن البغدادي كان قد عين فى نفس اليوم وزيراً للحربية. وقد كان تعيينه وزيراً فى نفس اليوم الذى دخل فيه جمال عبدالناصر الوزارة ، بينما لم يكن عبدالحكيم قد نال أى منصب وزارى بعد.

كذلك فإن البغدادي ظل دائماً متقدماً على عبدالحكيم عامر فى البروتوكول رغم أن عبدالحكيم تخطى كثيراً من زملائه بمن فيهم زكريا محيى الدين وأنور السادات ، ولكن عبدالناصر نفسه لم يمكن عبدالحكيم أبداً من التقدم على البغدادي ولم يصبح عبدالحكيم نائباً أول لرئيس الجمهورية - كما ذكرنا - إلا بعد أن استقال البغدادي فى مارس ١٩٦٤.

ربما يكون الاستثناء الوحيد أن عبدالحكيم عامر كان نائب رئيس مجلس الدفاع فى سبتمبر ١٩٦٢ ولكن هذا كان بحكم منصبه ، وقد ظلت الرئاسة لعبد الناصر.

وقد رأس البغدادي نفسه مجلس الرياسة بالنيابة عن عبدالناصر فى الجلسة التى حضرها عبدالحكيم كعضو فى المجلس وجرت فيها مناقشة مشروعات القرارات التى تقدم بها عبد الناصر فيما يختص بقواعد تعيين قادة القوات المسلحة.

ولكن هذا لا يمنعنا أن نذكر أن عبدالحكيم كان ضائعاً بوجود البغدادي وغيره فى موضع متقدم عنه ، ونحن نرى البغدادي كثيراً ما يحدثنا عن بعض الوقائع التى استشهد له بها جمال عبدالناصر فى معرض حديث لعبد الناصر مع البغدادي روى له فيه معاناته من عبدالحكيم ، واستشهد على هذه المعاناة بأكثر من قصة.

ومن مذكرات عبد اللطيف البغدادي نفسه نقطف ما يروى به البغدادي وجهة نظر عبد الناصر فى حديثه عن متاعبه من عبد الحكيم عامر:

«.... وذهبت إلى جمال كما سبق أن اتفقنا وأخذ يتحدث معى عن مشكلة عبد الحكيم وموضحاً أن المشكلة قديمة وليست وليدة الظروف الأخيرة فقط ، وقص على عدة قصص مختلفة يعتقد هو أنها قد أثرت فى تصرفات عبد الحكيم».

«وقصته الأولى هي أن زكريا كان قد اقترح في أثناء التعديل الوزاري الأخير بعد الاستفتاء على الدستور وعلى رئاسة جمال للجمهورية أن يوضع عبد الحكيم في أول القائمة في التشكيل الجديد حتى يصبح عبد الحكيم بذلك أقدم وزير ، أى أن يتقدم على وعلى زكريا أيضا ، وذكرني جمال بالاتصال التليفوني الذي كان قد أجراه معي وطلب فيه مقابلتي ، ومن أنه كان لهذا الغرض ، ويقول جمال: إن القصة كانت قد بدأت بذهاب زكريا إلى عبد الحكيم ، وقام بعرض هذا الاقتراح عليه ، ووافق عبد الحكيم على اقتراحه ، ثم قام زكريا بهذا الاتصال التليفوني بي لنتقي معا وليعرض على نفس الاقتراح ، وذهب إلى جمال قبل أن نلتقي وأخبره باقتراحه ، ولكن جمال اعترض عليه ، ولهذا فقد أعاد زكريا الاتصال بي تليفونيا ومن منزل جمال واعتذر عن اللقاء الذي كنا قد اتفقنا عليه ، وذاكرا لي قصة أخرى بعيدة عن هذا الاقتراح والذي كان يرغب في لقائي بسببه».

«ويقول جمال عبد الناصر: إن سبب اعتراضه هو تأكده من أنني لن أعترض على اقتراح زكريا ، ولكن ربما هذا الأمر يضايقني ، وأنه قال لزكريا إن سبب مشكلة صلاح سالم كانت هي هذه المسألة ، مسألة أقدميات أعضاء مجلس الثورة - على حد تعبيره - وذاكرا له أننا نسير على أقدميتنا بالجيش من يوم قيام الثورة حتى تلك اللحظة ، وليس هناك ما يدعو إلى تغييرها لأن هذا سيسبب لنا المتاعب. ويستطرد جمال ويقول لي: «وعلى أي أساس سيختار عبد الحكيم ، صحيح أن عبد الحكيم صديقي وأتني له أن يكون رئيسا للجمهورية ، ولكن مصلحة الوطن فوق كل شيء ، وأنا أعرف عبد الحكيم أكثر من أي شخص آخر ، زد على هذا البلد بتقول إن جمال عبد الناصر قد تخلص من جمال سالم وصلاح ليدفع عبد الحكيم إلى الأمام».

«وقال جمال أيضا: إنه كان قد اتصل بعبد الحكيم تليفونيا في أثناء وجود زكريا عنده ، وأقنعه بخطورة نتائج هذا الاقتراح ، وأن عبد الحكيم وافقه على استبعاده ، ولكن زكريا تحدث مع عبد الحكيم بعد انتهاء جمال من حديثه معه ، وقام بعرض اقتراح آخر عليه ، وذلك بأن أظل أقدم وزير ثم يليني عبد الحكيم ، ووافق عبد الحكيم على ذلك ، ولكن جمال عاد واعترض أيضا على ذلك الاقتراح وبرر اعتراضه بأن هذا سيفسر أمام الرأي العام على أن الغرض منه هو دفع عبد الحكيم إلى الأمام ، وذلك عن طريق التخلص من البغدادي أيضا ، بأن يصبح رئيسا لمجلس الأمة ، وكان قد تم الاتفاق

بيننا فى أثناء مناقشة مشروع الدستور بأن أشرح نفسى لتولى رئاسة المجلس ، ويقول إنه أصر على إعلان تشكيل الوزارة الجديدة بنفس الأقدميات السابقة لأعضاء مجلس الثورة السابقين دون تغيير».

«وقال جمال: «بعد حدوث هذا الموضوع أحسست أن عبد الحكيم قد فقد ميزته الوحيدة وهى عدم اهتمامه بتلك المظاهر ، وأصبح شخصية مختلفة عما كنت أعرفه من قبل».

«أما القصة الثانية - على حد قول جمال فقد كانت يوم تسليم قلادة النيل لأعضاء مجلس قيادة الثورة فى حفلة نادى ضباط الجيش بالزمالك ، وسألنى جمال عما إذا كنت قد لاحظت أن عبد الحكيم هو الشخص الوحيد من المجلس الذى وقف بعد أن تسلم القلادة ورفعها نحو ضباط الجيش فأخذوا يصفقون له ، وهذا فعلا كان قد حدث».

«ويستطرد جمال قائلا: «وفى ثانى يوم لتسليم القلادة حضر إلى عبد الحكيم وقال لى: هل تعلم ماذا يقول الضباط؟».

«ولما سأله جمال عما يقولون قال: «إنهم يقولون لماذا قائدنا أقدميته فى الدليل كده؟».

«فرد عليه جمال بقوله بأنهم يقولوا...».

«ويقول جمال: إنه أحس أن غرض عبد الحكيم هو الضغط عليه ، وأنه قد أصبح يشعر بعد ذلك أن علاقة عبد الحكيم به لم تصبح كما كانت فى الماضى».

.....

«أما القصة الثالثة فهى أنه عندما سافر جمال إلى يوغوسلافيا فى يوليو ١٩٥٦ ، وكنت مرافقا له فى تلك الزيارة ، وكان قد عين زكريا نائبا عن رئيس الجمهورية فى أثناء غيابه ، ويقول جمال: إنه كان قد رأى أن أسهل الحلول هو أن يعين من ينوب عنه حسب الأقدمية الموجودة بين المجموعة ، ولكن بعد عودتنا من يوغوسلافيا وقالوا له كيف يعين زكريا نائبا عن الرئيس؟ وأنهم كانوا يعتقدون أن الرئيس قد أخذ البغدادى معه فى هذه الرحلة ليعين عبد الحكيم نائبا عنه فى أثناء غيابه ، ذلك أنهم - على حد قولهم - لا يعترفون بزكريا».

«أما القصة الرابعة فقد حدثت عند دراستنا لموضوع تأميم القناة ، فرغم أن عبد الحكيم كان يعلم أننا نقوم بدراسة هذه العملية ، لكنه ذهب إلى الإسكندرية ، وبقيت أنت وزكريا معي فقط».

«وخامسها هو أن كمال الدين حسين كان قد عين قائدا لجيش التحرير ، وقد تم هذا بالاتفاق مع عبد الحكيم قبل أن يجتمع مجلس الثورة لمناقشة الموضوع - على حد قول جمال - ورغم هذا فقد حورب كمال بواسطة اللواء عبد الفتاح فؤاد وضباط آخرين من الجيش ، واضطر جمال أن يطلب من كمال ترك جيش التحرير ، وأما عبد الحكيم فلم يحاول وقف هؤلاء الضباط عند حدهم ، لكنه بدلا من هذا ذهب إلى جمال ، وقال له: «الضباط بتقول هل فيه قيادتان عسكريتان في البلد؟ ولا كمال هو القائد العام المنتظر؟».



ومن حسن الحظ أن رأى البغدادي فى أداء وشخصية عبد الحكيم عامر قد صيغ فى منتهى الوضوح عند حديثه فى مذكراته (١٩٧٧) عن تعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة عند إعلان الجمهورية فى (١٩٥٣) حيث يقول:

«.... وكنت معتقدا أن جمال عبد الناصر لم يرشح عبد الحكيم لتولى قيادة الجيش إلا لغرض سياسى ، وأنه يهدف إلى أن تصبح له السيطرة السياسية دون باقى المجلس ، وذلك عن طريق مساندة الجيش له ، وأن الذى يضمن له ذلك هو تعيين عبد الحكيم قائدا عاما له معتمدا على قوة الصداقة المتينة والتفاهم القائم بينهما ، كما كنت أخشى أيضا من تولى عبد الحكيم أمر الجيش أن يصبح الجيش فى المستقبل أداة تدخل فى السياسة العامة ، ومدى خطورة هذا على مستقبل البلاد ، لذا رأيت أن أعترض على اقتراح جمال مبينا أنه من الأفضل أن يتولى أمر الجيش ضباط محترفون للتفرغ له والابتعاد به عن السياسة ، وذاكرا أن الجيش إذا تدخل فى السياسة فسد الجيش وفسدت السياسة أيضا ، وأن هذه محصلة تجارب على مدى التاريخ ، ولكن جمال عبد الناصر تمسك باقتراحه مبينا أنه من المستحيل أن يكل أمر الجيش لشخص غريب وليس منا

فيتحكم فى رقابنا على حد تعبيره. وموقفى هذا من تعيين عبد الحكيم خلق حساسية منه نحوى لم أعلم بها إلا فيما بعد من جمال سالم».

«وعندما أعلن قرار تعيين عبد الحكيم قائدا عاما للجيش تقدم قائد سلاح الطيران اللواء حسن محمود باستقالته من القوات الجوية ورفض أن يستمر فى منصبه احتراماً لرتبة اللواء التى كان يحملها على حد قوله ، ولأن عبد الحكيم الذى كان صاعاً ثم رقى إلى رتبة اللواء دفعة واحدة سيرأسه وهو لا يرضى لنفسه بهذا الوضع، وظل متمسكاً بموقفه رغم محاولتى مع حسن إبراهيم إقناعه بالاستمرار ، وكان ذلك بتكليف من المجلس لنا ، ولكنه أصر على موقفه احتراماً للأقدمية العسكرية ، وفرق بين منصب القائد العام كمَنْصب عسكرى ومنصب وزير الحربية كمَنْصب سياسى ، وأنه لا يضيره من يشغله ، وتبعاً لهذا الإصرار منه قبلت استقالته وعين بدلاً منه الطيار محمد صدقى محمود».

ويستطرد البغدادي من هذا الحديث مباشرة إلى الحديث عن نتائج تعيين عبد الحكيم عامراً للقائد للجيش فيقول:

«... وكان من نتائج تعيين عبد الحكيم قائدا عاما للجيش أن أبعد باقى أعضاء المجلس عن وحداتهم العسكرية تدريجياً بحجة أن نترك حرية العمل لعبد الحكيم حتى لا نتسبب فى سوء تفاهم بيننا لو استمرت علاقتنا بزملائنا الضباط ، وعمل على إبعاد زملائنا عنا بواسطة ضباط مكتب عبد الحكيم ، وكان ذلك يجرى بتهديدهم أو بحجة ابتعادهم عنا حتى لا يضاروا ، وكان يعمل فى نفس الوقت على تقريبهم من عبد الحكيم بخدمات تقدم إليهم حتى أصبح لا هم للكثير من الضباط إلا التقرب من عبد الحكيم وجمال عبدالناصر ، أو إلى مَنْ هم قريبين منهما طمعاً فى منصب أفضل أو خدمة تؤدى لهم ، وأصبح الجيش بذلك مع مرور الوقت أداة قوة فى يد جمال وعبد الحكيم ، وانعزلنا نحن نهائياً عنه ، ونتج عن هذه السياسة فساد الجيش ، مما ترتب عليه نتائج وخيمة عسكرية وسياسية».



وفى مذكرات البغدادي أكثر من فقرة مهمة جداً تصور انطباع البغدادي وانطباعات زملائه عن طبيعة العلاقة بين عبدالناصر وعبدالحكيم عامر والاختلافات بينهما ، ومن

هذه الفقرات تلك التى يرويها عقب حديثه عن الخلاف الذى وقع بين الرجلين فى نهاية ١٩٦١ وبداية ١٩٦٢ فيقول:

«... وجاء فى يومياتى أيضاً تعقيباً على هذا الحديث الذى جرى: لقد وضح لى من حديث جمال أنه قلق ويخشى أن يقدم عبدالحكيم على عمل يضعه ويضعنا معه فى مأزق يضار به الصالح العام ، وهو يود أن يبعده عن الجيش ، وعلى أن يكون ذلك بموافقة جميع الإخوان ، ولكن أغلبهم قد تعلم من الماضى ، ذلك لأن «جمال» غالباً ما ينتهى فى مثل هذه الخلافات مع عبدالحكيم إلى اتفاق معه ، وبتنازلات منه أيضاً لإرضائه ، وقد تكرر هذا فى الماضى وليس من المستبعد أن يحدث ذلك ثانية».

هكذا يرينا البغدادي بوضوح أن أحداً من زملائه (بمن فيهم هو نفسه) لم يعد على استعداد لأن يتدخل بين الرجلين اللذين كانا يعودان إلى بعضهما رغم كل شيء.



وعلى كل الأحوال فإن العلاقة الثلاثية بين الزملاء الثلاثة : عبد الناصر وعبد الحكيم وعبد اللطيف البغدادي تحتاج إلى تأمل عميق جداً وسوف نتناولها بعد فقرات معدودة ببعض التفصيل الذى تستحقه من حيث هى تجربة إنسانية تتعلق بشبان أتبع لهم على حين فجأة نفوذ واسع وجاه عريض ، بينما كانوا لا يزالون غير مستعدين نفسياً ولا عقلياً لهذا النفوذ ولا لهذا الجاه ، ولم يكن أى منهم أو من زملائهم ينظر إلى مقدار ما أنعم الله به عليه بقدر ما كان ينظر إلى ما يحظى به زميله الذى يعتبره أقل منه حظاً فى القدرات أو أقل منه إسهاماً فى إنجاز العمل الذى مكن من هذا النفوذ كله ، أو أقل منه محافظة على هذا المجد.

ومن الممكن لنا بعد التأمل فى نصوص كثيرة أن نجد دلائل قوية على ما يراه البعض من أن عبد الناصر كان قادراً على أن يستغل علاقته بكل من عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي لمصلحته هو نفسه فى المقام الأول ، ولمصلحة بقائه هو مسيطراً وناظراً فى الموضع الأول ، ولكن يبدو فى نفس الوقت أنه (أى عبدالناصر) لم يكن قادراً على تطويع كليهما من أجل عمل الفريق ويبدو لى أنه لم يكن قبل هذا قادراً على تطويع نفسه هو لعمل الفريق.

وهذا هو جوهر ما أحب أن أذهب إليه بعيداً عن فكرة التأمر من عبد الناصر على كلا الرجلين أو على زملائه ؛ ذلك أن قيادة المجموعات الصغيرة تحتاج مهارات لا تقل

بحال من الأحوال عن المهارات التي تتطلبها قيادة المجموعات الكبيرة ، وظنى أن عبد الناصر كان أكثر مهارة فى قيادة المجموعات الكبيرة منه فى قيادة المجموعات الصغيرة ، ولقد كان مؤكداً أن عبد الناصر سيكون أكثر نجاحاً وأقل فشلاً لو استمر رجال من طراز البغدادى معه ولو استمر عبد الحكيم نفسه معه حسبما يقضى المنطق الصحيح لا المنطق الشخصى.

وقصارى ما أستطيع أن أشير إليه اليوم بعد مرور السنوات هو أن نعى فى تربيتنا لأولادنا ولتلاميذنا بتدريبهم على روح الفريق ، وتقبل الآخر ، والتسامح ، وسعة الأفق حتى إذا ما كان اثنان منهما فى مواقع متقدمة حافظا على نفسيهما ، وعلى بعضهما كذلك ، أما ما عدا ذلك فهو بكاء على اللبن المسكوب وربما على البن (القهوة) المسكوب.



رابعاً، علاقة البغدادى وزكريا محيى الدين، نأتى الآن إلى العلاقة الثانية التي لا يتوافر عنها قدر كبير من أدبيات تاريخنا المعاصر مع أنها فى رأى أهم علاقة فى علاقات الثوار جميعاً فقد كان هذا الثلاثى (البغدادى - عبد الناصر - زكريا) قادراً على أداء دور من أروع ما يمكن لمصر لو أن تعليمهم الأولى وتربيتهم الأولى قد نيا فيهم روح الفريق ، ولو كان هذا قد حدث لسبقت مصر بهؤلاء الثلاثة كل الدول التي بدأت تستعيد دورها بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن هذا لم يحدث للأسف.

من ناحية أخرى فإن الأدوار التي لعبها كل من زكريا والبغدادى كانت محدودة جداً بالنسبة إلى قدراتهما المتميزة وجلدهما وحبهما لوطنهما.

وقد ترك لنا عبد الناصر نفسه فى أكثر من موضع الانطباع الصادق بتقديره لزكريا وعبد اللطيف البغدادى ويكفى ما ذكره عبد الناصر بعد حرب ١٩٥٦ من أن هذين الرجلين كانا أكثر زملائه حماساً وتأيداً له ودعماً فى حرب ١٩٥٦.

وقد أوردنا فى موضع آخر فقرات مطولة عن ملازمة البغدادى لعبد الناصر كظله فى هذه الحرب ، وليس بخاف على أحد دور زكريا محيى الدين فى قيادة المقاومة الشعبية التي كانت قد أصبحت بمثابة جيش المواجهة المصرى فى هذه الحرب.

وبوسعنا أن نورد هنا شهادة مهمة لأحمد حمروش فى كتابه قصة ثورة ٢٣ يوليو حيث يقول:

« .. قال جمال عبد الناصر فيما بعد إن أكثر اثنين من أعضاء مجلس القيادة أظهرها حماسا وتأيدا لاقتحام المعركة كانا عبد اللطيف البغدادي وزكريا محيي الدين . وعندما انتهت المعركة وانسحب جنود الاحتلال ، ذهب عبد اللطيف البغدادي إلى بورسعيد لإعادة تعميرها ، وأصدر أوامره بجمع السلاح من الأهالي ولم يتردد أفراد الشعب في تسليم أسلحتهم ، وكان يرضيهم فقط أن يحصلوا على شهادة تقول « فلان كان يعمل في المقاومة الشعبية وأدى دوره بأمانة وشرف » .

ولست بحاجة إلى أن أنقل فقرات أخرى من مصادر أخرى تؤكد هذا المعنى الذي رواه أحمد حمروش فهو متواتر في الكتابات المتوافرة عن تلك الفترة .. ولكنني سأنتقل بالقارئ مباشرة إلى تفنيد المعنى الذي أفاض فيه البعض عقب وفاة عبد الناصر وهو أن أحدهما (زكريا) كان المسئول الأول عن الإساءة إلى علاقة الثاني (البغدادي) بعبد الناصر .

ونحن نرى محمود الجيار وهو أحد الضباط الأحرار من الصف الثاني حريصاً على [إنجاز] هذا الإيقاع بين زكريا والبغدادي ، وعلى تصوير زكريا وكأنه كان يحفر الحفرات للبغدادي ، على حين لم يكن البغدادي ينتبه لهذا الحفر لولا تنبيه الجيار له . ومن العجيب ، وليس هناك عجب في أمر النفس البشرية أن نقرأ روايات مفصلة من هذا النوع تزعم أنها تحيط بمدى التمر الذي كان أحدهما (زكريا) يتربص به للآخر (البغدادي) .

وأياً ما كان قدر الصدق في رواية ضياء الدين بيبرس (وصلاح حافظ) عن محمود الجيار التي سننقلها بعد قليل فإن القارئ لا يجد نفسه إلا عاجزاً تماماً عن أن يصدق تفصيلاتها على هذا النحو الذي رويت به القصة وبخاصة خاتمها البيرونية الدرامية .

كما أن القارئ يجد نفسه وهو يشعر بشعور مشاهدي السينما حين تستخدم الدراما وتسرع دقات قلبه، وهكذا يتمنى القارئ للزملاء الثلاثة: عبد الناصر والبغدادي وزكريا التوفيق في علاقاتهم الأخوية ، وهو ما لم يحدث للأسف ، وكان الخاسر الأعظم هو وطننا العظيم .

نأتى إذًا إلى الرواية المطولة التي وردت في كتاب «الأسرار الشخصية لجمال عبدالناصر» لضياء الدين بيبرس (فيما ينسبه إلى محمود الجيار) حيث يتعاطف

الراوى مع عبد اللطيف البغدادى على حساب زكريا محيى الدين الذى يزعم الجيار أنه كان يسعى للإيقاع بينه وبين عبد الناصر ، وهنا جاء دور محمود الجيار الذى نجح فى أن يفتح عينى عبد اللطيف البغدادى على هذه الحقيقة ، وسنورد من الرواية الطويلة الفقرات التى تتعلق بهذه العلاقة.

تحدث فقرات الرواية عن أزمة مديرية التحرير فى مجلس الأمة التى تناولناها وروينا وجهة نظر البغدادى فيها إلى أن يصل الجيار إلى رواية تكليف عبد الناصر له بالعمل على اصطحاب البغدادى إلى الرئيس ، وهى الواقعة التى أشار إليها البغدادى نفسه فى مذكراته بالفعل ونقلناها عنه.

يقول ضياء الدين بيرس على لسان محمود الجيار:

«... أسرع أجرى وراء البغدادى وهو متجه إلى مكتبه فى مجلس الأمة ودخلت وراءه ففوجئت بأن زكريا محيى الدين هناك ، وفوجئت به يسألنى : رايح فين؟ قلت له: رايح أكلم رئيس المجلس».

«وبدأت محاورة لا أنساها بينى وبين عبد اللطيف البغدادى. قلت له : لا يمكن أن ينتهى الأمر برجال الثورة إلى شىء كهذا قال : ولا يمكن أن ينتهى الأمر بتحريض مجدى والطحاوى وطعيمة للنيل منى ، والطعن فى هنا وهناك».

«وإذا بزكريا محيى الدين يقول له: وهو انت بس؟ ما أنا كمان بيهاجمونى ، كان واضحاً أنه ، بدلاً من أن يهدئه ، يتعمد إثارته».

«وواصلت حديثى إلى البغدادى أقول له : أتحدى أن يكون عبد الناصر قد حرض مجدى والطحاوى وطعيمة عليك ، بل أتحدى من يقول إن عبد الناصر لم يأمرهم بالكف عن هذا الهجوم ، ولم أكن أكذب وأنا أقول ذلك ، فقد سبق فى إحدى جلسات مجلس الأمة أن كان مقعدى أمام مجدى والطحاوى وطعيمة ، وسمعتهم يهاجمون البغدادى رئيس المجلس ، طول الوقت ، ساءنى ذلك ، خاصة وأنا فى أول تجربة نعمل فيها خارج تنظيم الضباط الأحرار ، وغارس فيها العمل السياسى فى إطار الدستور ومن مصلحتنا جميعاً ، بل من مصلحة مصر كلها ، أن تنجح الديمقراطية » .

« ويومها رويت لعبد الناصر ما حدث ، كعادتى فقد كنت لا أخفى عنه شيئاً ، واستاء عبد الناصر أيضاً ، وكان موجوداً فى ذلك الوقت صلاح دسوقى . فقال

عبدالناصر لى : اذهب مع صلاح الآن وقابلهم وقل لهم إننى آمرهم بأن يكفوا ألسنتهم عن البغدادى وإلا فإنى سأقطعها! ولم يكن فى هذا التعبير إساءة كما قد يبدو للوهلة الأولى . فعبدالناصر كان مدرسا فى كلية أركان الحرب ، ويملك أن يعنف هذا الجيل من الشبان الذين يعتبرهم أخوته الصغار ، ويعلم أنهم سيحترمون توجيهه .»

ثم يردف الجيار :

«تذكرت هذه القصة وأنا أحاول أن أهدئ غضب عبد اللطيف البغدادى . وقلت له: ليس صحيحا أن عبد الناصر هو الذى يحرضهم ضدك ، وفى قاعة المجلس الآن صلاح دسوقى وهو صديقك ومن أنصارك . اطلبه واسأله عن الرسالة الشفوية التى كُلف معى بإبلاغها إلى الذين يهاجمونك ورويت له ملخص الرسالة . فبدأ (البغدادى) يهدأ ثم التفت إلى زكريا محيى الدين قائلا: ما تيجى نتغدى سوا. قال زكريا : لا أنا تعبان رايح أنام. فانتهزت الفرصة وقلت للبغدادى: أنا جاى معاك ، ولم أكن اتوقع وقتها ماحدث بعد ذلك!».»



ونأتى إلى الموضع الذى اقترح فيه محمود الجيار على عبداللطيف البغدادى وألح فى اقتراحه أن يذهبا إلى جمال عبد الناصر حيث حدثت المفاجأة الدرامية ونحن نرى الجيار فى هذه الرواية ينسب الفضل فى هذه المبادرة إلى نفسه ، بينما نرى البغدادى فى مذكراته يشير إلى أن الجيار كان مكلفا من قبل الرئيس عبد الناصر:

يقول محمود الجيار فيما ينسبه إليه ضياء الدين ببيرس:

«... ركب مع البغدادى سيارته وكان معه سعد البغدادى شقيقه فذهبنا نوصله إلى بيته أولا وبعد أن أوصلناه عدنا فى اتجاه بيت عبد اللطيف ، وفجأة خطر فى ذهنى خاطر قلت له : «إن عبد الناصر يتابع دائما جلسات مجلس الأمة من خلال خط تليفونى بمكتبه بالمنزل ، ولا أريد أن ينام وهو متألم مماحدث ، فما رأيك لو مررت عليه الآن وغسلت ما فى نفسه؟ فتردد البغدادى بعض الوقت ، ولكنى ألححت عليه إلى أن وافق واتجهت السيارة بنا إلى بيت عبد الناصر».»

«وفى الطريق خطر لى خاطر آخر ، وضعت يدي فى جيبى ، فوجدت أن كل ما معى ١٢ جنيها فقلت لعبد اللطيف البغدادى: ما رأيك فى رهان بمبلغ ١٢ جنيها من

جانبي ، وقرش واحد من جانبك. قال: على ماذا ؟ قلت: على أننا سنجد زكريا محيي الدين الآن عند عبد الناصر قال البغدادي: ياراجل حرام عليك .. زكريا راح بيتهم علشان ينام قلت: في هذه الحالة تكسب ١٢ جنيها ، ألا يسرك أن تكسب هذا المبلغ؟ وضحك البغدادي لأول مرة منذ غادرنا مجلس الأمة وقبل الرهان».

«ووصلنا إلى بيت عبد الناصر واذا بنا نجد سيارة زكريا بالفعل في فناء البيت! واحتقن وجه عبد اللطيف البغدادي .. وصدر عنه تعليق ينبيء عن خيبة أمل فادحة . وتركت البغدادي في حجرة الانتظار ، ودخلت أخبر عبد الناصر بقدومه ... فوجدت معه زكريا . وأمر عبد الناصر بأن يدخل فوراً عبد اللطيف البغدادي ، فخرجت وعدت به ... وتركت الثلاثة معا».



وعند هذا الحد يصل ضياء الدين بيبرس إلى الخاتمة التي يريد بها أن يدلنا على معنى غريب وشاذ قد نعجب له ، ولكنه يبدو غير غريب في إطار الصورة التي كانت تقدمها حلقات المذكرات في تلك المرحلة المبكرة التي كان الرأي العام فيها لا يزال مستعداً لتمرير أو ابتلاع كل المبالغيات:

«كان محمود الجيار يشعر أن في الأمر شيئاً لم يتضح بعد . وكان عبد الناصر قد لمح بذكائه أن لديه شيئاً يريد أن يقوله ، فطلب إليه أن ينتظر في البيت ، ولا ينصرف . وانتظر الجيار إلى أن خرج زكريا وعبد اللطيف . ثم استدعاه عبد الناصر وسأله : ماذا كنت تريد أن تقول ؟ ».

« فروي الجيار له ما حدث عندما رأى عبد اللطيف البغدادي سيارة زكريا ، وكيف فوجيء وعلق تعليقا جارحا . وأضاف الجيار : ولو تركتني وقتا كافيا مع البغدادي لعرفت منه السر . ولكن عندي إحساسا بأنه كان بينهما تدبير ما ، ولو تركت لي الفرصة لعرفت هذا التدبير . فقال عبد الناصر : لا تدع الشكوك تعبت بك ، ومع ذلك ، لا مانع من أن تحاول ، اذهب إلى البغدادي غدا ، وخذ معك « صلاح دسوقي » واعرف منه القصة كلها ».

ونواصل قراءة ما يرويه الجيار :

«... في اليوم التالي ذهبت فعلا ، ومعى صلاح دسوقي ، وقابلنا البغدادي في نادى

هيلوبوليس . حيث كان يلعب رياضته المفضلة وقتها ، الاسكواش راكيت ، وانتظرنا إلى أن فرغ من اللعب . وجاء يجلس معنا . وبادرتة قائلاً : فين القرش صاغ ؟ قال : قرش إيه ؟ قلت : قرش الرهان . هل نسيت ؟ لقد جئت خصيصاً لأطالبك به ! فضحك البغدادي طويلاً ، ثم قال لى : لا أدري كيف استدرجتني إلى الكلام» .

«ولكنه - أي البغدادي - على عكس ما يوحي رده ، كان مستعداً للكلام . وكان يعرف أنني لابد سأبلغ عبد الناصر ، ولكنه برغم ذلك لم يخف شيئاً . قال بإيجاز إنه اجتمع مع زكريا محيى الدين ، وكمال حسين ، وزميل رابع ، وتناقشوا معاً في أن عبد الناصر لم يعد يستشيرهم أو يشركهم في شىء بعد وجود دستور ومجلس نيابي منتخب . واتفقوا على عزله ! ومن هنا بدأت حكاية مجلس الأمة . واستقالة كمال حسين والبغدادي . فقلت للبغدادي : أنت تعلم طبعاً أنني لابد أن أبلغ الرئيس بهذا الكلام . فلم لا تذهب أنت إليه . وتبلغه به من جانبك ؟ ووافق البغدادي !!» .

ثم يروى الجيار :

«نهضت على الفور ، واتصلت بمحمد أحمد وطلبت منه إبلاغ عبد الناصر ، وتم اللقاء بينهما فعلاً . فى نفس اليوم . وفوجيء عبد الناصر بما سمع من البغدادي . وأرسل يستدعى الثلاثة الآخرين : كمال حسين . وزكريا محيى الدين والعضو الآخر من مجلس الثورة . وأجرى مع الجميع تحقيقاً تأكد فيه صدق ما قال البغدادي . فأمرهم بتقديم استقالاتهم» .



ونحن نرى هذه النهاية التى وضعت لهذه القصة نهاية «بيبرسية» يستحيل حدوثها هكذا بالطبع ، ولا يمكن أن تكون قد حدثت على هذا الوجه ، لأن وقائع التاريخ نفسها لم تذكر شيئاً كهذا ، ولم يحدث أن تزامنت استقالات هؤلاء مع بعضهم ، ذلك أن زكريا - على سبيل المثال - بقى إلى ١٩٦٨ ، أى إلى ما بعد استقالة البغدادي نفسه بأربع سنوات ، وهناك شىء طريف آخر ، وهو الإشارة إلى الزميل الرابع بالعضو الآخر ، والأقرب إلى المنطق هو أن يكون حسن إبراهيم ، لكن المنطق نفسه ينبئنا أنه لم تكن هناك أية موانع فى إيراد ذكر اسم حسن إبراهيم بالاسم وعلى وجه محدد فى تلك الفقرة ، وبهذا يمكن التفكير فى أن تجهيل اسم العضو الرابع قصد به نوع من أنواع المشاكسة الخفيفة للرئيس السادات نفسه أو لحسين الشافعى ، مع بعد كل منهما عن مثل

هذه الاتفاقات والمحاور ، ومن الثابت أن السادات لم يشترك أبداً فى محور من المحاور ضد عبدالناصر ، بل كان على العكس واضحاً كل الوضوح فى الوقوف مع عبدالناصر فى كل الأحوال ، وقد لخص هو موقفه منذ مرحلة مبكرة بأن جعل صوته فى جيب عبدالناصر .

وهكذا يقودنا التفكير [طبقاً لعلم الاحتمالات] إلى أنه ربما كان عبد الحكيم عامر هو الشخص الرابع الذى حضر اتفاق البغدادى وزكريا وكمال الدين حسين ، وهو احتمال وارد ، ويؤكد أنه كان من الصعب فى ذلك الوقت إيراد اسم عبد الحكيم عامر فى أى موقف يرتبط بالإصلاح الحقيقى أو بالتأكيد على الديمقراطية فى مجلس قيادة الثورة .

ويرى القارئ أننا أعطينا لهذه القصة التى تحتوى بعد العناصر المصطنعة أبعاداً من التأمل فى أركانها ، ولا أظن أننا تجاوزنا حدودنا بهذا الذى فعلناه ، فالقصة التى أمامنا هى فى النهاية نسيج من بناء درامى لا بد من تأمل أركانه لتأمل ما أراد أصحابها أو صاحبها بها .

وخلاصة القول أن أحداً لم يكن - فى ذلك الوقت المبكر من حرية الحديث - ليمنع فى أن يصور الأمور بين الزملاء وقد حدثت على هذا النحو الذى قرأه القراء فى روزاليوسف على حلقات ، ثم قرأوه فى كتاب صاغة ضياء الدين ببيرس ، وفى كتاب آخر صاغة صلاح حافظ .

ونحن كما قلنا لا نثبت القصة لنصدقها ، ولكننا مع ذلك حريصون كما قلنا على أن نصور للناس وننقل لهم كل الروايات التى أحاطت بتاريخ مصر المعاصر وحاولت تلوينه حتى على مثل هذا النحو الفاقع . وسوف نذكر للقارئ الأسباب التى نظن أنها جعلت مثل هذه الروايات تنتشر فى تلك الفترة !

ومع إنكارنا الشديد لأن يكون هذا النقاش الأخير قد دار على هذا النحو الذى انتهى بالاستقالة ، فإننا لا نستطيع أن ننكر إمكان أن يكون هناك قدر واضح من الضيق بين زملاء عبد الناصر من تصرفات عبدالناصر فى هذه الأزمة ، ومن حسن الحظ أن الأستاذ محمود فوزى قد حاول تحقيق واقعة عزم بعض أعضاء مجلس الثورة على تنحية عبدالناصر عقب إحدى الازمات البرلمانية وفى ص ١٠٤ من كتاب «ثوار يوليو يتحدثون» يورد رد عبد اللطيف البغدادى على سؤاله حول هذه الجزئية حيث يقول :

«نعم قال زكريا محيي الدين عن عبد الناصر «نشيلوه بأه» ولكن الحق يقال: إن الجو كله كان مشحوناً ومتوتراً وقالها زكريا في لحظة غضب شديد ، وكان منفعلاً.. قال زكريا «جمال دماغه ناشفة ؛ يعنى نشيله » وعلى ما يظهر إن على صبرى كان قد أبلغ جمال بما حدث ، وذكر له كلمة «نشيله» التي جاءت على لسان زكريا ، وقد تسبب ذلك في سوء العلاقة بين جمال وزكريا لفترة طويلة بعد ذلك.



بقى بعد كل هذا الاستقصاء أن نشير إلى أن الجزء الرابع من مذكرات صلاح نصر التي نشرتها دار الخيال قد روى هذه الواقعة بصورة تبدو أكثر دقة واختصاراً، ولم تخرج رواية صلاح نصر عن الإطار والوقائع التي نقلناها في رواية الجيار ، وقد أشارت الرواية إلى أن صاحب الأسم الرابع الذي استقصينا احتمالاته كان شخصاً آخر من غير أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وكان هو بالتحديد على صبرى ، الذي لم يكن عضواً في مجلس قيادة الثورة ، ولكن الطريقة التي رويت بها مذكرات الجيار لم تكن تمنع في مثل هذه التجاوزات إذ أن هذه الفترة المبكرة من رواية المذكرات ونشرها لم تكن تعتمد على التحقق أو التحقيق وإنما كانت أقرب إلى ما كانت عليه من طبيعة الكلام الحر غير المدقق.

واتصالاً بما ذكرناه في فقرات سابقة من تصوير محمود الجيار (فيما يروي عنه ضياء الدين بيبرس) عن طبائع العلاقة بين عبدالناصر وهذين العضوين البارزين أعضاء مجلس القيادة (عبد اللطيف البغدادي وزكريا محيي الدين) يجدر بنا أن نطالع ما يرويهِ رجل آخر من الرجال البارزين في المحيط الإنساني حول قادة الثورة ، وهو أحد أصدقاء المشير عبد الحكيم عامر ، وهو النائب البرلماني عبد الصمد محمد عبد الصمد الذي ينهنا بصراحة شديدة وبصوت عال في كتابه «العشاء الأخير للمشير» إلى أن عبد الناصر كان يحرص دائماً على بث الفرق بين عبد الحكيم عامر وكل من عبد اللطيف البغدادي وزكريا محيي الدين وهو يقول مانصه :

«..... أما زكريا محيي الدين فقد كان عبد الناصر يركز عليه هو والبغدادي ليفرق بينهما وبين عبد الحكيم عامر وكانت لعبته مع البغدادي وعبد الحكيم لعبة النائب الأول .. تركها عايمة ! يتعمد أثناء سفره في الخارج أن يأخذ معه البغدادي مرة وعبد الحكيم

مرة فيكون كل منهما نائب رئيس الجمهورية [عبد الصمد يقصد: رئيس الجمهورية بالنيابة] في غياب الثاني !».

ويستطرد عبد الصمد محمد عبد الصمد في فقرة تالية ليقول :

«وكان للثنين إباء وعزة نفس وشعور بالكرامة جعلتهما يتفوقان [يقصد: يتغلبان] على هذه الصفات ، ويحتفظ كل منهما « رغم هذه المنافسة » للآخر بتقديره وحرصه على الزمالة والصداقة ، وأعتقد أنهما كانا يعرفان ولا شك أن كل واحد منهما سيؤكل على حدة !!».

هكذا يقدم عبد الصمد هذا الزعم المنطقي ، ويقدمه على هيئة كلام مرسل دون أن يقدم أى دليل على هذا الاعتقاد ، ومبلغ علمي أن عبد الحكيم لم يكن ليحيط بمثل هذا المعنى أو ليتصوره ، أما البغدادي فإنه كان قد أكل بالفعل إذا كان الابتعاد عن السلطة مما يجوز وصفه بالأكل !!

.....
وفي موضع آخر من نفس الكتاب يروي عبد الصمد محمد عبد الصمد - دون أن يقصد - ما يؤكد الظن الذي أبديناه لتونا:

«وكنت عرفت أن عبد الحكيم كان يسعى لإزالة سوء التفاهم بين عبد الناصر والبغدادي .. فقال له عبد الناصر: أنت عايز تصالحنا ، والبغدادي يقول إنك أنت السبب في زعلنا ؟! وغضب عبد الحكيم غضبا شديدا من سوء ظن البغدادي فيه ، وعلمت أنه لم يفتح في الأمر ، وأحسب أن البغدادي لن يعرف سر غضب عبد الحكيم إلا إذا قرأ هذا الكتاب !».



خامساً: علاقة عبد اللطيف البغدادي بجمال سالم: نأتى الآن إلى نموذج آخر للعلاقات الثلاثية التي كان عبد اللطيف البغدادي وجمال عبد الناصر طرفين فيها ، وكان لها طرف ثالث ، وربما يمثل النموذج الذي سوف نتعرض له في الفقرات التالية نموذجاً أقل خطورة من خطورة العلاقتين الثلاثيتين السابقتين (عبد الناصر - عبد الحكيم - عبد اللطيف) ، (عبد الناصر - زكريا - عبد اللطيف) وهو نموذج (عبد الناصر - جمال سالم - البغدادي) .

ونحن نعرف مدى ما كان من توثق العلاقة المبكر بين جمال سالم والبغدادى باعتبارهما زميلين وصديقين ومن سلاح واحد ومن دفعة واحدة ، وفيما بين مجموعة أعضاء مجلس قيادة الثورة كان الرجلان يميلان فى كثير من الأحيان إلى بعضهما حتى نشأت ظنون فى أوقات كثيرة بأنهما يكونان مع بعضهما محورا.

ومع هذا فإن البغدادى فيما يرويه بعد وفاة جمال سالم بسنوات طويلة ، يرينا بوضوح شديد أن الاتفاق بينه وبين جمال سالم كان قد انقلب إلى خلاف ثم انقلب هذا الخلاف على غير ما يتوقع إلى جفاء ، وأن هذا الجفاء قد استمر وتأكد حتى اكتشف كل منهما بالمصادفة أن الرئيس عبد الناصر كان هو السبب فى الإيقاع بينهما ، وأن هذا الإيقاع قد حدث بصورة لا يتصورها عقل أى إنسان ، فقد صرح عبدالناصر صديقه البغدادى فى لحظة صفاء أن جمال سالم هو الذى أوقع بينهما ، ومن ثم فإن البغدادى نقم على جمال سالم دون أن يسأله إلى أن عرف الحقيقة المعاكسة بعد زمن طويل .

وقد وردت آراء البغدادى فيما يتعلق بهذه الجزئية فى مذكراته التى نشرها المكتب المصرى الحديث (١٩٧٧) ، كما وردت أيضاً فى مذكراته التى نشرتها نصف الدنيا (١٩٩٦) ، وعلى الرغم من أن المضمون لا يختلف فى المصدرين إلا أن رواية نصف الدنيا تقدم الوقائع بطريقة أكثر نضجاً ، وسنبداً بها ثم نورد روايته التى وردت فى مذكراته ثم بتعليقنا على الروايتين .

هذا أولاً هو ما يرويه البغدادى نفسه فى حديثه لمجلة نصف الدنيا (١٩٩٦) حيث يقول:

«... كان (أى جمال عبدالناصر) يقصد موقفى معه ومساندتى له فى هذه الفترة خاصة [الإشارة إلى فترة العدوان الثلاثى] وأنه كانت بيننا أزمات وخلافات وبالرغم من ذلك فقد كنت ملازماً له طوال الوقت فقد كان لا يتحرك إلا وأنا معه حتى أننى كنت أبيت معه بناء على طلبه وكنت دائماً ما أحاول أن أبدو متماسكا لشعورى أنه إذا انهار عبد الناصر ستنهار العملية بأكملها وقد قال لى يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٦ : أنا لم أكن أعرفك جيداً من قبل ولم أعرف حقيقتك إلا من يوم ٢٩ أكتوبر الماضى ، وأخبرنى بأنه لم يقل لى هذا الكلام إلا بعد تفكير طويل فقلت له : الناس لا تعرف إلا وقت الشدة .»

«وأضاف عبد الناصر : إنه إذا كان قد حدث سوء تفاهم بينى وبينك فالسبب هو

صديقك جمال سالم ، والذي كنت السبب في انضمامه لمجلس قيادة الثورة ولم أستوضح الأمر لأننى لم أشك فى أن عبد الناصر يمكن أن يعمل على إحداث وقعة بينى وبين جمال سالم وصدمت فى صديقى وقاطعته لمدة عامين».

«وفى ١٩٥٨ جاءنى الدكتور حسن مرعى - شقيق سيد مرعى - وكان وزيراً للتجارة وسألنى عن مقاطعتى لجمال سالم فأخبرته بما قال لى عبد الناصر ، وأخبر هو بدوره جمال سالم الذى حضر إلى فى منزلى ، وصلى ركعتين ثم أقسم على المصحف بأن هذا لم يحدث منه وأضاف : كل ما أتمناه أن يصبح شريف ابنى فى مثل أخلاقك ، وأصبحت فى حيرة من أمرى ، وعادت علاقتى مرة أخرى بجمال سالم».

وهذه ثانيا رواية أخرى مفصلة للبغدادى فى مذكراته عن نفس الموضوع ، ونحن نرى الرئيس عبد الناصر فى هذه الرواية التى أوردها البغدادى قبل روايته الحديثة بعشرين عاما يؤكد للبغدادى أنه لم يخطره بهذه الحقيقة عفوا ، ولكنه فكر فيها ليلة أمس وانتهى إلى قرار بضرورة المصارحة على هذا النحو:

«..... وفى صباح يوم الخميس ٨ نوفمبر ١٩٥٦ ذهبت إلى مكتب جمال عبدالناصر فى مبنى مجلس الثورة ، وكان قد سبقنى وتناول إفطاره بمفرده ، وبعد أن جلست معه بعض الوقت بادرنى بقوله: «أنا لم أكن أعرفك جيداً من قبل ، ولم أعرفك على حقيقتك إلا من يوم ٢٩ أكتوبر الماضى ، وإذا كان قد حدث بيننا سوء تفاهم فيما مضى فالسبب هو صديقك جمال سالم ، وذكرى هذا لك الآن لم يأت عفواً أو دون تفكير ، ولكننى فكرت فيه ليلة أمس ، ورأيت أنه من واجبى أن أقول لك هذا لأننا لا نعرف ماذا يخبئ لنا المستقبل ، والصورة سوداء».

«واستطرد قائلاً: إن ما قاله جمال سالم عنك كان يوم أن حدث بينك وبينى سوء تفاهم وأنت صممت على الاستقالة ، وأنا كنت قد تركتكم مجتمعين بالمكتب فوق ونزلت إلى هنا (مكتبه) ، ونزل جمال سالم وأعطانى صورة عنك ، وهو صديقك ، حتى أننى دهشت وذكرت هذا لعبد الحكيم وأنور ، وكلاهما نفى ما يدعيه جمال سالم».

نتوقف هنا لنشير إلى تجاهل البغدادى تلخيص هذه الصورة التى صوره بها جمال سالم ونفاها كل من عبد الحكيم عامر وأنور السادات :

«فقلت له [الضمير للبغدادى والمخاطب هو جمال عبدالناصر]: «إن كان هناك شخص قد تعب من جمال ، وتحمله كثيراً فى سبيل المحافظة على الصداقة فهو أنا».

«فقال: «إنك السبب فى أن أصبح جمال سالم عضواً بمجلس قيادة الثورة ، وكنت أعتقد أن هناك مجموعة متحدة من الطيارين بالمجلس لأنى كنت ألاحظ عليك أنك كنت تترك له القيادة».

«فقلت: «إننى لا أسعى إلى منافسة أحد ، وجمال سالم يحب أن يتكلم كثيراً ، وكنت أتركه يتكلم ، ولكن كان لى رأى الخاص ، وهذا رأى منى كان ينصب دائماً على ما أعتقد أنه فى صالح بلدى. وإذا تذكرت الأحداث التى مرت بنا فإنك من الضرورى ستلاحظ هذا. وعلى العموم فإنى أحمد الله على أنك قد عرفت حقيقتى اليوم وهو يوم شدة».

«وانقطع استمرارنا فى الحديث حول هذا الموضوع لحضور زكريا ، ولكننى شعرت بألم شديد وضيق لسماعى هذا الحديث وصدمت فى جمال سالم صديقى ، وصدقت ما قاله جمال عبدالناصر ، ولم يخطر فى ذهنى أدنى شك عن صدقه فيما ذكره لى لأنى لم أتصور أن يكون قد فكر ونحن فى هذا الموقف العصيب ولا نعرف ما يخبئه لنا القدر من أن يعمل على الإيقاع بين جمال سالم وبينى ، وما هدفه من ذلك؟».

ثم يعترف البغدادى بالجانب القاسى من الصورة ويقول:

«وقد تأثرت صداقتى بجمال سالم لفترة بسبب هذا الحديث ، ودام هذا الفتور فى علاقتنا حتى عام ١٩٥٨ إلى أن سمحت الظروف بمصارحتى عن سبب فتور علاقتى به ، وكان ذلك على إثر صدام وقع بين جمال عبد الناصر وبينى ، وكنت قد تقدمت باستقالتي على إثره فى صيف ١٩٥٨ وحضر جمال سالم لزيارتي عندما علم بالخبر ، وصارحته بما كان قد قاله لى جمال عبد الناصر ، وتأثرى منه - أى من جمال سالم - وتصديقى لما قيل ، وذلك للظروف الصعبة التى كانت تحيط بنا عندما ذكر هذا الحديث. لكن جمال سالم نفى أن هذا الكلام قد صدر منه ، بل وأقسم على المصحف بعد صلاة ركعتين لله أن هذا لم يحدث منه. وأصبحت أنا فى حيرة من أمرى ، أيهما أصدق؟ وحاولت نسيان ما قيل».

على هذا النحو فإن أقصى ما يمكن لنا أن نفهمه من رواية البغدادى عن هذه الواقعة ، أن المصارحة كانت كفيفة بإزالة أسباب سوء التفاهم ، لكننا نفهم معنى أعمق

وهو أن كلاً من هؤلاء الزملاء الأصدقاء الحلفاء ، كان على استعداد فى لحظة ما من اللحظات لأن يؤثر لأسباب نفسية داخلية أن يصدق ببساطة ما هو كفيل بتدمير صداقته للآخر دون أن يعنى بإعمال العقل فى هذا الذى ينقل إليه .

ومبلغ ما أستطيعه تجاه رواية البغدادي التى نقلناها لتونا أن أنتقد البغدادي مرات ومرات على موقفه من جمال سالم قبل أن أنتقد جمال عبدالناصر على موقفه من هذين الرجلين .

ومع كل هذا فقد كان البغدادي فى كثير من فقرات مذكراته حريص على أن يعطى لجمال سالم دوره الحقيقى والمقدور فى إعداد مشروع قانون الإصلاح الزراعى ، ومن الجدير بالذكر أن دور جمال سالم فى هذا المشروع وفى مشروع السد العالى وفى مشروعات أخرى كثيرة من مشروعات الثورة المبكرة قد تعرض للنفى تماماً بفضل احتكار الكتابة عن إنجازات الثورة فى عهد الثورة لمن لا أمانة له ! .



سادساً ، علاقة عبد اللطيف البغدادي مع كمال الدين حسين ، ونأتى إلى علاقة البغدادي بكمال الدين حسين ، ومن الطريف أن هذه العلاقة لم تبدأ فى التوثق إلا فى مرحلة متأخرة ، ربما بعد أن ابتعد جمال سالم وصالح سالم وحسن إبراهيم عن الصورة (وقبلهم كان خالد محيى الدين قد ابتعد) ، وأصبح الصف الأول مركزاً فى عبد الناصر وعبدالحكيم ، على حين كان السادات قد ابتعد عن العمل التنفيذى بحكم توليه مناصب موازية من قبيل رئاسة السلطة التشريعية ، وهكذا لم يعد موجوداً من اللجنة التأسيسية فى المناصب الكبرى إلا البغدادي وكمال الدين حسين (أما زكريا محيى الدين وحسين الشافعى اللذان كانا يتوليان منصبى نائب الرئيس ، فقد كانا بحكم طبيعهما بعيدين عن المنافسة السياسية وبعيدين عن بؤرة الأعضاء المؤسسين للتنظيم ، فنحن نعلم أن كليهما قد ضم إلى مجلس قيادة الثورة فى أغسطس ١٩٥٢) .

وهكذا أصبح عبد الناصر وهو يحسب حساباته يرى أن كل الأوراق قد أصبحت فى يديه ما عدا ما يعارضه فيه كل من البغدادي وكمال الدين حسين ، وهكذا تكون محور البغدادي/ كمال الدين حسين بفضل حسابات عبدالناصر نفسه وشكوكه قبل أن يتكون نتيجة اتفاق أو توافق هذين الرجلين .

ويمكن للباحث الموضوعي المعنى بقراءة النصوص وتحليل مضمونها أن يجد اختلافات واضحة وجوهرية في فكر وأداء كل من الرجلين ، ولكن عبد الناصر منذ بداية الستينيات كان قد أقنع نفسه وظل يقنعها بأن هذين الرجلين الباقيين معه في السلطة التنفيذية متفقان ضده.!!

ومن العجيب أن هذين الرجلين تركا مناصب الحكم في نفس الوقت ، وقد تركه معهما بصفة رسمية حسن إبراهيم الذي كان قد ترك العمل التنفيذي بصفة فعلية قبلهما بفترة. وإن كان قد قبل في مرحلة موازية أن يتولى شئون التنظيم السياسي (الاتحاد الاشتراكي) في مدينة الأسكندرية حيث عاش في هذه المرحلة بعيداً عن القاهرة والصراعات الساخنة .. وظل في الوقت ذاته على علاقة جيدة بعبد الناصر من ناحية والبغدادى وكمال الدين حسين من ناحية أخرى ، وهو ما نكتشفه بوضوح من مشاركته للأخيرين في الرسائل التي كتبوها لعبد الناصر قبل حرب يونيو ١٩٦٧ ، وفي اللقاء الذي تم في ذلك الوقت.

وسوف نجد في محاضر المناقشات المنشورة التي دارت بين عبد الناصر وأعضاء الاتحاد الاشتراكي في الستينيات (وفيما رواه لثروت عكاشة) ما يدل على اعتقاده في إمكان إنشاء حزب معارض يتولى البغدادى وكمال الدين حسين قيادته.

وهذه إحدى فقرات البغدادى - العابرة - التي يصور بها عقيدة عبد الناصر الراسخة في وجود محور بين البغدادى وبين كمال الدين حسين:

«... ولم يعلق جمال على ما ذكرته وهو كان يعتقد أن هناك محوراً بين كمال وبينى ، وهذا غير صحيح ، ولكن هذا الاعتقاد ظل يلزمه حتى توفاه الله رغم نفى ذلك له عدة مرات آخرها عام ١٩٧٠ عندما عادت العلاقة بيننا في ذلك العام بعد قطعة دامت ست سنوات».



وفي مذكرات البغدادى فقرة مهمة عن تقدير البغدادى أو إعجابه لإدراك كمال الدين حسين مبكراً لجوانب قضية الحرية حيث يروى البغدادى بعض المناقشات التي دارت بين عبد الناصر ورفاقه قبل إعلان عبد الناصر عن التوجه النهائي إلى الاشتراكية ، وقد كان البغدادى من الذكاء بحيث انتبه مبكراً إلى قيمة هذه المناقشة التي تكرر نقلها عنه (أى عن البغدادى) والاستشهاد بها في كثير من الأدبيات المعاصرة ،

وعلى الرغم من أن البغدادي لم يكن منحازاً بوضوح إلى ما انحاز إليه كمال الدين حسين ، فإنه كان حريصاً على إثبات جوهر رأى كمال الدين حسين بكل حذافيره:

«..... وانتقل كمال (أى كمال الدين حسين) بعد ذلك فى حديثه إلى الحريات وعدم توفرها ، وأن لا أمن على حرية مَنْ يقومون بالنقد وأنهم مهددون فى مورد رزقهم ، وقال جمال ما يفهم منه أن «كمال» نفسه لا ينفذ هذا ، وأنه لا يسمح لأحد بمناقشته ، وسأله كمال «مَنْ الذى قال لك هذا - هيكل؟» ، وكان يقصد محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام».

«عاود كمال الكلام عن الحريات وذكر عدم توفر الحرية للصحافة ، وانتقد ديكتاتورية القائمين عليها ، وعدم سماحهم لغيرهم بأخذ الفرصة».

«وتكلم أيضاً عما هو وارد فى الميثاق الوطنى عن الحرية ، وما جاء كذلك فى تقرير الميثاق عنها ، وذكر أنه كان يستغرب من طلب لجنة المائة التى كانت تعد تقرير الميثاق عندما كانت تتساءل عن ضمانات الحرية ، ولكنه قد فهم الآن».



سابعاً، علاقة البغدادي بخالد محيى الدين، نأتى إلى علاقة البغدادي بخالد محيى الدين ، وربما يكون من المناسب أن نبدأ مباشرة بنقل الفقرة التى يلخص بها خالد محيى الدين رأيه فى شخصية البغدادي ضمن حديثه عن زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة فى كتابه «والآن أتكلم» ، ومع أن هذا رأى قد صيغ وأبدى فى مرحلة متأخرة ، فإنه يعطينا بلاشك صورة تقريبية للانطباع المحدد لمن يوصف ويصنف باعتباره السياسى الوحيد من بين أعضاء مجلس قيادة الثورة وزملاء البغدادي الذى لا يزال يمارس السياسة ، ونحن نراه بالطبع ممتنا لموقف البغدادي منه حين هاجمه زملاؤه فنبههم إلى أنه (أى خالد) لم يخف آراءه.

يقول خالد محيى الدين:

«... أما عبد اللطيف البغدادي فهو صاحب عقلية سياسية مرتبة ، ورؤية واضحة وكان منذ البداية ضد عودة الحياة النيابية قائلاً : نحن ثوار ولن نستطيع لا احتمال ولا مواجهة برلمان منتخب من الشعب ، ويمتلك البغدادي مقدرة تنظيمية وإدارية وتنفيذية فائقة ، وقد تولى مسئولية التخطيط فاستطاع بعقله المرتب أن يضع لمصر أول خطة ، وأن يقيم لمصر عديداً من المشروعات الهامة».

«وقد أدهشنى البغدادي عندما دافع عنى عام ١٩٥٤ ورفض بشدة مسألة إبعادى ، قائلا : إن خالد لم يخف عنا موقفه المخالف ، وقد تعامل معنا بشرف ، ولم يتأمر ضدنا ولم يخف عنا شيئا ، بل لقد طلب الانسحاب ونحن أجبرناه على البقاء فلماذا نبعده الآن؟ وطلب أن أبتعد قليلا حتى تهدأ العاصفة ثم أعود ».

«والبغدادي رجل معتد بنفسه ، ولهذا فعندما كان رئيسا لمجلس الأمة وأثيرت مسألة تعيين بعض أعضاء مجلس الأمة فى مديرية التحرير وتدخل عبد الناصر ليفرض رأيا مخالفا لرأيه ، استقال البغدادي ».

ثم نأتى إلى فقرة يصور بها خالد محبى الدين ما يراه تناقضاً فى فكر البغدادي (!!) ، بينما الواقعة التى يستند إليها خالد محبى الدين فى إصداره لهذا الحكم لا تصور فى رأى إلا لامبالاة خالد محبى الدين نفسه وتطرفه فى مقابل إحساس البغدادي بالمسئولية من ناحية ، واعتداله فى تقدير المسئولية من ناحية أخرى:

«... وكانت هذه النزعة دائمة عند البغدادي ولعلنا نذكر أنه عارض منذ البداية مسألة تفويض عبد الناصر فى اتخاذ قرارات نيابة عن مجلس قيادة الثورة فى حالة غياب المجلس. وقد ناقشنى طويلا فى ذلك وكان ردى عليه : أنت يا عبد اللطيف ترفض الديمقراطية ، وترفض الانتخابات ، وترى أن تسعة أشخاص يجب أن ينوبوا عن كل الشعب بملايينه الثلاثة والعشرين فلماذا لا ينوب شخص واحد عن تسعة أشخاص ؟ وقلت له : لقد قبلت وتحملت للخطأ الأكبر ، فلماذا لا تقبل تداعياته ؟ لكنه ظل متمسكا برأيه فى الحالين ».



على أننا لانستطيع أن نمضى من دون أن نقول إن البغدادي حين كان أمامه أن يكون فى مجموعة عبد الناصر ورفاقه أو محمد نجيب وخالد محبى الدين ومؤيديهما فإنه أثر أن يكون من مجموعة عبد الناصر، وقد رأينا كيف أنه باعترافه أدى دوراً مهماً فى الصراع مع محمد نجيب ، كذلك يبدى البغدادي دهشته الشديدة ويعبر عن دهشة زملائه أيضاً من أن الرئيس محمد نجيب قد قبل الموافقة على قرارات مارس ١٩٥٤ بمجرد مقابله لخالد محبى الدين لمدة ثلاث دقائق فقط ، ومن العجب أن البغدادي نفسه يردف هذا بقوله:

«وبعد اتخاذ تلك الإجراءات هدأت الحالة» .



ثامناً، علاقة البغدادي مع صلاح سالم، لعل أبرز ملامح علاقة البغدادي بصلاح سالم هو حرص البغدادي على إنصاف صلاح سالم على الرغم من اختلافه الظاهر معه في رؤاه ، ونحن نرى هذا الحرص واضحاً في الرأي الذي أبداه البغدادي في مجلس قيادة الثورة عند عرض استقالة صلاح سالم من كافة مناصبه التنفيذية بعد فشله في موضوع السودان ، ولا ينكر البغدادي أنه كان يغلب الجانب العاطفي في تفكيره هذا.

ولعل أفضل ما يصور حقيقة هذا الموقف هو ما يرويهِ البغدادي نفسه في مذكراته عن موقفه في مناقشات مجلس الثورة من استقالة صلاح سالم:

«.... ثم قام جمال عبد الناصر بعد ذلك بعرض طلب صلاح في الاستقالة من السلطة التنفيذية على المجلس ، وكانت أغلبية أعضائه موافقة عليها فيما عدا كمال الدين حسين وحسن إبراهيم وكاتب هذه المذكرات».

«وكانت وجهة نظرنا ترى أن يكتفى بتنحية صلاح عن الاشتغال بمسألة السودان وعن عمله كوزير لشئونها ، وأن يتولى هذا الأمر شخص آخر بدلاً منه ، وأن يظل صلاح وزيراً لوزارة الإرشاد القومي».

«وقد بنينا هذا الرأي على أن صلاح لم يكن إلا منفذاً لسياسة المجلس في السودان ، ولم تكن تلك السياسة سياسته هو ، وإن كان قد أخطأ في التنفيذ فليس هناك داعٍ لأن يستقيل من كل مسئولياته التنفيذية ، وأن انسحابه يجب أن ينصب فقط على تلك المسألة التي أخطأ في تنفيذها».

«وكان الغرض من ذلك هو ألا يشعر صلاح بأن المجلس قد تخلى عنه كلية رغم الجهد المضني الذي بذله في هذه القضية ، وقد دام هذا الجهد منه متصلاً لمدة ثلاث سنوات تقريباً ، وكان صلاح نفسه مؤمناً إيماناً قوياً وعميقاً بالقضية ، وكان علينا أن نراعي ذلك عند أخذنا القرار ومدى انعكاسه على حالته النفسية».

ومع هذا المنطق الواضح والدفاع الجيد من البغدادي وزميليه فإن مجلس القيادة فضل ذبح صلاح سالم (على حد تعبير صلاح سالم نفسه). وفي موضع آخر من مذكراته نجد البغدادي وهو يطرح هذا المعنى (أو هذه الرؤية) بصورة أكثر تماسكاً معترفاً

أو معتزاً بدوافعه فيما ارتأى من وجهة نظر واضحة فيما يتعلق بموقف صلاح سالم من مسألة السودان ، وهو يقول:

«... وبدأت أشرح وجهة نظري بالنسبة لمشكلة صلاح واستقالته فقلت: «إنني إزاء عاملين: عامل العاطفة ، وعامل المصلحة العامة. وعامل العاطفة يذكرني بتضحيات صلاح وخدماته رغم عصبية ، لكنه تحمل مشاكل السودانين لمدة ثلاث سنوات طوال ، وكان كل هذا على حساب أعصابه ، وأنه لم يكن في مقدور أي فرد من أفراد المجلس أن يتحمل ما تحمله صلاح ، وما صدر من صلاح ليس بجديد علينا بل هذه هي طبيعته وكلنا نعرفها جيداً ، وعلينا أن نتقبل كل واحد منا بعبوبه ، حفاظاً على وحدة المجلس ، ولست متصوراً رد فعل استقالة صلاح سالم عند الرأي العام بمصر خاصة عند المخلصين للثورة ، وهل في خروجه اليوم وقبول استقالته فائدة ترجى على قضية السودان؟».

ومن الجدير بالذكر أن البغدادي قد خصص فصلاً كاملاً من مذكراته لرواية تفاصيل الصورة في السودان وما بذل هناك من جهود صلاح سالم وغيره من الضباط.

تاسعاً: علاقة البغدادي بعبد المنعم عبد الرؤوف: كان عبد المنعم عبد الرؤوف زميلاً للبغدادي في العمل الوطني منذ مرحلة مبكرة ولهذا السبب نراه في مذكراته لا يجد حرجاً في أن يوجه إلى البغدادي بعض الانتقاد في مذكراته ، لأنه لم يقف الى جواره في استرداد ما كان يعتبره حقه ، ويقول عبد المنعم عبد الرؤوف:

«.... التقيت به بعد الثورة في مناسبتين : الأولى : عندما اصطحبني قائد الأسراب حسن عبد العظيم عزت لرئاسة الجيش ، كى يقنع قائد الجناح عبد اللطيف البغدادي بعودتي لسلاحى الأصلى وهو الطيران فلم يقبل. الثانية: فى ردهة مجلس الثورة وسألنى بدون مقدمات (هوه أنت الذى عملت الثورة)؟ فأجبته: إنه سؤال سيجيب عنه التاريخ. فهل يتذكر قائد الجناح عبد اللطيف البغدادي أنه كان عضواً فى العصاة التى كانت تحكم مصر؟ (كتاب «الصامتون يتكلمون» وكتابه: «عبد الناصر ومذبحة الإخوان»). وهل يتذكر قائد الجناح عبد اللطيف البغدادي أنه قال فى نفس الكتاب إن قائد الجناح على صبرى كان جاسوساً عليه ، ينقل كل حرف قاله إلى الرئيس جمال عبد الناصر الموجود فى الغرفة المجاورة؟ وهل يتذكر أنه تعاون مع مراكز القوى فى إلحاق الضرر بى حينما أعاد زميلى فى حادث الطائرة حسين ذو الفقار صبرى سلاح

الطيران ، ولم يقبل إعادتي وقد حاق بي الظلم بعد ذلك حينما حوكت غيايبا أمام محكمة الشعب برئاسة أحد أصدقائه المقربين ، وهو المدعو قائد الجناح عبد الرحمن عنان ، الذي حكم على غيايبا بالإعدام رميا بالرصاص ؟».

ويبدو أن البغدادي مدين لعبد المنعم عبدالرءوف على نحو ما كان عبدالناصر والسادات.



عاشراً: آراء أخرى وعلاقات أخرى، بالإضافة إلى كل هذه الآراء في الشخصيات المختلفة التي استطعنا استعراضها بطريقة فردية أو زوجية ، فإنه يمكن لنا أن نقرأ في مذكرات البغدادي المتعددة ما تحدث به في سلاسة عن كثير من التفصيلات ومن المواقف المهمة التي برز فيها الاختلاف واضحاً بين رجال الصف الأول بعد قيام الثورة .

ونحن نرى البغدادي وهو يقدم آراءه واضحة جلية دون أن يلعب على الحبال أو أن يلجأ إلى الغموض ، أو إلى محاولة إرضاء الأطراف كلها ، ويمكن لنا على سبيل التمثيل أن نشير إلى بعض هذه المواقف باختصار شديد:

١ - يصرح البغدادي بنية زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة منذ مرحلة مبكرة إبعاد محمد رشاد مهنا عن الجيش ويذكر أن رشاد مهنا قد «عبر عن شكره وامتنانه والدموع تترقق في عينيه من شدة الانفعال ، ولكنه لم يكن يدرى الغرض الرئيسي من وراء هذا التعيين».

٢ - يوضح هذا الكتاب أن الوزراء المدنيين لم يكونوا موافقين على قرارات الاعتقال في أزمة مارس ١٩٥٤ ، يذكر البغدادي في صراحة أن الدكتور عباس عمار أشار «إلى تكتل هيئة التدريس ضدنا بعد إصدار القرار الخاص ببلجان الجامعة» ، وأن عبدالجليل العمرى تكلم عن «كيفية استمرار الحكم ، والناس يقبض عليهم بدون تحقيق».

وبعد أن يروي ملخصاً لموقف الثوار يقول: «إن جمال عبدالناصر طلب تأجيل الاجتماع بغرض تفويت الفرصة على بعض الوزراء الذين كانوا يرغبون في إثارة هذا الموضوع» ، ويحرص البغدادي كالعهد به في إنصافه على تلخيص مواقف الوزراء المدنيين.

٣- كان البغدادي أول من أشار إلى حقيقة أن عبدالمنعم عبدالرءوف كان هو الوحيد

الذى اعترض على انضمام أنور السادات للجنة القيادية للضباط الأحرار ، وأن جمال سالم وأنور السادات كانا بمثابة العضوين المتممين للعشرة بين أعضاء هذه اللجنة ، وأن عبدالمنعم عبدالرءوف قد أسقطت عضويته من اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار قبل قيام الثورة بشهور قليلة ، وأن زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وعبدالمنعم أمين ويوسف منصور صديق قد ضموا إلى عضوية مجلس قيادة الثورة برئاسة نجيب فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢ ، وبهذا التحديد الحاد سبق البغدادى كل المذكرات التى نشرت بعد ذلك فى بيان الحقيقة فى تشكيل مجلس قيادة الثورة.

٤- يروى البغدادى كيف علم الملك فاروق بإقدام الضباط على القيام بالثورة ، ويرجع ذلك إلى تبليغ قام به قائد اللواء الجوى صالح محمود صالح وهو ما أكدّه أيضاً خالد محيى الدين فى مذكراته بعد ١٥ عاماً ، وإن كان خالد محيى الدين قد أضاف إلى معلوماتنا اسم شقيق اللواء صالح محمود صالح.

٥- بفضل التحديد الواضح فى مذكرات البغدادى المدونة فإن أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين سافروا إلى الإسكندرية عقب قيام الثورة كانوا هم: محمد نجيب ، وجمال سالم ، وحسن إبراهيم ، وأنور السادات ، وزكريا محيى الدين ، وحسين الشافعى ، ويوسف منصور صديق ، وعبدالمنعم أمين ، بينما بقى فى القاهرة كل من: جمال عبدالناصر ، وعبدالحكيم عامر ، وعبد اللطيف البغدادى ، وصالح سالم ، وكمال الدين حسين ، وخالد محيى الدين.

٦- يذكر البغدادى قصة مهمة جداً حول إعادة التحقيق فى مقتل حسن البنا بعد قيام الثورة ، ولا أدرى لماذا يتجاهل المؤرخون الإشارة إلى هذه الواقعة ، والبغدادى يذكر أنه لم يكن هناك من شهود إثبات فى هذه القضية غير شاهد واحد هو الأستاذ محمد الليثى المحرر بجريدة الأهرام ، الذى كان وقتها موظفاً بالقوات الجوية المصرية ، ولم يصمد غيره من شهود الإثبات بسبب ضغط وتهديد البوليس السياسى لهم ، حتى إن الحكومة قد أشارت فى حكمها إلى شجاعة هذا الشاهد لصموده ضد كل هذه الضغوط التى وقعت عليه ومواجهته لهذه القوى الطاغية.

عبد اللطيف البغدادي
شهيد النزاهة الثورية

10

دوره القضائي

دار الخيال

كان من حسن حظ البغدادي أن تاريخه السياسي قد خلا إلى حد بعيد عما يتعارف عليه المثقفون بوصف «النقاط السوداء»، وهذا صحيح إلى حد بعيد ، فقد وفق الله البغدادي إلى النجاة من هذا الذي كان سهلاً إتيانه في فترة عنفوان القوة وغطرستها ، ومما يُحسب للبغدادي أنه نأى بنفسه عن المشاركة في محاكمة الإخوان المسلمين ، وقد تعرضنا [بإيجاز] لموقفه من هذه القضية في الباب الخاص بفكره السياسي .. ومع هذا فإن البغدادي قد تولى في بداية الثورة رئاسة محكمة الثورة التي تولت ما سمي بمحاكمة رموز العهد البائد ، ولا تزال هذه المحكمة وأعمالها وأداء قضاتها (وعلى رأسهم بالطبع رئيسهم البغدادي) بحاجة إلى الدراسة والتحقيق ، فقد كان لهذه المحاكمات وما دار فيها من مناقشات أثر كبير على التوجهات العامة في العهد الجديد : عهد الثورة ، ومن الإنصاف أن نتناول في هذا الباب بعض ملامح مشاركات البغدادي في هذا الدور الفعال الذي أعطت الثورة نفسها الحق في القيام به على النحو الذي قامت به بالفعل ! .

ومما يشرف البغدادي أنه رغم كل شيء كان يأخذ الأمور مأخذ الجد ، فقد تصور نفسه قاضياً حقيقياً لا يجوز له أن يلون أحكامه بالأهداف السياسية قصيرة النظر ، ولكن عبد الناصر وبعض زملائه على الجانب الآخر كانوا يرون الأمر أمر سياسة أكثر منه أمر قضاء ، وبوسعنا في هذا الباب أن نقرأ إحدى القصص التي دارت حولها المناقشات بين البغدادي وزملائه بمن فيهم الرئيس جمال عبدالناصر .



ومن المفيد أن نبدأ بقراءة ما يرويه عبد اللطيف البغدادى عن ظروف إنشاء محكمة الثورة ورئاسته لها وما يعتقد أنه أهم إنجازاته فيها:

«.... وفى خلال شهر الصيف من عام ١٩٥٢ كانت قد بدأت حملة تشكيك واسعة ضد الثورة والقائمين بها ، وتبنى هذه الحملة أعضاء الأحزاب السياسية المختلفة على إثر حل تلك الأحزاب ومصادرة أموالها وإعلان قيام فترة الانتقال ، واستمرت هذه الحملة عدة شهور حتى ضيقنا ذرعاً بها فرئى محاكمة سياسى تلك الأحزاب على انحرافاتهم واستغلالهم لمراكزهم فى الكسب غير المشروع ، وكذا لمواقفهم السياسية السابقة لقيام الثورة ، وكشف تلك المواقف للرأى العام الداخلى بغرض العمل على إفقاد الشعب الثقة فيهم».

«ولذا فقد أعلن صلاح سالم فى مؤتمر عام يوم ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ عن وجود مؤامرة سياسية من بعض السياسيين ضد النظام القائم ، ومن أنه ستشكل محكمة ثورة لمحاكمتهم ، وقرر مجلس الثورة تشكيل هذه المحكمة منى كرئيس لها ، وبعضوية كل من أنور السادات وحسن إبراهيم ، وقامت المحكمة بمحاكمة بعض السياسيين لمواقفهم السياسية والبعض الآخر لاستغلال النفوذ ، كما حاکمت أيضا بعض الخونة من المصريين الذين كانوا قد تعاونوا مع الإنجليز وقاموا بإرشادهم إلى أماكن تجمع الفدائيين المصريين فى أثناء معركتهم مع القوات البريطانية بعد أن ألغت وزارة الوفد معاهدة ١٩٣٦ فى عام ١٩٥١».

«وعندما اجتمع مجلس قيادة الثورة فى ذلك المساء (٧ مارس ١٩٥٤) كان بادياً على جمال عبد الناصر أنه فى حالة عصبية ، وشعرت أن تلك العصبية التى كانت بادية عليه لها ارتباط بالحكم الذى أصدرته المحكمة [يقصد محكمة الثورة] على أصحاب جريدة المصرى (أحمد ومحمود أبو الفتوح) فى ذلك اليوم والذى أعلنته عند إعلان الحكم فى قضية السيدة زينب الوكيل. وكان الحكم ينص على استرداد الحكومة منهم مبلغ قدره ٢٣٣, ٢١ جم فروق الضرائب المستحقة عليهم لتجارتهم فى ورق الصحف. وكان ذلك هو تقدير اللجنة المشكلة من وزارتى المالية والتموين التى كانت محكمة الثورة قد أمرت بتشكيلها فى أثناء النظر فى قضية فؤاد باشا سراج الدين سكرتير عام حزب الوفد السابق. وكان جو اجتماع مجلس الثورة مكهرباً ومشحوناً. وعلى ما يظهر

أن جمال عبد الناصر كان قد وعد أحمد أبو الفتح - أحد أصحاب جريدة المصرى - بشيء خاص فى هذا الموضوع. وكان قد سبق وتكلم معى مرتين سائلاً عن قرار اللجنة وملماً بأنهم يتعاونون معنا. لكننى كقاض كنت أحكم بوحى من ضميرى ولا أعمل اعتباراً للأشخاص».

«وقد ظل جمال عبد الناصر فترة طويلة صامتاً من بدء الجلسة ولم يكن يعرف - على ما أظن - كيف يبدأ بفتح هذا الموضوع. ورأيت أن أكون البادئ لكسر هذا الصمت المخيم على جو الاجتماع ، فتقدمت للمجلس بالحكم الذى صدر فى قضية السيدة زينب الوكيل ، وكذا الحكم الذى صدر على أصحاب جريدة المصرى طالباً من المجلس التصديق عليهما».

«وعلى أثر هذا بدأ جمال عبد الناصر الكلام موجهاً إلى متسائلاً: «لماذا لم نتكلم معاً فى موضوع جريدة المصرى قبل صدور الحكم»، فأجبت بأنه لم يسبق للمحكمة أن عرضت قضية أو حكماً فى قضية سابقة على المجلس قبل النطق به فى المحكمة لأنه سر بين أعضائها حتى يتم النطق به».

«فقال: «هل أنتم مستعدون للدخول فى معركة مع جريدة المصرى خاصة بعد إعلان حرية الصحافة؟».

«فقلت له: «ومنذ متى كانت جريدة المصرى مؤمنة بكم؟ أليس أصحاب المصرى هم الذين تكلم عنهم صلاح فى المؤتمر الشعبى يوم ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ وأشار إلى ملايين الجنيهات التى كانوا قد كسبوها من تجارتهم فى الورق فى السوق السوداء؟ وأليس هو أحمد أبو الفتح الذى كتب مقالاً يهاجمكم فيه خاصة صلاح مما اضطره إلى أن يرد عليه ببيان رسمى وحمل فيه عليهم حملة شعواء؟»، وشعر جمال أننى على استعداد للدخول معه فى معركة».

«وتكلم صلاح موجهاً الكلام إلى متسائلاً: «ألا يمكنك عمل شيء الآن؟». فأجبت بأننا نحكم كقضاة وعليكم أنتم أن تجاملوا إن شئتم».

«ثم تكلم جمال عبد الناصر موجهاً كلامه لكمال الدين حسين بصفته سكرتيراً للمجلس طالباً منه أن يرسل خطاباً لوزارة المالية لتقسيط المبلغ على أصحاب جريدة المصرى على خمس أو عشر سنوات».

«فعلقت على ذلك بقولى إنه لم يسبق للمجلس أن وافق على تقسيط أى مبلغ حكم به فى محكمة الثورة لأحد ، وأن أحمد باشا عبد الغفار وزير الزراعة السابق عندما طلب تقسيط مبلغ ٨٦ ألف جنيه الذى حكم عليه باستردادها منه لصالح الشعب على ستة شهور لم يوافق المجلس على طلبه ، وأن هذا التصرف لو تم فسيضىء إلى سمعة المجلس».

«وتدخل جمال سالم مقترحاً تقسيط المبلغ على خمس سنوات كقانون الضرائب بالنسبة للمبالغ المتأخرة على الممولين - على حد قوله - ومطالباً أيضاً بخصم قيمة أى خسائر من هذا المبلغ تكون قد وقعت على جريدة المصرى إذا كانت قد صودرت فى الماضى، ومستطرداً وأن نشير إلى أنه إزاء وطنية القائمين على تلك الجريدة فقد رأى المجلس هذا».

«فرددت عليه: «بأنى أفهم أن يكون الحل معقولاً لو أن فى هذا تعويضاً أدبياً لهم وليس مادياً ، لأن الناس ستفهم المقصود من ذلك الأمر، وهذا الحل سيضر بسمعة المجلس وجريدة المصرى كذلك».

«فتكلم جمال عبد الناصر ثانية قائلاً: «إن الحكم باسترداد هذه المبالغ معناه وصمة لهم ، وأنهم كانوا يتاجرون فى السوق السوداء».

«أجبت بآن فؤاد سراج الدين عندما كان وزيراً للمالية كان قد قدر مبلغاً يمثل الضرائب المستحقة عليهم لتجارتهم فى الورق ، وأن الحكم الذى صدر عليهم من محكمة الثورة منصب فقط على تحصيل فروق ضرائب عن هذه التجارة مستحقة عليهم لصالح الحكومة ، وإن كان هناك وصمة لهم فيكون فؤاد سراج الدين هو الذى سبق ووصمهم بها».

«وبعد مناقشة طويلة حول هذا الموضوع اتفقوا فى النهاية على تقسيط المبلغ المستحق استرداده على خمس سنوات. وقد استمرت مناقشة هذا الموضوع حوالى ساعتين ثم بدأ المجلس بعد ذلك عمله».



على أن عبد اللطيف البغدادى بعد صفحات قليلة يتنهز الفرصة ليخبرنا أن لهذه القصة بقية مثيرة حدثت بعد أقل من أسبوعين ، ونحن نرى البغدادى نفسه شأنه شأن من هم فى سنه يتنهز الفرصة الانفعالية ليعيد زملاءه إلى تبنى رأيه الذى كان ارتآه:

«.... وبعد الانتهاء من استقبال الملك سعود (٢٠ مارس ١٩٥٤) توجهنا إلى مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة ولمسنا ونحن في الطريق إليه تلك الروح التي تدفعنا إلى العمل المستمر من أفراد شعبنا الذين وقفوا على جانبي الطريق وهم يحيوننا بحماس شديد. فرفع ذلك من روحنا المعنوية المتدهورة. وكنت في هذه الأثناء راكباً نفس السيارة التي بها جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين. وسألت جمال عما إذا كان قد قرأ مقالات أحمد أبو الفتح في جريدة المصري وكانت كلها هجوماً على القائمين بالثورة ؟ ولما أجابني بالإيجاب ذكرته بالمناقشة التي جرت بيننا يوم صدور الحكم على أخيه محمود أبو الفتح. فطلب من كمال إلغاء قرار تقسيط المبلغ المطلوب استرداده من جريدة المصري والتي يملكها محمود أبو الفتح».



ونأتى إلى بعض الفقرات المشرفة لتاريخ البغدادى والتي يروى بها قصة اعتذاره الواضح عن أى مشاركة فى محاكمة تبدو فى البداية والنهاية نوعاً من الانتقام السياسى من قوى معارضة.

«وبعد أن تم التصويت [يشير إلى اجتماع ٢٩ مارس] على هذا القرار المقدم من صلاح ونال الأغلبية طلبت أمام جميع أعضاء المؤتمر إعفائى من رئاسة محكمة الثورة فى حالة عرض أى قضية عليها لها ارتباط بحوادث تلك الأزمة التى مرت بنا ، لأننى قدّرت أن مهمة المحكمة فى هذه الحالة ستكون ما هى إلا عملية انتقامية من بعض الأشخاص الذين كانوا قد عبروا عن آرائهم بعد إعلان حرية الصحافة وبعد إعلان قرارات ٢٥ مارس وما دمنا كنا قد قررنا هذا وهم بدورهم قاموا بهذا النشاط بناءً على قراراتنا فليس هناك مبرر لمحاكمتهم وإلا كانوا وكأنه قد تقرر محاكمتهم مسبقاً ، ولم أشأ أن أكون أداة تنفيذ هذا الانتقام منهم ، لذا قررت ألا أكون رئيساً لهذه المحكمة».

«ثم نوقش (أى فى اجتماع ٣٠ مارس ١٩٥٤) ما يجب عمله حيال رجال الأحزاب الذين ظهروا على المسرح فى تلك الفترة الأخيرة ومهاجمتهم للثورة ووجوب محاكمتهم أمام محكمة الثورة ، وأثير موقفى بالنسبة لهذا الاتجاه ورأى فيه ، وهو إن كان لابد من محاكمتهم فتشكل محكمة خاصة تكون مهمتها مثلاً حماية الثورة

ومحاكمة كل من حاول أو يحاول أن يقف في طريق تحقيق أهدافها أو تهديد النظام القائم عليها. ولقد حاولوا إقناعى بأن قيام محكمة أخرى لمحاكمتهم فى وجود محكمة الثورة ستؤول إلى معان مختلفة. ولكنى كنت متمسكاً برأى وهو أن محكمة الثورة قامت فى ظروف غير تلك الظروف ، وكانت تنظر فى قضايا من تسببوا فى إفساد الحياة السياسية فى مصر، وكذا قضايا استغلال النفوذ بغرض الإثراء أو من كان يتجسس لحساب دولة أجنبية. وأن الظروف التى جددت تختلف عنها، وهى محاكمة أفراد ظهوروا على المسرح السياسى بعد إعلان عودة الحياة النيابية وقيام الأحزاب. وإن كان من الضرورى محاكمتهم فلماذا لم يحاكموا من قبل، والمحاكمة ستظهر وكأنها انتقام منهم. وضربت مثلاً بمحمود أبو الفتح الذى يودون محاكمته ومصادرة أمواله ، وكيف يحاكم وقد كان بالخارج فى هذه الفترة ، ولماذا لم يحاكم من قبل، وموقفهم منه اليوم وموقفهم بالنسبة لجريدة المصرى التى هو صاحبها يوم أن صدر حكم محكمة الثورة عليها باسترداد مبلغ ٢٢ ألف جنيه فروق ضرائب مستحقة عليها، وما الذى غير الموقف ، أليس موقف جريدة المصرى من الثورة فى الفترة الأخيرة : أليس هذا انتقاماً، وهم كانوا يتكلمون عن الشعب والحريات والحياة النيابية ، وهو كلام لا يمكن أن يؤخذوا عليه».

«ولما وجدونى متمسكاً بوجهة نظرى انتقل الحديث حول سلاح الفرسان والعمل على تسوية حالة بعض الضباط فيه وإحالتهم إلى المعاش».



هكذا عبر البغدادي عن مشاعره تجاه دور قدر له أن يؤديه على نحو لا يمكن القول بأنه كان سيئاً على الرغم من أن الدور نفسه لا يلقى الترحيب فى عصر يريد أن ينأى بنفسه عن كل إجراء استثنائى.

د. محمد الجوادى

كتب للمؤلف

- **الدكتور محمد كامل حسين عالماً ومفكراً وأديباً**
سيرة حياة المفكر المصرى الكبير محمد كامل حسين (١٩٠٢ - ١٩٧٧) صاحب «قرية ظالملة» و«وحدة المعرفة» و«الوادى المقدس» و«النحو المعقول» و«التحليل البيولوجى للتاريخ».
فاز بجائزة مجمع اللغة العربية الأولى فى الأدب (١٩٧٨)، صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٧٨. وضمت الطبعة الثانية أبواباً وفصولاً لم تضمها الطبعة الأولى.
الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢.
- **مشرفة بين الذرة والذروة**
سيرة العالم المصرى الكبير الدكتور على مصطفى مشرفة (١٨٩٨ - ١٩٥٠)، وإنجازاته العلمية ومدرسته الرائدة وأفكاره الاجتماعية وقدراته البيانية والموسيقية، وبيولوجيا إنتاجه وما كتب عنه، صدرت طبعته الأولى عام ١٩٨٠، ونال جائزة الدولة التشجيعية فى أدب التراجم (١٩٨٢).
الطبعة الثانية، مكتبة مديولى، ٢٠٠١.
- **سيرة حياة العالم الأديب الدكتور أحمد زكى**
يستعرض الإنتاج الفكرى والأدبى للدكتور أحمد زكى (١٨٩٤ - ١٩٧٥) فى كافة الميادين ويعرض آراءه وفلسفته فى الحياة والعلم والسياسة والفكر والاجتماع، وتتميز الطبعة الثانية باحتوائها على البيولوجيا الكاملة لإنتاج الدكتور أحمد زكى فى كتبه ودراساته وترجماته ومقالاته المتنوعة فى مجالات: الرسالة، والثقافة، والهلل، والاشين، والدنيا، والعربى وغيرها.
الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٣.
- **أحمد زكى حياته وفكره وأدبه**
يضم هذا الكتاب معظم فصول الأبواب الأولى من كتاب سيرة حياة العالم الأديب الدكتور أحمد زكى.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة أعلام العرب، ١٩٨٤.
- **الدكتور على باشا إبراهيم**
سيرة حياة رائد الطب المصرى فى العصر الحديث د. على إبراهيم (١٨٨٠ - ١٩٤٧) وإنجازاته العلمية والحضارية، وآراؤه فى الحياة والعلم والطب والجامعة.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة أعلام العرب، ١٩٨٥.
- **الدكتور نجيب محفوظ**
سيرة حياة الرائد الأول لطب النساء فى العالم العربى د. نجيب محفوظ (١٨٨٢ - ١٩٧٢)، الذى أضاف إلى العلم كثيراً من الإنجازات، وعرض لفلسفته وقدراته العلمية والبحثية والبيانية.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة أعلام العرب، ١٩٨٦.
- **الدكتور سليمان عزمى باشا**
سيرة حياة أول أطباء الباطنيين د. سليمان عزمى (١٨٨٢ - ١٩٦٦)، وتحليل لأرائه فى التعليم الطبى والجامعى، وفلسفته فى ربط الطب والتعليم الطبى بالحياة العامة.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة أعلام العرب، ١٩٨٦.
- **عثمان محرم .. مهندس الحقبة الليبرالية المصرية (١٩٢٤ - ١٩٥٢)**
يستعرض المقومات العقلية والفكرية والمهنية والسياسية التى أسهمت فى صنع إنجازات المهندس الوطنى العبقري عثمان محرم (١٨٨١ - ١٩٦٣)، ويعرض لسيرته المهنية والسياسية والوطنية، ويتدارس أوراق محنته فى أول عهد الثورة حين قدم للمحاكمة كنموذج لكباش الفداء التى أراد العهد الجديد بها أن يحوى من الأذهان مهابة وقيمة رموز العهد السابق.
مكتبة مديولى، ٢٠٠٤.
- **سيد مرعى، شريك وشاهد على عصور الليبرالية والثورة والانفتاح (١٩٤٤ - ١٩٨١)**
سيرة حياة المهندس سيد مرعى (١٩١٤ - ١٩٩٢)، وإسهاماته السياسية والمهنية والزراعية فى ثلاثة عصور متتالية، وما تركته شخصيته من بصمات سياسية واجتماعية لاتزال آثارها باقية.
مكتبة مديولى، ١٩٩٩.
- **إسماعيل صدقي باشا (١٨٧٥ - ١٩٥٠)**
سيرة حياة واحد من أهم الشخصيات التى مرت بتاريخ مصر الحديث وأثرت فى تاريخها القومى تأثيراً كبيراً بالإيجاب والسلب، وعرض لإنجازاته الاقتصادية والحضارية، ونقد لمقاليته السياسية، وتقدير لأفكاره الاستراتيجية.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، ١٩٨٩.
- **صانع النصر .. المشير أحمد إسماعيل (١٩١٧ - ١٩٧٤)**
سيرة حياة قائد عسكري متميز أتيج له أن يتحقق على يديه أعظم نصر فى تاريخ مصر المعاصر، وملامح حياته وتكوين شخصيته وإنجازاته العسكرية على مدى حياته، ويناقش النقاط الخلافية فى تاريخه.
دار جهاد، ٢٠٠٣.
- **مايسترو العبور .. المشير أحمد إسماعيل**
سيرة موجزة لحياة قائد القوات العربية فى حرب ١٩٧٣.
دار الأطباء، ١٩٨٤.
- **سماة العسكرية المصرية الشهيد عبد المنعم رياض (١٩١٩ - ١٩٦٩)**
سيرة موجزة لحياة ألمع العسكريين العرب، وعرض سريع لأفكاره العسكرية والاستراتيجية وإسهاماته التاريخية.
دار الأطباء، ١٩٨٤.
- **توفيق الحكيم من العدالة إلى التعادلية**
إطلالة سريعة بترتيب موضوعى على شخصية توفيق الحكيم وحياته وآثاره الأدبية، من خلال رحلته فى الحياة، وتعريف موجز بآثاره الأدبية والفكرية.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، ١٩٨٨.
- **عبد اللطيف البغدادى .. شهيد النزاهة الثورية**
سيرة حياة عبد اللطيف البغدادى (١٩١٧ - ٢٠٠٠) أبرز رجال عهد الثورة فى المجال التنفيذى، وتتبغ لفكره الإصلاحى والسياسى، وإنجازاته الحضارية، وإسهاماته فى الحياة البرلمانية، والوزارات المختلفة، والعلاقات العربية، ومحكمة الثورة، ورؤاه الاستراتيجية والسياسية والحربية.

دار الخيال، ٢٠٠٥.

■ مصريون معاصرون

مجموعة من كلمات ومقالات التأبين التي نشرت في رثاء بعض المصريين المعاصرين أو إحياء ذكراهم، متضمنة أضواء موحية على بعض من الجوانب التي تيدت في حياة وإنتاج هذه الشخصيات.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

■ يرحمهم الله : كلمات في التأبين

تراجم انطباعية تأبينية لكل من: بدر الدين أبوغازي، وصلاح عبدالصبور، ومحمد زكي عبدالقادر، ود. يحيى المشد، ومحمد فهمي عبداللطيف.
دار الأطباء، ١٩٨٤.

■ فن كتابة التجربة الذاتية : مذكرات الهواة والمحترفين

مجموعة من القضايا النقدية والفكرية، المرتبطة بفن كتابة التجربة الذاتية، وأساسياته، وأركانه، وتطوره، ومدى الحاجة إليه، والنقاط الخلافية فيه مع محاولة لتأصيل مذهب المؤلف في نقد أدبيات التجارب الذاتية المنشورة في صور مختلفة.
دار الشروق، ١٩٩٧.

■ في ضلال السياسة.. نجيب محفوظ.. الروائي بين المثالية والواقع

دراسة أدبية نقدية تحليلية تستعرض الفكر السياسي لنجيب محفوظ من خلال آرائه الصريحة المباشرة وأعماله الفنية ومذكراته المتعددة، وتثبت أنه فكر متقدم تناول القضايا الوطنية بروية واضحة ونظر ثاقب وعبر عن وعي سياسي من طراز متميز نجا من التقولب والأيدلوجيات واستشرف الأمل في الأفاق الرحبة لمستقبل مزدهر لأمته ونجح في لفت النظر إلى حقيقة الإيجابيات الليبرالية التي تحققت بفضل ثورة الشعب في ١٩١٩.

دار جهاد، ٢٠٠٢.

■ على هوامش الأدب

مجموعة من الدراسات والبحوث في اللغة والأدب والنقد، تحاول فهم النقد ووظيفته وتصور علاقة الإبداع بالحياة، وتحلل الوسائل الكفيلة بالارتقاء بالذوق الأدبي العام، وتناقش كثيراً من القضايا والإشكاليات التي شغلت الحياة الثقافية، وترتاد آفاقاً جديدة في درس علاقة اللغة بالحياة في عصر المعلومات، وفي علاقة النقد بالذوق في حقبة تتسم بتسارع الخطى والانكفاء على الذات معاً.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢.

■ ثلاثية التاريخ والأدب والسياسة

يناقش التأثيرات المتبادلة بين السياسة والتاريخ والأدب من خلال مجموعة من الفصول الموثقة (٢٢ فصلاً) تستعرض وقائع ثقافية وأدبية ونقدية متعددة بعضها مشهور وبعضها لا يتمتع بالقدر الكافي من المعرفة به.
دار جهاد، ٢٠٠٣.

■ من بين سطور حياتنا الأدبية

خمس من الفصول التي يضمها كتاب ثلاثية التاريخ والأدب والسياسة نشرت مبكراً.
دار الأطباء، ١٩٨٤.

■ أدياء التنوير والتاريخ الإسلامي

دراسة وتعريف وتقييم لجهود ثلاثة من أساتذة كلية الآداب في الجامعة المصرية تصدوا لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية، تلقى الدراسة الضوء على ملامح وسمات ومميزات هذه التجربة الرائدة التي أثمرت عملاً يجمع بين الأدب والتاريخ، وقد أصبح بمثابة المصدر المفضل لأهل التاريخ وتاريخ الأدب العربي، وكثير من الدراسات الإنسانية.
الطبعة الثانية، دار الشروق، ١٩٩٤.

■ كلمات القرآن التي لا نستعملها

دراسة تطبيقية لنظرية العينات اللفظية مع جداول تفصيلية كاملة بالكلمات ومعانيها والآيات التي وردت فيها من خلال تصنيف لغوي دقيق مع شرح موجز لفكرة اختلاف المينات اللفظية والعوامل المؤثرة في هذا الاختلاف.
صدر في طبعين : دار الأطباء، ١٩٨٤، دار الشروق، ١٩٩٧.

■ أوراق القلب (رسائل وجدانية)

يضم أكثر من خمس وسبعين رسالة من الرسائل القصيرة تعبر بطريقة مبتكرة عن أحوال وجدانية متباينة، وتعمكس قدرة عالية على التصوير والتعبير والقبض على لحظات الخصوصية والتفرد والمفارقة في العلاقات الإنسانية.
الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٩٤، الطبعة الثانية، دار جهاد، ٢٠٠٥.

■ أوام الحب : دراسة في عواطف الأنثى

يتضمن خمسة وثلاثين فصلاً ترسم الملامح الجوهرية في الطابع الإنسانية المتباينة، وتقدم صوراً فنية ونفسية دقيقة أقرب في طبيعتها إلى اللقطة اللحظية، كما تقدم استمراضاً دقيقاً لتقلبات الوجدان ودواعيها وتوابعها.
الطبعة الأولى، الكتاب الأول في سلسلة كتاب الجمهورية الشهرى، أغسطس ١٩٩٩.

■ رحلات شاب مسلم

انطباعات ذاتية عن رحلات علمية مبكرة في أمريكا وإيطاليا والهند وبريطانيا صورت في دقة إبداعية بعض مشاعر الاحتكاك المباشر للمؤلف مع بيئات مختلفة وحضارات متعددة، كتبت بحرص شديد على الالتزام والدقة الموحية.
صدر في ثلاث طبعات : دار الصحو، ١٩٨٧، دار الشروق، ١٩٩٥، دار جهاد، ٢٠٠٢.

■ شمس الأصيل في أمريكا

يتميز بأسلوب مستحدث في كتابة الرحلات لا يصف الطبيعة كما فعل السابقون، لكنه يحاول أن يصف الحضارة، وعلى حين أن وصف الطبيعة لا يستلزم إلا الحاسة الصادقة.. فإن وصف الحضارة يستلزم كذلك أقداراً متنامية من الدقة والإحاطة والتعمق والفهم والترتيب.. ويستلزم قبل ذلك أن تكون جندياً من جنود الحضارة لا فارساً من فرسان الطبيعة.
صدر في طبعين عن دار الشروق، ١٩٩٦، ودار جهاد، ٢٠٠٢.

■ مجلة الثقافة (١٩٣٩ - ١٩٥٢) تعريف وفهرسة وتوثيق

سيرة حياة مجلة رائدة، ودراسة صحفية وأدبية تحليلية للمجلة الشهيرة التي أصدرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر بصفة أسبوعية، وتشمل فهرسة كاملة للأعداد الـ ٧٣٢، وكشافات للموضوعات التي أسهم بها الكتاب الذين بلغ عددهم أكثر من ألف، مع تراجم وأهية لحوالي ١٣٠ كاتباً بارزاً

الطبعة الثانية، دار جهاد، ٢٠٠٥.

■ رحلات شاب مسلم

انطباعات ذاتية عن رحلات علمية مبكرة في أمريكا وإيطاليا والهند وبريطانيا صورت في دقة إبداعية بعض مشاعر الاحتكاك المباشر للمؤلف

مع بيانات مختلفة وحضارات متعددة، كتبت بحرص شديد على الالتزام والدقة الموحية.

صدر في ثلاث طبعات : دار المصنوعة ١٩٨٧، دار الشروق ١٩٩٥، دار جهاد ٢٠٠٣.

■ شمس الأصيل في أمريكا

يتميز بأسلوب مستحدث في كتابة الرحلات لا يصف الطبيعة كما فعل السابقون، لكنه يحاول أن يصف الحضارة، وعلى حين أن وصف الطبيعة لا يستلزم إلا الحاسة الصادقة.. فإن وصف الحضارة يستلزم كذلك أقداراً متنامية من الدقة والإحاطة والتمعق والفهم والترتيب.. ويستلزم قبل ذلك أن تكون جندياً من جنود الحضارة لا فارساً من فرسان الطبيعة.

صدر في طبعتين عن دار الشروق، ١٩٩٦، ودار جهاد، ٢٠٠٣.

■ مجلة الثقافة (١٩٣٩ - ١٩٥٢) تعريف وفهرسة وتوثيق

واظبوا على الكتابة للمجلة، وتعد بعض النبذات البيوجرافية المقدمة عن هؤلاء بمثابة النبذات التمريفية الوحيدة المتاحة عنهم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣.

■ البيولوجرافيا القومية للطب المصري (٨ أجزاء)

بيولوجرافيا كاملة للبحوث الطبية المنشورة في مائة وخمسين دورية طبية مصرية (١٩٨٥ - ١٩٨٨)، مع معلومات بيولوجرافية كاملة وملخصات وافية للبحوث، صدر في ثمانية أجزاء نشرتها الأكاديمية الطبية العسكرية على مدى الفترة من ١٩٨٨ وحتى ١٩٩١.

■ مذكرات وزراء الثورة

مدارس أدبية نقدية تاريخية لمذكرات عشرة من وزراء ثورة يوليو ١٩٥٢ من ذوى الانتماءات المختلفة والأدوار المتباينة، فضلاً عن اختلاف آرائهم السياسية: كمال حسن على، وسيد مرعى، وعبدالجليل العمري، وثروت عكاشة، وإسماعيل فهمى، وعثمان أحمد عثمان، وضياء داود، وأحمد خليفة، وعبد الوهاب البرلسى، وحسن أبوياشا.

دار الشروق، ١٩٩٤.

■ المرأة والحريّة، مذكرات المرأة المصرية

مدارس أدبية نقدية تاريخية لقضية الحرية في النظام الاجتماعى من خلال قراءة متأنية لمذكرات أربعة اتجاهات كاشفة عن دور المرأة المصرية في الحياة العامة مشاركة للزوج في مجده، أو ممارسة للسياسة، أو للوظيفة، أو عارضة لتجربة حياة متميزة: بنت الشاطئ، وجيهان السادات، ولطيفة الزيات، وزينب الغزالى، وإنجي أفلاطون، واعتدال ممتاز، وإقبال بركة، ونوال السعداوى، وسلوى العنانى، وثريا رشدى.

دار الخيال، ٢٠٠٤.

■ مذكرات المرأة المصرية

طبعة مختصرة ومبكرة من كتاب «الثورة والحرية»، دار الشروق، ١٩٩٥.

■ نحو حكم الفرد : مذكرات الضباط الأحرار

تصوير دقيق للفترة الأولى من حكم ثورة يوليو (١٩٥٢ - ١٩٥٤) ومقدماتها وصراعاتها والتحولت التي انتهت إليها من خلال مدارس أدبية نقدية تاريخية لمذكرات كل من: اللواء محمد نجيب، وخالد محيى الدين، وعبد المنعم عبدالرؤوف، وجمال منصور، ومحمد عبدالفتاح أبو الفضل، وحسين حمودة.

دار الخيال، ٢٠٠٣.

■ مذكرات الضباط الأحرار

طبعة مختصرة ومبكرة من كتاب «نحو حكم الفرد» تضم أيضاً باباً عن مذكرات عبداللطيف البغدادى لم تتضمنه الطبعة الثانية.

دار الشروق، ١٩٩٦.

■ محاكمة ثورة يوليو : مذكرات رجال القانون والقضاء

دراسة لملاقة ثورة يوليو ١٩٥٢ بالقانون، وكيف أعلت الثورة من قيمة القانون في بعض المواقف والصراعات التي نشبت بين تنظيمات الثورة وبين رجال القضاء الوطنى وذلك من خلال مدارس أدبية نقدية تاريخية لمذكرات مجموعة من أعلام القانون والقضاء الذين مارسوا السياسة أو شاركوا في الحياة العامة، وتشمل مذكرات كل من: محمد عصام الدين حسونة، وممتاز نصار، ومحمد عبدالسلام، وجمال العطفى، ومحمد عبدالسلام الزيات، وماهر برسوم، وحسن عبدالغفار.

دار الخيال، ١٩٩٩.

■ من أجل السلام، مذكرات رجال الدبلوماسية المصرية

تحليل ومقارنة لرؤى مجموعة من أعلام الدبلوماسية المصرية الذين شغلوا مواقع مختلفة وعاصروا حروب مصر الدبلوماسية من أجل استعادة التراب الوطنى : أحمد عصمت عبدالمجيد، ومعمود رياض، ومحمد إبراهيم كامل، وحسين ذوالفقار صبرى، ومحمد عبدالوهاب العشماوى، وجمال بركات.

دار الخيال، ١٩٩٩.

■ الطريق إلى النكسة، مذكرات قادة العسكرية المصرية ١٩٦٧

مجموعة فصول تاريخية نقدية تتناول استمراراً ومدارساً لمذكرات قادة الصف الأول في حرب يونيو ١٩٦٧ وتحليل لآرائهم ورؤاهم عن الأسباب التي صنعت الهزيمة أو أدت إليها، أو حالت دون السيطرة عليها في الوقت المناسب، والدراسة بمثابة أوفى مرجع لمذكرات عبدالحميد الدغيدى، وعبدالمحسن كامل مرتجى، وأنور القاضى، وصلاح الحديدى، ومحمد فوزى. وبعض هذه المذكرات لم تشر إلا في صحف محدودة التوزيع.

دار الخيال، ٢٠٠٠.

■ النصر الوحيد، مذكرات قادة العسكرية المصرية ١٩٧٣

مرجع أساسى لا غنى عنه لدراسة أمجد المعارك العربية التي خاضتها الأمة العربية في ١٩٧٣، يتضمن الكتاب مدارس ضخمة عن حقائق تلك الحرب وقائمتها من منظور وطنى وعلمى أمين مترفع عن الانحياز والفرض، ويقدم نظرات غير مسبقة في تحليل أحداث الحرب وتطورها ويستعرض بأمانة وتدقيق مذكرات خمسة من قادة حرب أكتوبر من مستويات مختلفة شاركوا بجهد وافر في صياغة وصناعة النصر : محمد عبدالفتى الجمسى، وسعد الشاذلى، وعبد المنعم خليل، ويوسف عفيفى، وعادل يسرى.

دار الخيال، ٢٠٠٠.

■ في أعقاب النكسة، مذكرات قادة العسكرية المصرية ١٩٦٧ - ١٩٧٢

أوفى دراسة متاحة حتى الآن للفترة التي اصطلح على تسميتها بحرب الاستنزاف وهي فترة حافلة بالتناقضات في الرأى والتصور والتكتيك ورواية الوقائع، ويقدم الكتاب تحقيلاً لكثير من هذه الجزئيات الخلافية من خلال مذكرات كل من: مذكور أبوالمز، ومحمد أحمد صادق، ومحمد صدقى محمود، ومحمد فوزى، والفريق صلاح الحديدى، والكتاب هو المصدر الوحيد لبعض هذه المذكرات التي لم تشر إلا في الصحف.

دار الخيال، ٢٠٠١.

■ على مشارف الثورة، مذكرات وزراء نهاية الملكية ١٩٤٩ - ١٩٥٢

دراسة أدبية نقدية تاريخية لمذكرات خمسة من وزراء السنوات الأخيرة في عهد الملكية ينتمون إلى اتجاهات وتوجهات مختلفة، مع تحليل أدبي تاريخي لما تضمنته المذكرات من حقائق وروايات، وتشمل مذكرات كل من: أحمد مرتضى المراغى، وكريم ثابت، وإبراهيم فرج، وصليب سامى،

وعبدالرحمن الراجحي.

دار الخيال، ٢٠٠١ .

■ **عسكرة المجتمع المدني : مذكرات الضباط خارج الجيش**

دراسة موسعة للتأثيرات العملية المباشرة وغير المباشرة لممارسة رجال القوات المسلحة للأدوار والمهام المدنية في عهد الثورة في مجالات الإدارة والوزارة والتنظيمات والسياسة والصحافة والقضاء والإعلام والدعوة والدبلوماسية والهندسة من خلال مدارسات مكثفة لمذكرات سمير فاضل، وأحمد طعيمة، وحلمى السعيد، ومصطفى بهجت بدوي، ورياض سامي.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥ .

■ **مذكرات الصحفيين .. في خدمة السلطة**

مدارسة أدبية نقدية تاريخية لملاقات الصحافة بالسلطة على مدى عهد الثورة انتقالاً من عصر الليبرالية إلى التأميم والتنظيم إلى انفتاح محسوب، مع تحقيق لوقائع استغلال النفوذ ومصادرة الرأي: موسى صبري، وأحمد بهاء الدين، وعبدالستار الطويلة، وفتحي غانم، وحلمى سلام، وجلال الدين الحمامصي.

دار الخيال، ٢٠٠٢ .

■ **مذكرات المفكرين والتربويين .. تكوين العقل العربي**

مدارسة أدبية نقدية تاريخية لمذكرات مجموعة من أبرز المفكرين والتربويين الذين أسهموا في تكوين العقل العربي، وعرض لرؤاهم التربوية والفكرية ولوجهات نظرهم في الحياة العقلية في مصر المعاصرة من خلال تحليل انطباعاتهم ورؤاهم فيما يتعلق بتكوين عقلياتهم وعقلية تلاميذهم وأساتذتهم ومعاصريهم. وتشمل المدارسة مذكرات: شوقي ضيف، وعبدالرحمن بدوي، ومحمد عبدالله عنان، ومحمد علي المريان، وأحمد عبدالسلام الكرداني، ونادية رضوان.

دار الخيال، ٢٠٠٢ .

■ **الثورة والإحباط : مذكرات أساتذة الأدباء والأدباء**

دراسة أدبية نقدية لمجموعة من المذكرات كتبها الأدباء وأساتذة الأدب وأصابت علاقاتهم بالسياسة والحياة العامة وتفاعلات الأدب والكتابة في عهد الثورة، وخبراتهم الفنية والأدبية، والموامل التي شكلت وجدانهم، والتجارب التي عكستها آثارهم الأدبية. وتضم مذكرات الدكتورين: أحمد هيكل وعلى الحديدي، والأساتذة صالح مرسى، وفتحي أبو الفضل، وجليلا رضا، وعائدة الشريف، وأمانى فريد .

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤ .

■ **آراء حرة في التربية والتعليم**

يتضمن هذا الكتاب مجموعة من الفصول عرض فيها المؤلف آراء حرة ومدروسة في قضايا التربية والتعليم حاول بها أن يفتح الأبواب أمام الفهم المستقيم لهذه القضايا، وأن يقدم الحلول الأكثر مناسبة والأجدى فائدة لمشكلات مزمنة، وأن يؤصل للفهم التربوي المعاصر من خلال فكر مفتوح لا يخضع للأهواء الوقتية.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١ .

■ **مستقبل الجامعة المصرية**

مجموعة مختارة من الأفكار والتصورات والمقترحات التي نشرها المؤلف في الصحافة المصرية على مدى تسع سنوات مستهدفاً تجديد الرؤى في إصلاح الجامعة على أسس علمية دون طرفة، ومعبراً عن رؤية علمية وعملية مختلفة عن تلك المطروحة على الساحة.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩ .

■ **منهجية العلوم والفنون، مذكرات الأكاديميين المؤسسين**

تحليل تاريخي وتوثيق تربوي للجانب المؤسسي في أكاديميات التعليم المتخصص في الشرطة والفنون والجامعات الإقليمية والاتحادات العلمية عبر مدارسة لمذكرات أربعة من الأكاديميين المؤسسين: سليمان حزين، وسمحة الخولي، وعبدالعليم منتصر، وعبدالكريم درويش.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥ .

■ **القاهرة تبحث عن مستقبلها**

مجموعة من المقالات والفصول استهدفت تغيير وجه القاهرة من خلال أفكار علمية وعملية تستند إلى تحليل المعلومات وتوظيفها، والقدرة على تصور البدائل وطرح الحلول انطلاقاً من رؤية رحيبة الأفق، وقد تحقق بعض هذه الأفكار، ونتمنى أن يتحقق البعض الآخر لنصبح عاصمتنا في المكانة اللائقة بها بين بقاع الدنيا.

دار المعارف، ٢٠٠٠ .

■ **التنمية الممكنة، أفكار مصر من أجل الازدهار**

مجموعة مختارة ومنتقاة من المقالات والدراسات التي كتبها ونشرها المؤلف على مدى سبع سنوات (١٩٩٤ - ٢٠٠١) طارحاً فيها أسلوباً جديداً لمعالجة قضايا الوطن الاقتصادية والاجتماعية، معتمداً على منهج موظف للمعلومات من أجل الانطلاق بفكر رحب يفيده من تجارب الحضارات السابقة والنظم السياسية المعاصرة، وتتاول الأفكار مناحي متعددة في حياة الوطن ومستقبله واقتصادياته ويجمع هذه الأفكار أنها صادرة عن رؤية عملية قابلة للتنفيذ دون أن تتطلب موارد جديدة، وهو ما يدفع إلى المطالبة بالإسراع في الأخذ بها من أجل ما نشده من ازدهار في مستقبل الوطن.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١ .

■ **مستقبلنا في مصر : دراسات في الإعلام والبيئة والتنمية**

مقالات ودراسات مستفيضة لبعض مشكلات الحياة العامة في مصر، تقدم رؤى مختلفة الطابع تصدر عن فهم جديد لطبيعة الحضارة المعاصرة بعيداً عن الآثار الكلاسيكية للأفكار الأيديولوجية التي صبغت بعض مناحي الحياة العامة في مصر بما يستحسن الخلاص منه في ظل فكر إنساني علمي جديد يعتمد على التعويل على العناصر الإيجابية في الإنسان، وعلى إعلاء قيمة الحرية، والتمكين للقيم الفاضلة في حياة المجتمع، وفهم المشكلات في إطارها الخاص بعيداً عن التعميم، وعلى استطلاق الإحصاءات بالبعد التمدني الذكي والمحافظة في الوقت ذاته على البيئة.

الطبعة الثانية، دار الشروق، ١٩٩٧ .

■ **الصحة والطب والعلاج في مصر**

مجموعة من المقالات والفصول والدراسات تستعرض جوهر العلاقة بين الطب والصحة والمجتمع، وتقدم لمحات عن الدين والمرض، وعن مستقبل الطب الإسلامي، وعن طب الطوارئ. كما تقدم أفكاراً جديدة في تطوير التعليم الطبي وتنظيم المؤسسات الطبية. وتتضمن الطبعة الثانية دراسات موسعة تستهدف تطوير الخدمات الصحية بإعادة استخدام الموارد المتاحة من خلال رؤى عصرية لسياسات العلاج والصحة.

الطبعة الأولى، جامعة الزقازيق، ١٩٨٧ .

الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥ .

■ **أقوى من السلطة : مذكرات أساتذة الطب**

استعراض للتاريخ الاجتماعي في الحياة المصرية المعاصرة من خلال منظور طبي وتعليمي اصطبغ بالعلاقة المباشرة والتجربة الحية مع شخصيات السلطة المتعاقبة وتوجهاتها المتباينة على نحو ما تضيئه مذكرات الدكتور: زكي سويدان، ومصطفى الرفاعي، ومصطفى الديواني، ودمرداش

أحمد، وأرنست سليمان شلبي.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤ .

■ الفلسطينيون ينتصرون أخيراً .. دراسات في التنبؤ السياسي

تقدم مجموعة المقالات والفصول التي يتضمنها الكتاب أفكار المؤلف وتصوراته لمسار الصراع العربي - الإسرائيلي وقضية فلسطين، وهجرة اليهود العرب إلى فلسطين، ومعضلات السياسات الفلسطينية، وأخطاء السياسات العربية في حقب متتالية، وحقيقة العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والحركة الصهيونية وإسرائيل.

دار جهاد، ٢٠٠٢ .

■ المسلمون والأمريكان في عصر جديد

مجموعة من الفصول والمقالات تتميز بجسارة فكرية وعقلية كفيلة بالنفاذ إلى جوهر المشكلات والتوجهات في السياسة العالمية، ويجاهر المؤلف بأن الدعوة إلى الإسلام أجدى بكثير من الدفاع عنه . كما يستعرض مبرراته للتنبؤ بأن أمريكا قد تعتنق الإسلام، ويلقى الضوء على الدور الذي يلعبه الدين في الانتخابات الأمريكية وفي غيرها من مواقع الأحداث في عصر العولمة.

دار جهاد، ٢٠٠٢ .

■ النخبة المصرية الحاكمة (١٩٥٢ - ٢٠٠٠)

مجموعة من الدراسات البيوجرافية التي يمكن وصفها بلغة البحث العلمي بأنها أصيلة وغير مسبقة، ومجموعة من المقالات (المستددة إلى دراسات) تتناول بالبحث والتعليق تكوين شخصيات النخبة الحاكمة في النصف الثاني من القرن العشرين وعوامل صعود هذه الشخصيات إلى مواقع المسئولية.

مكتبة مديولي، ٢٠٠١ .

■ قادة الشرطة في السياسة المصرية (١٩٥٢ - ٢٠٠٠) دراسة تحليلية وموسوعة شخصيات

دراسة عميقة لدور جهاز منى حيوى في الحياة السياسية في النصف الثاني من القرن العشرين، وتعريف بيوجرافى بستين شخصية شرطية مع ذكر أدوارها التاريخية وذلك من خلال قراءات مكثفة، ومقابلات منتقاة، ودراسات عميقة.

مكتبة مديولي، ٢٠٠٢ .

■ البنیان الوزارى فى مصر (١٨٧٨ - ٢٠٠٠)

المرجع الأول والأوفى في مجاله، وهو دراسة تاريخية وفهارس كمية وتفصيلية لإنشاء وإلغاء وإدماج الوزارات والقطاعات الوزارية وتبعيات المصالح والهيئات للوزارات المختلفة، ودراسة لتوزيع المسئوليات الوزارية والوزراء الذين تعاقبوا على كل وزارة.

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عن دار الشروق، وركزت على فترة الثورة.

الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ .

■ الوزراء ورؤسائهم ونواب رؤسائهم ونوابهم ، تشكيلاتهم وترتيبهم ومسئولياتهم

توثيق تاريخ الوزارات المصرية وتشكيلاتها منذ قيام الثورة ١٩٥٢، من خلال ثلاثة أبواب، الأول: ترتيبى، والثاني: زمنى، والثالث: شخصى، ويقدم معلومات عن الوزراء ورؤسائهم ونواب رؤسائهم ونوابهم وتشكيلاتهم وترتيبهم ومسئولياتهم.

صدر في طبعين عن دار الشروق، ١٩٩٦ ، ١٩٩٧ .

■ التشكيلات الوزارية فى عهد الثورة (١٩٥٢ - ١٩٨١)

طبعة مبكرة ومختصرة من كتاب الوزراء، تقف عند نهاية حكم الرئيس السادات، وتقدم فقط بعض ما شمله البابان الثاني والثالث من كتاب الوزراء.

الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٨٦ .

■ المحافظون

دراسة تأسيسية تشمل قوائم كاملة وترتيبية وفهارس تفصيلية وأبجدية وزمنية ودراسة لتسلسل وتطور اختيار المحافظين منذ بدء نظام الإدارة المحلية (١٩٦٠) وحتى نهاية القرن العشرين. مع الإشارة إلى خلفياتهم المهنية وعلاقتهم بالمناصب الوزارية والإدارية.

صدرت الطبعة الأولى عن دار الشروق، ١٩٩٦ .

الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١ .

■ كيف أصبحوا وزراء .. دراسة فى صناعة القرار السياسى

فصول بيوجرافية وتاريخية فى إطار دراسة تحليلية ونقدية لصناعة القرار السياسى فى مصر، وهى دراسة لا تخلو من استرجاع ومن إحصاء ومن استقراء ومن استنباط، ومن تحقيق للروايات ومن عرض للرأى والرأى الآخر، ومن وضع المقارنات على هيئة جداول وأرقام.

دار الخيال، ٢٠٠٢ .

■ دليل الخبرات الطبية القومية وتاريخ التعليم الطبى الحديث

نبذات وافية ومعلومات كاملة تاريخية عن تطور مؤسسات وهيئات التعليم الطبى المصرية فى الجامعات ومراكز البحوث ووزارة الصحة . الجمعية المصرية للأطباء الشبان، ١٩٨٧ .

■ يوميات على مصطفى مشرفة .. يناير ١٩١٨ - يوليو ١٩١٨

تحقيق دقيق لمخطوطة من اليوميات التى وجدت فى آثار العالم المصرى الكبير عن الشهور الأولى من فترة بعثته إلى بريطانيا وما حفلت به مشاعره من حس وطنى ودينى، وتفاعل مع صورة مختلفة من الحياة، وحوارات عقيدية وفكرية، وخبرات علمية وحضورية وثقافية مكثفة.

مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣ .

■ القاموس الطبى نويل فى ٣ أجزاء (بالاشتراك مع أ.د. محمد عبد اللطيف)

قاموس طبى ضخيم يحوى ستين ألف مصطلح يسهل من خلاله الوصول إلى المصطلح المقابل من خلال أى لغة من لغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ويشمل مسارد كاملة لكافة المصطلحات الطبية الواردة فى اللغات.

دار الكتاب المصرى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، القاهرة، ١٩٩٨ .

■ أمراض القلب الخلقية الصمامية ٢٠٠١

كتاب طبى مرجعى يصلح أيضاً للثقافة العامة، يستعرض الخلفية الصمامية وأسبابها وطرائق تشخيصها وعلاجها وجراحاتها ومآلها.

دار المعارف، ٢٠٠١ .

■ أمراض القلب الخلقية ، الثقوب والتحويلات ٢٠٠٢

كتاب طبى مرجعى يصلح أيضاً للثقافة العامة، عرض فيه المؤلف الأمراض الناشئة عن وجود ثقوب أو تحويلات فى تشريح القلب، مع تقديم صورة وافية عنها والاستعانة بكل ما يمكن أن يصور طبيعة المرض وحقيقته وسماته والطرق المتاحة لتشخيصه وعلاجه وجراحاته.

دار المعارف، ٢٠٠١ .

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>